

مبطلين المرأة في القرآن

تأليف : ساجد شريف عطية

مركز فاعلون للبحوث والدراسات

faloon Center for Research and Studies

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة

هذه الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

حقوق الطبع محفوظة

كتاب : مبطلين المرأة في القرآن ساجد شريف عطية

مبطلين المرأة في القرآن

الطبعة ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ

مزيدة ومنقحة

تأليف

ساجد شريف عطية

تحقيق

مركز فاعلون للبحوث والدراسات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم صل على محمد وآل محمد

رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي

طه ٢٥-٢٨

هوية الكتاب

عنوان الكتاب	مبطلين المرأة في القرآن
عنوان فرعي	موسوعة اتقان القرآن وعلوم الرحمن - الجزء ٣٥
تأليف	ساجد شريف عطية
تحقيق	مركز فاعلون للبحوث والدراسات
عدد الصفحات	٥٦٠
المراجعة والتصحيح اللغوي	مركز فاعلون للبحوث والدراسات
الطبعة السابقة	الاولى عام ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.ق
الطبعة الحالية	الرابعة عام ٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ.ق
الطبعة	مكتبة بارسا

جميع الحقوق محفوظة

موافق للمطبوع - الطبعة الرابعة

مزيدة ومنقحة

تهدية

بعد حمد الله وتعالى ونستغفره ونتوب اليه في بداية الكلام هذا المجلد يختص به مبطلين المرأة في القرآن ومن مصادر ومصنفات وصحاح المسلمين (السنة والشيعة) وكتب اخرى .

وهو الجزء الخامس والثلاثون من اجزاء موسوعة اتقان القرآن وعلوم الرحمن تأليف ساجد شريف عطية من الطبعة الاولى عام ١٩٩٨م - ١٤١٩هـ.ق ، وهذه الطبعة الرابعة مزينة ومنقحة ، من مصادر حديثة ، وجميع مباحثها عن بيان وشروح وتوضيح من مقام الدفاع ، مع طرح بعض الشبهات والاشكالات .

ثم الرد عليها من خلال طرح علمي بالأسانيد والمصادر ونذكر من باب الدليل لروايات من كتب المسلمين (الشيعة والسنة) ، ولا نقصد الإساءة الى أي أحد سواء كان من السنة أو الشيعة أو الخلفاء أو الأئمة أو الصحابة أو التابعين أو غيرهم او كانت من امهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ .

وما تجده من اقوال مخالفة لمعتقداتك فهي اما منقولة عن رأي لأحد ما ثم دمج كلامه بضمينه ، او تعبر عن رأي صاحبها او حديث ، وكل ما ورد هنا من أحاديث فهي من مصادر الشيعة ومصادر اخواننا أهل السنة .

مركز فاعلون للبحوث والدراسات

faloon Center for Research and Studies

المقدمة

تأريخ المرأة

إنَّ القرآن العظيم كتاب الله ﷻ ، أنزله على قلب مُحَمَّدٍ ﷺ عبده ورسوله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فضَّله الله على علمه الذي أحاط بكل شيء وهيمن على كل شأن ، وجعله الكتاب الخاتم لكل ما سبق ، وأنزله على خاتم النبيين والمرسلين لكي يُحيط بكل جوانب رسالاتهم وما جاءوا به من معتقدات .

ولكي يكون الحافظ الأمين للأساسيات المشتركة بين النبيين ، بحيث نجد فيه حنيفية إبراهيم ﷺ ، وصحف وتوراة موسى ﷺ وألواح ، وإنجيل عيسى ﷺ ، وما أنزل الله فيه . وأكملت من بعدهم ﷺ شخصيات مجاهدة حينما تذكرها يبدأ الألم يتسرب إليك منها المرأة مع النبي ﷺ في شريعته مثل العلوية الشهيدة بنت الهدى قَدِسَتْ حول قيمة المرأة حيث قالت :

المرأة هي المدرسة الأولى في الحياة، وهي أحد العنصرين الأساسيين في تكوين المجموعة البشرية. فنحن حينما نذكر المرأة نرى أنها مدرسة ومربية أجيال. فحينما نأتي لتحدث عن دورها في المجتمع نلاحظ أنها في الواقع نقطة لانطلاق المجموعة البشرية، ولولاها لما كان هناك بشر على وجه الأرض.

ونظراً كونها المعهد الفطري للوليد وصدرها هو واهب الحياة للجيل اهتم الإسلام بأن يلقي الضوء في شريعته وأحكامه على المرأة ومكانتها في المجتمع والحياة.

وأن يرتفع بها إلى مصاف الرجل لها ما له وعليها ما عليه، بعد أن كانت المرأة مهضومة الحق في جميع الأنظمة الدولية التي جاءت قبل الإسلام.

حتى أن كثيراً من الأمم كان قد راج فيها وأد البنات خوفاً من عار وجودهن على وجه الأرض.

وكانوا علماء وزعماء الديانات يبحثون ويتناقشون على طول قرون عديدة في أن المرأة هل هي إنسان أو غير إنسان، وهل تحمل روحاً أم لا.

واما المرأة في العالم الغربي فهي أسوأ حال من كل ما تقدم، لا يحسب لها حساب سلعة تتداولها أيدي تجار الأخلاق، وبأجنس الأثمان، بوصفهن زينة المجالس، وأداة من أدوات الترف التي يحرص الأغنياء والمترفون على إبرازها للزهو والعجب.

ولم تكن قط موضع الاحترام الحقيقي كمخلوق إنساني جدير بذاته، بل تستغل في الأعمال والوظائف التي تهان فيها.

ففي العصور الوسطى^١ عقدت في العديد من البلدان الأوروبية الاجتماعات للبحث بشأن المرأة، وما إذا كانت تعتبر إنساناً أم لا!.

وذكر أن أحد هذه الاجتماعات عقد في فرنسا لمعرفة ماهية المرأة؛ وبعد نقاش طويل تبين للمجتمعين أن المرأة يمكن أن تكون إنساناً؛ لكنها مخلوقه من أجل خدمة الرجل فقط ومن أجل راحته هو فحسب.

وفي إنجلترا حرم الملك (هنري الثامن)^٢ على المرأة الإنجليزية قراءة الكتاب المقدس، وبقيت المرأة حتى سنة ١٨٥٠م غير معدودات من المواطنين؛ وظللن حتى عام ١٨٨٢م ليس لهن حقوق شخصية؛ ولا حق لهن في التملك الخاص.

ورويت الكثير مثله التي هي أقرب للخيال منها إلى الحقيقة؛ فقد روى كيف كان الرجال في إنجلترا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن؛ ويعتقدون مصادفتهم في الطريق والتحدث إليهن، حتى لو كن أمهات أو زوجات أو شقيقات تحبب أعمالهم وجهودهم الروحية.

وكانت الديانة الهندوكية مثلاً قد سدت أبواب تعليم كتبهم المقدسة على المرأة لعدم جدارتها لذلك. بل قضت شرائع الهند القديمة (أن الوباء والموت والجحيم والأفاعي خير من المرأة) وحق الأنثى في الحياة ينتهي بانتهاء حياة زوجها الذي هو مالكها قبل أن يكون زوجها.

وما عليها - من واجب - بعد موت وإحراق جثة زوجها إلا أن تلقي بنفسها في النار أسوة بمالكها (الزوج)؛ وإلا فإن اللعنة الأبدية ستحقيق بها إلى نهاية الزمان.

وكانت مسلوية الحرية والحقوق بكل أنواعها، وورد في بعض النصوص في شرعهم أنه (لا تليق الحرية المطلقة بالمرأة قط، بل يجب أن يربها أبوها في صغرها وزوجها بعد ذلك وابنها في كبرها).

١ - أنظر : الدكتور أحمد شلي كتاب : مقارنة الأديان .

٢ - ليكي (Licky) كتاب : تاريخ الأخلاق الأوروبية .

وكذلك المرأة لا تتاح لها فرصة التحصيل العلمي خاصة، لأنها لا تطبق ذلك، ويقودها إلى الجنون لكي يجرمونها دراسة كتب (الفيدا والويدا) المقدسة عندهم.

ونقل (ديورانت) بهذا الصدد: (ففي المهاباراتا إذا درست المرأة كتب الفيدا كانت هذه علامة الفساد في المملكة).

وروى (المجسطي) عن أيام شاندرنا جوبتا قال (إنَّ البراهمة يحولون بين زواجهم وبين دراسة الفلسفة؛ لأنَّ النساء إن عرفن كيف ينظرن إلى اللذة والألم، والحياة والموت، نظرة فلسفية، أصبحن مسَّ من جنون، أو أبينَ بعد ذلك أن يظلمن على خضوعهن).

والهندوس كما ذكر في منوسمري يشجعون على الزواج المبكر، ويعتبرون عدم الزواج عارا، ومنذ الصغر يهتم الأهل بإتمام زواج أولادهم.

والزواج يربط المرأة بزوجها رباطا أبديا، لذلك انتشر عندهم إذا مات الزوج قبل الزوجة أن تحرق الأرملة مع جثمان زوجها لأنه خير لها أن لا تبقى بعد الزوج.

والديانة البوذية لم يكن فيها سبيل للنجاة لمن اتصل بامرأة. وأما في الديانات النصرانية واليهودية فقد كانت المرأة هي مصدر الإثم ومرجعه فيهما.

فإن صورة المرأة في الإنجيل مثلاً تقوم من أنها هي التي أغوت آدم وكانت سببا في خروجه من الجنة. وأثرت هذه الصورة الشائنة كثيراً على وجود المرأة في المجتمع ، فهي يعتقدون أنها ورثت الذنب من أمها حواء، بالتالي فالمرأة لا يوثق بها وليست على خلق.

ففي الإنجيل الكاثوليكي (لا يوجد خطيئة يمكن مقارنتها بخطيئة المرأة، فأى خطيئة تكون وراءها امرأة وبسبب المرأة سنموت جميعا) .

واعتبر حاخام يهودي تسع لعنات على المرأة بسبب السقوط من الفردوس حيث قال: (على المرأة تسع لعنات ثم الموت: الطمث ودم العذرية وتعيب الحمل والولادة وتربية الأطفال وتغطية رأسها كأنها في حداد ، وتحرم أذنّها مثل الجارية ولا يؤخذ بشهادتها ، وبعد كل هذا الموت).

وحتى الآن ، اليهود الأرثوذكس يذكرون في صلاتهم : (نحمد الله أننا لم نخلق نساء). ودعاء آخر يوجد في كتاب الصلاة عند اليهود : (الحمد لله أنه لم يخلقني وثنيا ، الحمد لله أنه لم يخلقني امرأة، والحمد لله أنه لم يخلقني جاهلا) .

والمشهور بالمصلح (مارتن لوثر) لا يرى فائدة للمرأة سوى إنجاب كثير من الأبناء حيث قال :
(إذا تعبن أو متن الأمر لا يهم، فليمتن بعد الولادة، فهذه هي وظيفتهن).

بل في الإنجيل الكاثوليكي قال بكل وضوح (إن ميلاد الفتاة خسارة) . وذكر في التوراة (المرأة لا يحق لها أن تدرس التوراة). وصرح حاخام يهودي (أنه من الأفضل أن يحترق كتاب التوراة عن أن تقرأه امرأة). (لا يحق للرجل أن يعلم ابنته التوراة).

وقال القديس بول في العهد الجديد : (لتصمت نساؤكم في الكنائس لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن، بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً، ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليسألن رجالهن في البيت، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم في كنيسة)^٣.

والمرأة الحائض أيضاً في الكتاب المقدس مدنسة وتدنس كل ما حولها، أي شيء أو أي أحد تلمسه يظل مدنساً يوماً بأكمله^٤. وبسبب كل هذا كانت المرأة الحائض تنفي أحياناً لتجنب أي تعامل معها، فكانت ترسل إلى بيت يسمى بيت الدناسة .

واما التلمود يعتبر المرأة الحائض قاتلة ، حتى بدون أن تلمس أحداً. وقد ورد في التلمود ما يشبهها بالغائط؟.

وكذلك اليونان لم يكن للمرأة عندهم أي نصيب من العلم والحضارة ولا ثقافة ولا حقوق مدنية، وعلى مثله كانت الحال في الروم وفارس والصين وما عداها من مراكز الحضارة الإنسانية.

والحضارة الإغريقية والرومانية^٥ فلقد كانت المرأة مظلومة على الدوام، بل كانت كما يقول عنها: إنها لا تمثل الأسلاف؛ فهي إن كانت زوجه لا تنحدر منهم؛ وإن كانت ابنة لا ينحدر الأسلاف منها؛ وليس عند موتها عبادة خاصة.

فهذه كانت حياة المرأة عندهم فلا يليق بالكاهن أن يصلي على امرأة؛ ولا يجوز إشعال المجامر وإضرام النار في مواقع المعابد من أجل موت أنثى. كان نتيجة لهذا المقت العام الذي كانت تشعر به المرأة أنها نسيت أنّ لها مكانة اجتماعية وأنّ لها كياناً خاصاً .

٣- كورنثوس ١٤ : ٣٤ - ٣٥ .

٤- لاويين ١٥ : ١٩ - ٢٣ .

٥- راجع : د. عبد السلام الترماني كتاب : الوسيط في تاريخ القانون والنظم القانونية .

ولكن الإسلام الدين الوحيد الذي جاء لكي يعطي الصنفين الذكر والأنثى حقه في الحياة، وهو الدين الفريد الذي أصلح عقلية الصنفين وبعث في الأذهان فكرة إعطاء حقوق المرأة^٦ وحفظ كرامتها.

ومن ناحية أخرى فتح أمامها أبواب العلم والمعرفة وأباح لها أن تتعلم ما تشاء من العلوم المقدسة مثل قراءة القرآن ودراسته وتفسيره إذا أمكنها ذلك.

وقد جاء في الروايات عن رسول الله ﷺ أنه قال: طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وقد أشاد القرآن بالمرأة وخصها في آيات كثيرة تبين مكانتها في المجتمع بقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾^٧.

وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^٨. وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^٩.

وذلك لكي تشعر المرأة المسلمة بمسؤوليتها في المجتمع ولكي يشعر المجتمع بوجودها وباعتبارها عضواً أساسياً في حياته، ولكي لا تستغل إمكانياتها العاطفية والتكوينية استغلالاً يؤدي للظلم.

وعلى هذا الأساس فإن المرأة المسلمة قد حصلت في ظل الإسلام على حقوق وإمكانيات لم تحصل عليها أية امرأة سواها في القوانين والتشريعات.

٦ - عقد المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية في ١٥ / ٢ / ١٩٨٦م في إحدى دول الخليج ، وكان التركيز على قضية ما يسمى بتحرير المرأة وأصدر بعضاً من القرارات فمن أهمها :

الاول : لا بد من مراجعة قوانين الأحوال الشخصية في ضوء التحولات الاقتصادية والاجتماعية لدول المنطقة ، ومحاولة الدفع باتجاه دراسة قانون الأحوال الشخصية العربية الموحد - قانوني علماني - . (حتى الأحوال الشخصية لا يريدها على ضوء الإسلام ، في حين دولاً علمانية أخرى لم تتجرأ على هذا التشريع).

الثاني : التأكيد على أهمية وضرة النظر في الكتب والمناهج التربوية عند تناولها لقضية المرأة بما يضمن تغيير النظرة المتخلفة لأدوارها في الأسرة والعمل ! (هذه الفقرة يقصد النظرة الإسلامية؟ وليهنأ حكماء صهيون والمستعمرون بهذه النماذج من أفرأخهم) .

ثم تتابع بقولها : إن القوانين والأنظمة التي كانت تخضع لها الأسرة قبل ألف عام لا تزال تطبق على العلاقات الأسرية في عصرنا الحاضر؟! دون النظر إلى مدى ملائمتها لنا! (فهل الشريعة الإسلامية غير ملائمة لنا).

٧ - سورة ال عمران الاية ١٩٥

٨ - سورة النحل الاية ٩٧

٩ - سورة غافر الاية ٤٠

وأرتفع الإسلام بالمرأة لحسابها الخاص ولجود كونها إنسانه أعطاها حقها الطبيعي في كل أدوار حياتها الاجتماعية، ونحن الآن في صدد إعطاء فكرة مختصرة عن المرأة في تشريعات الإسلام ومفاهيمه.

فالأمر في الإسلام لم يقف عند الحفاظ على حق المرأة في الحياة فقط، بل رغب الإسلام في الإحسان إليها صغيرة؛ فقال الرسول ﷺ : ﴿ مَنْ يَلِي مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ شَيْئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ؛ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ ﴾^{١٠}.

ثم أمر الرسول ﷺ بتعليمها فقال: ﴿ إِنَّمَا رَجُلٌ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا.. فَلَهُ أَجْرَانِ ﴾^{١١}. وجعل للنساء يوماً ليعظهن، ويذكرهن، ويأمرهن بطاعة الله تعالى^{١٢}.

وما أن تكبر البنت وتصير فتاة بالغة ؛ حتى يُعطيها الإسلام الحق في الموافقة على الخاطب أو رفضه ، ولا يجوز إجبارها على الاقتران برجل لا تريده . وقد قال في ذلك الرسول الأكرم ﷺ الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر تُستأذن في نفسها، وإدنها صماتها^{١٣}.

وقال ﷺ أيضاً : لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر ، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن . قالوا : يا رسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال ﷺ : (أَنْ تَسْكُتَ)^{١٤}.

ثم لما تصير زوجة يأمر الشرع الحنيف على حسن معاملتها وعشرتها ؛ مبيناً أن حسن عشرة النساء دليل على ثبيل نفس الرجل وكرام طبعه .

فمثلاً يقول الرسول ﷺ مرغباً: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنَ الْمَاءِ أُجِرَ^{١٥}. ويقول مرهباً: اللَّهُمَّ، إِنِّي أُحَرِّجُ^{١٦} حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: الْيَتِيمَ وَالْمَرْأَةَ^{١٧}.

١٠ - البخاري عن عائشة : كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقيله ومعانقته ٥٦٤٩ ، ومسلم : كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل الإحسان إلى البنات ٢٦٢٩.

١١ - البخاري عن أبي موسى الأشعري: كتاب النكاح، باب اتخاذ السراري ومن أعتق جاريته ثم تزوجها ٤٧٩٥.

١٢ - عن أبي سعيد الخدري: قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن. رواه البخاري: كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوم على حده في العلم (١٠١)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه (٢٦٣٣).

١٣ - مسلم عن بن عباس: كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت ١٤٢١.

١٤ - البخاري عن أبي هريرة: كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها ٤٨٤٣.

وإذا ما كرهت الزوجة زوجها ولم تُطِق الحياة معه ، فلقد سنَّ لها الإسلام حقَّ مفارقة الزوج، وذلك عن طريق الخُلْع ، كما عن ابن عباس قال : جاءت امرأة ثابت بن قيس إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ما أنقيم على ثابت في دينٍ ولا حُلُق، إلَّا أيُّ أخاف الكفر^{١٨}.

فقال رسول الله ﷺ : (فَتَرَدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيثَهُ؟) فقالت : نعم . فردَّت عليه حديثه، وأمره ففارقها^{١٩}.

وإضافةً إلى ما سبق، فلقد أثبت الإسلام للمرأة ذِمَّةً ماليَّةً مستقلةً تمامًا مثل الرجل؛ فلها أن تبيع وتشترى، وتستأجر وتؤجر، وتوكل وتهب، ولا حِجْر عليها في ذلك ما دامت عاقلة رشيدة. وذلك انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾^{٢٠}.

وهكذا تعيش المرأة المسلمة^{٢١} عزيزةً أبنيةً كريمةً مصونةً في ظِلِّ تعاليم الإسلام ، تحت ظِلِّ الحضارة الإسلامية السامية كما وصفها بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾^{٢٢}.

وهنا المراد بالنفس الواحدة هو الحقيقة الواحدة ، والجوهرة الواحدة ، فالآية توضح إن الناس جميعا رجال ونساء متفقين في الحقيقة الإنسانية ، ولا فرق بين الرجل والمرأة بالمبدأ ، واعتبار التمايز هو التقوى قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^{٢٣}.

١٥ - أحمد عن العرابض بن سارية (١٧١٩٥) وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح بشواهده... وقال الألباني: حسن لغيره. انظر: صحيح الترغيب والترهيب (١٩٦٣).

١٦ - أحرَّج: أي ألحق الحرج والإثم بمن ضيعهما، فأحذره من ذلك تحذيرًا بليغًا، وأزجره زجرًا أكيدًا، انظر: المناوي: فيض القدير ٢٧/٣.

١٧ - ابن ماجه عن أبي هريرة (٣٦٧٨)، وأحمد (٩٦٦٤) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، والحاكم (٢١١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وقال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم. والبيهقي (٢٠٢٣٩)، وقال الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة ١٠١٥.

١٨ - راجع : حقوق المرأة في الحضارة الإسلامية تأليف : د. راغب السرجاني

١٩ - صحيح البخاري : كتاب الطلاق - باب الخلع وكيفية الطلاق فيه (٤٩٧٣) ، والامام أحمد (١٦١٣٩).

٢٠ - سورة النساء ٦ .

٢١ - راجع : المرأة في الخطاب القرآني تأليف : الاستاذة هناء كاظم .

٢٢ - سورة النساء ١ .

٢٣ - سورة الحجرات ١٣ .

ومكانة المرأة في الخطاب الإلهي عندما يتحدث عن موقعها فإن الحديث في الحقيقة يكون عن موقع الإنسان بالقرآن لأن المرأة تتمتع بمكانة عالية في القرآن الكريم تقوم على موقع الإنسان.

وبما أن القرآن جاء لهداية الإنسان ، ولم يأت لهداية الرجل وحده أو المرأة وحدها ؛ لذلك عندما يبين القرآن هدف الرسالة ونزول الوحي قال: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ﴾^{٢٤}.

فكلمة (ناس) الموجودة في الآية بعنوان (هداية الإنسان) ؟ تلحظ صنف خاص بل تشمل المرأة والرجل على سواء كما قال تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾^{٢٥}.

وهنا المعلم هو الرحمن ، ودرس العلم هو الرحمة ، والتلميذ هو الإنسان ؛ فكلام الآية ليس عن رجل أو امرأة ، بل محور التعليم والتربية وهو الروح الإنسانية ، والروح لا تُصنّف إلى ذكر أو أنثى لذلك ليس في مورد بحث الآية رجل أو امرأة .

فالقيم والأخلاق لا يمكن ان تقبل التصنيف وهناك الكثير من الآيات القرآنية التي تتحدث عن القيم والأخلاق . فمثلاً العلم قيمة أخلاقية وضده الجهل ، والإيمان قيمة أخلاقية وضده الكفر والصدق قيمة أخلاقية وضده الكذب ، والتقوى قيمة أخلاقية وضدها الفسق... والخ.

وهذه الأوصاف ليست مذكر أو مؤنث ، وكذلك موصوفها ؛ فالبدن المادي لا يوصف من أنه عالم أو جاهل ، أو تقي أو فاسق ؛ بل صاحب القيمة هو الروح فقط التي لا تقبل التصنيف لذكر أو أنثى ، لذلك تقول الآية الكريمة ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^{٢٦} فالفجور والتقوى معلومين للإنسان بإلهام فطري .

وليس هي علوم خارجية يتعلّمها بالبحث والدراسة ، والنفس الإنسانية هي التي أُلهمت ، وهي التي تُزكى أو تُدسّ وهي التي تكون نهايتها الفلاح أو الخيبة في نهاية المطاف. وكما قلنا لا تقبل النفس التصنيف إلى ذكر أو أنثى فيكون الخطاب الإلهي في كل آيات القرآن التي تتحدث عن قيم الأخلاق واحدا للنساء والرجال على حد سواء.

٢٤ - سورة البقرة الآية ١٨٥ .

٢٥ - سورة الرحمن الايات ١ - ٤ .

٢٦ - سورة الشمس الآية ٧- ٨ .

وأما قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾^{٢٧} . هو السير والسلوك له سبحانه تعالى لا يكون بالبدن ، بل بالروح وهي التي تسير إلى ربها وخالقها سير تكاملي حتى اللقاء ، وهي التي تحدد مصيرها في هذا اللقاء .

فأما ان تأخذ كتاب أعمالها يمينها وتفوز بالجنة والسرور ، وأما تأخذه بشمالها فتكون جهنم هي المصير والمأوى^{٢٨} . وهنا الخطاب بالآية موجّه للإنسان ، وفي الإنسانية ليس هناك كلام عن ذكر وحده أو أنثى بدون الرجل، فالمهم ان يصل الإنسان للقاء الله تعالى فأما لقاء للجمال الإلهي ، أو للجلال الإلهي ، وفي الطريق تتساوى المرأة مع الرجل.

والسير له تعالى ليس منسوباً إلى البدن ، ولو كان كذلك لكان رجوع مادي وقرب مادي وهو لا يكون إلا لشيء مادي ، والله تعالى منزّه عن القرب والبعد الماديين .

ولذلك تلاحظ بعض الآيات استخدمت لفظ النفس ك﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾^{٢٩} ، أو لفظ القلب ك﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾^{٣٠} .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾^{٣١} ، وتسمى هذه الآية في كتب التفسير آية الدّر . والآية الكريمة تتحدث عن أخذ الميثاق في نشأة إنسانية أخرى غير هذه النشأة ، فاستخدمت عبارة (بني آدم) ورغم إن ألفاظ هذه الآية هي الفاظ مذكّرة .

ولكن عنوانها واضح وهو أبناء آدم ، الذكور والأنثى ، فالجميع قالوا (بلى) وشهدوا على عبوديتهم ، وأدركوا ربوبية الله تعالى بالعلم الشهودي لا العلم الحسولي ، وهذا المقام الرفيع متعلّق بإنسانية الإنسان بدون تدخل الذكورة أو الأنوثة .

٢٧ - سورة الانشقاق الاية ٦ .

٢٨ - راجع : جمال المرأة وجلالها تأليف : الشيخ جواد آملّي .

٢٩ - سورة الفجر الاية ٢٧ - ٢٨ .

٣٠ - سورة الشعراء الاية ٨٨ - ٨٩ .

٣١ - سورة الاعراف الاية ١٧٩ .

ومثله آية الفطرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَقَمَّ وجهَكَ للدينِ حنيفاً * فطرةَ الله التي فطرَ الناس عليها لا تبديلَ لخلقِ الله ﴾^{٣٢}.

فهذه الآية الكريمة توضح إن الناس خلِقوا على فطرة التوحيد ، واستخدمت كلمة (الناس) فالناس جميعاً خلِقوا موخدين فالمسألة لا تختصُّ بالماضي والحاضر ، بل المستقبل كذلك محكوم بهذا الحكم ، وهو ما أكدّه ذيل الآية : ﴿ لا تبديلَ لخلقِ الله ﴾ .

وأما قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلَنُحييَنَّهُ حياةً طيبةً ﴾^{٣٣}. توضح الآية الملاك في الوصول إلى الحياة الطيبة أمرين وهما الأول الحسن الفاعلي ، وهو أن يكون الإنسان مؤمناً والإيمان كما ذكر قيمة أخلاقية تتعلق بالروح التي لا تقبل التصنيف .

وأما الآخر الحسن الفعلي ، وعبرت عنه الآية بالعمل الصالح ، فإذا صدر العمل الصحيح من العامل الصحيح فإن الثمرة بالنهاية هي الحياة الطيبة. ومجمل محتوى القرآن يوضح إن الكمالات الإنسانية تكمن في معرفة المبدأ ، ومعرفة المعاد ، ومعرفة الوحي والرسالة ، فهذا العالم له بداية وهو الله تعالى ، وله نهاية وهي المعاد.

وتجد بين البداية والنهاية طريق النبوة والوحي ، وهي أصول الدين التي يجب على كل مكلف ان يعتقد بها ، وقيل الجملة المروية عن الإمام علي عليه السلام تتعلق بالأصول الثلاثة وهي : (رحم الله امراء عرف من أين ، وفي أين ، وإلى أين).

فلا الذكورة وحدها مشروطة بمعرفة أصول ادين ، ولا الأنوثة وحدها مانع ، والأنبياء دعوا جميع الناس إلى هذه الأصول فلا توجد دعوة خاصة للرجال وأخرى للنساء فعندما قال القرآن : ﴿ أَذْعُوْا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^{٣٤}.

٣٢ - سورة الروم الاية ٣٠ .

٣٣ - سورة النحل الاية ٩٧ .

٣٤ - سورة يوسف الاية ١٠٨ .

فهذه الدعوة عامة تشمل الناس جمعاء وهو قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾^{٣٥} فكل من يتبع الوحي ينسب للنبي ﷺ مهما كان جنسه. فهل جزاء الأعمال لا يختص بجنس بالرغم من إن الله تعالى يقول في جزاء الأعمال ﴿ كلُّ امرء بما كسب رهين ﴾^{٣٦} ، ولكن لفظ (امرء) ليس المقصود منه الرجل في مقابل المرأة .

لأنه بآية أخرى جاء بكلمة (نفس) قال تعالى : ﴿ كلُّ نفس بما كسبت رهينة ﴾^{٣٧} ، وأخرى جاء بجملة الإنسان كما في قوله تعالى : ﴿ وأنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾^{٣٨} . فبناءً عليه إن مسألة الجزاء لا تختص بجنس خاص ، ولأن المعاد هو العودة للمبدأ ، فكل إنسان مسؤول تجاه عمله سواء كان ذكراً أو أنثى .

وبعد أن عرفت عدم وجود أي فارق في الخطاب الإلهي بين الرجل والمرأة ، وعدم وجود فرق في السلوك له تعالى ولا في معرفة أصول الدين ولا في جزاء الأعمال ، والإسلام لم يشترط الذكورة في الكمالات المعنوية.

فهنا يظهر لك سؤال : لماذا ترى في قسم مهم من مسائل الفقه يشترط فيها الذكورة مثل القضاء والولاية والمرجعية ؟ .

جوابه : المسائل المعنوية شيء ، والمناصب والأعمال التنفيذية شيء مختلف ؛ فالأولى تعتبر مقام متعلق بالإنسان لكي تعطيه زينة وفخر. لكن بينما المناصب والأعمال التنفيذية هي وظيفة ؛ لذلك هي بمثابة أمانة مثل المرجعية ، والولاية ؛ والفرق بين المقام المعنوي والمنصب من ان المقامات المعنوية هي ملك للإنسان.

بينما المنصب أمانة في العنق لذل كتب الإمام علي عليه السلام إلى الأشعث بن قيس قال : (واعلم أن عملك ليس لك بطعمة وإنما هو أمانة في عنقك). وأما التفقه في الدين كمال تستطيع المرأة الحصول عليه ، وتستطيع أن تصل إلى مستوى أعلى من العلماء او من الفقهاء .

٣٥ - سورة ابراهيم الاية ٣٦ .

٣٦ - سورة الطور الاية ٢١ .

٣٧ - سورة المدثر الاية ٣٨ .

٣٨ - سورة النجم الاية ٣٩ .

فالمرأة تستطيع الدراسة لتكون فقيهة ومجتهدة ، وتخرج رجال فقهاء ومجتهدين ، ولكنها لا تتصدى للمرجعية والولاية . لأن المرجعية أمانة ووظيفة وحدودها الأعمال مقسمة ؛ فولي أمر المسلمين يجب أن يكون رجل لأن الولاية متممة للإمامة .

فمثلاً ولي أمر المسلمين عليه أن يأمر بالحرب مرة ، وبالسلم أخرى وهذه الأعمال تحتاج لجهد بدني ونفسي صعب ، ويتوجب على المتصدي لها أن يكون له ارتباط في كل المجتمع .

وهذا للمرأة ينافي ما جاء في الروايات : (إن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) ، ونفس الأمر بالنسبة للقضاء الذي يرافقه إقامة الحدود مثل حد السرقة والزنا وغيره ، وتطبيق التعزيرات .

وهو أمر صعب على المرأة القيام به ، هذا بالإضافة إن وظيفة المرأة الأساسية الحمل والولادة والرضاعة والتربية ، وحفظ كيان الأسرة من الداخل وهو سبب وجيه لعدم تصديها للأعمال التنفيذية .

فإن العظمة التي جعلها الإسلام للمرأة هي نفس العظمة التي جعلها للإنسان فلا فرق بين الرجل والمرأة في الخطاب الإلهي ، وللمرأة دور ومقام عالي بينه القرآن الكريم في كثير من الآيات .

فلكل صنف وظيفته الخاصة به وإن الله تعالى ينظر الى القلوب ويميز بالأعمال على السواء ، ففي المعايير الأساسية يساوي الإسلام فيما بين المرأة والرجل .

وإن وجدت اختلاف فهو في مسائل تنفيذية تميز بها الرجل ، وتقابلها مسؤولية أكبر ، ووزر أعظم إن لم يقدّم بها على الوجه الكامل^{٣٩} .

الفصل الاول

المرأة في التاريخ

أحاط الإسلام المرأة بسياج من الرعاية والعناية ، وارتفع بها وقدرها ، وخصّها بالتكريم وحُسن المعاملة ابنةً وزوجةً وأختًا وأُمًّا ، فقرّر الإسلام أنَّ المرأة والرجل خُلِقَا من أصل واحد .

ولهذا فالنساء والرجال في الإنسانيّة سَوَاء، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۖ﴾^{٤٠}.

وهناك آيات أخرى كثيرة تُبيّن قضاء الإسلام على مبدأ التّفْرِقة بين الرجل والمرأة في القيمة الإنسانيّة المشتركة^{٤١}. ومكانة المرأة في الإسلام وانطلاقًا من هذه المبادئ ، وإنكارًا لعادات الجاهليّة والأمم السابقة فيما يختصُّ بوضع المرأة .

فقد جاء الإسلام يدافع عن المرأة ويُنزّلها المكانة التي لم تبلغها في ملّة ماضية، ولم تُدركها في أُمّة تالية؛ حيث شرع لها كأمّ وأخت وزوجة وابنة من الحقوق منذ أربعة عشر قرنًا، ما تزال المرأة الغربيّة تُصارع الآن للحصول عليه، ولكن هيهات!

فقرّر الإسلام بدايةً أن النساء يُماثلن الرجال في القدر والمكانة، ولا يَنْتَقِصُ منهنَّ أبدًا كوهُنَّ نساء، وبذلك قال الرسول ﷺ يؤصّل لقاعدة مهمّة وهي ﴿إِنَّ النِّسَاءَ شَقَائِقُ الرِّجَالِ﴾^{٤٢}.

٤٠ - سورة النساء الآية ١ .

٤١ - راجع : حقوق المرأة في الحضارة الإسلامية تأليف : د. راغب السرجاني .

٤٢ - الترمذي: أبواب الطهارة، باب ما جاء فيمن يستيقظ فيرى بللاً... ١١٣ ، وصححه الألباني ، وكذلك انظر:

صحيح الجامع ١٩٨٣.

وثبت عنه عليه السلام أنه كان دائم الوصية بالنساء، وكان يقول لأصحابه: (..اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا)^{٤٣}. وتكررت منه عليه السلام هذه النصيحة في حجة الوداع وهو يخاطب الآلاف من أمته لكي ينصب الامام علي عليه السلام كخليفة ووصي من بعده عليه السلام.

ولكن في عهد ليس ببعيد لاحظ ماذا فعلوا بالمرأة وحجابها فمثلاً الدكتورة (نبهة كورو) أستاذة مساعدة في جامعة إيجه في أزمير مشكلتها أنها تعرضت للاضطهاد بسبب ارتدائها الحجاب وإصرار السلطات على أن تخلعه^{٤٤}.

و(دوجر ماس) المطلقة على التعليم العالي في تركيا أحيلت إلى المحاكمة ورفضت أن يدافع عنها أحد ووقفت لمدة ساعة تتراجع عن نفسها ولم تستشهد إلا بنصوص القانون العلماني.

الذي يريدون أن يحاكموها طبقاً له واستحوذ أسلوبها على اهتمام الناس وهي تطالب بإلغاء الحكم الصادر ضدها بخلع الحجاب ولم تكتف بالدفاع عن الحجاب بل كشفت أيضاً تفاصيل المعاملة غير العادلة التي تقوم بها سلطات الجامعة.

ففي إيران القديمة من عام ١٩٢٦ ألغى الشاه الحجاب الشرعي وكانت زوجته أول من كشفت عن رأسها في احتفال رسمي^{٤٥}.

وفي الجزائر منع أحمد بن بيللا ودعا المرأة الجزائرية إلى خلع الحجاب بحجة عجيبة حين قال : (إن المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي لأن فرنسا هي التي كانت تدعوها إلى ذلك ! أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجزائر)^{٤٦}.

وفي تونس نادى (بورقيبة) بتخليص المرأة من قيود الدين وجعلها رسولاً لمبادئه العلمانية^{٤٧}.

٤٣ - البخاري عن أبي هريرة : كتاب النكاح، باب الوصاة بالنساء ٤٨٩٠ ، ومسلم : كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ١٤٦٨ .

٤٤ - مجلة الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥ - ١٣٩٦ هجري قمري ص ١٣٣.

٤٥ - راجع : في مسألة السفور والحجاب لصافي ناز كاظم ص ٩ .

٤٦ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ٢٦٠ وهذه تجربتي وهذه شهادتي لسعيد حوي ص ١٠٥.

٤٧ - المرأة ومكانتها في الإسلام لأحمد عبد العزيز الحصين ص ٢٢٥.

وفي حديث للحبيب بو رقية^{٤٨} صرح الرئيس التونسي بأنه أصدر في سنة ١٩٥٦ م ، قانوناً بمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة وغرامة مالية^{٤٩}.

وفي مصر وضع عبد الناصر وزبائنه كتاب (الميثاق)^{٥٠}.

وفي ماليزيا أصدرت الجامعة التكنولوجية في ماليزيا قراراً بإيقاف تسع طالبات عن الدراسة بحجة ارتدائهن الحجاب الذي تمنعه وزارة التعليم الماليزية^{٥١}.

وفي ألبانيا حارب أحمد زوجو الحجاب بقانون ثم عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية ثم عاد أنور خوجة مرة ثانية وشن حرباً شعواء على الحجاب في ألبانيا .

وروسيا حاربت الحجاب في تركستان والقوقاز والتشن والقرم وسائر البلاد المسلمين .

وفي العراق حارب الرئيسان أحمد حسن البكر وصدام حسين ، بشكل ملفت للنظر ، وأنا شاهد حال عليه ففي بداية السبعينات شرع الكثير من القوانين لصالح المرأة السفور ، وتقييد الحجاب ولكن قوة الاعراف آنذاك حالت دون تطبيق بعض القوانين .

٤٨ - الأهرام العدد ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٥ م

٤٩ - أنظر : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي هامش ص ٨٩ ، وجاء فيه أيضاً : في مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط متلبساً بجريمة الزواج الثاني ولم يخل سبيله إلا بعد أن قرر أن هذه الثانية خلية (زنى) وليست زوجة له .

٥٠ - عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير لمحدث الديار المصرية أحمد شاكر ١٧١/٤ - ١٧٤ .

٥١ - أخبار اليوم تاريخ السبت ٧ محرم ١٤٠٦ هـ. ق الموافق ٢١ - ٩ - ١٩٨٥ م .

وأما في أيام حكم صدام وخصوصاً في الثمانينات أصبح واضح جداً تطبيق القوانين التي تحارب الحجاب حتى وصلت الحالة أن السفور هي المثقفة هي صاحبة القرار وتتمتع بمميزات خاصة وأنا ممن عاصر هذه السنوات^{٥٢}.

وفي يوغسلافيا حارب (تيتو)^{٥٣} الحجاب . وكذلك في الصومال^{٥٤}.

فأنهم يريدون أن يتحقق للمرأة الاستقلالية الكاملة وهي لا تتحقق إلا إذا تمسكت بالوسائل الآتية :

- ١ - أن تحصل المرأة على الأمن الاقتصادي والبدني وإن فرضت عملية الزوجية - واللفظ لهم - طاعة الزوج تستطيع أن تتحول بشكل غير مباشر إلى باردة عاطفياً^{٥٥}.
- ٢ - أن تحصل كذلك على الأمن الاجتماعي فالمرأة غير آمنة كلية من الناحية الاجتماعية ويصل الأمر إلى أنها لا تستطيع أن ترتاد وحدها بعض الأماكن وتتصرف بحرية كاملة كالرجل .
- ٣ - أن تخرج من استغلالية الرجل بتوفير العمل لها في كل الميادين العملية مع ضمان أن لا يكون الرجل هو المتحكم في الدخل أو الأجر الذي تتقاضاه المرأة وبذلك تخرج من وضعها المقهور أو المكبوت.

٥٢- راجع : كتاب المنهاج القومي لحزب البعث العربي الاشتراكي . وهذا الكتاب يصدر بشكل دوري وبسرية تامة تصل الى أعلى الدرجات فيها كافة توجهات وتعليمات الحزب .

٥٣- المرأة المسلمة لوهي الألباني ص ١٨٩ - ١٩٠ .

٥٤- المرأة ومكانتها في الإسلام للحصين ص ٦٢ .

٥٥- مجلة الطليعة عدد نوفمبر ١٩٦٨م ، ص ٧٨ ، د. إجلال خليفة ومجلة المستقبل العربي ص ١٢٠ عدد يناير ١٩٨١ د. نوال السعداوي وص ١٢٢ ، د. عباس مكي . د. هدى بدران ص ١٢٦-١٢٨ د. إيليا حريق.

ألف : المرأة في التاريخ القديم

لقد اضطرب المعيار الاجتماعي في تقييم المرأة وتحديد منزلتها الاجتماعية في عصور الجاهلية القديمة أو الحديثة.

وتأرجح بين الافراط والتفريط، وبين التطفيف والمغالاة، دون أن يستقر على حال من القصد والاعتدال.

فاعُتبرت حيناً من الدهر مخلوقاً قاصراً منحطاً، ثم اعتُبرت شيطاناً يسوّل الخطيئة ويوحى بالشر، ثم اعتُبرت سيدة المجتمع تحكم بأمرها وتصرفه بمشيئتها، ثم اعتُبرت عاملة كادحة في سبيل عيشها، وحياتها. وكانت المرأة في أغلب العصور تعاني الشقاء والهوان، مهدورة الحق مستترقة للرجل، يسخرها لأغراضه كيف يشاء.

وهي في تقييم الحضارة الرومانية في تأرجح واضطراب، بين التطفيف والمغالاة: اعتُبرت رقيقاً تابعاً للرجل، يتحكم فيها كما شاء. ثم غالت في قيمها فحررتها من سلطان الأب والزوج.

ومنحتها الحقوق الملكية والارثية وحرية الطلاق، وحرية التبذل والاسفاف، فكانت الرومانية تتزوج الرجل بعد الآخر دونما خجل او استحياء.

فقد كتب « جوينيل ٦٠ - ١٤٠ م » عن امرأة تقلبت في أحضان ثمانية أزواج في خمس سنوات. وذكر القديس « جروم ٣٤٠ - ٤٢٠ م » عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها، وكانت هي الحادية والعشرين لبعليها^{٥٦}.

ثم أباحوا لها طرق الغواية والفساد، مما سبب تفسخ المجتمع الروماني ثم سقوطه وانهاره.

وهي في عرف الحضارة اليونانية تعتبر من سقط المتاع، تُباع وتُشتري، وتعتبر رجساً من عمل الشيطان.

وقضت شرائع الهند القديمة (أن الوباء والموت والجحيم والسم والافاعي والنار... خير من المرأة) وكان حقها في الحياة ينتهي بانتهاء أجل زوجها الذي هو سيدها ومالكها، فاذا رأت جثمانه يحرق ألقته بنفسها في نيرانه، وإلا حلت عليها اللعنة الأبدية.

وأما رأي التوراة في المرأة، فقد وضحه سفر الجامعة في الكلمات الآتية:

(درت أنا وقلبي لاعلم ولابحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولاعرف الشر أنه جهالة، والحماسة أنها جنون، فوجدت أمر من الموت المرأة، التي هي شباك، وقلبها شرك، ويدها قيود)^{٥٧}.

وكانت المرأة في وجهة نظر المسيحية - خلال العصور الوسطى - مخلوقاً شيطانياً دنساً، يجب الابتعاد عنه.

قال « ليكي » في كتاب تأريخ أخلاق اوربا: « وكانوا يفرون من ظل النساء، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهم في الطريق والتحدث اليهن - ولو كُنَّ أمهات وأزواجاً أو شقيقات - تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية»^{٥٨}.

وهكذا كان المجتمع الغربي فيما خلا تلك العصور، يستخف بالمرأة ولا يقيم لها وزناً.

فلقد عُقد في فرنسا اجتماع سنة ٥٨٦ م يبحث شأن المرأة وما اذا كانت تعتبر انساناً أو لا تعد انساناً. وبعد النقاش، قرر المجتمعون أن المرأة انسان ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل^{٥٩}.

وفي إنجلترا حرّم «هنري الثامن» على المرأة الانجليزية قراءة الكتاب المقدس، وظلت النساء حتى سنة ١٨٥٠ مغير معدودات من المواطنين، وظللن حتى سنة ١٨٨٢ م ليس لهن حقوق شخصية، ولا حق لهن في التملك الخالص، وانما كانت المرأة ذائبة في ايها أو زوجها^{٦٠}.

٥٧- الاصحاح ١٤ الفقرة ١٧ ، ومقارنة الأديان ج ٣ الاسلام ص ١٩٦ أحمد شليبي.

٥٨- مقارنة الأديان ج ٣ الاسلام ص ١٩٦ بتصرف للدكتور أحمد شليبي.

٥٩- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للسيد الندوي ص ١٦٠.

٦٠- مقارنة الأديان، للدكتور احمد شليبي ج ٣ ص ٢٠٠

باء : المرأة في المجتمع العربي الجاهلي

وإذا ما أردنا أن نتبين ما أصَّله الإسلام وما جاء به من دعائم لرفعة المرأة وتكريمها، فيهئنا أن ندرك أولاً مكانة المرأة في الجاهليَّات القديمة والمعاصرة.

لنرى الظلام الحقيقي الذي عاشته، والذي ما زالت تعيشه، ومن ثمَّ يتبين لنا حقيقة وضع ومكانة المرأة في ظلِّ تعاليم الإسلام والحضارة الإسلامية^{٦١}.

فمثلاً مما كان موجوداً في الجاهلية قبل الإسلام مما عرف باسم نكاح الاستبضاع، حيث كان الرجل يعتزل زوجته حتى إذا طهرت ذهبت إلى رجل قوي شجاع وغيرها من الصفات.

فيتصل بها جنسياً فإذا حملت المرأة منه وتبين ذلك الحمل أتاها زوجها إن شاء ويفعل ذلك رغبة في إنجابه الولد كما ذكرته السيدة عائشة في حديثها الذي أخرجه البخاري في كتاب النكاح من صحيحه.

ومثلاً كان الرجل يشتري العشرات من الجواري ويؤجرها لأغراض جنسية وهي آنذاك تجارة مشهورة ومربحة. وأما الذي لديه جارية أو أكثر فيعطي صاحبه واحدة للمبيت معه ويعتبره من باب الكرم.

ومثلاً كان في الجاهلية حتى وصلت إلى أيام حياة الرسول ﷺ وبعدها تسمى أصحاب الرايات فالمرأة ترفع راية على بيتها للدلالة على أن هذا المكان يمارس فيه البغاء وأشهر النساء (هند) أم خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان.

فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون، فالتاؤ به، ودعي ابنه، لا يمتنع من ذلك^{٦٢}.

ويجتمع الرهط دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت، ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها.

٦١- حقوق المرأة في الحضارة الإسلامية تأليف : د. راغب السرجاني .

٦٢- كتاب : المفصل في الرد على الحضارة الغربية ج ٤ ص ١٤٨ .

فتقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت، فهو ابنك يا فلان، فتسمى من أحبت منهم باسمه، فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع منه الرجل لانه عرف سائد عندهم.

وكانوا إذا مات الرجل وترك امرأته، ورثها ابنه الأكبر بعد موته بلا صداق، فإذا كان الولد الأكبر لا يريد الزواج به، أي لا يرغب فيها زوجها بعض إخوانه.

وإذا لم يريدوا زواجها غيرهم زوجوها وأخذوا صداقها أو عضلوا حتى تفتدي بما ورثته أو تموت فيرثوها.

ومثلاً كانت المرأة تطوف حول الكعبة عارية ليلاً وهناك الكثير من الأمثلة يصعب حصرها هنا.

فالمعروف كان العرب كانوا (يَتْلُونَ)^{٦٣} بناتهم فيحرمونهن حق الحياة، إذا بالقرآن الكريم ينزل يُجَرِّم ويُحَرِّم ذلك الفعل؛ حيث قال الله : (وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)^{٦٤}.

بل وجعله النبي ﷺ من أعظم الذنوب؛ فعن ابن مسعود أنه قال: سألتُ رسول الله ﷺ : أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ؟

قال ﷺ : (أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقٌ). قلت: ثُمَّ أَيُّ؟ قال ﷺ : (أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةً أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ). قال: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ ﷺ : (أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ)^{٦٥}.

٦٣ - الإسلام وتحديد النسل: فلا توجد في القرآن الكريم آية واحدة، بل كلمة واحدة تبيح عملية تحديد النسل، ولكن الذين يؤيدون عملية تحديد النسل عند المسلمين الأحاديث التي وردت في شأن العزل ، وهناك أمور أساسية لا بد من رعايتها في استخراج هذه المسألة الفقهية :

- ١ - ما روي عن الرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام في المسألة.
- ٢ - معرفة السياق والموقف الذي بين حديثاً من الأحاديث.
- ٣ - الاطلاع على الظروف والملابسات السائدة في بلاد العرب في زمنه ﷺ. مما لا يخفى على أحد أن قتل الأولاد كان هو الطريق الجاري في بلاد العرب لتحديد النسل، إلى زمن الرسول ﷺ وذلك لسببين : أولهما: تدهور الوضع الاقتصادي، فكان الآباء لأجله يقتلون أولادهم خشية أن يشاركهم في رزقهم كما في خطبة الزهراء عليها السلام للمطالبة بفدك حيث وصفتهم يأكلون القدر وهو الصوف الممزوج بالدم. ثانيهما: الغيرة المجاوزة لحدودها فالآباء يحرصون، على وأد بناتهم خشية عار المصاهرة. فلما جاء الإسلام اعتبرها جريمة، واتجهت فكرتهم إلى العزل (الإنزال بعيداً عن موضع المرأة).

٦٤ - سورة التكوين ٨ و ٩ .

٦٥ - راجع : صحيح البخاري : كتاب الأدب ، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ٥٦٥٥ ، والترمذي ٣١٨٢ ، والامام أحمد ٤١٣١ .

وقد لخص الأستاذ الندوي حياة المرأة في المجتمع العربي الجاهلي، حيث قال:

وكانت المرأة في المجتمع الجاهلي عرضة غبن وحييف، تُؤكل حقوقها وتُبترز أموالها، وتحرم من ارثها، وتعزل بعد الطلاق أو وفاة الزوج من ان تنكح زوجاً ترضاه .

وتورث كما يورث المتاع أو الدابة، وكانت المرأة في الجاهلية يطفف معها الكيل، فيتمتع الرجل بحقوقه ولا تتمتع هي بحقوقها، ومن المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث، وكان يسوغ للرجل ان يتزوج ما يشاء من النساء من غير تحديد.

وقد بلغت كراهة البنات الى حدّ الوأد، وكانوا يقتلون البنات بقسوة، فقد يتأخر وأد المؤدة لسفر الوالد وشغله، فلا يئدها الا وقد كبرت وصارت تعقل، وكان بعضهم يلقي الانثى من شاهق^{٦٦}.

واليوم لو أدركوا دعاة حقوق المرأة والمؤتمرات ما وصلت إليه المرأة في أيام الجاهلية قبل الإسلام لطالبوا بالوصول إليه وتحقيقه.

واعتباره قمة الحرية والإنصاف للمرأة عندهم وهو ما يسعون الوصول اليه بشتى الطرق!

وهناك امرأة ظهرت في آخر أيام الجاهلية حينما خرجت الى الكعبة المشرفة ذكرت في مختصر تاريخ دمشق لابن منظور قال :

روى عن أبي يحيى بن عفيف عن جده عفيف قال : جئت في الجاهلية إلى مكة وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها.

فأتيت العباس وكان رجلاً تاجراً ؛ فإني عنده حالس أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس فارتفعت في السماء فذهبت إذا أقبل شاب فنظر إلى السماء ثم قام مستقبل الكعبة.

فلم ألبث إلا يسيراً حتى جاء غلام فقام عن يمينه ثم لم ألبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما فركع الشاب فركع الغلام والمرأة فرفع الشاب فرفع الغلام والمرأة فسجد الشاب فسجد الغلام والمرأة.

فقلت : يا عباس أمر عظيم ؛ فقال : أمر عظيم تدري من هذا الشاب ؟ هذا مُحَمَّدٌ ﷺ بن عبد الله ﷺ ابن أخي ؛ تدري من هذا الغلام ؟ هذا علي ﷺ ابن أخي ؛ تدري من هذه المرأة ؟ هذه خديجة ﷺ بنت خويلد زوجته.

٦٦ - ماذا خسر العالم بالخطا المسلمين، للسيد الندوي ص ٥٧ .

ثم قال ابن عباس : إن ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السموات والأرض أمره بهذا الدين ولا والله ما على ظهر الأرض أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وعانت المرأة العربية في أيام الجاهلية من سوء المعاملة ، والنظرة الدونية ، ولم تمنح لها أية حقوق ، لا في المهر ولا في الميراث ، ولم يكن لها حق اختيار زوجها ، وقد كانت بعض القبائل العربية تمد بناتها خشية العار ، كما ذكرنا مسبقاً ، فقد (كانت عادة وأد البنات لاعتقادهم أنه ليس بهم من حاجة لتربية نفر غير مفيد)^{٦٧} .

كما كان بعض العرب يتاجر بعفاف جواريه ، ويجعل منهن سبباً للكسب وجمع المال عن طريق البغاء ، كما في قول الله تعالى : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ﴾^{٦٨} .

وكان ولي المرأة يزوجه ممن يشاء ، سواءً رضيت أم لم ترضى ، وكان يأخذ مهرها ولا يعطيها منه شيئاً إلا ما ندر .

وتلاحظ بعض الأزواج يضيق على زوجته ويضارها ، لتفتدي منه إن كان لها مال ، ومن هذا قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً * ولا تعضلوهن لتذهبن ما آتينموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ﴾^{٦٩} .

وكانت آنذاك المرأة إذا توفي زوجها يلقي أحد أبنائه من غيرها ثوبه عليها ، فتصبح له ويرثها كما يرث المتاع ، ومن هذا قال الله تعالى : ﴿ ولا تنكحوا ما نكح آبؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً ﴾^{٧٠} .

وكان الطلاق في الجاهلية مباح للرجل كيف يشاء ، دون قيد أو عدد يطلق ويراجع ثم يطلق ويراجع ، دون نظام ولا مراعاة لحقوق المرأة ، كانت تترك أحياناً كالمعلقة لا هي مطلقة ولا هي متزوجة .

٦٧- حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ السلام السياسي ١ / ٣٧ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٥ م .

٦٨- النور ٣٣ .

٦٩- النساء ١٩ .

٧٠- النساء ٢٢ .

جيم : المرأة في الحضارة الغربية

في أدبيات الإغريق، أصل الحضارة الرومانية والأوروبية بشكل عام لا نجد ذكر حسن للنساء، سواء في أيام أفلاطون أو محاوراته أو في كتاباتهم وآثار طلابه الفلسفية وعلى رأسهم أرسطو.

بل تجدهن لديهم رمز للخراب والدمار، كما صورتها القصص التي دارت حول الحروب مثل (طروادة) فتجد (هيلين) هي السبب في إضرام نيران تلك الحرب التي أحرقت الناس والبلاد.

أو هي عنوان القسوة والانتقام مع اضطراب فنفسهن الممتلئة بالنزعة الغرائزية فهن لسن كالرجال بحكمتهم وإخلاصهم للواجب.

هكذا نقرأ عن كلتمنسترا وأكترا وأنتيجون في سائر أساطيرهم المسرحية ليوريس وأسخليوس وسوفكليس بشكل عام^{٧١}.

وديموستين خطيب اليونان المشهور قسم النساء لفرعين وهما الاول هن الخليلات للعناية براحة الرجال، والقسم الاخر هن الزوجات ليلدن الأولاد الشرعيين.

ولما بلغت الحضارة الغربية الحديثة أوجها، نالت المرأة فيها - بعد جهاد شاق وتضحيات غالية - حريتها وحقوقها، وغدت تستشعر المساواة بالرجل، وتشاطره الأعمال في الدوائر والمتاجر والمصانع، ومختلف الشؤون والنشاطات الاجتماعية.

وابتهجت المرأة الغربية^{٧٢} بهذه المكاسب التي نالتها بالدموع والمآسي، متجاهلة واقع غبنها وخسراتها في هذا المجال.

ولو أنها حاکمت وعادلت في ميزان المنطق بين المغام التي حققتها والمغرم التي حاقت بها لوجدت الخيبة والخسران.

٧١- راجع : الأدب الإغريقي ، أحمد عثمان ، عالم المعرفة - الكويت .

٧٢- هل من الإنسانية أن تعرض المرأة جسدها - ولو بإرادتها - وتختزل نفسها من إنسان خلقه الله وكرمه ، إلى جسد يقضي فيه الشهوانيون وطهرهم . فهنا قمة الاستعباد والاسترقاق .

فلقد خدعها دعاة التحرر في هذه الحضارة المادية، وغرروا بها واستغلوا سذاجتها استغلالاً مائلاً
دينياً.

استغلوها لمضاربة الرجل، ومكايده حينما بدأ يطالب بمضاعفة أجور العمل وتخفيف ساعاته،
فاستجابت لذلك تعمل اعمال الرجل قانعة بأجر دون أجره.

واستغلوا انوثتها في الحقل التجاري لمضاعفة الأرباح المادية، لقدرتها على اجتذاب الزبائن
وتصريف البضائع، مستثيرين كوامن الجنس في نفوسهم فأى استغلال أنكى وأسوأ من هذا الاستغلال؟

وكان عليها بعد هذا أن تضطلع بمهامها النسوية من الحمل والوضع والتربية والتدبير المنزلي، الى
جانب كفاحها في سبيل العيش كيلا يمسه السغب والحرمان لنكول الرجل عن اعالتها في الغالب.

وبالرغم مما حققته المرأة الأوروبية من صنوف الانجازات والمكاسب، فانها تعتبر في المعيار المنطقي
خاسرة مخففة، قد خسرت أزاء تحررها دينها وأخلاقها وكرامتها، وأصبحت في حالة مرزية من التبذل
والاسفاف كما شهد به الغربيون أنفسهم.

فأما الإسلام فقد منحها هذا الحق ابتداءً؛ وبدون طلب منها ، وبدون ثورة ، وبدون جمعيات
نسوية ، وبدون عضوية برلمان!.

منحها هذا الحق تمشياً مع نظرتها العامة إلى تكريم الإنسان جملة؛ وإلى تكريم شقي النفس
الواحدة؛ وإلى إقامة نظامه الاجتماعي كله على أساس الأسرة؛ وإلى حيطة جو الأسرة بالود والمحبة
والضمانات لكل فرد فيها على السواء^{٧٣}.

ومن هنا كانت المساواة في حق التملك وحق الكسب بين الرجال والنساء من ناحية المبدأ العام .

وهناك ألتفاتة دقيقة^{٧٤} إلى وضع المرأة في الإسلام ووضعه في الدول الغربية من أنه قد سوى
الإسلام كذلك بين الرجل والمرأة أمام القانون ، وفي جميع الحقوق المدنية سواء في ذلك المرأة المتزوجة
وغير المتزوجة.

٧٣- كتاب : في ظلال القرآن تأليف : سيد قطب ص ١١٣ .

٧٤- راجع : كتاب حقوق الانسان تأليف : عبد الواحد وافي .

فالزواج في الإسلام يختلف عن الزواج في معظم أمم الغرب المسيحي، في أنه لا يفقد المرأة اسمها ولا شخصيتها المدنية، ولا أهليتها في التعاقد ، ولا حقها في التملك.

بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها ، وبكامل حقوقها المدنية؛ وبأهليتها في تحمل الالتزامات ، وإجراء مختلف العقود.

من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية؛ وما إلى ذلك؛ ومحتفظة بحقها في التملك تملكاً مستقلاً عن غيرها.

فللمرأة المتزوجة في الإسلام شخصيتها المدنية الكاملة ، وثروتها الخاصة المستقلة عن شخصية زوجها وثروته.

ولا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً من مالها قل ذلك أو كثر قال تعالى : ﴿ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج * وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً * أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً * وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض * وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴾ .

وقال : (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً) وإذا كان لا يجوز للزوج أن يأخذ شيئاً مما سبق أن آتاه لزوجته فلا يجوز له من باب أولى أن يأخذ شيئاً من ملكها الأصيل إلا أن يكون هذا أو ذاك برضاها ، وعن طيب نفس منها.

وفي هذا يقول الله تعالى : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً ، فكلوه هنيئاً مريئاً) ولا يحل للزوج كذلك أن يتصرف في شيء من أموالها.

إلا إذا أذنت له بذلك ، أو وكلته في إجراء عقد بالنيابة عنها. وفي هذه الحالة يجوز أن تلغي واكلته ، وتوكل غيره إذا شاءت.

وهذه المنزلة من المساواة لم يصل إلى مثلها - بعد - أحدث القوانين في أرقى الأمم الديمقراطية الحديثة.

فحالة المرأة في فرنسا كانت إلى عهد قريب - بل لا تزال إلى الوقت الحاضر - أشبه شيء بحالة الرق المدني.

وجاء في موسوعة الدفاع عن الرسول ﷺ لا شك أنّ المفكرين الغربيين تدهشهم هذه المشاهد، وتحزهم من الأعماق، وهم يدركون أنّ الفراغ الروحي والفكري الذي تعيشه مجتمعاتهم لا يملؤه إلا الإسلام.

فكان هناك اهتمام متميز وخاص بحقوق المرأة، تشهد على ذلك كثرة الكتابات والدراسات التي أنجزت في هذا الموضوع.

سواء الكتابات العامة التي تحدثت عن موضوع المرأة في الإسلام، واهتمت بالرد على الشبهات والانتقادات التي يروج لها الغزو الفكري الغربي.

لتجد بعض الآذان الصاغية لها داخل العالم الإسلامي، أم الكتابات المتخصصة في مجال الحقوق كما نصت عليها الكتابات الحقوقية الغربية، ومن ضمنها المواثيق والإعلانات الحقوقية العالمية.

وموضوع المرأة في الإسلام، كان قد اكتسب صبغة ذات حساسية خاصة قبل التوجه الحقوقي، خلال العقود الأخيرة.

لأن وضع المرأة بشكل عام كان من بين القضايا التي احتدم حولها النقاش مبكراً، مع وصول الجحافل الأولى للاستعمار الغربي وسيطرتها العسكرية على العالم الإسلامي.

وبقي هذا الجدل محتدماً، وفي تصاعد مستمر، بعد انتهاء الحقبة الاستعمارية، لأن الغزو الثقافي عبر وسائط الإعلام والتعليم، ما فتئ يركز على هذا الموضوع ويثيره بين الحين والآخر.

لذلك فقد وجدت المرأة المسلمة نفسها تتقاذفها التيارات المختلفة، بين منتصر لما تدعو له الحضارة الغربية من قيم وحقوق تخص المرأة.

وبين قيم الإسلام التي امتزجت مع تقاليد المجتمعات الإسلامية وأعرافها.

وقد استطاعت عملية التأصيل لحقوق المرأة أن تميّط اللثام عن عدد من المغالطات الأيديولوجية، ووضعت في بعض جوانبها المتميزة، حداً بين ما يريده الإسلام من المرأة وما قدمه لها من حقوق.

وبين الواقع التاريخي، أو وضع المرأة المسلمة الحالي، الذي يحكمه التخلف وعدم الانسجام بين النظرة الإسلامية الحقوقية والواقع المعيش.

لكن يمكن أن يقال إن عملية التأصيل في مجال حقوق المرأة قد بلغت طوراً من التقدم، تم فيه الاعتراف والانتباه لعدد كبير من الحقوق التي كانت، إلى عهد قريب، خارجة عن موضوع البحث أو المعالجة.

بل كان النسيان والتجاهل يلفها ويلغيها من الوجود الواقعي. وبدأ الكلام عن حقوق تثير حساسية كبيرة داخل المجتمعات العربية والإسلامية، مثل الحديث عن الحقوق السياسية للمرأة وحقوقها في الولاية؟

لكن لا بد هنا من الإشارة إلى أن الفكر الإسلامي ما زال يتعامل مع الموروث الروائي المتعلق بالمرأة، بنوع من الحذر، وقلة الجرأة لمعالجته.

لأنه مما لا شك فيه أن عدداً كبيراً من الأعراف والتقاليد قد استحالت عبر الوضع والكذب إلى أحاديث نبوية كما تجده في الكثير من كتب أهل السنة.

كما أن التفسيرات التقليدية لكثير من الأحاديث، يجب إعادة النظر فيها، إذا أردنا فعلاً أن نكشف عن الوضع الحقيقي للمرأة كما جاء به الإسلام عن طريق أهل بيت الرحمة وهم الائمة عشر أماماً عليهم السلام كلهم من قريش.

وهذان الأمران: التردد والتخبط كثيراً ما يظهران في الكتابات العامة أو المختصة بحقوق المرأة في الإسلام كنتيجة معروفة لما نقل في الصحاح عنها.

– المرأة في الحضارة اليونانية :

مع أن اليونانيين كانوا أصحاب حضارة عريقة ، إلا أنهم كانوا ينظرون للمرأة على أنها من سقط المتاع ، فقد كان أهل أثينا يعرضونها في الأسواق للبيع ، وكان هذا من حق الزوج على زوجته متى شاء على ما هو المعروف بين مجتمعاتهم .

بل كان من حق الزوج أن يؤجر زوجته أو يقرضها ، لأنها عنده أشبه بفرسه أو سلاحه^{٧٥} ، وكان للزوج الحق المطلق في تطليق زوجته ، بينما لم يكن من حق المرأة طلب الطلاق ، إلا في حالات استثنائية ، ونجدهم قد وضعوا العراقيل في سبيل الوصول إلى هذا الحق ، ومن ذلك المرأة إذا أرادت أن تذهب للمحكمة لطلب الطلاق يتربص بها زوجها في الطريق حيث يأسرها ويعيدها قسراً إلى البيت.

ولكن قدماء اليونان يقدمون البنات قرباناً إلى آلهتهم ، كما روى التاريخ أنه عندما وقع خلاف بين اليونان وطروادة ، وأعد اليونانيون قواهم وسفنهم للسفر إلى طروادة ، ولكن الجو لم يساعد حركة السفن وظلوا هكذا نحو ثلاثة أشهر ، فطلبوا العون من رئيس الكنيسة الذي حكم بتقديم ابنة إمبراطور اليونان آنذاك قرباناً إلى الآلهة^{٧٦}.

وكانت المرأة لديهم تسكن في المنازل الكبيرة المنفصلة عن الطريق ، قليلة النوافذ محروسة الأبواب ، واشتهرت الغواني في الحواضر اليونانية نظراً لإهمال الزوجات ، في حين أنه لم تشتهر وقتها امرأة ناهضة^{٧٧} ، حيث كان حال الزوجات ، كما يقول خطيب اليونان المشهور جوستين : (إننا نتخذ الزوجات ليلدن لنا الأبناء الشرعيين فقط)^{٧٨}.

٧٥- عبد الباقي ، زيدان ، المرأة بين الدين والمجتمع ، طبعة ٢، ص ٧٠-٧٥ ، سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب (الكتاب الثاني) القاهرة سنة ١٩٨١ م.

٧٦- الحسيني ، مبشر الطرازي ، المرأة وحقوقها في الإسلام ، ص ٩ ، طبعة مكتبة حميدو ، الاسكندرية .

٧٧- السباعي ، محمد أحمد ، المرأة بين التبرج والتعجب ، ص ٤٩ ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية - السنة الثانية عشرة ، الكتاب التاسع سنة ١٩٨١ م .

٧٨- الخرسا ، غادة - الإسلام وتحرير المرأة ، ص ٢٨ ، دار السياسة - الكويت .

أما المرأة الإسبرطية ، فقد أعطاهما اليونانيون شيئاً من الحقوق المدنية كالإرث وأهلية التعامل ، ولكنهم تهادوا في تلك الحدود حتى أنهم أباحوا لها تعدد الأزواج^{٧٩} ، ثم نجدهم قد فرضوا عليها تعلم الرياضة البدنية والتمرينات العسكرية التي كانت تفوق قدرتها^{٨٠}.

أما الفلاسفة فقد كان لهم آراء متباينة في الغرابة عن المرأة ، كما يقول سقراط (إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ، ومصدر للأزمة والانحيار في العالم ، وإن المرأة تشبه شجرة مسمومة ظاهرها جميل ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت حلاً)^{٨١}.

أما أرسطو ، فقد كان يعيب على أهل إسبرطة تساهلهم مع نساء عشيرتهم ، ومنحهن تلك الحقوق والحريات بما يفوق أقدارهن ، وكان يعزي سقوط إسبرطة وضمحلها إلى هذه الحرية ، وفي كتابه (السياسة) ذكر أن الطبيعة لم تزود النساء بأي استعداد عقلي يعتد به ، ولذلك يجب أن تقتصر تربيتهن على شئون تدبير المنزل والحضانة والأمومة^{٨٢}.

وحيثما قرر أفلاطون في مدينته الخيالية (الجمهورية) مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في حق التعليم والثقافة والاضطلاع بمختلف الوظائف ، كانت آراؤه موضع تهكم وسخرية من مفكري أثينا وفلاسفتها وشعرائها ، حتى أن أرسطو عميد شعراء الكوميديا في ذلك العصر وظف تمثيليتين على السخرية بهذه الآراء وهما (برلمان النساء وبلوتس)^{٨٣}.

٧٩- رضا ، مُجدد رشيد ، نداء للجنس اللطيف ، ص ٣٥ ، مطبعة المنار - مصر ، ١٩٣٠ م .

٨٠- السباعي ، المرأة بين التبرج والتعجب ، ص ١٤ .

٨١- نفس المصدر ، ص ٥٠ .

٨٢- وافي ، علي عبد الواحد ، المساواة في الإسلام ، الطبعة الثانية ، ص ٥٤ ، سلسلة أقرأ ٢٣٥ ، طبعة دار المعارف - مصر ١٩٦٥ م .

٨٣- السباعي ، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٥ .

– المرأة في الحضارة الرومانية :

كان الأب لدى الرومان القدماء غير ملزم بقبول ضم ولده منه إلى أسرته ذكراً كان أو أنثى ، بل كان يوضع الطفل بعد ولادته عند قدميه ، فإذا رفعه وأخذه بين يديه أصبح الطفل من أفراد الأسرة ، وإلا فإنه يعني رفضه لذلك ، فيؤخذ الوليد للساحات العامة حيث يلتقطه البعض أو يموت جوعاً^{٨٤}.

وآنذاك كان لرب الأسرة أن يدخل في أسرته من الأجانب من يريده ويخرج من أبنائه الذين هم من صلبه من يشاء ، أو يبيعهم ، فقد كان من حق الأب أن يبيع أولاده^{٨٥}.

وروى التاريخ أنه عقد مؤتمر كبير في روما حيث بحث شؤون المرأة ، وكانت نتيجة بحثه أن قرر أنها كائن لا نفس له ، وأنها من أجل ذلك لن ترث الحياة الاخرية ، وأنها رجس يجب ألا تأكل اللحم ، ولا تضحك بل ولا تتكلم ، وعليها أن تقضي جميع أوقاتها في العبادة والخدمة والصلاة ، وحتى لا تتكلم وضعوا على فمها قفلاً حديدياً ، فكانت تسير في الطرقات وتروح وتغدو في دارها ، وفي فمها ذلك القفل الذي يسمونه موزلير^{٨٦} .

ولم يكن للبنات في ذاك الوقت حق التملك ، وإذا اكتسبت مالاً أضيف إلى أموال رب الأسرة ، ولا يؤثر ذلك في بلوغها أو زواجها ، وفي العصور المتأخرة في عصر قسطنطين تقرر أن ما ترثه البنت عن أمها يتميز عن أموال أبيها ، ولكن له الحق في استغلال هذه الأموال حتى زواجها وعندئذ يحتفظ بثالث أموالها ويعطيها الباقي^{٨٧}.

وأعطى القانون الروماني للأب الحق في تزويج أبنته بأن يبيعها بثمن يتراضي به مع الزوج ، فتنقل من سلطان الأب إلى سلطان الزوج الذي كانت له السيادة المطلقة ، حتى أن له أن يقتلها إذا شاء ، وليس لها حق معه في أن تملك شيئاً ، حيث كانت تعتبر الأنوثة سبباً أساسياً لانعدام الأهلية ، كحدثة السن أو الجنون^{٨٨} .

٨٤- نفس المصدر ، ص ١٦ .

٨٥- الحصين ، أحمد عبد العزيز ، المرأة ومكانتها في الإسلام ، ط ٣ ، ص ١٦ ، مكتبة الإيمان - القاهرة ١٩٨٣ م .

٨٦- الحسيني ، المرأة وحقوقها في الإسلام ، ص ١٠ .

٨٧- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٥-١٦ .

٨٨- حسن ، عبد الباسط محمد ، مكانة المرأة في التشريع الإسلامي ، ص ٤٣ ، مركز دراسات المرأة والتنمية ، الكتاب الأول ، ١٩٧٩ م .

وأما المرأة لدى (الفرس) أو في الحضارة الفارسية ، فقد كانت المرأة لديهم تعاني الاضطهاد ، فكان الأفراد المتبعون للديانة الزردشتية يحرقون شأن المرأة ، ويعتقدون أنها سبب هيجان الشرور التي توجب العذاب والسخط لدى الآلهة^{٨٩} .

وكانت المرأة في مذهب فارس القديم تحت سلطة الزوج ، الذي له حق التصرف في زوجته كتصرفه في ماله ومتاعه ، وكان له إذا غضب أن يحكم بقتلها أو بسجنها الأبدي في بيتها ، كذلك له الحق في بيع امرأته ، وله أن يتزوج بمن يشاء من الزوجات دون شرط أو تحديد عدد^{٩٠} .

وكانت المرأة الفارسية في حيضها أو نفاسها تبعد عن المنازل ، لتقيم في خيمة صغيرة يسمونها داخلي ، حيث لا يخالطها أحد من الناس ، وكان الخدم الذين يقدمون لها الطعام والشراب يلفون أنوفهم وأذانهم وأيديهم بلفائف من القماش الغليظ خوفاً من النجاسة يمسها أو مس خيمتها ، فلقد كانوا يجتنبون حتى الهواء الذي يمر عليها^{٩١} .

ونقل التاريخ أن ملوك الفارسية أباحت الزواج بالمحرمات من النسب ، كالأمهات والأخوات والبنات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت^{٩٢} ، فقد تزوج يزيدجرد الثاني - الذي حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي - ابنته ثم قتلها ، وتزوج بهرام جوبين - الذي هلك في القرن السادس - أخته^{٩٣} .

ومما يؤيد إهمال المرأة في العالم الفارسي القديم ، ما ذكره كزينوف عندما بحث عن التربية والتعليم في فارس ، فقد أغفل ذكرها ، ولم يورد شيئاً عن تربية البنات وتعليمهن ، نظراً لإهمالهن في المجتمع وقرارهن في دورهن محتجبات عن العالم الخارجي^{٩٤} .

٨٩- فضل الله ، مريم نور الدين ، المرأة في ظل الإسلام ، طبعة ٣ ، ص ٢٥ ، دار الزهراء بيروت ١٩٨٣ .

٩٠- خيرت ، أحمد ، مركز المرأة في الإسلام ، ص ١٢ ، دار المعارف بمصر ١٩٧٥ م .

٩١- الجمري ، عبد الأمير منصور ، المرأة في ظل الإسلام ، ط ٤ ، ص ٤٣ ، مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦ .

٩٢- الأفغاني ، سعيد ، الإسلام والمرأة ، نقلاً عن المستشرق الروسي أحمد أجاييف بكتابه حقوق المرأة في الإسلام ، ترجمة سليم قبعين ، ص ١٣ ، مطبعة الترقى بدمشق - سوريا .

٩٣- عرفه ، محمد عبد الله ، حقوق المرأة في الإسلام ، ط ٣ ، ص ٢٥ ، المكتب الإسلامي بيروت ، دمشق ١٩٨٣ .

٩٤- كحالة ، عمر رضا ، المرأة في القديم والحديث ، ط ٢ ، ص ١-١٣٢ ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

– المرأة في المجتمعات الأوروبية قديماً :

كانت الزوجات تباع في إنجلترا ما بين القرن الخامس والحادي عشر، وفي القرن الحادي عشر أصدرت المحاكم قانوناً ينص على أن للزوج الحق في نقل أو إعارة زوجته إلى رجل آخر لمدة محدودة ، وأُشِر من ذلك ما كان للشريف النبيل - روحانياً أو زمنياً - الحق في الاستمتاع بالمرأة الفلاح إلى مدة أربع وعشرين ساعة من بعد عقد زواجها عليه (أي على الفلاح)^{٩٥} .

وفي عهد الملك هنري الثامن ملك إنجلترا أصدر البرلمان قراراً يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب العهد الجديد ، أي انه يحرم عليها قراءة الأناجيل ، وكتب رسل المسيح^{٩٦} .

وفي عام ١٠٧٩م بيعت امرأة في الأسواق بشلنين ، لأن الكنيسة في إنجلترا التي كانت تنفق عليها ثقلت بمعيشتها^{٩٧} .

وفي القانون الانجليزي العام حوالي سنة ١٨٥٠م ، كانت النساء غير معدودات من المواطنين ، فلم يكن لهن حقوق شخصيه ، فلا حق لهن في تلك الأموال التي يكتسبونها بعرق الجبين ، بل لا حق لهن في تملك حتى ملابسهن^{٩٨} .

ومن الطريف هنا ، أن القانون الانجليزي حتى عام ١٨٠٥م ، كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات^{٩٩} .

وخلال الستينيات من القرن العشرين ، حدث أن باع ايطالي زوجته لآخر على أقساط ، فلما أمتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة ، قتله الزوج البائع^{١٠٠} .

٩٥- رضا ، مُحمَّد رشيد ، نداء للجنس اللطيف ، ص٣٦ ، مطبعة المنار - مصر ١٩٣٠ .

٩٦- عتر ، نور الدين ، ماذا عن المرأة ، ط٣ ، ص١٩ ، دار الفكر - دمشق ١٩٧٩ .

٩٧- العقاد ، عباس محمود ، المرأة في القرآن ، ص ١٠٦ ، دار السلام - القاهرة ١٩٧٣ .

٩٨- الجمري ، عبد الأمير منصور ، المرأة في ظل الإسلام ، ط٤ ، ص٤٥ ، مكتبة الهلال بيروت ١٩٨٦ .

٩٩- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص٢١ .

١٠٠- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص٢٢ ، عن مجلة حضارة الإسلام السنة الثانية ١٩٦٢م .

وكان تعليم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال في ذاك الوقت ، وأول طبيبة في الغرب - وهي الدكتورة اليزابيث بلا كويل - والتي تخرجت في (كلية جينيفيا الأمريكية) سنة ١٨٤٩م ، كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ويأبين أن يكلمنها^{١٠١} .

وعندما أجتهد بعضهم في إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فيلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة بأنها تصدر كل طبيب يقبل التدريس في ذلك المعهد بل تصدر كل من يستشير كل أولئك الأطباء^{١٠٢} .

وأما في فرنسا ، عقد الفرنسيون مؤتمراً سنة ٥٨٦م ، فقد وافق مولده العشرين من أبريل سنة ٥٧١م ، ودار البحث في هذا المؤتمر عن المرأة ، وهل تستحق أن تعتبر أنساناً أم غير إنسان ؟ . وكانت نتيجة هذا المؤتمر أن اعترفوا بالمرأة إنساناً ولكنها مخلوقة لخدمة الرجل فحسب^{١٠٣} .

وهكذا أثبت الفرنسيون في هذا التاريخ فقط إنسانية المرأة ، تلك الإنسانية التي كانت مشكوكاً فيها من قبل ، وحتى عندما أثبتوها ، لم يثبتوها كاملة ، وإنما جعلوا المرأة تابعاً وخادماً للرجل .

وحينما قامت الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر ، وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية ، لم تشمل المرأة ، حيث حرمتها من التصرف في أموالها وممتلكاتها ، ورأت أنها ليست أهلاً للتعاقد من دون رضا وليها^{١٠٤} .

ونصت المادة السابعة عشر بعد المائتين من القانون المدني الفرنسي - قانون نابليون - على أن المرأة المتزوجة ، حتى ولو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكيتها زوجها ، لا يجوز لها أن تهب ، ولا أن تنقل ملكيتها ، ولا ترهن أو تملك سواء بعوض أو بغير عوض دون اشتراك زوجها في العقد أو موافقته عليه موافقة كتابية^{١٠٥} .

١٠١- الكزبرى ، سلمى الحفار ، نساء متفوقات ، ص ٢٣٣ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦١م .

١٠٢- العقاد ، عباس محمود ، المرأة في القرآن ، ص ١٠٨ ، دار السلام سنة ١٩٨٢م - القاهرة .

١٠٣- الطباطبائي ، محمد حسين ، المرأة في الإسلام ، ص ١٩ ، الدار الإسلامية - بيروت .

١٠٤- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٢١ عن مجلة حضارة الإسلام السنة الثانية ١٩٦٢م .

١٠٥- وافي ، علي عبد الواحد ، المساواة في السلام ، ص ٥٥ .

– واقع المرأة في المجتمعات الغربية اليوم :

لقد حصل المنعطف الأكبر في أسلوب حياة المرأة الغربية منذ انقلبت أوروبا على الدين المتمثل بالكنيسة ورجالها ، وانتهجت سبيل العلمانية التي تقوم على نبذ سلطان الدين ، فتحول الأوروبيون ومن حذا حذوهم بعد ذلك من الإيمان والتزاماته إلى الإلحاد والمادية .

بالتالي تغير نمط الحياة العامة لدى الغرب ، وتغيرت الكثير من مفاهيمه عن الحياة والقيم وتبدلت فيه المعايير الأخلاقية ، فما كان بالأمس عاراً قد أصبح في ظل هذا التغير حرية شخصية ، لا يجد الناس ضيراً في ممارستها .

والمرأة كانت هي الصورة الأكثر وضوحاً في انقلاب الغرب على مبادئه وقيمه ، فتحولت المرأة من ربة الأسرة الحارسة لأخلاق الجيل إلى مظهر من مظاهر التساهل الأخلاقي والقيمي ، وفقدت بذلك مقومات أنوثتها المتمثلة بالأمومة والزوجية ، وبناء الأسرة ، استعاضت كثير من الأوروبيات عن الزواج المشروع بالعلاقات الجنسية العابرة ، واستبدلت الأسرة المستقرة بآماكن العبث والتسلية ، وألقت عنها الضوابط والقيود التي قد تحرمها من شيء من انطلاقها .

ومن أهم مظاهر هذا الانقلاب الهائل في حياة المرأة الغربية منها : –

منها : أصبحت المرأة آلة جنسية ، تستغل من قبل رجال العلاقات العابرة ، ثم يلقي بها لتحمل هي وحدها نتائج هذه العلاقة .

منها : فقدت المرأة الأوروبية ثقفتها في قدرتها على بناء الأسرة وتربية الأبناء ، وذلك لأنها غادرت أسرتها بمجرد بلوغها ، لتتنقل في بيوت العازبين ، بعيداً عن أجواء التربية والرعاية الأسرية .

منها : فقدت المرأة مصادر الإعالة كالمهر والنفقة ، وأصبحت وسيلتها الوحيدة للعيش هي الاعتماد على نفسها في الكسب والعمل ، وترتبت عليها وحدها نفقات المسكن والمأكل والمشرب وكماليات الحياة المختلفة والإنفاق على أطفالهن .

منها : انقلبت المعايير الأخلاقية للمرأة ، فأصبح من العار على المرأة أن تتجاوز المدرسة العليا وهي عذراء ، فتتهم عند ذلك بفشلها في جلب انتباه الشبان ، ولم تعد كلمة الزنا معروفه في قاموس الحياة اليومية ، واستبدلت بالحب ، واستبدلت كلمات العري والانحلال بالحرية الشخصية ، وتم تقنين الدعارة ، وصرفت تصاريح لممارسة مهنة البغاء ، ومنحت الرخص لنوادي التعري والفجور .

منها : استغلت المرأة كوسيلة ترويج إعلانية ، فاستخدمت المرأة شبه العارية لترويج إطارات السيارات ، والمعلبات ، والأدوات المنزلية وغيرها .

دال : تحرير المرأة في الاسلام

وندرك من هذا العرض السالف مبلغ التخبط والتأرجح في تقييم المرأة عبر العصور القديمة والحديثة، دون ان تهتدي الأمم الى القصد والاعتدال، مما أساء الى المرأة والمجتمع الذي تعيشه.

فلما انبثق فجر الاسلام وأطل على الدنيا بنوره الوضاء، أسقط تلك التقاليد الجاهلية وأعرافها البالية، وأشاد للانسانية دستوراً خالداً يلائم العقول النيرة والفطر السليمة، ويواكب البشرية عبر الحياة.

فكان من اصلاحاته أنه صحح قيم المرأة وأعاد اليها اعتبارها، ومنحها حقوقها المادية والأدبية بأسلوب قاصد حكيم، لا إفراط فيه ولا تفريط، فتبوأَت المرأة المسلمة في عهده الزاهر منزلة رفيعة لم تبلغها نساء العالم.

كما في الحديث يا مُحمَّد : (إتقوا الله في النساء فإنهنّ عوان بين أيديكم ، أخذتموهنّ على أمانات الله عز وجل ، لما استحللتم من فروجهنّ بكلمة الله وكتابه من فريضتي وسنتي وشريعة مُحمَّد بن عبد الله ﷺ .

فإنّ لهنّ عليكم حقّاً واجباً لما استحللتم أجسامهنّ وبما واصلتم من أبدانهنّ ويحملن أولادكم في أحشائهنّ حتى أخذهنّ الطلق من ذلك ، فأشفقوا عليهنّ وطيّبوا قلوبهنّ حتى تقفن معكم ولا تكرهوا النساء ولا تسخطوا بهنّ ولا تأخذوا ممّا آتيتوهنّ شيئاً إلا برضاهنّ وإذنهنّ^{١٠٦}.

لقد أوضح الاسلام واقع المرأة، ومساواتها بالرجل في المفاهيم الانسانية، واتحادها معه في المبدأ والمعاد، وحرمة الدم والعرض والمال، ونيل الجزاء الأخروي على الأعمال، ليُسقط المزاعم الجاهلية أزاء تخلف المرأة عن الرجل في هذه المجالات.

« يا أيها الناس، انا خلقناكم من ذكر وانثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إنّ اكرمكم عند الله اتقاكم »^{١٠٧}.

« من عمل صالحاً من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون »^{١٠٨}.

١٠٦ - مستدرک الوسائل جزء ١٤ صفحة ٢٣٨.

١٠٧ - سورة الحجرات الآية ١٣ .

وكان بعض الأعراب يئد البنات ويقتلن ظلماً وعدواناً، فجاء ناعياً ومهدداً على تلك الجريمة النكراء، ومنح البنت شرف الكرامة وحق الحياة بقوله تعالى:

« وإذا المؤودة سُئلت، بأي ذنب قتلت »^{١٠٩}.

« ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، إن قتلهم كان خطأ كبيراً »^{١١٠}.

وقضت الأعراف الجاهلية ان تسوم المرأة ألوان التحكم والافتئات ، فتارة تقسرها على التزويج ممن لا ترغب فيه، او تعضلها من الزواج.

وأخرى تُورث كما يورث المتاع ، يتحكم بها الوارث كيف يشاء، فله ان يزوجه ويبتز مهرها ، أو يعضلها حتى تفتدي نفسها منه أو تموت، فيرثها كرهاً واغتصاباً.

وقد حررها الاسلام من ذلك الأسر الخانق والعبودية المقيتة، ومنحها حرية اختيار الزوج الكفوء، فلا يصح تزويجها الا برضاها، وحرّم كذلك استيراثها قسراً واكراهاً:

« يا أيها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرهاً، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن »^{١١١}.

وكانت التقاليد الجاهلية، وحتى الغربية منها، الى عهد قريب تمنع المرأة حقوق الملكية، كما حرمتها الجاهلية العربية حقوق الارث، لأن الارث في عرفهم لا يستحقه الا رجال القبيلة وحماها المدافعون عنها بالسيف.

وقد اسقط الاسلام تلك التقاليد الزائفة، ومنح المرأة حقوقها الملكية والارثية، وقرر نصيبها من الارث. أمّا كانت، أو بنتاً، أو اختاً أو زوجة بقوله تعالى:

« للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن »^{١١٢}.

« للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون »^{١١٣}.

١٠٨ - سورة النحل الاية ٩٧ .

١٠٩ - سورة التكويد الاية ٨-٩ .

١١٠ - سورة الاسراء الاية ٣١ .

١١١ - سورة النساء الاية ١٩ .

١١٢ - سورة النساء الاية ٣٢ .

١١٣ - سورة النساء الاية ٧ .

وفرض للزوجة على زوجها حق الاعالة، ولو كانت ثرية موسرة، وقد عرضنا في حقوق الزوجة طرفاً من وصايا أهل البيت عليهم السلام في رعايتها وتكريمها، تعرب عن اهتمام الشريعة الاسلامية بشؤون المرأة ورفع معنوياتها.

واستطاع الاسلام بفضل مبادئه وسمو آدابه أن يجعل المرأة المسلمة قدوة مثالية لبناء الامم، في راحة العقل وسمو الايمان وكرم الأخلاق، ورفع منزلتها الاجتماعية.

حتى استطاعت ان تناقش وتحتاج الخليفة الثاني اباان خلافته، وهو يخطب في المسلمين وبينهاهم عن المغالة في المهور، فانبرت له امرأة من صف الناس، وقالت: ما ذاك لك.

فقال: ولمه؟

اجابت : لأن الله تعالى يقول « وآتيتهم احداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً، أتأخذونه بهتاناً واثماً مبيناً »^{١١٤}.

فرجع عمر عن رأيه، وقال: أخطأ عمر واصابت امرأة^{١١٥}.

وقد سجل التاريخ صفحات مشرقة بأجماد المرأة المسلمة ومواقفها البطولية في نصرة الاسلام، يقصّها الرواة بأسلوب رائع ممتع يستثير الاعجاب والاكبار.

فهذه « نسبية المازنية » كانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزواته، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه، فقالت: يا بني، الى اين تفر عن الله وعن رسوله؟ فردته.

فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها، فحملت على الرجل فقتلته. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بارك الله عليك يانسيبة.

١١٤ - سورة النساء الاية ٢٠ .

١١٥ - وللمزيد راجع :

راجع كتابAmeer Ali, The Spirit of Islam, Chatto and Windus, London, 1978, P.134

وكتاب (الأصنام) لابن الكلبي ، تحقيق أحمد زكي - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩ .

وكتابي المستشرقون والقرآن- دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه ، دار القاهرة ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م ، ٥٥-٦٦.

والغريب أن بلاشير له كتاب في النحو العربي (بالاشتراك مع ديمومين) فهو يتصيد أخطاء الخليفة عمر بالقران والحكم .

وراجع كتاب : Blachere, Le Coran, PP. 318- 319 .

وكانت تقي رسول الله ﷺ بصدرها وثديها، حتى أصابتها جراحات كثيرة^{١١٦}.

وحجّ معاوية سنة من سنّيه ، فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالجحون، يقال لها « دارميّة الجحون ».

وكانت سوداء كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها، فبعث اليها. فجيء بها، فقال: ما حالك يا بنة حام؟ قالت: لست لحام إن عبتني، إنّما أنا امرأة من بني كنانة، ثمت من بني ابيك.

قال: صدقت، أتدريين لم بعثت اليك؟ قالت: لا يعلم الغيب الا الله.

قال: بعثت اليك لأسألك، علام أحببت علياً وأبغضتني، وواليتي وعاديتني؟

قالت: أوتعفيني يا أمير المؤمنين. قال: لا أعفيك.

قالت: أما اذا أبيت، فأني أحببت علياً عليه السلام على عدله في الرعية، وقسمه بالسوية. وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر، وطلبتك ما ليس لك بحق. وواليت علياً عليه السلام على ما عقد له رسول الله ﷺ من الولاء، وعلى حبه للمساكين، وإعظامه لاهل الدين، وعاديتك على سفك الدماء، وشقك العصا وجورك في القضاء، وحكمك بالهوى.

قال: فلذلك انتفخ بطنك.

قالت: يا هذا، بهند والله يضرب المثل في ذلك لا بي.

قال معاوية: يا هذه، اربعي، فانا لم نقل الا خيراً، فرجعت وسكنت.

فقال لها: يا هذه، هل رأيت علياً عليه السلام؟ قالت: أي والله لقد رأيته.

قال: فكيف رأيته.

قالت: رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك، ولم تشغله النعمة التي شغلتك.

قال: هل سمعت كلامه؟

قالت: نعم والله، كان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت الصداً.

قال: صدقت، فهل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل اذا سألتك؟ قال: نعم.

قالت: تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها.

قال: تصنعين بها ماذا؟

قالت: أغدو بألبانها الصغار، واستحيي بها الكبار، واكتسب بها المكارم، وأصلح بها العشائر.

قال: فان أعطيتك ذلك، فهل أحلّ عندك محل عليّ؟

قالت: ماء ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسعدان، وفتى ولا كمالك.

ثم قال: أما والله لو كان عليّ عليه السلام حيّاً ما اعطاك منها شيئاً.

قالت: لا والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

واستدعى معاوية امرأة من أهل الكوفة تسمى « الزرقاء بنت عديّ » كانت تعتمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة ، يا أصحاب علي ، تسمعهم كلامها كالصوارم ، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر لأقبل ، والمسلم لحارب ، والفار لكّر ، والمتزلزل لاستقر .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : هل تعلمين لم بعثت اليك ؟ .

قالت: لا يعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى.

قال: ألسنت الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين، وانت بين الصفوف توقدين نار الحرب، وتحرضين على القتال؟

قالت: نعم. قال: فما حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، انه قد مات الرأس، وبتر الذنب، ولن يعود ما ذهب، والدهر ذو غير، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال: صدقت، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت؟

قالت: لا والله، ولقد انسيته.

قال: لله أبوك، فلقد سمعتك تقولين «أيها الناس، ارعوا وارجعوا، انكم أصبحتم في فتنة، غشتكم جلايب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء، لا تسمع لناعقها ولا تسلس لقائدها.

ان المصباح لا يضيء في الشمس، وان الكواكب لا تنير مع القمر، وانّ البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد الا بالحديد، ألا من استرشد ارشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيها الناس: ان الحق كان يطلب ضالته فأصابها، فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغصص، فكأنكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحق باطله، فانه لا يستوي المحق والمبطل.

أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر، ألا ان خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبة، أثتوا الحرب غير ناكسين، فهذا يوم له ما بعده».

ثم قال: يا زرقاء، أليس هذا قولك وتحريضك؟

قالت: لقد كان ذلك.

قال: لقد شاركت علياً في كل دم سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين، وادام سلامتكم، فمثلك من بشر بخير، وسرّ جليسه.

فقال معاوية: أو يسرك ذلك؟

قالت: نعم والله، لقد سرّني قولك، وأنى لي بتصديق الفعل. فضحك معاوية، وقال: والله لوفاءكم له بعد موته اعجب عندي من حبكم له في حياته^{١١٧}.

وهذه ام وهب ابن عبد الله بن خباب الكلبي، قالت لابنها يوم عاشوراء: قم يا بني، فانصر ابن بنت رسول الله.

فقال: أفعل يا أماه ولا أقصّر.

فبرز وهو يقول رجزه المشهور، ثم حمل فلم يزل يقاتل، حتى قتل منهم جماعة، فرجع الى امه وامراته، فوقف عليهما فقال: يا أماه أرضيت؟

فقالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام.

فقالت امرأته: بالله، لا تفجعني في نفسك.

فقالت أمه: يابني، لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت رسول الله، فيكون غداً في القيامة شفيعاً لك بين يدي الله.

فرجع ولم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً واثنى عشر راجلاً، ثم قطعت يده.

واخذت امه عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك ابي وامي، قاتل دون الطيبين - حرم رسول الله صلى الله عليه وآله - . فأقبل كي يردّها الى النساء ، فأخذت بجانب ثوبه « لن أعود او أموت معك ».

فقال الحسين عليه السلام: جزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي الى النساء، رحمك الله. فانصرفت. وجعل يقاتل حتى قتل عليه السلام ^{١١٨}.

هذه لمحة خاطفة من عرض تاريخي طويل زاهر بأعجاز المرأة المسلمة، ومواقفها البطولية الخالدة، اقتصرنا عليها خشية الاطالة.

واين من هذه العقائل المصونات، نساء المسلمين اليوم، اللاتي يتشدق الكثيرون منهن بالتبرج، ونبذ التقاليد الاسلامية، ومحاكاة المرأة الغربية، في تبرجها وخلاعتها.

فخسرن بذلك أضخم رصيد ديني وأخلاقي تملكه المرأة المسلمة وتعتر به، وغدون عاطلات من محاسن الاسلام، وفضائله المثالية.

المساواة بين الرجل والمرأة لقد غزت الشرق فيما غزاه من صنوف البدع والضلالات، فكرة المساواة التامة بين الرجل والمرأة، ومشاطرتها له في مختلف نشاطاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وانخدع اغرار المسلمين بهذه الفكرة، وراحوا ينادون بها ويدعون اليها، جهلاً بزيغها ومخالفتها مبادئ الفطرة والوجدان، للفوارق العديدة بين الجنسين، واختلاف مؤهلاتهما في مجالات الحياة.

ومتى ثبتت المفارقات بين الرجل والمرأة، تجلّى خطأ هذه الفكرة، واستبان ما فيها من تفريط وتضييع لخصائص كل منهما وكفاءته.

فالرجل غالباً: هو أضخم هيكلاً من المرأة، وأصلب عوداً، وأقوى جلدًا على معاناة الشدائد والأهوال، كما هو اوسع أفقاً، وأبعد نظراً، وأوفر خبرة في تجارب الحياة.

والمرأة غالباً ، هي أجمل صورة من الرجل، وأضعف جسماً وطاقة، وأرق عاطفة، وأرهف حساً، تيسيراً لما أعدت له من وظائف الأمومة ورسالتها الانسانية في الحياة.

ويزداد التباين والتباين بين الجنسين فيما ينتاب الإناث خاصة، من أعراض الحيض والحمل والارضاع، مما يؤثر تأثيراً بالغاً في حياة المرأة وحالتها الصحية.

فهي تعاني أعراضاً مرضية خلال عاداتها الشهرية، تخرجها عن طورها المألوف.

قال الطبيب (جب هارد):

« قلّ من النساء من لا تعتل بعلة في المحاض، ووجدنا اكثرهن يشكين الصداع والنصب والوجع تحت السرة، وقلة الشهوة للطعام، ويصبحن شرسات الطباع، مائلات الى البكاء. فنظراً لهذه العوارض كلها يصح القول، أن المرأة في محاضها تكون في الحق مريضة، وينتابها هذا المرض مرة في كل شهر، وهذه التغير اتفي جسم المرأة تؤثر لا محالة في قواها الذهنية وفي افعال اعضائها».

وهكذا أعرب الباحثون عن امتناع المساواة بين الجنسين.

قال الباحث الطبيعى الروسى (انطون نميلاف) في كتابه الذى أثبت فيه عدم المساواة الفطرية بينهما، بتجارب العلوم الطبيعية ومشاهداته:

« ينبغي ان لا نخدع انفسنا بزعم أن إقامة المساواة بين الرجل والمرأة في الحياة العملية أمر هيّن

ميسور.

الحق أنه لم يجتهد أحد في الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا في روسيا السوفيتية، ولم يوضع في العالم من القوانين السمحة البريئة من التعصب في هذا الباب مثل ما وضع عندنا، ولكن الحق ان منزلة المرأة قلّما تبدلت في الأسرة، ولا في الأسرة فحسب بل قلّما تبدلت في المجتمع ايضاً».

ويقول في مكان آخر:

« لا يزال تصور عدم مساواة الرجل والمرأة ذلك التصور العميق راسخاً لا في قلوب الطبقات ذات المستوى الذهني البسيط، بل في قلوب الطبقات السوفيتية العليا ايضاً»^{١١٩}.
وقال الدكتور (الكسيس كاريل) الحائز على جائزة نوبل:

« يجب أن يبذل المربون اهتماماً شديداً للخصائص العضوية والعقلية في الذكر والأنثى، كذا لوظائفهما الطبيعية.

فهناك اختلافات لا تُنقض بين الجنسين ولذلك فلا مناص من ان نحسب حساب هذه الاختلافات في انشاء عالم متمدن»^{١٢٠}.

ولا يعتبر تفوق الرجل على المرأة في المجالات العملية والنظرية مقياساً عاماً شاملاً لجميع الرجال، فقد تَبَدُّ المرأة الرجل وتفوقه في ذلك، ولكن هذا لا ينفي تخلفها عن أغلب الرجال.

وعزا بعضهم تخلف المرأة عن الرجل الى التقاليد الاجتماعية، والنظم التربوية التي تكتنف حياتها.

وغفلوا من أن تلك التقاليد والنظم قد تلاشت في أغلب الدول المتحللة، وانعدمت فيها الفوارق بين الجنسين، وغدت المرأة تتمتع بجميع فرص التكافؤ التي يتمتع بها الرجل. وبالرغم من ذلك فانها تعتبر في المرتبة الثانية منه.

ومن هنا ندرك امتناع المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة، ونعتبرها ضرباً من الحماقة والسخف.

١١٩ - الحجاب ، للمودودي ص ٢٥٦ .

١٢٠ - الانسان ذلك المجهول ص ١١٧ .

فهل يسع دعاة المساواة أن يطوروا واقع الرجل ويجعلوه مشاركاً للمرأة في مؤهلاتها الخاصة، ووظائفها النسوية التي يعجز عنها هو، كذلك لا يسعهم ان يسترجلوا المرأة ويمنحوها خصائص الرجل ووظائفه التي تعجز عنها هي.

ان الحكمة الالهية قد كيفت كلاً من الجنسين وأعدته إعداداً خاصاً، يؤهله لأداء وظائفه ومهامه في الحياة، فلامنصوص من تنوع الأعمال بينهما حسب كفاءتهما ومؤهلاتهما... وكلٌ مُيسر لما خُلق له.

فوظيفة الرجل هي: ممارسة الأعمال الشاقة، والشئون الخارجية عن المنزل، والكدح في توفير وسائل العيش لأسرته، والدأب على حمايتها وإسعادها مادياً وأدبياً، مما تنوء به المرأة ولا تستطيع اتقانه واجادته.

ووظيفة المرأة هي: أن تكون ربة بيت وراعية منزل، وأماً مثالية تُنشئ الأكفاء من الرجال، وهي وحدها التي تستطيع أن تجعل البيت فردوساً للرجل، يستشعر فيه الراحة من متاعب الحياة، وينعم الأطفال فيه بدفء الحنان ودواعي النمو والازدهار.

فإقحام المرأة في ميادين الرجل، ومنافستها له في أعماله... تضييع لكفاءتهما ومؤهلاتهما، ثم هو تجميد للرجل عن ممارسة نشاطاته الحيوية التي يجيدها ولا تجيدها المرأة، وتعطيل له عن انشاء أسرة وتكوين بيت.

وقد أحدثت منافسة المرأة للرجل في وظائفه ونشاطاته الخاصة في الجاهلية الحديثة... شروراً أخلاقية واجتماعية ونفسية خطيرة، وكانت مضارها أكثر من نفعها أضعافاً مضاعفة.

وأصبحت المرأة هناك تعاني مرارة الكفاح ومهانة الابتذال في سبيل العيش، كي لا تمسّها الفاقة لنكول الرجل عناءاتها، مما عاقها عن أداء وظائفها الخاصة من تدبير المنزل ورعاية الأسرة وتربية الأبناء تربية صالحة.

وبنتقاعس المرأة عن أداء واجبها الأصيل، وانخراطها في المجتمع الخليط، أصيبت الأسرة هناك بالتبعثر والتسيب والشقاء، وشاع فيها التفسخ والتهتك والانحيار الخلقي، كما شهد بذلك الباحث الطبيعي الروسي (انطون نيميلاف) في كتابه الأنف الذكر:

« الحق أن جميع العمال قد بدت فيهم اعراض الفوضى الجنسية، وهذه حالة جدّ خطرة، تهدد النظام الاشتراكي بالدمار ، فيجب أن نحارب بكل ما أمكن من الطرق ، لأن المحاربة في هذه الجبهة ذات مشاكل وصعوبات .

ولي أنأدلكم على آلاف من الأحداث، يعلم منها ان الاباحية الجنسية قد سرت عدواها لا في الجهال الأغرار فحسب، بل فيالأفراد المثقفين من طبقة العمال «^{١٢١} .
وحسبنا هذه الشهادة عِظة وعبرة على بطلان المساواة بين الجنسين، وأضرار اختلاطهما في الوظائف والأعمال، فهل من متعظ !؟

فاقحام المرأة في ميدان أعمال الرجال خطأ فاضح، وجناية كبرى على المرأة والمجتمع الذي تعيشه، وهدرلكرامتهما معاً.

نعم... يستساغ للمرأة ان تمارس أعمالاً تخصها وتليق بها، كتعليم البنات، وتطبيب النساء وتوليدهن، وفي حالة فقدان المرأة من يعولها، أو عجزه عن إعالتها، فانها والحالة هذه تستطيع مزاوله الأعمال والمكاسب التي يؤمن عليها منمفاتن المجتمع الخليط، ويؤمن عليه من فتنها كذلك.

ولكن الاسلام، صان كرامة المرأة المعوزة، وكفل رزقها من بيت المال، دون ان يحوجها الى تلك المعاناة، فلو أدنالمسلمون زكاة أموالهم ما بقي محتاج.

فماذا يريد دعاة المساواة؟ أيريدون إعزاز المرأة وتحريرها من الغبن الاجتماعي؟ فقد حررها الاسلام ورفعمنزلتها ومنحها حقوقها المادية والأدبية.

ام يريدون مخادعة المرأة وابتذالها، لتكون قريبة من عيون الذئاب ومغازلاتهم؟

وماذا تريد المرأة المتحررة؟ أتريد المساواة التامة بالرجل، أم تريد حرية الخلاعة والابتذال؟

وكلها غايات داعرة، حرمها الاسلام على المرأة والرجل ليقيهما مزالق الفتن ومآسي الاختلاط.

هاء : التمايز بين الجنسين

لقد حرر الاسلام المرأة من تقاليد الجاهلية وأعرافها المقيتة ، وأعزها ورفع منزلتها ، وقرر مساواتها بالرجل في الانسانية ووحدة المبدأ والمعاد ، وحرمة الدم والعرض والمال ، ونيل الجزاء الأخروي على الأعمال .

وحدد قيم المرأة ومنزلتها من الرجل تحديداً عادلاً حكيماً. فهو يساوي بينها وبين الرجل فيما تقتضيه الحكمة والصواب ، ويفرق بينهما في بعض الحقوق وبعض الواجبات والأحكام ، حيث يجدر التفريق ويحسن التمايز نظراً لاختلاف خصائصهما ومسؤولياتهما في مجالات الحياة.

وهو في هذا وذاك يستهدف الحكمة والصلاح، والتقييم العادل لطبائع البشر وخصائصهم الأصلية. فلم يكن في تمييزه الرجل في بعض الأحكام ليستهين بالمرأة او ييخس حقوقها، وانما أراد أن يحقق العدل، ويمنح كلا منهما ما يستحقه ويلائم كفاءته وتكاليفه.

فجاء بالفصل في الرد على الحضارة الغربية إنهم يريدون المرأة متعة مبدولة يلعبها كل من مر عليها وينشئها من صاحبها يريدونها ملكا مشاعا لكل رجل وعابر سبيل.

أخرجوها من بيتهن وعروها من ملابسها وخدعوها بقولهم حسناء جميلة ، شريكة الرجل وصديقه ، عملت مع الرجل وخالطته .

تلفقتها دور الفن والسينما الأفلام فزادت عريها فسقا وعهراً، وأصبحت مصيدة لكل بضاعة لتجذب إليها الزبائن الذكور، وجاورتهم في مكاتبهم سكرتيرة لمدرائهم.

وفي كل ذلك يشترطون امرأة حسناء متناسقة الجسم، مثيرة في حركاتها وسكناتها، مهتمة بزينةها وملابسها تبدي مواضع الزينة وتبرز أماكن الفتنة.

وزجوا بها في أعمال لا تناسب طبيعة المرأة وتهين أنوثتها فعملت مضيضة تخدم المسافرين، ونادلة في مطعم، وموظفة استقبال في فندق وشركة.

وكل هذا بشرط الجمال والشباب والزينة والإثارة، فإن أسواق النخاسة التي نسمع عنها في الماضي، وتباع فيها الجواري للمتعة الجنسية الخاصة لم تصل إلى ما وصلت إليه الحضارة الغربية التي تدعي تكريم للمرأة والعناية بها.

فأين المرأة المسنة الكبيرة والدميمة والسوداء والمحتشمة في لباسها من عملكم وصدقاتكم وسكرتيراتكم.

فإن دعاة الفوضى والانحلال والميوعة يطلبون ما لا تقبله العقول والفطر، وهو أن تبرز المرأة بكامل زينتها الطبيعية والمفتعلة.

ويفترض أن ينظر الرجل إليها ويجاورها ويخلو بها كإنسان مكمل بلا صفات أنثوية مثيرة له ولذا يجب عليه أن يغلق صمام الميل الفطري عنده.

ثم بعدها تقنع تلك المسكينة بأنه لا ضير عليها من زميلها لأن زميلها مثقف ومؤدب والمكان مكان عمل! والدول المتقدمة إنما تقدمت بعمل المرأة والرجل سواء بسواء في مكان واحد بدون حشمة.

هكذا هم يريدون المرأة مبذولة لهم في كل وقت تحت نظرهم، منذ خروجهم إلى أعمالهم والمرأة مرافقة لهم في وسائل النقل، ومقابلة لهم في أماكن عملهم وعشقها لهم في ليلتهم.

إن المرأة قد مر عليها عصور من الظلام والظلم والامتهان، عند كثير من الشعوب والأمم، ولكنها لم تصل إلى هذا الحد من الامتهان والمذلة اليوم.

أهكذا يكون تكريم المرأة ؟ واحترامها وإعطاؤها حقوقها التي حرمت منها كما يزعمون فمن أساليب لتمرير مكرهم:

يزعمون أن الاختلاط بين الذكور والإناث منذ الصغر، يوجب تهذيب الغريزة الجنسية والميل الفطري الفاحش، وأن طول التجاور والتقارب يولد في نفوسهم ونفوسهن شيئاً من الإلفه لا تنور معه الرغبة في الاستمتاع.

وهذا كله في الكلام النظري والفرضيات الجدلية عندهم، فهل واقعهم تجده كذلك؟

فمن أساليبهم زعمهم أن العموم والأدلة والتجارب تصحح نظرياتهم وأقوالهم.

ففي المواضيع التالية أهم مواطن التفريق والتمايز بين الرجل والمرأة، لكي تسجل حكمة التشريع الاسلامي ومدى سمو مبادئه في ذلك.

١ - القوامة

تعتبر الأسرة الخلية الأولى، التي انبثقت منها الخلايا الاجتماعية العديدة والمجتمع الصغير الذي نما واتسع منه المجتمع العام الكبير.

ومن الثابت أن كل مجتمع حتى لو كان صغيراً لا بد له من راع كفؤ يراعى شئونه، وينظم حياته، ويسعى جاهداً ليرتفع وازدهاره.

لذلك كان لابد للأسرة من راع وقيم، يسوسها بحسن التنظيم والتوجيه ويوفر لها وسائل العيش الكريم، ويحوطها بالعزة والمنعة، وتلك مهمة خطيرة تستلزم الحنكة والدربة، وقوة الإرادة، ووفرة التجربة في حقول الحياة.

فأي الشخصين الرجل أو المرأة له الحق برعاية الأسرة والقوامة عليها؟

إنّ الرجل بحكم خصائصه ومؤهلاته أكثر خبرةً وحذقاً في شئون الحياة من المرأة، واكفاً منها على حماية الأسرة ورعايتها أديباً ومادياً، وأشدّ قوة وجلداً على تحقيق وسائل العيش ومستلزمات الحياة. لذلك كان هو أحق برعاية الأسرة والقوامة عليها.

وهو ما قرره الدستور الاسلامي الخالد بقوله تعالى:

«الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما انفقوا من أموالهم»^{١٢٢}.
وليس معنى القوامة هو التحكم بالأسرة وسياستها بالقسوة والعنف، فذلك منافٍ لاخلاق الاسلام وآدابه. والقوامة الحققة هي التي تركز على التفاهم والتآزر والتجاوب الفكري والعاطفي فيما بين راعي الأسرة ورعيته «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة»^{١٢٣}.

أما المرأة فانها بحكم أنوثتها، رقيقة العاطفة، مرهفة الحس، سريعة التأثر، تتغلب عواطفها على عقلها ومشاعرها.

وذلك ما يؤهلها لأداء رسالة الأمومة، ووظائفها المستلزمة لتلك الخلال، ويقصبيها عن مركز القيادة في الأسرة الذي يتطلب الحنكة، واتزان العواطف، وقوة الجأء والحزم، المتوفرة بالرجل، وهذا ما يؤثر عليها في رعاية الأسرة والقوامة.

١٢٢ - سورة النساء الاية ٣٤ .

١٢٣ - سورة البقرة الاية ٢٢٨ .

والمرأة بحكم انوثتها تستخف بالزوج المائع الراخي ، وتكبره وتعظمه اذا كان ذا شخصية قوية جذابة قوية، تستشعر في ظلال رجولته مفاهيم العزة والمنعة، وترتاح الى حسن رعايته وتديره.

٢ - ايثار الرجل على المرأة في الارث

وهكذا قضت حكمة التشريع الاسلامي ان تُؤثر الرجل على المرأة، بضعف نصيبها من الارث، مما اعتبره المغفلون انتقاص لكرامة المرأة

وبخساً لحقوقها كلا ؟ لم يكن الاسلام لكي يستهين بالمرأة او يبخلس حقوقها، وهو الذي اعزها ومنحها حقوقها الأدبية والمادية.

وانما ضاعف نصيب الرجل عليها في الارث تحقيقاً للعدل والانصاف، ونظراً لتكاليفه ومسؤولياته الجسيمة.

فالرجل مكلف بالانفاق على زوجته وأسرته وتوفير ما تحتاجه من طعام وكساء وسكن، وتعليم وتطبيب، والمرأة معفوة من كل ذلك.

وكذلك هو مسؤول عن حماية الاسلام والجهاد في نصرته، والمرأة غير مكلفة به. والرجل مكلف بالاسهام في دية العاقلة ونحوها من الالتزامات الاجتماعية، والمرأة معفاة منها.

وعلى ضوء هذه الموازنة بين الجهد والجزاء، نجد ان من العدل والانصاف تفوق الرجل على المرأة في الارض، وانها أسعد حالاً، وأوفر نصيباً منه، لتكاليفه الأسرية والاجتماعية، التي هي غير مسؤولة عنها. وهذا ما شرعه الاسلام بقوله تعالى : « للذكر مثل حظ الانثيين »^{١٢٤}.

على ان تفضيل الرجل على المرأة في الارث لا يعمّ حقوقها الملكية، واموالها المكتسبة، فانها والرجل سيان، ولا يحق له ان يبتز درهم واحد منها الا برضاها وإذنها.

٣- الشهادة :

وهكذا تجلت حكمة التشريع الاسلامي في تقييم شهادة المرأة، واعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد. وأراد الاسلام بهذا الاجراء أن يصون شهادة المرأة عن التزوير والافتراء، ليحفظ حقوق المتخاصمين عن البخس والضيايع.

فالمرأة سرعان ما تستبد بها عواطفها الجياشة، وشعورها المرهف، وانفعالها السريع، فتزيغ عن العدل، وتناسي الحق والواجب، متأثرة بنوازعها نحو أحد المتداعيين ، قريباً لها أو عزيزاً عليها.

وتفادياً لذلك، قرن الاسلام بين المرأتين في الشهادة، لتكون احدهما مذكرة للآخرى ورادعة لها عن الزيف والمبالاة بقوله تعالى:

«واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء، ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى»^{١٢٥}.

هذا الى ان الطب الحديث قد اكتشف ان بعض النساء ابان عادتھن الشهيرة، قد تضعف طاقتهن الذهنية ويغدون آنذاك مظنة للنسيان، كما اوضحته التقارير الصادرة في بحث المساواة^{١٢٦}.

وهذا ما يؤيد ضرورة اقتران امرأتين في الشهادة، اذ باقترائهما وتذكير احدهما للآخرى يتجلى الحق ويتضح الواقع.

٤ - تعدد الزوجات :

تجد اعداء الاسلام يشنون الحملات الظالمة على الدين الاسلامي وشريعته الغراء، في صور من النقد اللاذع، والتنديد الرخيص، الكاشف عن حقدهم وكيدهم للاسلام .

فمن ذلك تشنيعهم على الاسلام باباحته تعدد الزوجات، وأنها على زعمهم اضرار بالزوجة وارباك لحياتها.

وقد جهل الناقدون أو تجاهلوا انّ الاسلام لم يكن المشرع الاول لذلك، فقد شرعته الاديان السماوية والقوانين الوضعية قبل الاسلام بآماد وقرون مديدة.

١٢٥- سورة البقرة الاية ٢٨٢ .

١٢٦- راجع : قول الطبيب جب هارد المشهور .

فلا اعتراض على تعدد الزوجات في شريعة قديمة سبقت قبل التوراة والانجيل، ولا اعتراض على تعدد الزوجات في التوراة او في الانجيل ، بل هو عن الأنبياء انفسهم، من عهد ابراهيم عليه السلام الى عهد الميلاد.

فلم يرد في الانجيل نص واحد يحرم ما أباحه العهد القديم للآباء والانبياء، ولمن دونه من الخاصة والعامة.

وما ورد في الانجيل اشارة للاباحة في جميع الحالات، والاستثناء في حالة واحدة، وهي: حالة الاسقف حين لا يطبق الرهبانية فيقنع بزوجة واحدة اكتفاء بأهون الشرور.

وقال (وستر مارك) العالم المعروف عن ثقته في تاريخ الزواج: (أنّ تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي الى القرن السابع عشر، وكان يتكرر كثيراً في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة...) ^{١٢٧}.

فالاسلام لم يأت ببدعة فيما أباح من تعدد الزواج وإنما الجديد الذي اتى به من أنه اصلح ما أفسدته الفوضى من هذه الاباحة، المطلقة من كل قيد.

والاسلام حسب حساب الضرورات التي لا يغفل عنها الشارع الحكيم، فلم يحرم أمراً قد تدعو اليه الضرورة. ويجوز ان تكون اباحته خيراً من تحريمه في بعض ظروف الاسرة، او بعض الظروف الاجتماعية العامة.

إن الذين استنكروا اباحة تعدد الزواج في التشريع الاسلامي، قد مارسوه فعلاً وحقيقة بطرق الغواية والعلاقات الاثيمة بالخليلات والعشيقات.

وهم قد تجاهلوا واقعهم السيئ وتحللهم من القيم الأخلاقية، كأنما يحلو لهم ان يتنكبوا النهج السوي المشروع، ويتعسفوا بهذه الطرق الموبوءة بالفساد.

فلو أنهم فكروا وأمعنوا النظر بتجرد وانصاف في حكمة ذلك التشريع الاسلامي، لعرفوا أنه العلاج الوحيد لحل المشاكل والازمات التي قد تنتاب الفرد وتنتاب المجتمع ويصلحها اصلاً فريداً لا بديل عنه.

المبررات :

ونستطيع ان نستجلي أهداف الشريعة الاسلامية في تعدد الزوجات على ضوء المبررات التالية :

الاول : مرض الزوجة

قد تمرض الزوجة في الجسم أو العقل وتعجز آنذاك عن أداء رسالتها الزوجية، ولا تستطيع تلبية رغبات الزوج، ورعاية الأسرة والابناء، مما يفضي بهم الى القلق والتسيب.

بلا شك أنها أزمة خانقة تستدعي العلاج الحاسم الحكيم، وهو لا يخلو من فروض ثلاثة وهي:

١ - إما أن يُترك الزوج مهملاً يعاني مرارة الحرمان من حقوقه الزوجية ، ويصبح عرضة للتردي في مهاري الرذيلة والاثم، وتترك الأسرة كذلك نبأً للفوضى والتبعثر. وهذا اجحاف بالزوج والاسرة ، واهدار لحقوقهم معاً.

٢- واما ان يتخلص الزوج من زوجته المريضة بالطلاق، والتخلي عنها، ويتركها تصارع شذائد المرض ووحشة النبذ والانفراد، وهذا ما يآبه الوجدان لمنافاته مبادئ الانسانية وسجايا النبل والوفاء.

٣- إما ان يخلو او يتسرى الزوج على زوجته المريضة، متخذاً زوجة أخرى تلبي رغباته، وتلّم شعث الاسرة، وتحيط الاولى بحسن الرعاية واللفظ، وهذا من أفضل الحلول واقربها الى الرشد والصواب.

الثاني : العقم

قد تكون الزوجة عقيمة محرومة من نعمة النسل والانجاب، فماذا يصنع الزوج والحالة هذه، أيظل محروماً من الابناء يتحرق شوقاً اليهم، وتلهفاً عليهم مستجيباً لغريزة الابوة وأثرها الملح في داخل النفس.

فان صبر الزوج على ذلك الحرمان مؤثراً هوى زوجته على هواه، فيعتبر ذلك نبل وتضحية وايتار.

أو يتسرى عليها بأخرى تنجب له أبناءً يملؤن فراغه النفسي، ويكونون له قرة عين وسلوة فؤاد. وهذا منطق الفطرة والغريزة الذي لا يفعله الا نفر قليل من الناس.

الثالث : المرأة أكثر بقاء من الرجل

والنساء في اغلب الاحيان أوفر عدداً وأكثر نفوساً من الرجال، وذلك لأمران وهما:

١ - ان الرجل اكثر تعرض لخطر العمل وأحداث الوفاة من النساء، لممارستهم الاعمال الشاقة الخطرة، المؤدية الى ذلك، كالمعامل والمناجم والمطافي ونحوها، مما يكون سبب تلفهم وقتلهم عن النساء.

اكتشف العلم الحديث أن الرجال أضعف مناعة من النساء وأكثر اصابة بعدوى الاوبئة والامراض، مما يجعلهم أقل عدداً منهم وعللوا علماء الحياة ذلك الى ما تتميز به المرأة على الرجل بدنياً.

وذكرت الدكتورة (ماريون لانجر) العالمة الاجتماعية المتخصصة في استشارات الزواج قالت: (ان لدى المجتمع حلّ يمكن فقط لتغطية النقص المتزايد في الرجال اما تعدد الزوجات، او ايجاد طريقة ما لاطالة اعمار الرجال..).

٢ - الحروب: فهي تفني اعداداً ضخمة من الرجال وتسبب هبوط نسبتهم عن النساء هبوط واضح جداً فقد كان المصابون في الحرب العالمية الاولى (احدى وعشرون مليون رجل) بين قتل وجريح. وكانت ضحايا الحرب العالمية الثانية (خمسين مليون رجل).

وأحدث ذلك فراغاً كبيراً في صفوف الرجال وأثار أزمة عالمية تستدعي العلاج الحاسم الناجع.

فقد وقفت الدول ازاء هذه الازمة موقف العاجز الحائر في علاجها وملافاتها. لمنعها تعدد الزوجات، فذهبت تعالجه عن طريق الفساد الخلقي، مما دنسها واشاع فيها البغاء وكثرة اللقطاء، وعمتها الفوضى الاخلاقية.

وأما الاسلام، فلقد عالج ذلك علاج فذ وفريد يلائم الفطر البشرية، ومقتضيات الظروف والحالات. من حيث اباح التعدد وقاية للفرد والمجتمع من تلك المآسي التي عانتها الامم المحرمة له بقوله تعالى:

«فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فان خفتن أن لا تعدلوا فواحدة»^{١٢٨}.

وحينما شرع الاسلام التعدد لم يطلقه ويتركه جزافاً، فقد اشترط فيه العدل والمساواة بين الزوجين صيانة لحقوق المرأة وكرامتها.

ولكن ذلك العدل مشروط في مستلزمات الحياة المادية، كالمطعم والملبس والمسكن، ونحوها من المآرب الحسنية المتاحة للإنسان ، والداخلية في نطاق وسعه وقدرته.

أما النواحي الوجدانية والعاطفية، كالحب والميل النفسي، فانها خارجة عن ارادة الانسان، ولا يستطيع العدل فيها والمساواة، لوهنه أزاء سلطانها الأسر بقوله تعالى: «ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم»^{١٢٩}.

واعترض البعض أنّ المرأة الغربية قادرة على ممارسة الاعمال وكسب المعاش، فهي غنية عن الزواج. وهذا باطل يكذبه الواقع والفطرة الانسانية وغرائزها الراسخة في النفس. فحاجة المرأة الى الرجل ليست مقصورة على المآرب المادية فحسب، بل هي حاجة نفسية ملحة تستكمل به كيانها وتشعر بوجودها كحاجة الرجل اليها على سواء.

الرابع : الخزين والطاقة الجنسية

ومن مبررات التعدد أنه قد يتصف بعض الرجال بطاقة جنسية عارمة فتهيج عليه، ويتطلب المزيد من التنفيس والافضاء وتستدعي الأزواج ، فان تيسر له ذلك .

وإلا نفّس عن طاقته الحسية هذه بالدعارة والفساد ، كما حدث ذلك في الشعوب التي حرمت التعدد المشروع، فابتلت بالتعدد الموبوء من الخليلات والعشيقات.

واو : الطلاق في الإسلام

بهذا العنوان انطلقت حناجر لاغية، تتشدد بانتقاد الاسلام على تشريع الطلاق، بأنه يهدد كيان المرأة وسعادتها، فتغدو بنزوة من نزوات الرجل ولوثة من لوثاته الغاضبة ، طريدة كسيرة القلب مهدورة الكيان^{١٣٠}.

وهذا من صور التجني والتشنيع على الاسلام، اذ لم يكن هو المشرع الاول للطلاق، ولا المقنن الوحيد له، وإنما كان موجوداً في أغلب الامم ومن أقدم العصور. وأنداك كان بأسلوب يهدر حقوق الزوجة وكرامتها، ويجعلها طريدة شريدة هائمة حيث تشاء.

فمثلاً شاع عند اليونانيين الطلاق دون قيد او شرط، وأباحه الرومانيون دينياً ومدنياً بعد أن حرّمته الاجيال الأولى منهم.

وحينما جاءت شريعة موسى ﷺ قلّصت من نطاق الطلاق وأباحته في حالات ثلاث: الزنا والعقم والعيب الخلقي والخلقي.

وأما الشريعة المسيحية فلقد حرّمته إلا في حالتين: اقتراف أحد الزوجين أو كلاهما جريمة الفسق، أو في حالة العقم.

وهو ما دفع الامم الغربية الحالية بضغط الحاجة الملحة الى تقنين الطلاق المدني وجعله قانون ثابت وإن خالف دينها وشريعتها.

ولما جاء الاسلام بعهد الزاهر وتشريعه الكفيل، أقرّ الطلاق وأحاطه بشروط من التدابير الوقائية والعلاجية، لغرض تقليصه ومعالجة ازماته ومشاكله.

فهو أبغض الحلال الى الله عز وجل، ولكن الضرورات تبيح المحذورات فهناك حالات يتسع الخلاف فيها بين الزوجين ويشتد الخصام وتغدو الحياة الزوجية أتوناً مستعراً بالشحناء والبغضاء، مما يتعذر فيها التفاهم والوفاق.

١٣٠ - انظر : الاسلام والعلم الحديث ، عن مجلة المختار عدد فبراير ١٩٥٨ م .

وهنا يعالج الاسلام هذه الحالة المتوترة المكهربة والجو المكفهر المحموم بحكمة وتدرج بالغين، فهو لا يسرع الى رباط الزوجية المقدس فيصمه لأول وهلة، ولأول بادرة من خلاف، فهو يشد على الرباط بقوة، ويستمسك به في استماتة ، فلا يدعه يفلت إلا بعد المحاولة واليأس.

انه يهتف بالرجال بقوله تعالى: « وعاشروهن بالمعروف، فلن كرهتموهن ، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً»^{١٣١}.

فتراه يميل بهم ويرشدهم الى التريث والمصابرة حتى في حالة الكراهية.

فان تجاوز الامر مسألة الكره والحب، إلى النشوز والنفور، فليس الطلاق اول خاطر يهدي اليه الاسلام، بل لا بد من محاولة يقوم بها الآخرون وتوفيق يحاوله الخيرون بقوله تعالى:

«وان خفتم شقاق بينهما، فابعثوا حكماً من أهله، وحكماً من أهلها ، ان يريدوا اصلاحاً يوفق الله بينهما. ان الله كان عليماً خبيراً»^{١٣٢}. «وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً، فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما، والصلح خير»^{١٣٣}.

فان لم تجد هذه الوساطة فالأمر إذن في جدية وهناك ما لا تستقيم معه هذه الحياة، وامساك الزوجين على هذا الوضع محاولة فاشلة، ويزيدها الضغط للفشل. ومن الحكمة التسليم بالواقع وانهاء هذه الحياة - على كره من الاسلام - فان أبغض الحلال الى الله الطلاق.

ولعل هذه التفرقة تثير في نفسية الزوجين رغبة جديدة لمعاودة الحياة فكثيراً ما ترى حسنات الشيء عندما تحرمه، والفرصة لم تضع بقوله تعالى: «الطلاق مرتان، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان»^{١٣٤}.

١٣١ - سورة النساء الاية ١٩ .

١٣٢ - سورة النساء الاية ٣٥ .

١٣٣ - سورة النساء الاية ١٢٠ .

١٣٤ - سورة البقرة الاية ٢٢٩ .

وهناك فترة العدة في حال الدخول بالزوجة، وله ان ينفق عليها في هذه الفترة ولا يقتّر. وفي خلالها يجوز له ان كان قد ندم ان يرجع زوجته ويستأنفا حياتهما بلا أي إجراء جديد.

فان تركت المرأة مدة العدة تمضي دون مراجعة، ففي استطاعتها ان يستأنفا هذه الحياة متى رغبا ببعضهما ولكن بعقد جديد.

وتلك التجربة الأولى تكشف لكلا الزوجين عن حقيقة عواطفهم وعن جدية الاسباب التي انفصلا بسببها، فان تكررت هذه الاسباب، أو جدّ سواها، واندفع الزوج الى الطلاق مرة ثانية فعندئذٍ لا تبقى سوى فرصة واحدة، وتعتبر هي الثالثة.

فاذا كان الطلاق لثالث مرة فالعلة اذن عميقة والمحاولة غير مجدية، ومن الخير له ولها ان يجرب كل من الزوجين طريقه، ومن الخير كذلك من ان يتلقى الزوج نتيجة تفريطه أو تسرعه بقوله تعالى: «فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره»^{١٣٥}.

فلماذا ينقتم الثرثارون على الاسلام بتشريع الطلاق؟ هل يريدون إلغائه وتحريمه، لكي تشيع المآسي في المجتمع الاسلامي، التي عاشتها الامم الكاثوليكية، التي حرمت الطلاق وكذلك حرمت تعدد الزوجات، مما اضطرهم الى اتخاذ العشيقات والاخذان، وتعسف مسالك الغواية والآثام الخلقية وغيرها؟.

زاي : جهاد المرأة بالإسلام

عدم وجوب الجهاد الكفائي على المرأة باتفاق كل العلماء وإجماعهم من أدلة القرآن والسنة وأقوال جميع المذاهب الإسلامية.

إنّ الإسلام لم يهمل أمر هذه الحرمات كحرمان المرأة من فضيلة الجهاد في سبيل الله بدون أن يكون قد تداركها، وجبر كسرهما بما يعادلها عنده بمزايا وفضائل فيها مفاخر حقيقية، كما أنّه جعل حسن التبعل مثلاً جهاداً للمرأة^{١٣٦}.

والرجال في الإسلام هم المعنيون بحكم الجهاد، والمرأة مصونة عن التعرض للجهاد والقتال ومنازلة الأعداء كما في حديث النبي ﷺ يا رسول الله ، هل على النساء جهاد ؟ فقال : جهاد لا قتال فيه ؛ الحج ، والعمرة.

ولكن المرأة المسلمة تتم الحاجة لها تحت ظل وجود مشكلات سياسية تجبر المرأة على الدفاع عن نفسها وأبنائها في الوقت الذي يبذل فيه الرجال غاية جهدهم فيه فتصبح مشاركة المرأة ضرورة حتمية عليها الموقف الذي وضعت فيه.

ولذلك تحتاج المرأة بالفعل للمشاركة بالجهاد حينما تكون مضطرة له في الجهاد الثانوي وفي قتال أهل البغي وأردنا أن نبين الوجه الشرعي وما يجوز وما يحرم عليها من خلال جهادها ، فللمرأة المسلمة قاعدة شرعية صلبة تبني عليها جميع تصرفاتها.

ولكن حينما يعتدي العدو الكافر أو يهجم على أي بلدة من البلدان فيخرج الجميع أي كل من لم يكن من أهل الكفاية مثل المرأة والعبد وغير البالغ والمرضى الأعرج بدون إذن ، ويأثم الزوج وغيره بالمنع وهناك اسباب للحلية والمنع ونورد اهمها وهي كالآتي:

منها في منعهن : لانه يشغل المقاتلين عن القيام بواجباتهم أو مخافة تعريضهن للقتل أو أسرهن أو عدم التمكن من حمايتهن أثناء اشتباك المعركة.

١٣٦ - راجع : تفسير الميزان ، للطباطبائي ، ٥ : ٣٤٧ . و : نهج البلاغة : الحكم ١٣٦ ، قال الإمام عليّ عليه السلام :

«وجهاد المرأة حسن التبعل» .

منها : يمكن للمجاهد من أن يصطحب زوجته وذريته إلى الثغور للإقامة فيها والمرابطة والحراسة إذا كانت الثغور آمنة ولا يخشى عليهم من العدو لان في إقامتهن فائدة بأن يطيب للمجاهدين المقام في الثغور وتطمئن النفوس. وأما في حالة الخوف عليهن فلا يجوز.

واليوم مع تنامي ظاهرة الإرهاب باسم الدين الإسلامي حول العالم، وظهور تنظيمات تدّعي أنها تمتلك مفاتيح (الإسلام الصحيح) من أدلة عديدة من القرآن الكريم الذي يزعم الإرهابيون الاقتداء بها تثبت أن الإسلام لا يدعم الأعمال الإرهابية ولا يحض على القتل باسم الدين.

فهل الدين الإسلامي دين خطير ويحض على الإرهاب؟.

فهناك أسباباً وسبل يتبعها المقاتلون في الحرب للدفاع عن أنفسهم ودينهم ووطنهم ، وهذا ما لا يفهمه أصحاب الفكر المتطرف .

فلا يمكن شن حرب استباقية دون أسباب واضحة والتعدي على العدالة الإلهية. وبالتالي ، فإن الأفكار التي تنشر حيث الدعوة أنه لا يوجد قيود وأسس في الحرب هي أفكار مغلوطة وتم تفسيرها وفقاً لمصالحهم .

وعلى المسلمين أن يعاملوا أسرى الحرب معاملة حسنة لان الإسلام دين رحمة وعدل ولا يجب على المسلمين فرض معتقداتهم الدينية على أعدائهم وفقاً للقرآن الكريم.

ويشير القرآن إلى أن من يختار الجهاد يجب ألا يسعى للعداء تجاه أصحاب المعتقدات والديانات الأخرى بل على العكس .

وفي الجهاد الثانوي لو تعرضت بلاد الاسلام لغزو من العدو، فعلى المرأة الدفاع أسوة بالرجل، وهذا لا يستوجب اذن الحاكم الشرعي من فتوى وغيره. وإذا قتلت فهي شهيدة أسوة بأخيها الرجل.

وكذلك للمرأة المشاركة بأعمال القتال المباشرة وغير المباشرة في البر والبحر والجو ما دامت تقتضي الضرورة لذلك بشروط وفي حالات عامة فمثلاً منها :

منها : (إذن الولي) يكون خروجها لحاجة وفيه مصلحة وليس في خروجها مفسدة، وفق الحكم الشرعي باللباس الشرعي مع الالتزام بأحكام الإسلام في التعامل مع الرجال.

منها : (تعلم المرأة) بعض العلوم العسكرية التي تمكنها من الدفاع عن نفسها في حالة الضرورة.

منها : (المشاركة التاريخية) للمرأة ليس هو تشريع ملزم لجميع الأمم.

منها : (تكليف المرأة) بمخاطر محتملة تكون فيها الهلاك مثل العمليات الاستشهادية بالقتال أو التجسس أو الاستطلاع والاستكشاف والحراسة والتدريب .

منها : (اشراك المرأة) في إقامة الإسلام ورفع رايته ، وتجد في التاريخ أحداث مشرقة لنساء حملن راية الجهاد . مثل السيدة الزهراء عليها السلام وابنتها العقيلة زينب عليها السلام .

حاء : مسايرة دعاة العصرية

وجاء في فتنة مسايرة الواقع^{١٣٧} فذكر أن مسايرة ركب الغرب في بعض ميادين من قِبَل دعاة العصرية من أبناء المسلمين .

والسواد الأعظم فقد تأثر بشكل ، أو بآخر بفتنة مسايرة الواقع ، ما بين مقل ومكثر .

ومن صور هذه الفتنة التي يجب أن يحذرها المسلمون عامة والمصلحون وأهل العلم خاصة ما يلي :

١ - مسايرة الواقع وما ألفه الناس من عادات اجتماعية وأسرية مخالفة للشريعة والمروءة ، كانت في أول الأمر غريبة ومستنكرة ، ولكن النفوس ألفتها ، ومن أبرز هذه العادات والممارسات :

ما انتشر في بيوت كثير من المسلمين من أدوات اللهو والأجهزة الجالبة للفساد وغيرها .

وكذلك ما امتلأت به البيوت من غير ضرورة حتى أصبحت هذه المقتنيات أمراً مألوفاً لا يمكن الانفكاك عنه ، ومن ينكره من أولياء الأمور يعترف بضعفه أمام رغبات الزوجة والأولاد وسخط المجتمع من حوله ، فيستسلم لمثل هذه المنكرات مسايرة للواقع ، وإرضاءً للناس الذين لن يُعَنُوا عنه من الله شيئاً ، وكفى بذلك فتنة .

وما ظهر في السنوات الأخيرة في بعض الدول من انتشار قصور الأفراح والفنادق وما يحصل فيها من منكرات ، وبخاصة في أوساط النساء كالترج الفاضح .

والغناء المحرم المصحوب بأصوات النساء المرتفعة ، ناهيك عن المفاخرة والمباهاة في الملابس والمآكل وغيرها .

١٣٧ - راجع : فتنة مسايرة الواقع - الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل .

ومع ذلك فلقد أصبحت أمراً مألوفاً يُشْتَع على من يخرج عليه، أو يرفضه ويقاطعه، حتى أصبح كثير من الناس أسيراً لهذه العادات مسائراً للناس في ذلك إرضاءً لهم ، أو اتقاءً لسخطهم.

إن الحديث عن العصرية والعصرانيين يطول، ولكن يكفي أن نذكر هنا ما يتعلق بفتنة المسايرة، ولا أحسب العصرانيين من بني قومنا إلا وقد أركسوا في هذه الفتنة.

وظهرت عليهم في أجلى صورها، وهم لا يعترفون بأنها مسايرة؛ ولكنهم يسمونها تجديدًا وتطويرًا يناسب العصر، وتحت هذا المسمى يقضون على كثير من الثوابت الشرعية.

ويتحللون من شرع الله باسم التطوير وهو في الحقيقة مسايرة للواقع الغربي، وتقليد أعمى، وانبهار بإنجازاته المادية، بل الهزيمة النفسية أمامه.

والغريب في أمر هؤلاء أنهم يرفضون التقليد، ويشنعون على من يقلد سلف الأمة ويتبعهم ، وعلى من يبقى على الموروث لا يتجاوزه ولا يطوره.

ثم هم في الوقت نفسه يسقطون في تقليد الغرب، ومحاكاته بصورة لا تدع مجالاً للريب والشك؛ وهم الذين يتشدقون بالعقلانية ورفض التقليد!

ويعترف الدكتور الزنبيدي العصرية بقوله هي التأقلم مع المعطيات الاجتماعية والعلمية المتجددة في كل عصر، وربط الإنسان في فرديته وجماعيته بها في دائرة التصور البشري.

ويتحدث الأستاذ محمد حامد الناصر عن بعض شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه فيقول: لقد خرج العصرانيون علينا بفقه غريب شاذ، يريد تسوية الواقع المعاصر لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام.

ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب؛ فإذا كانت الآية واضحة الدلالة، وأحاديث النبي ﷺ متواترة قالوا إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية لا تصلح لعصرنا الحاضر.

وإذا كانت أحاديث آحاد؛ قالوا لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع، ولا تبنى عليه عقيدة، أو ألغوا بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية، ثم يتهمون الفقهاء بالجمود وضيق الأفق!

إن هذه التجاوزات لو أخذ بها لن تترك من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه فمئتها:

- ١ - رفضهم تطبيق الحدود ويأتون بِشُبُهٍ من هنا وهناك.
- ٢ - إباحتهم الربا بحجة الحفاظ على اقتصاد البلاد، وأن الربا المحرم عندهم هو الربح المركب.
- ٣ - موقفهم من المرأة، والدعوة إلى تحريرها بزعمهم، ودعوتهم لها إلى محاكاة المرأة الغربية في عاداتها.
- وإلى الثورة على الحجاب الشرعي وتعدد الزوجات، يقول مُحمَّد عمارة: (إن تعدد الزوجات وتتابع الزواج، واتخاذ السراري والجواري من سمات عصر الإقطاع والدولة الإقطاعية).
- ويقول الترابي يقصر الحجاب على نساء النبي ﷺ ثم راحوا يسوغون الاختلاط بين الرجال والنساء بعد أن زينوا للمرأة الخروج من بيتها.
- ٤ - أحكام أهل الذمة: كما يرى العصريون أن أحكام أهل الذمة كانت لعصر غير عصرنا وهي الآن لا تناسب عصرنا!.
- ولكن مزاعم التجديد التي رفع هؤلاء لواءها كشفت الحقيقة جلية، وهي أن التجديد لديهم يعني تطوير الدين على طريقة عصرنه الدين عند اليهود والنصارى.
- ولذلك فإن التجديد عندهم يعني: هدم العلوم المعيارية: أي علوم التفسير المأثور وأصوله، وعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث.
- ويعني: رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً بحجة ضرورة ملاءمتها للقياس في عقولهم ولمصلحة الأمة، وظروف العصر الحاضر.
- ويعني: رفض السنة غير التشريعية أي: فيما يخص شؤون الحكم والسياسة، وأمور الحياة والمجتمع عموماً.
- والتجديد عندهم يعني: الانعتاق من إसार الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية، التي تحقق الحرية والتقدم، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة.
- الاجتهاد والتجديد عندهم يعني: تحقيق المصلحة وروح العصر.

ومما سبق يتبين خطرهما وأن كان أصلها مسaire الواقع، والانتهزامية أمام ضغطه مصحوباً ذلك بالجهل بالإسلام أحياناً، وبالهلوى والشهوة أحياناً كثيرة كنتيجة من القياس والاستحسان وغيره.

ومن الآثار الخطيرة لمسaire الواقع وسبل النجاة منها :

١ - الآثار الدنيوية: وذلك بما يظهر على المسائر من فقدان الهوية، وذوبان الشخصية الإسلامية، وبما يتكبده من معاناة في جسده ونفسه وماله وولده.

وهذه كلها مصادر شقاء بخلاف المستسلم لشرع الله، الرفض لما سواه، المنجذب إلى الآخرة فلا تجده إلا مطمئناً ينظر: ماذا يرضى ربه فيفعله، وماذا يسخطه فيتركه، غير مبالٍ برضى الناس، أو سخطهم.

٢ - الآثار الدينية: وهذه أخطر من سابقتها؛ وذلك أن المسائر لواقع الناس، المخالف لشرع الله يتحول بمضي الوقت، واستمرار المعصية إلى أن يألفها، ويرضى بها، ويختفي من القلب إنكارها، وما وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

كما أن المسائر لركب المخالفين لأمر الله لا تقف به الحال عند حد معين من المسaire والتنازل والتسليم للواقع، بل إنه ينزل في مسairته خطوة خطوة.

وكل معصية تسائر فيها الناس تقود إلى معصية أخرى؛ وهكذا حتى يظلم القلب ويصيبه الران؛ ذلك أن من عقوبة المعصية معصية بعدها، ومن ثواب الحسنة حسنة بعدها.

ولكن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزء منها - ولو يسيراً - لا يملك أن يقف عند ما سلم به أول مرة؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء.

٣ - الآثار الدعوية: إن الداعية الذي تظهر عليه مظاهر مسaire الواقع يفقد مصداقيته عند نفسه وعند الناس، وإن لم يتدارك نفسه، فقد يئأس ويخسر، ويترك الدعوة وأهلها.

فكيف يساير الواقع من هو مطالب بتغيير الواقع وتسييره؟! وكلما كثر المسايرون؛ كثر اليائسون والمتساقطون؛ وهذا بدوره يؤدي إلى ضعف الدعوة، وضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وسبل النجاة أو الوقاية من هذه الفتنة : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾^{١٣٨}.

فأول سبيل من سبل النجاة هو سؤال الله، وصدق العزيمة، والأخذ بأسباب الثبات ومنها:

١ - فعل الطاعات، وامتنال الأوامر واجتناب النواهي: كما قال عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا ﴾^{١٣٩}.

فذكر سبحانه في هذه الآية أن شدة الثبوت تكون لمن قام بفعل ما يوعظ به من فعل الأوامر، وترك النواهي فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق.

٢ - مصاحبة الصادقين، الرافضين للواقع السيئ: والسعي معهم في الدعوة إلى الله، وتغيير الواقع السيئ في نفوسهم وأسرهم ومجتمعاتهم، واعتزال أهل الدنيا الراكنين لها، والمسايعين فيها، والمتبعين لكل ناعق، وترك مخالطتهم إلا لدعوتهم، أو ما تدعو الحاجة إليه؛ لأن المجالسة تؤول إلى المؤانسة والمجانسة.

٣ - التفقه بالدين، والبصيرة في شرع الله من خلال موالاة أهل البيت عليهم السلام لأن المسايرة عند بعض الناس تنبع من جهل بالشريعة وأحكامها ومقاصدها، مع أن أكثر المسايرين المخالفين للشريعة إنما يدفعهم لمسايرة الهوى والضعف.

٤ - نشر المناصحة وإشاعتها بين المسلمين لأن السكوت على المخالفات، وضعف المناصحة بين المسلمين من أسباب التلبس بالمنكرات، ومسايرة الناس فيها.

١٣٨ - سورة الاسراء ٧٤ .

١٣٩ - سورة النساء ٦٦ .

طاء : المرأة في كتب الصحاح والمسانيد عند أهل السنة

مراجع أهل السنة مثل صحيح البخاري ذكر في حديث : ٤٧٠٦ كتاب النكاح : باب ما يتقى من شؤم المرأة قال: حَدَّثَنَا آدَمُ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَثْمَانَ التَّهْدِيَّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ .. قَالَ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.

وكذلك في البخاري عنده ان النساء ناقصات عقل ودين كما في حديث رقم : ٢٩٣ كتاب الحيض : باب ترك الحائض الصوم قال:

حَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ .. فِي أَضْحَى أَوْ فِطْرٍ إِلَى الْمُصَلَّى فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيْتُكُمْ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ فَقُلْنَ وَيْمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ وَتُكْفِرْنَ الْعَشِيرَ مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تُصُمْ قُلْنَ بَلَى قَالَ فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا.

ومثله في سنن ابن ماجه حديث : ٣٩٩٣ وكذلك في سنن أبو داود حديث : ٤٠٤٩ وصحيح البخاري حديث : ١٣٦٩ ، ٢٤٦٤ ، وصحيح مسلم حديث : ١١٤ ، ومسنند أحمد حديث : ٥٠٩١ .

وحاشا للرسول ﷺ يقصد ذلك فأخلاقه الربانية لا تسمح بمثل هذه الاساليب التي غايتها التنبيه .

واما في صحيح مسلم حديث : ٤٩٢٤ كتاب : الذكر والودعاء والتوبة والاستغفار باب : أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء قال:

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .. أَنَّهُ قَالَ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِي النَّاسِ فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.

وكذلك سنن ابن ماجه حديث : ٣٩٨٨ كتاب الفتن : باب فتنمة النساء قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .. مَا أَدْعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ^{١٤٠}.

١٤٠ - صحيح مسلم : ٤٩٣٣ ، وسنن الترمذي حديث : ٢٧٠٤ ، ومسنند أحمد حديث : ٢٠٧٥١ ، ٢٠٨٢٨ .

وكذلك رأي البخاري ومسلم وغيره ان المرأة ضلع أعوج في حديث : ٤٧٨٦ كتاب النكاح :
باب المدارة مع النساء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ .. قَالَ الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ إِنْ أَقْمَتَهَا كَسَرَتْهَا وَإِنْ
اسْتَمْتَعَتْ بِهَا اسْتَمْتَعَتْ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ.

ومثله في سنن الترمذي حديث : ١١٠٩ كتاب : الطلاق واللعنات عن رسول الله وكذلك في
سنن الدارمي حديث : ٢١٢٥ كتاب النكاح : باب في مدارة الرجل أهله وفي صحيح البخاري حديث
: ٣٠٨٤ ، ٤٧٨٧ ، ٥٥٥٩ ، صحيح مسلم حديث : ٢٦٦٩ ، ٢٦٧٠ ، ٢٦٧١ ، مسند أحمد
حديث : ٩١٥٩ ، ٩٤١٩ ، ١٠٠٤٤ ، ١٠٤٣٦ .

وشبهت المرأة بالكلاب والخمير في البخاري حديث : ٤٨٤ كتاب الصلاة : باب من قال لا
يقطع الصلاة شيء.

وكذلك مثله في صحيح مسلم حديث : ٧٩٥ كتاب الصلاة : باب الاعتراض بين يدي
المصلي^{١٤١}.

ولاحظ ردود بعض العلماء مثل تبرير بن تيمية الضعيف حينما شبهت المرأة بالكلاب حيث
قال:

(كل موجودين فلا بد أن يكون بينهما نوع مشابهة ولو من بعض الوجوه البعيدة ورفع ذلك من
كل وجه رفع للوجود)^{١٤٢}.

ولاحظ التشبيه في رد القرطبي حيث قال : (ذلك أن المرأة تفتن ، والحمار ينهق ، والكلب يروع
، فيتشوش المتفكر في ذلك حتى تنقطع عليه الصلاة وتفسد)^{١٤٣}.

هنا خرج الرجل وبره ونزله وكأنه لا يوجد رجل يفتن المرأة بجماله وقوة جسمه والمرأة فقط هي
المذنبه وحدها.

١٤١- عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يَقْطَعُ الصَّلَاةَ الْمَرْأَةُ وَالْحِمَارُ وَالْكَلْبُ ، وَيَقْبِي ذَلِكَ مِثْلُ مُؤَخَّرَةِ الرَّجُلِ)
رواه مسلم (٥١١) وعلم أن (وجه الشبه) المقصود أن المرأة في درجة هذه الدواب والعياذ بالله ، فهذا ساقط
وتافه القول ، والسيدة عائشة عندما سمعت هذا الحديث فقالت : (شَبَّهْتُمُونَا بِالْخَمْرِ وَالْكِلَابِ) رواه البخاري
(٥١٤)! راجع : صحيح البخاري حديث : ٤٨١ ، ٤٧٨ ، ٤٨٩ ، صحيح مسلم حديث : ٧٩٤ ، ٧٩٣ ،
سنن أبي داود حديث : ٦١١ ، ومسند أحمد حديث : ٢٣٠٢٤ .

١٤٢- بيان تلبيس الجهمية ٧ / ٥٦٩ .

١٤٣- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ٢ / ١٠٩ .

ولاحظ قول ابن رجب بعد ما ذكر نحواً من هذا التأويل لك أن تقيم هذا الكلام من أكابر العلماء حيث قال:

(أمر المصلي بالاحتراز من دخول الشيطان في هذه الخلوة الخاصة ، والقرب الخاص ؛ ولذلك شرعت السترة في الصلاة خشية من دخول الشيطان ، وكونه وليجة في هذه الحال... المرأة ؛ فإن النساء حبايل الشيطان... والكلب الأسود: شيطان ، كما نص عليه الحديث. وكذلك الحمار... لكن النقص الداخل بمرور هذه الحيوانات التي هي بالشيطان أخص)^{١٤٤}.

فهل غفلوا ان القرآن يخاطب المرأة كما يخاطب الرجل والنصوص على هذا كثيرة.

كقوله تعالى : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)^{١٤٥}.

وكقوله تعالى : (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)^{١٤٦}.

وعندهم ان الملائكة تلعن المرأة كما في البخاري حديث : ٢٩٩٨ كتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة.

ومثله في سنن أبي داود حديث : ١٨٢٩ كتاب النكاح : باب في حق الزوج على المرأة ومسند أحمد حديث : ٧١٥٩ .

وكذلك في كتاب مسند المكثرين : باب مسند أبي هريرة^{١٤٧}.

وسنختصر خشية الاطالة وعندهم الشؤم في ثلاث منها المرأة^{١٤٨}.

١٤٤ - فتح الباري لابن رجب ٤ / ١٣٥.

١٤٥ - سورة النحل ٩٧ .

١٤٦ - سورة الاحزاب ٣٥ .

١٤٧ - راجع : صحيح البخاري حديث : ٤٧٩٤ ، ٤٧٩٥ ، صحيح مسلم حديث : ٢٥٩٤ ، ٢٥٩٥ ، ٢٥٩٦

، سنن الدارمي حديث : ٢١٣١ ، مسند أحمد حديث : ٨٢٢٤ ، ٨٦٥٢ ، ٩٢٩٤ ، ٩٦٦٤ ، ٨٣٥ ،

١٠٣١٣ ، ١٠٥٢٤ .

وكذلك اذا ادبرت المرأة فهي تُدبر في صورة شيطان^{١٤٩}.

وفي الصحاح ان المرأة سلعة^{١٥٠} وخدمة (لانها مُلك الرجل)^{١٥١} ، واجبارها على رضاع الرجل الكبير الاجنبي عنها .

وهناك الكثير من هذه التي لم ينزل الله بها من سلطان^{١٥٢}.

١٤٨- راجع: البخاري حديث : ٤٧٠٤ كتاب النكاح : باب ما يتقى من شؤم المرأة حديث : ٤٧٠٥ وراجع صحيح البخاري حديث: ٢٦٤٦ ، ٤٧٠٣ ، ٥٣١٢ ، ٥٣٢٩ ، صحيح مسلم حديث : ٤١٢٧ ، ٤١٢٨ ، ٤١٢٩ ، ٤١٣٠ ، سنن الترمذي حديث : ٢٧٤٩ ، سنن النسائي حديث : ٣٥١٢ ، ٣٥١٣ ، سنن ابي داود حديث : ٣٤٢١ ، سنن ابن ماجة حديث: ١٩٨٥ ، وموطأ مالك حديث : ١٥٣٨ .

١٤٩- راجع : سنن الترمذي حديث : ١٠٧٨ كتاب : الرضاع باب : ما جاء في الرجل يرى المرأة تعجبه وصحيح مسلم حديث : ٢٤٩١ كتاب : النكاح باب : ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه إله أن يأتي وراجع : سنن ابي داود حديث : ١٨٣٩ كتاب النكاح : باب ما يؤمر به غض البصر ومسند أحمد حديث : ١٤٠١٠ كتاب : باقي مسند المكثرين باب : مسند جابر بن عبد الله

١٥٠- راجع : تفسير البغوي لسورة النور ص ٣٥ سنن الدارمي حديث : ٢٠٨٩ كتاب : النكاح باب : النهي عن النكاح بغير ولي. وراجع : مسند أحمد حديث : ٢٣٢٣٦ كتاب باقي مسند الانصار : باب حديث السيدة عائشة. وراجع : سنن ابن ماجة حديث : ١٨٦٩ كتاب النكاح: باب لا نكاح إلا بولي. وراجع : سنن الترمذي حديث : ٢١٠٦ كتاب النكاح : باب الشرط في النكاح. وراجع سنن الترمذي حديث ١٠٢١ ، وراجع : سنن ابي داود ١٧٨٤ ، ١٨٢٧ ومسند أحمد حديث : ٢٣٠٧٤ . وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : حرف الحاء أحكام حجة الوداع حديث ١٢٣٠٤ وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : حرف النون الفصل الاول في الولاية والاستئذان حديث ٤٤٦٤٤ .

١٥١- راجع : مسند أحمد حديث : ١٣٧٨٦ وحديث : ١٤٣٣٢ كتاب : باقي مسند المكثرين باب: مسند جابر بن عبد الله . وراجع : سنن الترمذي حديث : ١٠١٩ كتاب : النكاح عن رسول الله باب : ما جاء في تزويج الأبكار . وراجع : صحيح البخاري حديث : ٤٩٤٨ كتاب النفقات : باب عون المرأة زوجها في ولده وصحيح البخاري حديث : ٥٩٠٨ كتاب الدعوات : باب الدعاء للمتزوج.

١٥٢- كما في مسند الامام أحمد حديث: ٢٤٩٢٠ كتاب : باقي مسند الأنصار قال :

١ - عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ سَهْلَةَ ابْنَةَ سَهْلٍ بَنَ عَمْرٍو فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَالِمًا كَانَ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَأَنَا وَاضِعَةٌ ثَوْبِي ثُمَّ إِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيَّ الْآنَ بَعْدَمَا شَبَّ وَكَثُرَ فَأَجِدُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ قَالَ فَأَرْضِعِيهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ بِالَّذِي بَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ . ومثله أيضاً في مسند أحمد حديث: ٢٤٧٢٤ . وراجع : سنن الدارمي حديث : ٢١٥٧ (يَدْخُلُ عَلَيْنَا وَأَنَا فُضِّلُ) ، وسنن ابي داود حديث : ١٧٦٤ (فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ فَضْلًا) . وكلمة (فُضِّلُ): هو الثوب الذي يتبدل في النوم أو الشغل وغيره.

واما ما ذكر في قوله تعالى (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)^{١٥٣} وقوله تعالى (وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ..) ^{١٥٤}.

وقوله تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم..﴾^{١٥٥} وقوله تعالى ﴿وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^{١٥٦}.

وقوله تعالى (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا قَبْلُ وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا)^{١٥٧} وقوله تعالى (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)^{١٥٨}.

٢ - في موطأ الامام مالك حديث : ١١١٣ . وسنن أبي داود حديث : ١٧٦٤ ... فَقَالَ هَا النَّبِيُّ .. أَرْضِعِيهِ فَأَرْضَعَتْهُ حَمْسَ رَضَعَاتٍ فَكَانَ بِمَنْزِلَةِ وَلَدِهَا مِنَ الرِّضَاعَةِ فَبَذَلَكَ كَانَتْ عَائِشَةُ تَأْمُرُ بَنَاتِ أَخَوَاتِهَا وَبَنَاتِ إِخْوَتِهَا أَنْ يُرْضِعْنَ مَنْ أَحَبَّتْ عَائِشَةُ أَنْ يَرَاهَا وَيَدْخُلَ عَلَيْهَا وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا حَمْسَ رَضَعَاتٍ ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَيْهَا.

٣ - مسند الامام أحمد حديث : ٢٥٧٦٤ كتاب : باقي مسند الانصار ... عَنْ سَهْلَةَ امْرَأَةِ أَبِي حُدَيْفَةَ أَنَّهَا قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُدَيْفَةَ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَهُوَ ذُو لَحْيَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ .. أَرْضِعِيهِ فَقَالَتْ كَيْفَ أَرْضِعُهُ وَهُوَ ذُو لَحْيَةٍ فَأَرْضَعَتْهُ فَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا.

وراجع: سنن الامام النسائي حديث : ٣٢٦٧ ، صحيح الامام مسلم حديث : ٢٦٤٠ .

واما خلاصة رضاع الكبير تجدها في : صحيح مسلم حديث رقم : ٢٦٣٤ ، ٢٦٣٥ ، ٢٦٣٦ ، ٢٦٣٧ ، ٢٦٣٨ ، ٢٦٣٩ ، ٢٦٤٠ ، ٢٦٤١ .

وكذلك في سنن ابن ماجه حديث رقم : ١٩٣٢ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٧

وكذلك في سنن أبي داود حديث رقم : ١٧٦٢ ، ١٧٦٤

وكذلك في مسند الامام النسائي حديث رقم : ٣٢٦٧ ، ٣٢٦٨ ، ٣٢٦٩ ، ٣٢٧٠ ، ٣٢٧١ ، ٣٢٧٢ ، ٣٢٧٣

وكذلك في سنن الدارمي حديث رقم : ٢١٥٦ ، ٢١٥٧

وكذلك مسند أحمد حديث رقم : ٣٩٠٥ ، ٢٢٩٧٩ ، ٢٤٢٤٥ ، ٢٤٤٦٩ ، ٢٤٧٢٤ ، ٢٤٩٢٠ ، ٢٤٩٨٣ ، ٢٥١١١ ، ٢٥١١٢ ، ٢٥٤٤٠ ، ٢٥٧٦٤

وكذلك في موطأ مالك حديث رقم : ١١٠٦ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ . وكذلك الفخر الرازي لاعلام الخلف الفصل الثاني: بند ٧٦٤.

١٥٣- سورة النساء ١١ .

١٥٤- سورة البقرة ٢٨٢ .

١٥٥- سورة البقرة ٣٤ .

١٥٦- سورة النساء ٣٤ .

ليتخذ البعض من قول تعالى (لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ)^{١٥٩} قاعدة مطردة نافذة في حال كل رجل وامرأة يلتقيان على قسمة ميراث.

ويكفينا للرد عليهم أن نقول لهم انظروا إلى بداية الآية إن الآية تبدأ بقول الله تعالى: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ).

إذن فبيان الله تعالى يقرر هذا الحكم في حق الولدين أو الأولاد. ، ويجب أن لا ننسى أن المرأة في بعض الأحيان ترث بقدر ما يرث الرجل وأحياناً أخرى ترث أكثر منه وكمثال على كل من الحالتين نذكر هاتين القاعدتين الفقهيتين :

إذا ترك الميت أولاداً وأباً وأماً، ورث كل من أبويه سدس التركة، دون تفريق بين ذكورة الأب وأنوثة الأم، وذلك عملاً بقوله تعالى: (وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ)^{١٦٠}.

وإذا تركت المرأة المتوفاة زوجها وابنتها، فإن ابنتها ترث النصف، ويرث والدها الذي هو زوج المتوفاة، الربع، أي إن الأنثى ترث هنا ضعف ما يرثه الذكر.

وهذا التفاوت ، في هذه الحالة بالذات - الحالة التي تثار حولها الشبهة - هي أن الذكر هنا مكلف بإعالة أنثى . هي زوجه . مع أولادها.

بينما الأنثى الوارثة أخت الذكر إعالتها ، مع أولادها ، فريضة على الذكر المقترن بها.. فهي . مع هذا النقص في ميراثها بالنسبة لأخيها ، الذي ورث ضعف ميراثها ، أكثر حظاً وامتيازاً منه في الميراث.

فميراثها . مع إعفائها من الإنفاق الواجب . هو ذمة مالية خالصة ومدخرة ، لجبر الاستضعاف الأنثوي ، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات.. وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين^{١٦١}.

واما قوله تعالى (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ)^{١٦٢}.

١٥٧ - سورة النساء ٣ .

١٥٨ - سورة النساء ١١ .

١٥٩ - سورة النساء ١١ .

١٦٠ - سورة النساء ١١ .

١٦١ - حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين - النموذج الإسلامى لتحرير المرأة .

١٦٢ - سورة البقرة الآية ٢٨٢ .

وهي الشهادة، فقد كانت هي الأخرى دليلاً آخر على ظاهرة اللامساواة بين الرجل والمرأة، وأساس ذلك عندهم قول الله تعالى:

(وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ^{١٦٣}) .

والشروط التي تراعى في الشهادة، ليست عائدة لوصف الذكورة أو الأنوثة في الشاهد، ولكنها عائدة في مجموعها إلى أمرين اثنين:

الامر الأول : عدالة الشاهد وضبطه.

الامر الثاني : أن تكون بين الشاهد والواقعة التي يشهد بها صلة تجعله مؤهلاً للدراية بها والشهادة فيها.

إذن فشهادة من خدشت عدالته، أو لم يثبت كامل وعيه وضبطه، لا تقبل، رجل كان الشاهد أو امرأة.

كذلك لا بدّ من أن يتحقق القدر الذي لا بد منه من الانسجام بين شخص الشاهد والواقعة التي يشهد فيها، وإلا ردت الشهادة رجلاً كان الشاهد أو امرأة، وإن تفاوتت العلاقة بين القضية التي تحتاج إلى شهادة وأشخاص المتقدمين للشهادة، كانت الأولوية لشهادة من هو أكثر صلة بهذه المسألة وتعاملاً معها.

وانطلاقاً من القاعدة، فإن الشارع يرفض شهادة المرأة على وصف جنائية ما وكيفية ارتكاب الجاني لها لأن تعامل المرأة مع الجرائم وجنایات القتل ونحوها، يكاد يكون من شدة ندرته معدوماً.

وأكثر النساء لو صادفت عملية سطو من هذا القبيل، فستهرب من هذا المشهد بكل ما تملك، والعكس من ذلك شهادة المرأة من أمور الرضاعة والحضانة والنسب.

فإن الأولوية والترجيح فيها لشهادة المرأة ، إذ هي أكثر اتصالاً بهذه الأمور من الرجل، بل ذهب الشعبي إلى أن هذه الأمور مما لا يصح فيها إلا شهادة النساء فقط.

واما قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم^{١٦٤}) .

١٦٣ - سورة البقرة ٢٨٢ .

١٦٤ - سورة البقرة ٣٤ .

قال تعالى : ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم ﴾^{١٦٥}
وهذه الدرجة هي درجة القوامة ، وقال تعالى :

﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً ﴾ * ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان و الأقربون والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شيء شهيداً * الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم...﴾^{١٦٦}.

لاحظ من الآيات الكريمة أن الله تعالى قرن بين المساواة بين الرجل والمرأة وقوامة الرجل فهذه القوامة درجة تكليف لا تشريف.

فالإسلام كرم المرأة أيما إكرام ففرض على الرجل أن يؤمن لها كل ما تحتاجه وهي جالسة في بيتها وتعيش عيشة الملوك ! وفرض عليه أن يعاملها كما يجب أن تعامله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف).

وعن بن عباس الذي دعا له رسول الله ﷺ أن يفقهه الله في الدين : (إنني لأتزين لامرأتي ، كما تتزين لي ، لهذه الآية).

وفرض عليه أن يشاورها في أموره كما عن رسول الله ﷺ أنه دخل يوم صلح الحديبية على أم سلمة عليها السلام يشكو إليها أمر الصحابة فخرج رسول الله ﷺ وفعل ما قالت أم سلمة عليها السلام^{١٦٧}.

والقوامة التي أخبر الله عنها هي قوامة إدارة ورعاية، لا قوامة تحكّم بل إن كلمة (قوامة) لا تصلح في مدلولها اللغوي لهذا الوهم الثاني فقط ، والله تعالى لم يجعل لرجولته سلطاناً يبرر ذلك.

وأثبت الله عز وجل في مكانها ما لم يعرفه أي قانون وضعي إلى اليوم، وهو ما يعبر عنه في الشريعة الإسلامية بالولاية المتبادلة، فقال: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾^{١٦٨}.

فإذا أسقط البيان الإلهي ولاية الرجل على المرأة بهذا القرار الواضح الجلي، فأى معنى بقي إذن للقوامة التي أخبر في هذه الآية عنها؟.

١٦٥ - سورة البقرة ٢٢٨ .

١٦٦ - سورة النساء ٣٢ - ٣٤ .

١٦٧ - صحيح البخاري ح ٢٥٨١ .

١٦٨ - سورة التوبة الاية ٧١ .

المعنى الباقي لها هو الإدارة والرعاية، ومصدر استحقاق الرجل للأولى، والسبب كونه هو المنفق عليها والقانون الدولي العالمي يقول: (من ينفق يشرف).

أما مصدر رعايته لها، فما قد قضى به الله الفاطر الحكيم من أن سعادة كل من الرجل والمرأة، في أن تكون المرأة في كنف الرجل، لا أن يكون الرجل في كنف المرأة، وإن واقع الدنيا كلها أفصح بيان ينطق بذلك^{١٦٩}.

وقوله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾^{١٧٠}.

إن الله سبحانه وتعالى أمر بهذا الأمر بعد عدة وسائل لإصلاح الزوجة وحفظ البيت المسلم من الانهيار وهي الوعظ الكلامي ثم الهجر الذي يعد من العقوبات النفسية.

وإذا لم تنجح كل هذه الطرق فعلى الزوج أن يلجأ لعقوبة نفسية أشد من الهجر فهو لا يقصد به الإيذاء أبداً وإنما هو كضرب الرجل ابنه لا يعدو أن يكون تأديباً على خلاف الآراء من العلماء.

فإذا قيل لماذا يكون حق التأديب حكراً على الرجال دون النساء ؟ فإن الجواب على هذا يكون بأننا اتفقنا أن الرجل هو القوام على المرأة وأن المرأة تعيش تحت كنفه وفي رعايته.

فلهذا يكون هو الرئيس والمدير العام لشؤون البيت وأي خطأ يرتكبه أفراد البيت فيجب عليه هو القيام بمهمة التأديب.

وأما إذا جعلنا كلاً من المرأة والرجل رئيسين لمؤسسة واحدة فلا يجتمعان ولن تؤدي هذه المؤسسة التي تصنع للمجتمع أفرادها مهمتها العظيمة الموكولة إليها.

وكل هذه ناتجة من روايات أهل السنة في الصحاح في أمر الإسلام وشرعته حتى تلاحظ تركيزاً شديداً على أمور الإمارة فقد قال حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرِّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَخَرْنَا فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ نَعَمْ.

قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ كَيْفَ. قَالَ ﷺ :

١٦٩- راجع : الدكتور البوطي - ردود على أوهام حول حقوق المرأة في الإسلام .

١٧٠- سورة النساء الآية ٣٤ .

« يَكُونُ بَعْدِي أئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ وَلَا يَسْتَنْتُونَ بِسُنَّتِي وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ ».

قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَذْرَكْتُ ذَلِكَ قَالَ ﷺ « تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِع »^{١٧١}.

يعني الطاعة العمياء وكيف بروايات الظالم والظلمة فما تسمى هذه الشريعة؟

وكذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمَنْ أَطَاعَ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ عَصَى الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي وَالْأَمِيرُ بِحُجَّتٍ فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا وَإِذَا قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ فَقُولُوا اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ فَإِنَّهُ إِذَا وَافَقَ ذَلِكَ قَوْلَ الْمَلَائِكَةِ غُفِرَ لَكُمْ وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا فُجُودًا »^{١٧٢}.

فهل هذه مكانة المرأة في الإسلام أنهن (ناقصات عقل ودين)^{١٧٣} أو قوله (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَتَوْهُنَّ أَمْرُهُنَّ أَمْرًا)^{١٧٤}.

فهنا أمر يثير العجب!

فالذين يناقشون هذا الموضوع يتسترون على فرضية لهم في أذهانهم، مفادها ان عقل الرجل لا اشكالية فيه، بل هو كامل مكتمل.

والحقيقة الصارخة ان عقل الإنسان برمته كان ولا يزال مثار بحث ونقاش وجدل لا ينتهي عند حد معين. وربما تجد المرأة العزاء والسلوى، بسبب امتهاها في عقلها، في هذه الحقيقة، وفي حقيقة ان الامتهان قد امتد ليصيب الإسلام في عقله كله بمن فيه وبما فيه^{١٧٥}.

١٧١- حديث ٤٨٩١ - الإمامة - صحيح مسلم.

١٧٢- حديث ٩٢٥٢ - مسند أبي هريرة - مسند أحمد.

١٧٣- صحيح البخاري كتاب الحيض ٣٠٤ صحيح مسلم ٢٥٠ .

١٧٤- رواه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود والإمام أحمد .

١٧٥- راجع : رأي علماء الإسلام في عقل المرأة . تأليف : عزيز أبو خلف .

فالذين انتقدوا موقف الاسلام من عقل المرأة، ولا سيما من المسلمين، قد بخسوه قدره في عقله كله، من حيث الأساس الذي يقوم عليه.

فهم يعتقدون ان التدوين الذي هو أصل حضارة الإسلام وفكره قد قام على لغة البدو والأعراب، لغة الرمل والبعير، لغة الانفصال والربط.

فالعقل مشتق من عقل البعير وعقاله، ومن رنطه هو وغيره من البهائم التي يعايشها ذلك البدوي الجلف.

ذلك ما يراه مفكري العرب، الذين يوجهون افواه البنادق والمدافع والصواريخ إلى هذا الدين من الداخل والخارج.

واما حديث ناقصات عقل ودين ؟

هذا الحديث رواه الشيخان وأصحاب السنن، بألفاظ مختلفة عن عدد من الصحابة، فلقد روى مسلم في صحيحه كتاب الإيمان أن رسول الله ﷺ قال:

يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ وَأَكْثِرْنَ الْاسْتِغْفَارَ، فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ. فقالت امرأة منهن جَزَلَةٌ: وما لنا يا رسول الله أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ؟

قال: تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وما رأيت من ناقصات عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍّ مِنْكُنَّ. قالت يا رسول الله وما نقصانُ العقل والدين؟

قال: أما نُقصانُ العقل فشهادة امرأتين تغدُلُ شهادةَ رَجُلٍ، فهذا نقصان العقل، وَتَمَكُّثُ اللَّيَالِي ما تُصَلِّي، وَتُفْطِر في رمضان، فهذا نقصان الدين؟.

ومعنى الجزلة أي ذات العقل والرأي والوقار، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ أي تُنكرن حقه.

ليس هناك أي إشكال في ثبوت الحديث، فقد رُوي من طرق متعددة صحيحة وفي أكثر من كتاب، على الرغم من وجود من ينكر الحديث أو يضعفه أو ينجل من ذكره.

يكمن الاختلاف في فهم الحديث وتباين النظرات إليه، بناءً على تفسيرات ونظريات متعددة.

ف نجد من يقبل الحديث قبولاً تاماً بمعناه الظاهر، ويحتج بحال المرأة في مختلف المجتمعات، وبإنجازات الرجال العظيمة.

وهناك من يستند لنظرية الممازحة باعتبار ان الحديث قد قيل في مناسبة عيد، وهناك من يعتمد نظرية العاطفة لكون المرأة تغلب عليها العواطف بعكس الرجال.

ونجد من يعتبر ان الحديث يخبر عن واقع لا بد من تغييره. كما ان هناك من قصر نقصان العقل على الحالة التي وردت بالحديث، ولا يتعدها إلى غيرها.

نقول : رأينا في ان نقصان العقل ليس خاص بالمرأة، بل ويعم الرجل أيضاً، وذلك وفق نص الحديث ومدلوله، ووفق مفهوم العقل كما ينبغي ان يكون.

وليس أدل على ذلك من ان القرآن قد وصف الكفار بأنهم لا عقول لهم أو ان أكثرهم كذلك. وهؤلاء فيهم العظماء والعباقرة وعِلْيَةُ القوم، أي ان فيهم الرجال والنساء على حد سواء.

- آراء علماء أهل السنة في عقل المرأة

سنعرض في الفقرات آراء العلماء من أئمة اهل السنة لمثل حديث (ناقصات عقل ودين) وسوف تقتصر في هذه على آراء العلماء السابقين مثل:

رأي البخاري :

أختلف أصحاب التراجم في عدد مؤلفات البخاري ، فالمشهور أنه كتب سبعة عشر كتابا في الحديث والرجال والتاريخ وغيرها التي عبر عن رأيه بالمرأة ولكن أكثرها تجدها في كتاب (الجامع الصحيح).

وقد اهتم أهل السنة بكتب البخاري جميعها اهتماما كبيرا وخاصة الجامع الصحيح ، ولا يوجد في أي ملة كتاب له من الشأن مثل ما للجامع الصحيح عند أهل السنة.

ومن فتاوى البخاري العجيبة وإليك شطرا منها :

١ - يجوز للمرأة أن تخدم الرجل الأجنبي حتى ولو كانت شابة ، وحديثة عهد بالزواج .

٢ - لا يجب على المرأة أن تستر نفسها من العبد حتى لو كان ملكا لغيرها.

٣ - يطهر محل المني بإزالة عين النجاسة كما يطهر بالغسل.

- ٤ - لا يجب غسل الجنابة ما لم يخرج المني ، بل يستحب.
- ٥ - يجوز ترك الصلاة في الأوقات الحرجة مثل الجهاد و ثم تقضى.
- ٦ - يجوز تدهين البدن بدهن الميتة.
- ٧ - يجوز استعمال المشط المصنوع من عظم الميتة .
- ٨ - لا إشكال في اللعب بأسلحة الحرب مثل السيف والسهام وإنشاد الشعر في المساجد.
- ٩ - ومن فتاويه النكرة العجيبة ترتب حكم الرضاع بلبن الحيوانات ، فمثلا إذا رضع طفلان من لبن العنز أو البقر للمدة المقررة ، ترتب عليهما أحكام الرضاع وثبتت به الأخوة.

رأي ابن حزم قال:

نقصان العقل والدين يقتصر فقط على الشهادة والحیض، ولا يتعداهما إلى غيرهما... وهذا
النقصان لا يوجب نقصان الفضل.

لاحظ ان ابن حزم أقر وصدق الحديث ونسب النقص للمرأة.

رأي ابن تيمية

وقد لخص ابن القيم رأي شيخه ابن تيمية في عقل المرأة وشهادتها كما يلي: فيه دليل على أن
استشهاد امرأتين مكان رجل إنما هو لإذكار إحداهما الأخرى إذا ضلت، وهذا إنما يكون فيما يكون فيه
الضلال في العادة، وهو النسيان وعدم الضبط.

... أن شطر شهادتين إنما هو لضعف العقل لا لضعف الدين، فُعُلم بذلك أن عدل النساء بمنزلة
عدل الرجال، وإنما عقلها ينقص عنه. فما كان من الشهادات لا يُخاف فيه الضلال في العادة، لم تكن
فيه على نصف رجل.

وما يُقبل فيه شهادتُهم منفردات إنما هو أشياء تراها بعينها، أو تلمسها بيدها، أو تسمعها بأذنها،
من غير توقف على عقل، كالولادة والاستهلال والارتضاع والحیض والعيوب تحت الثياب.

وأضاف إليه ابن القيم: ان شهادة الرجل الواحد أقوى من شهادة المرأتين، لأن النساء يتعذر غالباً حضورهن مجالس المحاكم، وحفظهن وضبطهن دون حفظ الرجال وضبطهم.

هنا أسأل بن تيمية وابن القيم ما رأيكم بالسيدة زينب بنت الامام علي والسيدة سكينة والسيدة ام البنين ام ابو الفضل العباس بن علي وحتى فضة خادمة الزهراء وغيرهن كثير فهل يشملهن حديثكم هذا.

رأي النووي قال :

اللب هو العقل ، والمراد كمال العقل ، ونقصان العقل أي علامة نقصانه. وهو تنبيه منه ...
ويعني أنهن قليلات الضبط .

رأي ابن حجر قال :

ذكر في معرض شرحه لسؤال النساء: (وما نقصان ديننا وعقلنا)، كأنه خفي عليهن ذلك حتى سألن عنه.

ونفس السؤال دال على النقصان، لأنهن سلّمن ما نُسب إليهن من الإكثار والكفران والإذهاب،
ثم استشكلن كونهن ناقصات عقل.

ثم قال ابن حجر : لأن الاستظهار بأخرى مؤذن بقلّة ضبطها ، وهو مشعر بنقص عقلها. وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك، لأنه من اصل الخلقة، لكن التنبيه على ذلك خوفاً من الافتتان بهن. ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره لا على النقص . انتهى كلام ابن حجر.

لاحظ هنا اعتراف صريح بنقصان المرأة حسب رأيه ولم يذكر أي امرأة لكي يستثنيها من كلامه
فشمل فاطمة الزهراء عليها السلام وغيرها . والله العالم .

الفصل الثاني

حجاب النساء

يعتبر من الحقوق حرية الحجاب فقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ .

فعن الامام علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: واكفف عليهن من ابصارهن بحجبك اياهن، فان شدة الحجاب خير لك ولهن، وليس خروجهن باشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن، وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل.

وعن رسول الله ﷺ: صنفان من اهل النار لم ارهما: قوم معهم سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كاسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا.

وعن الامام علي عليه السلام: كنت قاعدا في البقيع مع رسول الله ﷺ في يوم دجن ومطر، اذ مرت امرأة على حمار، فهوت يد الحمار في وهدة فسقطت المرأة، فاعرض النبي ﷺ بوجهه.

قالوا: يارسول الله، انما متسرولة. قال: اللهم اغفر للمتسرولات - ثلاثا - يا ايها الناس، اتخذوا السراويلات فانها من استر ثيابكم، وحصنوا بها نساءكم اذا خرجن.

والحجاب يعتبر الزى الشرعي ولطالما كانا هما هوية للفتاة المسلمة تعبر عن مدى تمسكها بدينها وعقيدتها الإسلامية وتعاليم دينها.

وبمقدار التزامها بالزي الشرعي والحجاب تستطيع أن تحكم على أخلاقها وتربيتها، فأى بنت فاسدة خارجة عن تشريعات دينها والطريق القويم الذي رسمه لها الإسلام فأول ما تتخلى عنه من دينها هو زيها الشرعي (حجابها) لكي تستجيب لمغريات الحياة ومفاسدها.

وفي التحديات الاجتماعية التربوية المعاصرة للمرأة المسلمة^{١٧٦} بذل أعداء الإسلام جهود كبيرة لا يمكن إنكارها وما زالوا في محاولات مستمرة لينزعوا من المرأة المسلمة حجابها الذي كرمها الإسلام به.

وكل يوم يخرجون بحجة جديدة ليدفعوا المرأة المسلمة لخلع حجابها، فتارة يقولوا أن الحجاب رمز للتخلف والرجعية، وتارة يقولون أن الحجاب له آثار سلبية على الشعر وصحته.

وتارة أخرى وهي الأشد إيلاماً ومع الأسف تنبأها بعض مدعي الإسلام أنهم بدءوا بتفسير آيات الحجاب تفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان.

بدعوى أن الحجاب كان لفترة معينة ولأناس معينين وانتهى، أو أن الحجاب له معاني أخرى غير التي نعرفها، ومما زاد الدين بلة خروج أناس يتبنون هذه الأفكار على شاشات التلفاز وينادون بها وأمور كثيرة غيرها مما يطعن الإسلام في ظهره ممن يدعون أنفسهم فقهاء (ولكن بلا فقه).

وتبنى بعض المفكرين العرب أفكار هدامة هدفها دفع المرأة المسلمة لخلع حجابها وألفوا العديد من الكتب التي تحرض على ذلك.

ولكن المسلمات الثابتات لم يخضعن لهذه المغريات وثبتن عل حجابهن مما دفع بعض الدول لاستخدام أساليب أخرى لتمنع الحجاب بالقوة^{١٧٧}.

١٧٦- انظر : كتاب التحديات الاجتماعية التربوية المعاصرة للمرأة المسلمة ، الاستاذة : فتن أبو شوقة بحث مقدم إلى مؤتمر الإسلام والتحديات المعاصرة .

١٧٧- نذكر منها :

كتاب : المرأة في الشرق ، تأليف مرقص فهمي المحامي المصري نصراني الديانة ، دعا فيه إلى القضاء على الحجاب وإباحة الاختلاط وتقييد الطلاق ، ومنع الزواج بأكثر من واحدة ، وإباحة الزواج بين النساء المسلمات والنصارى .

وكتاب : تحرير المرأة تأليف قاسم أمين ، نشره عام ١٨٩٩م زعم فيه أن حجاب المرأة السائد ليس من الإسلام ، وقال إن الدعوة إلى السفور ليست خروجاً على الدين .

وكتاب : المرأة الجديدة تأليف قاسم أمين أيضاً - نشره عام ١٩٠٠م ، يتضمن نفس أفكار الكتاب الأول ويستدل على أقواله وادعاءاته بآراء الغرب .

وجاء بالمفصل في الرد على الحضارة الغربية أنه قد سلك الكفار وتلاميذهم للوصول إلى غاياتهم ؛ طريق التدرج ، فبدأوا في بلادنا بمحاربة ستر المرأة وجهها مستغلين للخلاف في ذلك.

ثم بتشويه عباءات الحشمة ، والإغراءات بعباءات الفتنة من مخصرة وقصيرة مع التشبه بالرجال بوضعها على الكتف ، ولن يقف أولئك عند ذلك.

بل الاعتراض على وجوب قرار المرأة في بيتها فلا تخرج إلا لضرورة أو حاجة مباحة أو عمل مشروع على وجه ليس فيه مخالفة لما فرض الله من الآداب على المرأة المسلمة.

بقوله تعالى : (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)^{١٧٨} ولقد هُيئ للمرأة في عصر الحضارة الغربية كل الأسباب التي تلغي من الواقع واجب القرار في البيت.

وحاربوا المستغربين المرأة من القرار في البيت حتى شبهوا البيت بالسجن ، ووصفوا التي لا تخرج الخروج المنشود لهم بأنها محبوسة بين أربعة جدران.

فيجب أن يعلم أن من طعن في شرع الله وعارضه فهو كافر ، ومن خالفه بعمله فهو عاصي ، ولقد كان مما تدم به المرأة أن تكون خراجة ولاجة.

وهي التي تكثر الخروج من غير حاجة والتي هذه حالها ، صفو حسننها ، وتصنعها للشارع ، ومكان العمل والاجتماع ، وكدرها لبيتها وزوجها ، وبئست المرأة هذه.

ومما تمدح به المرأة قرارها في بيتها مع قيامها بحقوق ربها وزوجها وأولادها ونعمت المرأة هذه.

هذا ومن أقبح خداع المستغربين وتغريهم للمرأة المسلمة ، تعظيمهم للعاملة خارج المنزل حتى ولو كانت مضيفة في طائفة.

وتهوينهم من عمل المرأة في بيتها قياماً بحق زوجها وتربية أولادها مع أنه هو الأصل والأعظم أثراً في الأمة والأجدى في تحقيق التوازن بين الرجل والمرأة.

– لباس المرأة المسلمة :

إن الله سبحانه وتعالى لم يدع شأناً من شؤون العباد إلا وشرع لهم فيه ما ينفعهم ، وحرّم عليهم فيه ما يضرهم ويفسدهم ، وقد تبدو علّة التشريع واضحة أحياناً ، وتخفى أحياناً أخرى ، ولربما ظهرت بعض هذه العلل في العصور المتأخرة لتطور العلم ، واختراع آلات القياس والفحص والرصد .

والواجب على المؤمن أن يتقبل حكم الله بالتسليم ، دون الحاجة إلى معرفة العلل والأسباب ، لأن الإيمان مبني على الغيب ، متى عُلم صدق النبي ﷺ في تبليغه عن ربه تعالى فقد عُلم بالضرورة أن الأحكام التي بلغها هي الأصوب والأكمل والأأنفع للبشر ، لأن الله أعلم بالإنسان من نفسه ، ولا يشرع له إلا ما ينفعه .

ولا عجب إذ رأينا عناية الإسلام بالمرأة ، حين أحاطها بالرعاية فشرع لها الحجاب وأمرها به ، ونهاها عن إبداء زينتها أمام غير زوجها ومحارمها ، سداً لذرائع الفساد ، وحرصاً على عفافها وطهرها ، وصيانة للمجتمع من الانحراف ، وقطعاً لوساوس النفس ونزعات الشيطان ، كي لا تطوف مفاستها بالقلوب المؤمنة فتبهط بها إلى أسفل درك ، وتجنّي الأمة الانحراف والفساد .

فالأُسرة المسلمة هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع المسلم ، وحجاب المرأة جزء هام من تلك اللبنة ، يصونها من غوائل السوء ويحفظها من لصوص الأعراض ، ويقي حيائها من الخدش ويحفظها إلى نقاء الروح وصلاح النفس .

وقد كان لباس المرأة العربية قبل الإسلام غير منضبط بنظام أو تشريع ، فكان يتأثر بمزاجها وعادات قبيلتها ، ومهنتها ، وغير ذلك ، فلما جاء الإسلام نظم الأمر ، فأمر المرأة بالحجاب واشترط فيه شروطاً وأوصافاً ، ومعنى الحجاب :

لغة : الحِجاب هو الستر وحجَبَ الشيء أي ستره ، وهو اسم ما احتجب به ، وكل ما حال بين شيئين حجاب وجمعه حُجُب لا غير^{١٧٩} .

١٧٩- ابن المنظور ، جمال الدين مُجَدِّد بن مكرم ، لسان العرب ، الطبعة الأولى ، مادة حجب ، المطبعة الأميرية ، القاهرة - مصر ، عام ١٩٨٩ م .

اصطلاحاً : هو لباس شرعي سابغ تستتر به المرأة ليمنع الرجال الأجانب من رؤية شيء من بدنها^{١٨٠} .

واما الشروط الواجب تحققها في لباس المرأة المسلمة منها :

منها : أن يكون لباسها ساتراً لجميع البدن ، كما في قول الله تعالى : ﴿ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَافِهِنَّ ﴾^{١٨١} ، ومعنى الإدناء الإرخاء والسدل ، فيكون الحجاب الشرعي ما ستر جميع البدن ويستثنى من ذلك الوجه والكفين ، كما في حديث السيدة عائشة وفيه :

أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها رسول الله ﷺ وقال : (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض ، لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا) ، وأشار إلى وجهه وكفيه ﷺ^{١٨٢} .

منها : أن يكون لباس المرأة صفيقاً ، غير رقيق ولا شفاف ، لأن الغرض من الحجاب الستر ، فإن لم يكن ساتراً فلا يسمى حجاباً ، لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر .

منها : أن لا يكون زينة في نفسه ، أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾^{١٨٣} ، ومعنى ما ظهر منها أي دون قصد ولا تعمد ، وقيل هو الوجه والكفان ، فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه .

منها : يكون لباس المرأة واسعاً غير ضيق ، فلا يجسم العورة ولا يصف أماكن الفتنة في الجسم .

١٨٠ - البرازي ، محمد فؤاد ، حجاب المرأة المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ط ٣ ، ص ٣٠ ، مكتبة الأضواء للنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية .

١٨١ - الاحزاب ٥٩ ، والجلباب التي تلتحف بها المرأة فوق ثيابها لتستر جميع بدنها .

١٨٢ - رواه أبو داود : كتاب اللباس - باب ما تبدي المرأة من زينتها ٤١٠٤ ، والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الحيض - باب عورة المرأة الحرة ٣٠٣٤ ، وكتاب النكاح - باب تخصيص الوجه والكفين بجواز النظر إليهما عند الحاجة ١٣٢٧٤ ، رواه الطبراني في الكبير : ١٤٢/٢٤ برقم ٣٧٨ ، وفي الأوسط ١٩٩/٨ برقم ٨٣٩٤ ، وصححه الألباني ، واستفاض في تخريج الحديث والرد على من ضعفه في كتابه الرد المفحم .

١٨٣ - النور ٣١ .

منها : أن لا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال ، كما في قول الرسول ﷺ : (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية)^{١٨٤}.

منها : أن لا يكون الثوب فيه تشبّه بالرجال ، فقد لعن النبي ﷺ المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء وقال ﷺ : (أخرجوهم من بيوتكم)^{١٨٥}.

منها : أن لا يكون ثوب شهرة ، كما في قول النبي ﷺ : (من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة)^{١٨٦}، أي ثوباً يقصد به الاشتهار بين الناس ، سواءً كان الثوب نفيساً يلبسه تفاخراً بالدنيا وزينتها أو خسيساً يلبسه إظهاراً للزهد والرياء .

منها : أن لا يشبه زي الكافرات ، لأن المسلمين مطالبون أن لا يتبعوا أهواء الكافرين ، بعد ما جاءهم من البينات من ربهم ، وكان ﷺ يتحرى مخالفتهم في كل شيء ، حتى في الهيئات البسيطة ؛ مثل فرق الشعر أو إسداله ، وقد قال عبد الله بن عمرو بن العاص : رأى رسول ﷺ عليّ ثوبين معصفرين^{١٨٧} فقال ﷺ : (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها)^{١٨٨} .

منها : أن لا يكون فيه أي من تصاوير ولا تصاليب ، وقد ذهب البعض من الفقهاء إلى تحريم ما فيه صورة ذي روح إنساناً كان أو حيواناً سواءً في جدار أو ثوب أو ستر أو نحو ذلك ، كما قال ﷺ : (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة)^{١٨٩}.

كما لا يحل لبس ثوب نقش عليه صليب لأنه شعار غير المسلمين ، كما عن عمران بن حطان أن عائشة حدثته أن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه^{١٩٠} .

١٨٤- النسائي: كتاب الزينة - باب ما يكره للنساء من الطيب - ٥١٢٦ ، قال الألباني : حسن .

١٨٥- البخاري : كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة - باب نفي أهل المعاصي والمخنثين - ٦٤٤٥ .

١٨٦- سنن ابن ماجه : كتاب اللباس - باب من لبس شهرة من الثياب - ٣٦٠٦ ، قال الألباني حسن .

١٨٧- العصفري : نبات أصفر يميل إلى الحمرة ، وقد كان رجال المسلمين يجتنبون المعصفر من الثياب لأنها مشابهة لثياب رجال الكافرين ، وفي المسألة تفصيل فقهي ليس هذا محله .

١٨٨- مسلم : كتاب اللباس والزينة - باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر ٢٠٧٧ .

١٨٩- أبو داود : كتاب الطهارة - باب في الجنب يؤخر الغسل - ٢٢٧ .

١٩٠- البخاري كتاب اللباس - باب نقض الصور - ٥٦٠٨ .

- مفاهيم حول لباس المرأة المسلمة :

قيل : الحجاب ليس مطلوباً من المرأة المسلمة على سبيل الإلزام ، وآيات الحجاب خاصةً بزوجات النبي ﷺ ، ولباس المرأة المسلمة على النحو الذي نقله التاريخ لنا عنها ، هو لباس بيئتها وزمانها آنذاك، وليس هو حكماً شرعياً واجب التنفيذ؟! .

ان الزعم بأن ما نزل في القرآن بخصوص الحجاب خاص فقط بنساء النبي ﷺ ، فهو مردود من عدة وجوه ، كما في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ ١٩١ .

فإن هذه الآية وإن نزلت في أمهات المؤمنين ، فإنها تعم سائر نساء المسلمين ، وتخصيصها بأمهات المؤمنين ليس له دليل يدل عليه ، فلو كانت الآية خاصة بأمهات المؤمنين لما احتجبت نساء المسلمين ، ولبقين على حالهن التي كنَّ عليها من قبل .

ووجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء من دون استثناء ، وليس خاصاً بأزواج النبي ﷺ وإن كان اللفظ خاصاً بهن ، لأن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه ، قال الجصاص: هذا الحكم وإن نزل خاصاً في النبي ﷺ ، فالمعنى عام فيه وفي غيره ، إذ كنا مأمورين باتباعه والافتداء به ، إلا ما خصّه الله به دون أمته ١٩٢ .

وفرض الحجاب على زوجات النبي ﷺ وهن الفضليات الطاهرات العفيفات ، يدل على أن غيرهن من النساء مشمولات فيه من باب الأولى .

١٩١- الاحزاب ٥٣ .

١٩٢- الجصاص ، أحمد بن علي الرازي ، أحكام القرآن ، ٣ / ٣٦٩ ، طبعة ونشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٠ م .

وعلى افتراض أن الآية هذه خاصة في أزواج النبي ﷺ ، فإن ثمة الكثير من الأدلة الشرعية غيرها، ينص صراحة على وجوب احتجاب المرأة المسلمة ، كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ ١٩٣ .

ويقول تعالى أيضاً : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْزَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ١٩٤ .

وقيل : ان الفتاة بحاجة لإظهار زينتها والتبرج ، لكي يراها من يرغب بالزواج منها ، ويتم بذلك بناء الأسر، وتسهيل مهمة الخاطبين ؟! .

إن الغايات في الإسلام من جنس الوسائل ، فالغاية لا تبرر الوسيلة ، كما هو منهج البراغماتيين، (الذين يبررون الغاية بصرف النظر عن الوسيلة) ، فإذا أرادت فتاة الزواج ، فلا يبيح ذلك لها أن تظهر ما أمرها الله تعالى بستره ، فتكون أداة إفساد وعنصر فتنة وشر لا سامح الله .

والمرأة التي تطلب الزواج بمخالفة أحكام الشرع تبدأ حياتها الزوجية بصورة خاطئة ، فإن الرجل الذي لا يريد من المرأة إلا زينتها وجمالها ، ولا يلتفت إلى دينها وسمعتها ، وذكرها في النساء ، هو رجل لا يرجى أن تستقيم معه الحياة ، وستتحول الحياة الزوجية بين هذه المرأة وهذا الرجل إلى سلسلة من المنغصات والأنكاد وسوء العشرة .

وأما المرأة المؤمنة المتسريلة بالحياء ، والمتأنقة بالعفة فإنه لا يطلبها إلا المؤمن الكريم الذي يتقي الله في أسرته وبيته ، فترجى معه الحياة الطيبة الهانئة .

والسعادة الحقة مقرونة بالتقوى ، فتقوى الله أساس الاستقامة ، كما قال ﷺ : (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض) ١٩٥ .

١٩٣ - الاحزاب ٥٩ .

١٩٤ - النور ٣١ .

١٩٥ - سنن الترمذي : كتاب النكاح - باب من ترضون دينه فزوجوه - ١٠٨٤ .

وقيل : ان الحجاب يحرم المرأة من حريتها ويمنعها من تعليمها وكسب معاشها ؟!

إن الحجاب ينسجم مع طبيعة المرأة التي فطرها الله عليها ، فالإسلام زودها بحصانة تحفظها وأسبغ عليها حجاباً يسترها ، ويمنعها من الوقار والهيبه ما يصرف به الفاسقين عنها وخروجها عن طبيعتها يعتبر عدواناً على الفطرة وتمرداً على القانون الإلهي ، وعبت بسنن الكون .

أما الحرية فهي نسبية وليست مطلقة ، تعطى للمرأة بالمقدار الذي ليس فيه اعتداء على حدود الشرع أو على حريات الآخرين ، فالمرأة التي تتذمر من الحجاب بزعم انه يقيد من حريتها تعتدي بذلك على حق المجتمع بالمحافظة على العفاف والأخلاق بين أفرادها ، فتخالف بذلك شرع الله ، الذي وضع من القواعد والضوابط ما يمنع الفتنة للمرأة والرجل حفاظاً على استقرار الأسرة والمجتمع .

ويخطئ من يظن إن الحجاب قيد وضع على المرأة ، لمنعها من ممارسة حقوقها ، أو يحول بينها وبين أداء مهماتها ، بل على العكس ، فمع الحجاب مارست المرأة المسلمة حياتها فأباح لها الإسلام العلم والعمل والجهاد والمشاركة السياسية ، ولم يمنعها حجابها من أن تمارس ذلك كله وتاريخ الإسلام وواقعه شاهد بذلك .

كما أن عمل المرأة في مجتمع نسائي منفصل ، لا يحتتم عليها الحجاب أثناءه ، وإذا اقتضى عملها التواجد في مجتمع الرجال ، فعليها أن تقدم بعض التضحيات البسيطة ، والأجر على قدر المشقة ، ومن الناحية العملية لا نجد أن الحجاب يقيد عمل المرأة أو تعلمها ، خاصة أن طبيعة عمل المرأة تتسم بالهدوء والسهولة .

فلا تحتاج إلى العنف والجهد البدني الشديد الذي يعيقه الحجاب ، وعلى فرض أن عملها قد يحتاج إلى جهد بدني فإن الكثير من الرجال يلبسون الملابس الشبيهة بالحجاب (الدشدش ، الجلابية ، الغطرة ، العمائم) ، وهم مع ذلك يمارسون أصعب الأعمال ، فلا حجة في ذلك الزعم .

وقيل : ان الحجاب رمز للجنس ، فلو لم تكن المرأة رمزاً للجنس فما الداعي لإخفائها خلف الحجاب ، كما أنه دليل على فقدان الثقة بالمرأة ؟!

إن شيوع السفور وانتشار التبرج وإظهار المحاسن وإبراز المفاتن هو الذي يلهب العواطف ويثير الغرائز ، وقد يبعث أوهاماً هابطة وظنوناً ساقطة ، ولمنع هذا كله شرع الإسلام الحجاب طهره لتلك القلوب ، والحجاب علامة على العفة والطهر وليس علامة على الجنس والشهوة ، كما زعم بعض المتباكين على حقوق المرأة ، وإنما غاية مقصدهم إفساد الجيل ونشر الرذيلة .

أما التلاعب بالألفاظ وقلب الحقائق ، وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، فليس أكثر من محاولة لتبرير واقع الخارجين على أمر الله ، والحقيقة هي على النقيض من ذلك ، وقد جرى عرف البشر على حجب النفائس الثمينة ، وإن أعظم التحف قيمة توضع في صناديق متينة ومحكمة .

وحتى بيت الله العتيق جرى عرف المسلمين على ستره ، لرفعته وعلو قدره وشرف منزلته وجرى عرف البشر على بذل الرخيص وإهماله ، فكل الناس يرى الحجارة وعلب الصفيح الفارغة ، وليس كل الناس قد رأى الماس والكهرمان والحجارة النفيسة .

– مفاهيم حول صلاة المرأة :

للصلاة في كل دين المنزلة العظمى ، وفي الإسلام هي عمود الدين ، وقوامه ، وهي أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ، لا يعذر إنسان بتركها في صحة ولا مرض ، في امن ولا خوف والمرأة مثل الرجل في ذلك ، فهي مكلفة بعبادة ربها وطاعته ، فلها الحسنى إن هي قامت على أمر ربها وعليها الوبال إن هي صدت عن دينها وتنكبت طريق الهداية .

وقد جعل الإسلام المسجد مجمعا لكل خير وبر ، فهو مكان المثل بين يدي الله بالصلاة والسجود ، وهو مكان العلم ، وفيه تعقد ألوية الجهاد ، وتعلن فيه دعوات الخير والبر ، وقد جعل الإسلام للمرأة حظا ونصيباً في بيت الله تعالى ، فهي أمة الله ﷻ ، وهذا بيته ﷻ ، ولها الحق أن تنهل من خيره ، كما هو حق الرجل .

ولربما يخطئ بعض الناس في بعض قضايا صلاة المرأة ، كالإقامة وحضور الجماعة وخطبة الجمعة ونحو ذلك ، ونحاول فيما يلي تصحيح البعض من المفاهيم في هذا المجال .

الصلاة في الإسلام هي أسمى مراحل العلاقة مع الله ﷻ ، وقد جاء في الحديث : (اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء)^{١٦٦} ، وقد نهى الإسلام عن اشتغال الإنسان بأي عمل أو خاطر غير أعمال الصلاة أثناءها ، وقد نهى عن مس الحصى والعبث أثناء الصلاة ، وذلك لأنها لحظة علاقة سامية مع الرب تبارك وتعالى ، فكان من القبيح أن تُقطع بأي شاغل من شواغل الدنيا .

وتبقى المرأة ، ولم تنزل منذ فجر التاريخ محط نظر الرجل ، ومحرك اهتمامه ومصدر انشغاله ، بل إن بعض أكبر الأحداث التي سجلها التاريخ كان سببها افتتان رجل بامرأة ، أو تنافس الرجال للحصول على رضاها ، وهذه فطرة في الرجال ، مغروسة في كيأنهم .

فلا يفتأ الشيطان أن يحركها متى علم أن في تحريكها سببا لفتنة بني آدم ، لإخراجهم من رحمة ربهم ، وطردهم عن أبواب كرامته ، كما قال تعالى حاكياً قسم الشيطان على إغواء بني آدم : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَخَلِّصِينَ ﴾^{١٩٧} ، ولم يجد الشيطان ، ولن يجد أكثر فتنة للرجال من النساء ، لإغوائهم وصرفهم عن عبادة ربهم .

كما إن تقدم المرأة على الرجال -أثناء الصلاة بحيث يشاهدونها- سبب رئيسي لانشغالهم بأمر لا يليق بمن يناجي ربه ، فتدور في بعض الأذهان من الخواطر ما تصرفه عن المثول بين يدي ربه مثولا لائقاً ، ولا يكاد يجادل احد أن المرأة مصدر إثارة للرجل بمجرد النظر إليها على الأغلب خاصة إذا أظهرت شيئاً من جمالها وزينتها .

وهذا على خلاف المرأة ، التي لا يعتبر مجرد نظرها إلى الرجل سبباً لفتنتها وإثارتها على الأغلب ، ولهذا أجاز الإسلام أن يتقدم الرجال على النساء في الصلاة ، ولم يُجْز أن تتقدم النساء على الرجال فيها ، فضلاً عن أن تكون المرأة إمامتهم يسمعون صوتها ، ويرون حركاتها صعوداً ونزولاً .

وقد جاء الإسلام بمبدأ سد ذرائع الفساد ، فأغلق الباب أمام أي احتمال راجح للفتنة ، لئلا يستغله الشيطان والنفوس المريضة ، فيطمع الذي في قلبه مرض ، فتزل الأقدام من بعد ثبوتها وتتحول العبادة التي هي رمز للطهر والتجرد والزهد ، إلى مظنة للرغبة ، والشهوة والإثارة .

ومن هنا بالصلاة قال النبي ﷺ : (أخروهن حيث أخرن الله)^{١٩٨} ، بل قد رغب النبي ﷺ بالبعد عن مصدر الفتنة ، فرغب الرجال بالصفوف الأولى ، ورغب النساء بالصفوف الأخيرة ، فقال ﷺ :

١٩٧- سورة ص الآيات ٨٢-٨٣ .

١٩٨- مصنف عبد الرزاق : كتاب الصلاة - باب شهود النساء الجماعة - ٥١١٥ .

(خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها)^{١٩٩} ، وقد عمل الصالحون بهذه الوصية ، في الوقت الذي حرص المنافقون فيه على استغلال الاجتماع التعبدية ، للحصول على نظرة مسمومة يختلسونها من خلال الصفوف الأخيرة التي زهد النبي ﷺ الناس فيها .

كما عن ابن عباس^{٢٠٠} قال : كانت امرأة تصلي خلف الرسول ﷺ حسناء من أحسن النساء ، قال ابن عباس : لا والله ، ما رأيت مثلها قط ، فكان بعض القوم يتقدم حتى يكون في الصف الأول لئلا يراها ، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف الأخير فإذا ركع نظر تحت إبطه وجاني يديه ، فانزل الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُتَّخِذِينَ ﴾^{٢٠١} ، فإذا كان هذا حال المرأة وقد صلت خلف الرجال فكيف لو كانت إمامتهم ؟ فبالله ، أي صلاة وأي خشوع يرجى لهم .

وأهل العلم متفقون على منع المرأة من إمامة الرجال ، للأدلة الشرعية الواردة في ذلك وللمفسدة الراجحة في إمامتها ، ولم يسجل التاريخ أن امرأة أمت المسلمين من لدن نبينا محمد ﷺ ، ولم يناقش في ذلك احد من العقلاء ، ولا يُلتفت إلى أهل الفساد وتجار الشعارات المسمومة في هذا العصر ، لافتقارهم إلى أدنى درجات المرجعية والمصادقية .

وأما ما روي عند المسلمين من أن أم ورقة أذن لها النبي ﷺ في إمامة أهل بيتها ، قال بعضهم انه قد فسره رواية الدارقطني حيث جاء فيها :

(إن رسول الله ﷺ أذن لها أن يؤذن لها ويقام وتؤم نسائها)^{٢٠٢} ، فليس في حديث أم ورقة أية دلالة على إمامة المرأة بالرجال ، بل الإسلام يبيح للمرأة إمامة النساء ، ولا يرى ضيرا في ذلك لانتفاء ما تقدم من أسباب .

١٩٩- الترمذي : أبواب الصلاة - باب فضل الصف الأول ٢٢٤ ؛ النسائي : كتاب الإمامة - باب ذكر خير صفوف النساء وشر صفوف الرجال - ٨٢٠ .

٢٠٠- الترمذي : كتاب الإمامة - باب المنفرد خلف الصف - ٨٧٠ ؛ ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها - باب الخشوع في الصلاة ١٠٤٦ ؛ النسائي : كتاب الإمامة والجماعة - باب المنفرد خلف الصف - ٩٤٢ ، قال الألباني صحيح .

٢٠١- الحجر ٢٤ .

٢٠٢- أبو داود : كتاب الصلاة - باب إمامة النساء - ٥٩٢ ، رواه احمد ٢٧٣٢٤ ؛ الدارقطني : كتاب الصلاة - باب الحي وأهلها وصفة الإمام - ٢ ، قال الألباني : صحيح .

وأما جواز حضور ومشاركة النساء في صلاة الجماعة فهذا حكم أقره الشرع ، واعتبره مصلحة راجحة ، وقد جاء في صحيح البخاري عن أمّ عطية قالت :

(كُنَّا نؤمر أن نخرج يوم العيد ، حتى نُخرج البكر من خدرها ، ونخرج الحيض فيكنّ خلف الناس ، فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون بدعائهم يرجون بركة ذلك اليوم وطهرته) (٢٠٣) .

أما الخوف من الفتنة ، فهذا قد لاحظته الشرع ، وشرع من الأحكام ما يصون المرأة والرجل منه ، فشرع أحكام اللباس ، ونظم قضية الاختلاط ، فمنع الخلوة ومزاحمة النساء الرجال ، وأمر بغض البصر ، وحرّم الخضوع بالقول ، ونحو ذلك من الأحكام .

وأما الخوف من انشغال المرأة عن بيتها ، فهذا أمر غير مطروح أصلاً ، لأن الجماعة ليست واجبة على المرأة ، وإنما هي مختارة غير مجبورة ، ومحض تطوع منها ، فليست مكلفة بإلقاء مسؤولياتها جانباً وحضور الجماعة ، وإنما هو أمر تنظمه هي ، وفقاً لأوقاتها وواجباتها ، مع العلم بأن الأصل صلاة المرأة في بيتها ، وهي أعظم أجراً ، ولكن مع ذلك فإنها لا تُمنع من حضور الجماعة .

والقول بأن صلاة المرأة أعظم أجراً في بيتها حق لا نزاع فيه ولا اشكال ، كما عن عبد الله بن سويد الأنصاري عن عمته امرأة أبي حميد الساعدي: أنها جاءت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ إني أحب الصلاة معك . فقال ﷺ :

(قد علمت أنك تحبين الصلاة معي وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي) . فأمرت ، فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه فكانت تصلي فيه حتى لقيت الله عز و جل (٢٠٤) .

إلا أن الصلاة في الجماعة لها ميزة أحياناً ، من حيث تعلم المرأة أحكام الصلاة ، وحضور خطبة الجمعة وسماع دعوة الخير ، وشحن إيمانها الذي قد يخبو مع تراكم الأعمال وكثرة الأشغال ، ولذلك قال النبي ﷺ : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) (٢٠٥) .

٢٠٣ - البخاري : كتاب العيدين - باب التكبير أيام منى و إذا غدا إلى عرفة ٩٢٨ .

٢٠٤ - صحيح ابن خزيمة ٩٥/٣ ، رقم ١٦٨٩ ، وحسنه الألباني .

٢٠٥ - البخاري : كتاب الجمعة - باب هل على من لم يشهد غسل النساء والصبيان وغيرهم - ٨٥٨ .

الف : البعد الزمني لتاريخ الحجاب

عبر الأزمان حقوق وحرية الغطاء الذي امرت به الديانات السماوية جميعاً ففي كتاب الحجاب^{٢٠٦} الثابت تاريخياً هو أنّ الحجاب قبل الإسلام كانت له مصداقية لدى بعض الأمم.

فقد كان الحجاب ظاهرة في إيران القديمة وبين اليهود، ومن المحتمل أنّه كان هناك حجاب في الهند، وكان الحجاب لدى هذه الأمم أكثر تشديداً عمّا جاء في شريعة الإسلام.

أمّا لدى عرب الجاهلية فلم يكن هناك وجود للحجاب، وقد تحقّق لهذه الظاهرة وجود لدى العرب بفضل رسالة الإسلام.

واما الحجاب عند اليهود : فقد قيل كان في وسع الرجل أن يُطَلّق زوجته، إذا عصت أوامر الشريعة اليهودية، بأن سارت أمام الناس عارية الرأس، أو غزلت الخيط في الطريق العام، أو تحدّثت إلى مختلف أصناف الناس، أو إذا كانت عالية الصوت، أي إذا كانت تتحدّث في بيتها ويستطيع جيرانها سماع ما تقول، ولم يكن عليه في هذه الأحوال أن يردّ إليها بائنتها^{٢٠٧}.

وعلى ضوء هذا فالحجاب الذي كان يلتزم به اليهود كان أكثر تشديداً ممّا يلتزم به الحجاب الإسلامي من حدود.

واما الحجاب في إيران القديمة فقد قيل كان للمرأة في بلاد فارس مقام سامٍ في أيام زرادشت كما هي عادة القدماء، فقد كانت تسير بين الناس بكامل حرّيتها سافرة الوجه.

ثم انحطّت منزلتها بعد داريوش، وخاصّة بين الأغنياء، فأما المرأة الفقيرة فقد احتفظت بحرّيتها في التنقّل لاضطرارها الى العمل، وأمّا غير الفقيرات فقد كانت العزلة المفروضة عليهنّ في أيّام حيضهنّ كلّها تمتدّ حتى تشمل جميع حياتهنّ الاجتماعية، وكان ذلك أساس نظام البردة عند المسلمين.

ولم تكن نساء الطبقات العليا يجرؤون على الخروج من بيوتهنّ إلا في هودج مسجّفة، ولم يكن يُسمح لهنّ بالاختلاط بالرجال علناً.

٢٠٦ - انظر : الحجاب - سلسلة تراثيات إسلامية - نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية .

٢٠٧ - راجع : ويل ديورانت كتاب قصّة الحضارة .

وحُرم على المتزوجات منهنّ أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا أقرب الناس إليهنّ كأبائهنّ أو إخوتهنّ. ولم تُذكر النساء قطّ أو يُرسمن في النقوش أو التماثيل العامة في بلاد فارس القديمة^{٢٠٨}.

ويُتضح أنّ لونا عسيراً من الحجاب كان يحكم إيران القديمة. وأنّ إجراءات حادة كانت تُتخذ إزاء المرأة الحائض في ضوء تعاليم المجوسية، فقد كانت تُحبس في غرفة.

وكان الجميع يفرون من مُعاشرتها، وكانت هذه الإجراءات السبب الرئيس لظهور الحجاب في إيران القديمة. كما كانت هذه الإجراءات الحادة تُتخذ إزاء المرأة الحائض بين اليهود.

وكما أنّ الحجاب الشديد في المرحلة الساسانية ظلّ قائماً بين الإيرانيين في المرحلة الإسلامية^{٢٠٩}.

ولم يكن الحجاب الساسانيّ مُقتصرًا على ستر المرأة، بل إخفائها. وقد بلغ الإخفاء في تلك المرحلة الى حدّ أنّه إذا كان لدى شخص امرأة جميلة في منزله فلا يُتيح فرصة ليطلع عليها شخص آخر، ويُقيها مخفية ما أمكن، إذ لو عُرف أنّ لديه امرأة جميلة في منزله فسوف تخرج عن ملكه، بل لعلّه لا يطمئنّ على حياته أيضاً.

واما الحجاب لدى الروم وفي الهند فمن حديث (نخرو) أنّه كان لدى الروم حجاب (ولعله أتى لهم من اليهود).

لقد كان يحكم الهند حجاب متشدّد، ولكن لم يتّضح بعد هل أنّ الحجاب في الهند كان قبل الإسلام أم أنّه انتشر بعد دخول الإسلام، وأخذ الهنود المسلمون من المسلمين الآخرين وبالخصوص تحت تأثير المسلمين الإيرانيين.

غير أنّ الثابت هو أنّ الحجاب في الهند كان يُشبه الحجاب في إيران القديمة من جهة الشدّة. ويظهر أنّ الحجاب شاع لدى الهنود تحت تأثير المسلمين الإيرانيين^{٢١٠}.

يقول (نخرو): من المؤسف أنّ هذه العادة السيئة أضحت تدريجاً إحدى خصوصيات المجتمع الإسلامي، وقد اقتبسها الهنود حين دخول المسلمين الى بلادهم.

أذاً: فالحجاب لدى الهنود^{٢١١} جاء من المسلمين؟.

٢٠٨ - للمزيد راجع : ويل ديورانت كتاب قصّة الحضارة .

٢٠٩ - راجع : كنت جوينو كتاب ثلاثة أعوام في إيران .

٢١٠ - كما عند ويل ديورانت في الجزء الثاني قصة الحضارة .

ولكن إذا اعتبرنا أنّ الميل للرياضة الروحية، والعزوف عن اللذات أحد عوامل ظهور الحجاب، يلزمنا الاعتقاد بأنّ الهند رحّبت بالحجاب منذ قديم الأيام، إذ إنّ الهند من مراكز الرياضة الروحية القديمة، ومعامل تحقير اللذات المادية.

على أيّ حال فالثابت هو أنّ الحجاب كان موجوداً في العالم قبل الإسلام، ولم ينتكر الإسلام الحجاب ولكن بقي إستفهامين وهما :

هل أنّ حدود الحجاب الإسلامي تتشابه والحدود التي كانت لدى الأمم القديمة؟

وهل أنّ العلة والفلسفة التي تقضي بالتزام الحجاب في الإسلام هي عين العلة والفلسفة التي ظهر الحجاب على أساسها لدى شعوب العالم الأخرى؟ فقد تفضل الاستاذ السيد سامي خضرة فقال:

فقد بدأت محاربة الحجاب مع المنتصف الثاني للقرن التاسع عشر (حوالي ١٨٧٠م) بدأت تتسع الهجمة على الحجاب الإسلامي، بصريح الممارسة والمجاهرة.

من خلال المستشرقين من الأجانب، أو المتغربين من أبناء الأمة، معتمدين على تقدم عسكري ومؤسسات تربوية، اقتحمت وتمركزت ثمّ تحصّنت وما زالت حتّى يومنا هذا.

وهي المرّة الأولى في تاريخ الإسلام الذي يُدان فيه الحجاب بهذه الطريقة الواثقة، والتحدي.

ومع مطلع القرن العشرين (١٩٠٠م)، وتضعف الكيانات السياسية الإسلامية، وقيام أنظمة تابعة أو منهزمة أو مسترضية، بدأت الحرب على الحجاب تأخذ منحى قانونياً تشريعياً في العديد من البلدان.

تدور بين المنع والحظر والتضييق والتجريم وتبني حفلات تحت رعاية رسمية، يُدان فيها الحجاب، أو يُنزع، أو يُداس بالأقدام أو يُحرق كما ذكر في كتاب (العباءة النسائية)^{٢١٢}.

ومع انقضاء الحرب العالمية الثانية، واستقرار الكيانات المستحدثة المصطنعة، والشعور العام بالهزيمة التي أُرضعت إرضاعاً لأبناء أُمّتنا، استمر الهبوط البياني للحجاب، عدداً ونوعاً، ومع مرحلة الخمسينيات والستينيات (١٩٦٠م) بدأ (الحجاب) يترنّج تحت وابل توالي الضربات، وكأنّه سيخسر معركته بين يوم وآخر! .

٢١١- هذا بحسب رأي نھروا .

٢١٢- كتاب العباءة النسائية... إلى أين - صفحة ٣٤ .

وهذا ما صرّح به الكثيرون خاصّة أنّ التقدّم الحزبي آنذاك كان للقوى العلمانيّة أو الشيوعيّة وحتىّ الملحدة .

يومها ، كان الدفاع عن الحجاب الإسلاميّ أمراً صعباً ومكلفاً .

ووصلنا إلى مرحلة، وبعد قرن كامل من القتال، أنّ أصبح الالتزام بالحجاب تهمّة، وتركه علامة حضارة ورقي! .

وفي سنوات السبعينيات الحجاب لا يليق، في الإعلام والسينما، إلّا للخادمة والجاهلة والمتخلّفة والمتسوّلة والمطلّقة والقرويّة؟.

والسفور^{٢١٣} لا يكون إلّا للمتعلّمة والأستاذة والغنيّة والسعيدة وصاحبة الشخصية القوية والمنفتحة والمتقفة، والناطقة بالمفردات الأجنبية!

كادت المعركة أن تنتهي... مع وضوح الغالب والمغلوب رفع البعض الراية البيضاء واستعدّ البعض للتسليم والبعض الآخر للاستسلام!

وبكلمة واحدة: جنازة الحجاب تنتظر إعلان النّعي فقط.

٢١٣- كشفت آخر الأبحاث المتعلقة بسرطان الجلد أن المرأة التي تكشف أجزاءً من جسدها تتعرض للإصابة بسرطان بنسبة كبيرة. فقد جاء في المجلة الطبية البريطانية أن السرطان الخبيث والذي كان نادر الوجود أصبح اليوم في تزايد مستمر، وتكثر الإصابة بهذا المرض الخبيث عند الفتيات المتبرجات اللواتي يكشفن معظم أجزاء جسدهن.

كما بينت البحوث الطبية المتعلقة بهذا المرض أنه يبدأ كبقعة سوداء صغيرة على الجلد ثم يتطور ويكبر وينتشر في كل اتجاه ويهاجم العقد اللمفاوية في أعلى الفخذ ثم يقفز ويستقر في الكبد أو يستقر في مختلف أعضاء وأجهزة الجسم. وهذا المرض ينتقل إلى الجنين في بطن أمه ، ومن أخطار هذا المرض أنه لا يستجيب للعلاج بالأشعة مثل بقية أنواع السرطانات ، ولا يمكن علاجه بالجراحة .

ولكن قوله تعالى (وَدَعَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ)^{٢١٤} وقبل مطلع الثمانينيات^{٢١٥} (١٩٧٨م) أخذ الحجاب يعود بقوة لا نظير لها في كل الأقطار الإسلامية، بشكل فوّار وتدقّقي وأصبح الحجاب ظاهرة عالمية لا يمكن إغفالها.

وبالمفهوم السياسي : عادت المعركة إلى نقطة انطلاقها، إلى درجة الصفر، وكأنّ شيئاً لم يكن. وقد بدأ المدّ التصاعدي للحجاب، غزا كلّ البلدان والطبقات، إلّزمه المحبّون شرعاً وشوقاً وتشقّياً وحبّاً وانتماءً وهوية وعزّة وتحدياً وانتقاماً وموضة وغيرها .

باء : الحجاب بين الشرع والموضة

لقد تفنن المختصين بأخراج لبس الحجاب بصور مرة رائعة جميلة الستر والعفاف ومرة أخرى كما ذكر السيد سامر خضرة فقال: صدّق أو لا تُصدّق لم يكن الحجاب يوماً مظهراً للموضة، أو سبباً للإغراء.

إلّا أنّ العقدين الأخيرين، حملاً ذلك، وخاصة ترى وسائل الاعلام محجّبة (حضارية) تشارك لكي ترقص وتستعرض وتُغني!

ونماذج أخرى منها تشترك في ما اصطلح على تسميته (برامج الواقع) وفيها ما فيها مما يُخالف الإسلام إن لم نقل: ليس فيها شيءٌ يوافق عليه الإسلام^{٢١٦}!

ومنّ بدأ من هنا، معلوم أين يصير! إنّّه حجاب (الموضة) حجاب الإثارة والإغراء والفتنة و(السفور) أو سِتّه ما شئت، إلّا الحجاب الشرعي فإنّه ليس منه في شيء!

أليسوا هم من أوجد التطرف؟ ليس هذا فحسب، بل ينسون فعلتهم ثم يشيرون إلى أن الإسلام غير قادر على تمثّل الحضارات، وأن الإسلام معيق للتطور، وهي دعوة يدحضها الواقع.

٢١٤- سورة الاعراف ١٣٧ .

٢١٥- من احد الاسباب ان عاد الروح للحجاب في الإسلام وإلى الساحة الدولية والتاريخية .

٢١٦- ونماذج من (المحجبات) أيضاً نراها في برامج (اكتشاف) طاقات الأمة ، من المغنين والمطربين وجماعة ال

!؟ FASHION

فالدولة الإسلامية^{٢١٧} السلفية التي التزمت المنهج العلماني المغالي (تركيا) والتي تدخلت حتى في زي الناس وحريتهم في العبادة وتعليم القرآن.

وظنت أنها بمجرد خلع الطربوش ولبس البرنيطة، وخلع الحجاب وتقصير الثياب تأخذ بأسباب الحضارة.

نجد أنها بعد أكثر من (٥٠) عامًا من تطبيق هذا المذهب لم تقدم أي شيء في شتى المجالات الاقتصادية والتقنية والحضارية والثقافية، بالرغم من استخدام الحرف الأوروبي وإلغاء الحرف العربي، وبالرغم من الاستسلام الكامل للمذهب العلماني.

إلا أن أوروبا مازالت ترفضها ولا تعتبرها منها بالرغم من أن إخلاصها للعلمانية كان أشد إخلاصًا من الأوروبيين للعلمانية.

وتثور اليوم صيحات عن الصدام الحضاري، ولأول مرة في التاريخ نسمع باصطدام حضاري، فالحضارات المادية لا تتصادم ولكن تتكامل، فالعلم حقيقة علمية تُكتشف وتُبنى عليها حقيقة أخرى وهكذا.

فالاصطدام إذن ليس صدامًا حضاريًا، وإنما هو صدام مفتعل بين من يرغب في فرض نموذجهم على الآخرين، وفرض الدواء الذي قد يناسب جسمه على من لا يناسبه هذا الدواء.

وحينما يقولون ويحتفلون بالتنوير الذي أتانا مع حملة نابليون، فإن كان ثمة تنوير فقد كان عندهم وبالنسبة لهم، أما في تلك العصور فكنا نعيش أزهى فترات حياتنا.

فإن كان الدين عندهم كما قال (فرانسيس بيكون): (الدين يحد من كل ألوان المعرفة)^{٢١٨} فالدين عندنا يفتح جميع أبواب المعرفة.

فإذا لم يكن لديهم وحي مقدس، واعتبروا أن الطبيعة هي الوحي المقدس، فوحينا والله الحمد محفوظ موثق لا يتعارض مع العقل أو المنطق.

٢١٧- راجع : كتاب مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة .

٢١٨- الإسلام بين التنوير والتزوير الدكتور مُجَّد عمارة ص ٢٢.

فنحن نُخدع بمظاهر احترام الغربي للمرأة في الأندية والمجتمعات، ونُغفل النظر عن معاملته لها في البيوت، وموقفه من تقديره لها ورأيه فيها في القصص والأمثال والروايات^{٢١٩}.

وتقدير الأمة للمرأة يظهر في أمثالها وقوانينها، لا في مجالس لهُوها وعبثها، ولقد رأيت الغربيين يقدمون المرأة في الحفلات ويؤخرونها في البيوت.

ويقبلون يدها في المجتمعات العامة، ويصفعون وجهها في بيوتهم الخاصة، ويتظاهرون بالاعتراف لها في حق المساواة، وهم ينكرون عليها هذه المساواة في قرارة أنفسهم.

ويحنون لها رؤوسهم في مواطن الهزل، وينصرفون عنها في مواطن الجد، والمرأة عندنا تخدعها الظواهر كما يخدعها الذين يريدون إرواء شهواتهم من أنوثتها.

فلا تلازم بين احترام المرأة وبين تحليلها ولا تلازم بين اعتراف المرأة بحقوقها، وبين السماح لها بغشيان المجتمعات، اقرأ إن شئت عن المرأة في حضارة اليونان والرومان، والحضارة الغربية الحديثة.

والمرأة في حضارتنا وحضارتهم فهم يزعمون أننا احتقرنا المرأة في حضارتنا، مع أننا لم نضربها قط، ويزعمون أنهم احترموها المرأة في حضارتهم، وهم يضربونها دائماً، فمن الذي يحترمها ومن الذي يهينها؟

وفي أثر المرأة في صيانة شرف الأمة التي ترى سعادتها في صيانة شرفها، تعرف كيف تربي أولاداً يصونون شرف الأمة.

والمرأة التي ترى سعادتها في إشباع لذائذها تربي أولاداً أسهل شيء عليهم أن يخونوا شرف الأمة في سبيل إشباع أهوائهم، وشتان بين جيل يصون شرف الأمة وجيل يخونه.

جيم : الغيرة على نساء المسلمين

من أبرز ميادين المعركة بين الحق والباطل هي المرأة فهم يعتقدون أنها أقوى وأسرع طريق لإفساد المسلمين.

وأهل الإسلام يعتقدون أن في صلاح المرأة صلاح المجتمع، وفي الميدان ماجنون يريدون إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا.

فكان لزاماً على الجميع إبراز منهاج أئمة أهل البيت عليهم السلام تجاه قضايا المرأة وعدم الاختصار على الوقوف موقف المدافع.

والمسلمة الحريصة على تديُّنها وآخرتها، تلتزم بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأن النساء، وكيف كان يُوجَّه، وماذا كان يطلب.

وهذا من علامات أهل الدِّين، وأما ضعاف الإيمان فيتهربون ويتفلتون، ولا يخدعون إلا أنفسهم! فكان صاحب غيرة وحرص على نساء المسلمين وكلامه وفعله حجة ورحمة ومن يُعرض عنه فمعيشته ضنكاً.

قال أسامة بن زيد: كساني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قُبْطِيَّةً كثيفة.. فكسوتها امرأتِي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما لك لم تلبس القُبْطِيَّة؟ قلت: كسوتها امرأتِي، فقال: مُرَّها، فلتجعل تحتها غلالة (وهي شعار يُلبس تحت الثوب، كأنَّه البطانة) فإني أخاف أن تصِفَ حجمَ عظامِها.

فلننظر إلى توجيهاته بلبس (الغلالة) بالرغم من أنَّ ما لبسته (كثيفة) لماذا؟ (فإني أخاف أن تصف حجم عظامها) حتَّى لا يتكسَّم أو يتجسَّم بدنها.

وَرُوِيَ عن إحدى زوجات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكرت نساء قريش وفضلهن:

إِنَّ لِنِسَاء قَرِيشَ لِفَضْلاً، وَإِلَيَّ وَاللَّهُ مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ: أَشَدَّ تَصَدِيقاً لِكِتَابِ اللَّهِ، وَلَا إِيمَاناً بِالتَّنْزِيلِ، لَقَدْ أُنْزِلَتْ النُّورُ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوهِنَّ﴾^{٢٢٠} فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلو الرجل على امرأته، وابنته، وأخته، وعلى كُلِّ ذي قرابته، فما منهن امرأة إلا قامت إلى مِرْطِهَا^{٢٢١} المِرْحَلِ^{٢٢٢} فاعتجرت^{٢٢٣}، به تصديقاً وإيماناً بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن وراء رسول الله ﷺ مُعْتَجِرَاتٍ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِنَّ الْغُرَبَانَ.

فلنلاحظ حرص الرجال على التبليغ والتطبيق على نساءهن .

وحرص النساء على لفِّ الإزار الذي هو أشبه بعباءة اليوم، وكيف سترن أجسادهن استجابة لنداء ربهن عزَّ وجلَّ، وهنَّ على بعد يسير من عهد الجاهلية.

وقالت أم سلمة رضي الله عنها (لما نزلت هذه الآية ﴿يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيسِهِنَّ﴾ ﴿خرجن نساء الأنصار كأنَّ على رؤوسهن الغربان من السكينة وعليهن ألبسة سود يلبسنها.

قيل: هي العباءة التي كانت النساء تلبسها ليس لها أكمام لأنَّ العباءة ذات الأكمام تصف شيئاً من حجم الجسم.

ولاحظوا لون ثيابهن فقد وكنَّ نساء الصحابة يحضرن الصلاة مع النَّبِيِّ ﷺ متلفعات بمروطهن وكأَنَّما على رؤوسهن الغربان يعني كن يسترن رؤوسهن بالأغطية السوداء.

فهنَّ يلفُفنَّ كلَّ أجسادهن بما هو أشبه بالعباءة أو التشادور ذي اللون الأسود.

بعد هذا التوضيح وتلك الإشارات حول شكل ولون ثياب النساء، عند مولانا رسول الله ﷺ والمجتمع والصحابة والزوجات ومن يُحيط به. هل هناك اعتراض فوق هذا الكلام؟

إِنَّ تَسَابُقَ (المحجبات) المتبرجات في مجال الزينة لأجل لفت الأنظار إليهن، مِمَّا يُتْلَفُ الأخلاقَ وَيُضَيِّعُ الأموالَ، ويجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكلِّ من شاء أن ينظر إليها. فتكون عندئذٍ فتنة للذين آمنوا وسبباً لخراب المجتمع.

٢٢٠- سورة النور الآية ٣١ .

٢٢١- المِرْطُ : الإزار .

٢٢٢- المِرْحَلُ : الَّذِي تُقَشَّ فيه صور الرجال ، وهي المساكن والمنازل .

٢٢٣- اعتجرت : سترت به رأسها ووجهها .

وتحطيم الروابط الأسرية، وتفكُّك العلاقات الزوجية وهذا ما نراه في السنوات الأخيرة. وتفشي الطلاق إلى جملة من المحرمات والمفاسد التي لا تحفى على أحد.

وبشكل عام إنَّ التوجيهات النبوية لرسول ﷺ هي في التحذير من تقليد الكفار، وهذه سياسة إسلامية عامة وهو القائل ﷺ:

(لتبتعن سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشِيرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبْعْتُمُوهُمْ).
قيل: اليهود والنصارى ؟ قال مستفهماً مؤكداً : فمن؟!!

فما أشبه هؤلاء اللاتي أطعن الغرب، وَعَصَيْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، بهؤلاء اليهود المغضوب عليهم الَّذِينَ قَابَلُوا أَمْرَ اللَّهِ بِقَوْلِهِمْ: (سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا)^{٢٢٤} وما أبعدهن عن سبيل المؤمنات اللاتي قلن حين سمعن أمر الله: (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)^{٢٢٥}.

فقد زُوي عن رسول ﷺ أَنَّهُ قَالَ: انظروا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ فِي الدُّنْيَا، وَفَوْقَكُمْ فِي الدِّينِ، فَذَلِكَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا (أَي تَحْتَقِرُوا) نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ.

فالنظر لهؤلاء فِي الدُّنْيَا يُحْتُنَّا عَلَى اسْتِحْضَارِ النِّعَمِ وَالشُّكْرِ، أَمَّا أَهْلُ الدِّينِ فَلِلْإِسْتِزَادَةِ.

واما إِنَّ أَزْيَاءَ النِّسَاءِ^{٢٢٦} فِي الْعَصُورِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمُخْتَلِفَةِ مِنَ الْمَجَالَاتِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى إِيضَاحٍ لِلكَثِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَنَرَى الْعَدِيدَ مِنَ الْمَفَاجِآتِ وَالْمَعْلُومَاتِ الْهَامَّةِ حَوْلَ زِي الْمَرْأَةِ آنَذَاكَ، لِنَتَلَمَّسَ الْبَعْدَ الَّذِي نَعِيشُهُ الْيَوْمَ عَنْ تَارِيخِنَا وَشَرْعِنَا.

والجامع بينها الثوب الفضفاض القليل التفاصيل الذي يتسع لئلبس فوق الملابس المنزلية، ويصنع غالباً من قماش ناعم ويكون أسود اللون وأكمامه متسعة جداً.

٢٢٤- سورة النساء ٤٦ .

٢٢٥- سورة النور ٥١ .

٢٢٦- ويوجد بعض متروكات النساء ، أو المخطوطات التي تعكس زيهن راجع :

رسالة (العنوان في مسالك النسوان) لمؤلف مجهول .

مخطوط السيوطي (إسبال الكساء على النساء) .

مخطوط ابن العماد (رفع الجناح عمّا هو من المرأة مباح) .

مخطوط ياسمين العمري (الروضة الفيحاء في تاريخ النساء) . والكثير غيرها .

أو تلبس (الخبرة) وهي قطعة من القماش مربعة المساحة تقريباً طول ضلعها حوالى مترين، وهي من الحرير الأسود في منتصفها شريط ضيق يثبت حول الرأس وتنسدل لتغطي الرأس والوجه وبقية الجسم من الخلف (أشبه بالعباءة أو التشادور).

وتمسك المرأة طرفي الخبرة من الداخل وتضمها بذراعيها لتلف جسدتها كله فلا يظهر منها سوى وجهها الذي يغطيه البرقع، وهو الجزء المكمل لزي خروج المرأة، وتلبس كل هذه القطع فوق الزي المنزلي السابق الذكر عند الخروج.

فالبلباس الفضفاض الذي يجعل فوق اللباس، هو الساتر الحقيقي أياً كانت مسمياته.

والآيات الكريمة أشارت إلى قطعتين من الزي النسائي الذي من المفترض أن تكون عليه المرأة المسلمة، وأما الحديث النبوي فقد ذكر أربع قطع.

ففي القرآن الكريم في قوله تعالى: (يُذَنِّبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ)^{٢٢٧} وقوله تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ)^{٢٢٨} ذكر الخمار والجلباب.

فالخمار: هو القطعة من الثوب الذي يغطي رأس المرأة إلى المنطقة من صدرها.

والجلباب: هو ذلك الذي يغطي ثوب المرأة من رأسها إلى قدمها وتلبسه فوق ثيابها المنزلية.

وقد ورد في اللغة أنَّ الجلباب عبارة عن قطعة كانت تغطي المرأة في تلك الأيام من رأسها إلى بدنها ساترة لما تحتها من الثياب.

وأما في الحديث النبوي الشريف فقد ورد عن النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: (للزوج ما تحت الدرع، وللابن والأخ ما فوق الدرع، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع، وخمار، وجلباب، وإزار).

فالدرع هو ما يستر النصف الأعلى من الجسم .

والإزار ما يستر النصف الأسفل منه .

والخمار هو المقنعة التي تغطي الرأس .

٢٢٧- سورة الاحزاب ٥٩ .

٢٢٨- سورة النور ٣١ .

والجلباب هو ما يغطي المرأة من رأسها إلى قدمها، فهذا هو الزي المناسب للمرأة .

ومما يحث على الغيرة على نساء المسلمين عمل المرأة وواضح أن الأصل^{٢٢٩} قرار المرأة في بيتها، وأن خروجها للعمل لا بد أن يراعى فيه الضوابط الشرعية .

مع بيان ما تعانيه المرأة العاملة لاسيما في بلاد الغرب، مع إظهار مقصد أعداء الدين من خروج المرأة، والحرص على رد الشبهات حول عمل المرأة .

ومن الغيرة على نساء المسلمين حقوق المرأة وتكريم الإسلام لها فلا بد من إبراز مظاهر تكريم الإسلام للمرأة والحقوق الشرعية لها، وبيان إهانة المجتمعات الغربية لها .

كما وضع كثيرا مما يدعى أنه من حقوق المرأة ليس كذلك مما يفهم معه خطورة ما في هذه العبارات من إجمال وما خفي كان أعظم .

ومن الغيرة على نساء المسلمين ظلم المرأة فلقد جاء الإسلام لكي يرفع الظلم عن المرأة.

فيحسن بأصحاب المنهج الحق أن لا يقفوا موقف المدافع عنه لكثرة ما يتهم به من ظلم لها فعليهم بالمقابل ذكر صور ظلم المرأة عند دعاة التحرير وفي بلاد الغرب.

ومن الغيرة على نساء المسلمين دور المرأة في المجتمع من بيان دورها الواسع في إطاره الشرعي في مجتمعها وأنها بتطبيقه ليست معطلة عن العمل، وعليهم بيان المقاصد السيئة لمن يزعم أن المرأة نصف المجتمع المعطل.

ومن الغيرة على نساء المسلمين المرأة والولايات العامة لتوضيح الحكم الشرعي لتولي المرأة الولاية العامة، كما يرد على الشبهات التي تثار حول هذه القضية مع التأكيد على خطورة التقليد الأعمى للغرب.

ومن الغيرة على نساء المسلمين تحرير المرأة فلا بد من إيضاح المقاصد من هذه الدعوى وأن ما يسمى بتحرير المرأة لم يساهم أبدا في النهضة الحضارية، وأن التحرير دعوى مرفوضة لأنها لم تستبعد أصلا حتى يُدعى لتحريرها.

ومن الغيرة على نساء المسلمين حجاب المرأة وحياءها والتحذير من دعاة السفور، والتأكيد على خطر الموضة على المرأة المسلمة، وعلى أهمية تمييزها ظاهراً وباطناً، مع تفنيد الشبهات التي تثار حول الحجاب، وأنه لا يتنافى مع حريتها الشخصية.

ومن الغيرة على نساء المسلمين الفرق بين الجهاد والإرهاب ليؤكد أن الجهاد من ثوابت الدين. ويحسن في هذا السياق الإشارة إلى ما تمارسه قوى التكفير في العالم ضد الناس والاساءة للإسلام وأهله وبيان أن الذي يمارس اليوم هو ارهاب وليس جهاد.

ولا بد من التفريق بين مفهوم الإرهاب في الشرع ومفهومه عند الغرب الذي هو ترجم من خلال أفعال التكفيريين.

ومن الغيرة على نساء المسلمين أنقاذها من مناهج التعليم الشرعية ففيها تغذية للغلو والتكفير والإرهاب.

ومن الغيرة على نساء المسلمين أنقاذها من الفتيا والاجتهاد وتحديد الخطاب الديني والجمعيات الخيرية التي تتعرض لتوسع شديد في العالم الغربي تحت شعار نشر فكر التكفير.

دال : لباس السيدة الزهراء عليها السلام

ومن المعلوم أنَّ الزَّهراء عليها السلام عندما ذهبت إلى المسجد لتلقي خطبتها السياسية الشهيرة: لاثت خمارها^{٢٣٠} واشتملت بجلابها، وأقبلت في لمة من نساء قومها تطأ ذيولها.. فنيطت دونها ملاءة.. وتقدَّم معنا قبل صفحتين معنى الجلباب .

وفي الروايات أنَّ نساء المدينة استعملن اللون الأسود لأنه أقرب إلى التسرُّ وعدم لفت النظر.

وحثَّى بعد مماتها عليها السلام لما مرضت السيدة فاطمة الزَّهراء عليها السلام مرض الموت الذي توفيت فيه، دخلت عليها (أسماء بنت عميس) رضي الله عنها تعوّدها وتزورها فقالت (فاطمة) عليها السلام ل(أسماء) رضي الله عنها والله إني لأستحي أن أُخرج غداً^{٢٣١} على الرجال ويظهر جسمي من خلال هذا النعش!.

٢٣٠- أي أحكمته على رأسها .

٢٣١- أي إذا متُّ .

وكانت النعوش آنذاك عبارة عن خشبة مصفحة يوضع عليها الميت ثم يطرح على الجثة ثوب ولكنه كان يصف حجم الجسم، فقالت لها (أسماء) عليها السلام أو لا نصنع لك شيئاً رأيته في الحبشة؟!

فصنعت لها النعش المغطى من جوانبه بما يشبه الصندوق ودعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت على النعش ثوباً فضفاضاً واسعاً فكان لا يصف!

فلما رآته (فاطمة) عليها السلام قالت لـ (أسماء) عليها السلام: سترك الله كما سترتني!!

قال: (ابن عبد البر) عن فاطمة الزهراء عليها السلام: هي أول امرأة غطي نعشها في الإسلام على تلك الصفة!

فما أشد حيائها حتى بعد مماتها!

يبدأ الأمر بالتهاون بالحجاب ثم الى اشياء واشياء و..!

لذا نرى أنّ الخطوة الأولى في تاريخ الاستعمار الحديث للدول الإسلامية (١٨٥٠م . والمستمر...) مسألة تقويض الحجاب تمهيداً لنزعه.

وهذا ما نجحوا فيه نجاحاً كبيراً (والذين أرخوا لتلك الفترة هم من الغربيين لا من المسلمين)، لأنّ الحجاب إذا سلب من المرأة فقد سلب منها شيئاً كثيراً. فالحجاب أشبه بالجلد الذي يمنع الجراثيم عن الجسد. فإذا ارتفع عن المرأة المسلمة فكأنّ الجسد بات بلا جلد!

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: عليكم بالصفيق من الثياب فإنّه من رقّ ثوبه رقّ دينه... والعكس صحيح أيضاً. وهذا الذي نراه بالفعل، حيث يبدأ الأمر بالتهاون بالحجاب ثمّ بالتحلل ثمّ الميل إلى ارتكاب الحرام ثمّ الهلاك والبوار.

قال الله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^{٢٣٢}.

حيث تصرّح الآية بأنّ المرأة القاعدة^{٢٣٣} ليس عليها حرج في ترك الحجاب إذا لم تكن متبرّجة بزيّنة، ولو أنّ الأفضل لها الالتزام بالعفة والحيطّة الشرعية.

٢٣٢- سورة النور ٦٠ .

٢٣٣- وهي التي لا يرغب في نكاحها لكبر سنّها أو لغيره .

وسيرة المشرعة طوال التاريخ على ذلك، من أصحاب الرأي والقول والفقهاء والمجتهدين من كل فرق المسلمين. فإذا كانت المرأة العجوز التي لا تفتن ممنوعة من التبرُّج بالزينة فكيف تكون الشابة التي هي محل الفتنة؟!

لذا كان من الغريب جداً، والمخالف لفطرة التدئين عند المرأة المسلمة أن تتزيّن الشابة (المحجبة) والتي يفترض فيها أن لا تكون فتنة للذين آمنوا. ولا يُنكر أحد الآن تجاوزات لا حصر لها عند فتنة كبيرة من المحجبات، ونرى ذلك كل يوم في كل مكان. فهل نلتفت إلى الآية أعلاه، فننتقي الله سبحانه؟.

هاء : اللباس حاكمي إيمانك

لا شك أن كل مظهر من لباس وغيره، يعكس شخصية صاحبه، ومن هنا جاءت التوصيات في الشريعة المقدسة، للرجال والنساء، حول آداب اللباس والملبوس وشكله وأن لا يكون لباس شهرة أو فتنة أو تشبه أو انتقاص أو مهزلة أو ذلة أو رقة أو تصاب أو تقليد للأعداء .

فمن رُق ثوبه رُق دينه إلى ما هنالك من مئات الروايات والنصوص والفتاوى الحاكية عن أن اللباس يعكس حقيقة الشخصية وجوهر صاحبها وهذا ينطبق على (الحجاب المتبرج)!

وحجاب الصغيرات وسياسة التمييع هنا تُثار شبهة حجاب البنت في سن تسع سنوات وهي ما زالت صغيرة! والعجب، كل العجب من شفقتنا ورأفتنا على هذه الفتاة أكثر من خالقها وباريها الرحمن الحنان الودود الغفور الرحيم الغني.

فالله تعالى هو الأعلم والأحكم في التشريع، وهو العدل الذي لا يظلم، وهو العارف فيما يضر العباد وينفعهم، في الآجل والعاجل، وهو الغني عن كل ما عندهم وعن عبادتهم وما يفعلون^{٢٣٤}.

وننصح أخواتنا المؤمنات أن يبدأوا بحجاب البنت، ولو بحجاب غير متكامل، في فترة مبكرة وقبل التكليف، لأن البنت دون سن البلوغ تستقبل الحجاب بفطرتها وبراءتها وطهارتها وتقليدها لأُمها.

لكن إذا تعدت البلوغ ، وخاصة بسنوات، عندها يصعب الأمر ونكون أمام مشكلة حقيقية تكبر مع الأيام.

٢٣٤ - فلا بُدَّ للبنت التسع سنوات هجري قمري و (٩,٨ سنوات ميلادية) أن تلتزم بما أمرها ربُّها .

وما نعرفه تصعب الإحاطة به وقد شاهدنا في مجتمعنا أنَّ أكثر حالات الإهمال يتحمَّلها الأهل بسياستهم الإهمالية أو التبريرية أو (الاستصغارية) أو سياسة المياعة والتسويق.

فهي مطلوبة للزواج وأمَّا شُبْهة أنَّ الحجاب يعيق زواج البنت! فهذا قولٌ شائعٌ يُمكن إبطاله بقليل من التفكير والتوكل. فالمؤمنون يرغبون في المؤمنات، والصالحون للصالحات، والملتزمون للملتزمات.

بل إنَّ هؤلاء مَنْ يرغب بمن أكثر، إمَّا لاستقامتهن أو هرباً من تجارب مرّة، أو اشمئزاً من ما سمع أو رأى أو جرَّب.

البعض يدَّعي أنَّ المحجَّبة الملتزمة مرغوبة أكثر. بل لو لم تكن كذلك، ثمَّ آبت إلى الله تعالى والتزمت بالحجاب كثر خطَّابها والراغبون بها .

فالمعلوم في أوساطنا الإيمانية أنَّ الفتاة لما تكون في كامل حجابها الشرعي فإنَّها تكون مرغوبة أكثر، من قبل الشباب عموماً، وخاصة المؤمنين.

فضلاً أنَّ مسألة الانسجام والحب قضية إلهية، ورب العالمين وعد في كتابه الكريم بتسديد عباده المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^{٢٣٥}.

وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظُّلُمَاتُ﴾^{٢٣٦} فالإيمان والإحصان، وبنص القرآن، طريق الراحة والأمان.

فلقد جاء في (هذه حكمة الإسلام في الأحكام الخاصة بالمرأة) أحكام الإسلام الخاصة بالعفة من الحجاب وغيره لم تكن يوماً حاجزاً أمام المرأة لتبلغ أعلى درجات الكمال المقدر لها من العلم بكل ميادينه، والفضل والإحسان.

بل بشكل مطلق من أعظم الوسائل ليتفرغ كل من الرجل والمرأة إلى مهامه، ولا يظل الرجل والمرأة كلاهما مشغولين بالجنس في كل مكان من خلال أظهار المفاتن بدون حجاب.

٢٣٥- سورة مريم ٩٦ .

٢٣٦- سورة التحريم الآية ١٢ .

وقد أثبتت التجارب أن الطلاب والطالبات في الجامعات غير المختلطة أفضل تعليماً وتحصيلاً منهم في الجامعات المختلطة.

إن هذه الأحكام التي شرعها الإسلام صيانة للعرض، وحفاظاً على طهارة النسل، وصحة النسب، قد عارضها متبعو الشهوات، وقصيرو النظر، ممن يريدون أن يعيشوا لشهواتهم، ومنافعهم الفردية.

ولو تأتى من وراء ذلك كل الشرور والآثام، وكان هجوم هؤلاء المنحرفين على تشريعات الإسلام الخاصة بالعفة، وصيانة النسب ليس نابعاً من الرغبة في صون المرأة، أو المحافظة على حقوقها أو إنصافها كما يقولون .

بل كان دافعهم إخراج المرأة وهي فتاة من سترها وخدرها، لتكون في متناول أيديهم حيث شاءوا، وأئى أرادوا، وإلغاء المرأة وهي زوجة ألا تصون زوجاً، ولا تحافظ على نسب.

ولجعل المرأة في كل أدوار حياتها ملهأً ومتعةً للرجل، يقضي وطره منها بكل سبيل، ويُجلى بينها وبين ما تحمله في أحشائها.

وبينما يتفرغ الرجل للإكثار من الخليلات، والصديقات، والعابرات، وتتفرغ المرأة بعد كل حمل إلى تبعة جديدة من التبعات.

فأما أن ترتكب فيما حملت في بطنها جريمة قتل قبل الولادة أو بعدها، أو تلقيه إلى غيرها.

وأما في دور الرعاية حيث ينشأ بعيداً عن الأسرة كما تنشأ سائر الحيوانات في حظائر التربية.

وإما في سلال القمامة، وإن بقى شيء من عاطفة الأمومة فإن الأم تتحمل نفقات هذا المولود، وقد تبحث عن رجل آخر يقوم مقام صاحبها الأول الذي قضى وطره منها وخلاها.

إن هذا الواقع الأليم هو الذي آلت إليه مجتمعات الإثم والفاحشة التي أدعى الرجال فيها أنهم يريدون الحفاظ على حقوق المرأة ومساواتها بالرجل هو أكبر دليل على أن حديث المساواة كان حديث كذب وتضليل.

لقد كانت المرأة هي ضحية هذه المساواة فإن العمل لكسب الرزق أصبح عليها واجباً، وهو خلاف طبيعتها وتكوينها. والرجل يعاشر ألف المرأة ، ولا يحمل في أحشائه شيئاً، ويستطيع أن يعاشر ألفاً أخرى.

والمرأة ربما حملت لأول معاشرة مع رجل عابر لا يطلب إلا مجرد شهوة عابرة، وتحمل المرأة وحدها التبعات. إذا العفة وحفظ العرض، أصل شرعي كلي جاء ضمن المقاصد الشرعية في حفظ ورعاية الضرورات الخمس المجمع على اعتبارها، التي ترجع إليها جميع الأحكام الشرعية وهي:

حفظ الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال. وأي انتقاص لمبدأ العفة هو عدوان على الشريعة ومقاصدها، وانتهاك لحقوق المرأة والرجل والأسرة والمجتمع، وإشاعة للفاحشة بين المؤمنين، قال تعالى:

(إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ)^{٢٣٧}.

ولذا شرع الحكيم الخبير أحكاماً؛ لرعاية هذا المبدأ، فشرع الزواج وعظم شأنه، وسمى عقده ميثاقاً غليظاً، وذلك في قوله تعالى: (وَأَخْذُوا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)^{٢٣٨}.

ولوقاية هذا المبدأ من أن ينتهك، حرم الزنى على الجنسين -على حد سواء-، واعتبره من الفواحش بقوله تعالى: (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا)^{٢٣٩}. كما أغلق كل ذريعة مثل الخلوة الخلوة بالأجنبية، والاختلاط ، والخضوع بالقول، وشدد في تحريم الرغبة في إشاعة الفاحشة في مجتمع المؤمنين.

كذلك شرع أحكام الحجاب وغض البصر؛ لذات المقصد وعاقب المعتدين على هذا المبدأ، فشرع حد الزنى، وحد القذف، وعقوبة التعزير. كل ذلك حفاظاً على الأعراض ومراعاة للعفة.

٢٣٧- من سورة النور .

٢٣٨- سورة النساء ٢١ .

٢٣٩- سورة الاسراء ٣٢ .

واو : لا حرية في قضية الحجاب

وأما شبهة أن لا نفرض عليها الحجاب حتى تقتنع! فهذه الشبهة كثيراً ما تتردد على مسامعنا، بل يعتبرها البعض فضيلة، ويظنُّها سلوكاً (حضارياً).

من ضمن الأساطير التي شاعت في السنوات الأخيرة تحت شعار حرية التعبير وحرية المعتقد وحق الاختلاف وحرية الأديان!

أصبحنا نُقلِّد العلمانيين في معتقداتهم الفاسدة، كأنَّه الله تعالى لم يُنزل ديناً ولا شرعاً ولا نظاماً ولا حدوداً ولا حلالاً ولا حراماً! ولا أمراً بالمعروف ولا نهياً عن المنكر ولا نصيحة!

فالحجاب فرض واجب يجب العمل لتطبيقه والدعوة لالتزامه، ولا يجوز التسليم بالواقع أو الرضى أو التبرير كما يفعل البعض. هذا هو حكم الله، شاء من شاء، وأبى من أبى.

نعم، هذا هو حكم الله وهو المسمَّى في عرف العلماء بـ(التعبد الشرعي) وهو العمل والانصياع بغض النظر عن معرفة الأسرار وإدراك العلل، ومن لا يعمل إلّا بعد معرفة العلة والفائدة، فتكون تبعيته للعلل والأسرار لا لحكم المولى الجبار!

وورد عن النَّبِيِّ الْأَكْرَم ﷺ أَنَّهُ قَالَ: يا عباد الله أنتم كالمريض ورب العالمين كالطبيب فصلاح المريض بما يعلمه الطبيب ويدبره لا فيما يشتهي المريض ويقترحه، ألا فسلموا الله أمره تكونوا من الفائزين.

ومن حفرت حفرةً ووقعت فيها إنَّ الرَّجُلَ عندما يرى جمال المرأة معروضاً مباحاً متتالياً دون مانع ولا حسيب ولا رقيب، حيث تأتيه امرأة بفتنتها وجمالها وخضوع كلماتها وشيطانية غنجها، تزول سعادته الزوجية الخاصة، والأنس الأسري، فالمرء يُحِبُّ كلَّ جديد.

وهذا يؤدِّي إلى خروج الرَّجُل من بيئته الاجتماعية الأسرية السليمة، وتعرض عائلته بأكملها من الزوجة والأطفال إلى التشُّت، كلَّ ذلك بفعل ذلك الإغراء الذي صنعه المرأة بيديها، فحفرت حفرة وكانت أوَّل من وقع فيها!

فإثارة الفتنة في كلِّ مكان، في الصحافة والشارع والإعلام، والسوق والجامعة والإعلان بسبب فعل وتعاون الفتيات والنسوان، تكون كماء البحر، كلما شرب منه الإنسان ازداد عطشاً أو كحطب في النَّار، كلما جعل فيه حطب أكلته النيران.

الله رب العالمين أنزل العذاب على أقوام ، ولكن عندما وصل إلى قوم لوط (وفسادهم معروف)،
قَلَبَ الأرض بهم وجعل عاليها سافلها .

وفي هذه الأيام هنالك أحزاب سياسية من المثليين وتشريعات وقوانين للزواج الرسمي
للواطنين!)^{٢٤٠}.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ
أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^{٢٤١}.

أذا الحجاب واجب بدلالة القرآن على جميع النساء والأدلة القرآنية على وجوب الحجاب على
العموم قوله : ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾^{٢٤٢} وهي قرينة على عموم حكم آية الحجاب.

ومن الأدلة القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها ، قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا
النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾^{٢٤٣}.

فقد قيل إن معنى : يدنين عليهن من جلابيبهن : أنهن يسترن بها جميع وجوههن ، ولا يظهر
منهن شيء إلا عين واحدة تبصر بها ، وممن قال به ابن مسعود ، وابن عباس ، وعبيدة السلماني
وغيرهم.

فإن قيل : لفظ الآية الكريمة وهو قوله تعالى : (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) لا يستلزم معناه ستر
الوجه لغة ، ولم يرد نص من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع على استلزامه ذلك.

وقول بعضهم يستلزم المعارضة بقول بعضهم : إنه لا يستلزمه ، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية
على وجوب ستر الوجه.

جوابه أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على قوله تعالى فيها : ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾
يدخل في معناه ستر وجوههن بإدناء جلابيبهن عليها.

٢٤٠ - انتُخبت أول امرأة لرئاسة الكنيسة الإنجيلية الأمريكية (كاترين سكوري) ، ونال انتخابها الترحيب الفوري من
جميعات مُثَلِّ المثليين الإنجليين ، وذلك لدعمها السابق لقضية الاعتراف بالأساقفة المثليين جريدة السفير
٢٠٠٦/٦/٢ م . وهذا بعض قليل مما أصاب الغرب، فهل نتعلم ونتعظ ؟ .

٢٤١ - سورة النور الآية ٣١ .

٢٤٢ - سورة الاحزاب الآية ٥٣ .

٢٤٣ - سورة الاحزاب ٥٩ .

والقرينة المذكورة : هي قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ ﴾ ووجوب احتجاب أزواجه وسترن وجوههن ، لا نزاع فيه بين المسلمين.

فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلايب كما ترى.

ومن الأدلة عليه في سورة النور قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾^{٢٤٤} من أن استقراء القرآن يدل على أن معنى إلا ما ظهر منها الملاء فوق الثياب ، وأنه لا يصح تفسير إلا ما ظهر منها بالوجه والكفين.

وقول من قال : إنه قد قامت قرينة قرآنية على أن قوله تعالى : ﴿ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَائِبِهِنَّ ﴾^{٢٤٥} لا يدخل فيه ستر الوجه.

وأن القرينة المذكورة هي قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ ﴾^{٢٤٦} قيل قد دل قوله : أن يعرفن على أنهن سافرات كاشفات عن وجوههن ، لأن التي تستر وجهها لا تعرف باطل ، وبطلانه واضح ، وسياق الآية يمنعه منعاً باتاً لأن قوله : ﴿ يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَائِبِهِنَّ ﴾ صريح في منع ذلك.

أذاً : أن الإشارة في قوله : ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ ﴾ راجعة إلى إدنائهن عليهن من جلايبهن ، وإدنائهن عليهن من جلايبهن ، لا يمكن بحال أن يكون أدنى أن يعرفن بسفورهن ، وكشفهن عن وجوههن كما ترى ، فإدناء الجلايب مناف لكون المعرفة معرفة شخصية بالكشف عن الوجوه.

وقوله في الآية الكريمة لأزواجك كذلك دليل على أن المعرفة المذكورة في الآية ، ليست بكشف الوجوهن لأحتجابهن لا خلاف فيه بين المسلمين.

وحاصله أن الكلام الوارد دل على عكسه أدلة متعددة :

الأول : سياق الآية كما مر قبل قليل.

الثاني : قوله : ﴿ لَأَزْوَاجُكُمْ ﴾.

٢٤٤ - سورة النور ٣١ .

٢٤٥ - سورة الاحزاب ٥٩ .

٢٤٦ - سورة الاحزاب ٥٩ .

الثالث : أن المفسرين الاوائل فمن بعدهم فسروا الآية مع بياهم سبب نزولها ، بأن نساء أهل المدينة كن يخرجن بالليل لقضاء حاجتهن خارج البيوت وكان بالمدينة بعض الفساق يتعرضون للإماء ، ولا يتعرضون للحرائر.

وكان بعض نساء المؤمنين يخرجن في زي ليس متميزاً عن زي الإماء ، فيتعرض لهن أولئك الفساق بالأذى ظناً منهم أنهم إماء.

فأمر الله نبيه ﷺ أن يأمر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين أن يتميزن في زيهن عن زي الإماء وذلك بأن يدين عليهن من جلابيهن ، فإذا فعلن ذلك وآهن الفساق ، علموا أنهم حرائر ، ومعرفتهم بأنهم حرائر لا إماء هو معنى قوله ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ ﴾^{٢٤٧}.

فهي معرفة بالصفة لا بالشخص . وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن كما تعلم فقوله ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾^{٢٤٨}. لأن إدنائهن عليهن من جلابيهن يشعر بأنهم حرائر ، فهو أدنى وأقرب ، لأن يعرفهن : أي يعلم أنهم حرائر ، فلا يؤذين من قبل الفساق الذين يتعرضون للإماء.

وهذا هو الذي فسر به أهل العلم بالتفسير هذه الآية ، وهو واضح ، وليس المراد منه أن تعرض الفساق للإماء جائز بل هو حرام. ولا شك أن المتعرضين لهن من الذين في قلوبهم مرض ، وأنهم يدخلون في عموم قوله : ﴿ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾^{٢٤٩}.

وفي قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾^{٢٥٠} إلى قوله : ﴿ وَقَتُلُوا نَفْسَهُمْ ﴾^{٢٥١}.

وما يدل على أن المتعرض لما لا يحل من النساء من الذين في قلوبهم مرض ، قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾^{٢٥٢} ، وذلك معنى معروف في كلام العرب ، ومنه قول الأعشى :

حافظ للفرج راض بالتقى * ليس ممن قلبه فيه مرض

٢٤٧- سورة الاحزاب ٥٩ .

٢٤٨- سورة الاحزاب ٥٩ .

٢٤٩- سورة الاحزاب ٦٠ .

٢٥٠- سورة الاحزاب ٦٠ .

٢٥١- سورة الاحزاب ٦١ .

٢٥٢- سورة الاحزاب ٣٢ .

وهنا لا إشكال في أمر الحرائر بمخالفة زي الإماء ليهابن الفساق ، ودفع ضرر الفساق عن الإماء لازم ، وله أسباب آخر ليس منها إدناء الجلابيب.

في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^{٢٥٣} أن الفعل الصناعي عند النحويين ينحل عن مصدر وزمن . كما قيل ان المصدر اسم ما سوى الزمان من. مدلولي الفعل كامن من أمن. وإذا عرفته فاعلم أن المصدر والزمن كامنان في مفهوم الفعل إجماعاً وقد ترجع الإشارات والضمائر تارة إلى المصدر الكامن في مفهوم الفعل ، وتارة إلى الزمن الكامن فيه .

زاي : تأثير لوازم الحجاب

هناك العديد من اللوازم مرافقة لمسألة الحجاب فقد قيل^{٢٥٤} ان علّة ظهور الحجاب وما هو سبب ظهور الحجاب ، وما هي فلسفته؟ وكيف أضحي الحجاب ظاهرةً بين سائر الأمم القديمة أو لدى بعضها؟

نحن نعرف أنّ الإسلام دين، جاءت كلُّ أحكامه على أساس مصلحةٍ وحكمة، فلمْ وعلى أساس آية مصلحة أكد أو أسس الإسلام الحجاب؟ .

فقد سعى المناهضون لظاهرة الحجاب الى إبراز جملة ممارساتٍ ظالمة، بوصفها عللاً لهذه الظاهرة، ولم يُميّزوا في ذلك بين الحجاب الإسلامي وغير الإسلامي، فأوحوا بأنّ الحجاب الإسلامي ينطلق من هذه الممارسات الظالمة أيضاً.

وموضوع الحجاب^{٢٥٥} قد يبدو انتقاصاً من حق المرأة عند البعض الذي يرى أن من الحق للمرأة ارتداء ما تبغي، ونقول: إن هذا الأمر متعلق بأمرين:

أولاً: (تحريم العري) على كل من الرجال والنساء .

ثانياً: (فرض الحشمة والحياء) في الظهور بين الناس على كلا الجنسين حماية للأخلاق العامة. وهذا ما ميز الإنسان عن الحيوان باصطناع اللباس حماية لهيبته .

٢٥٣- سورة الاسراء ٩ .

٢٥٤- راجع : كتاب الحجاب الاعرج ، تأليف : السيد سامي خضرة .

٢٥٥- راجع : كتاب مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة - تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة .

ولذا كان ستر العورة أول خطوات الإنسان المتحضر تمييزاً لنفسه عن الحيوانية المتوحشة. وقد أقر الإسلام هذه المفاهيم الحضارية، حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾^{٢٥٦}.

ومن ثم حدد محل العورة للرجل والمرأة، والحدود الدنيا في لباسهما في الصلاة والمعيشة اليومية. فليس من الإنسانية في شيء أن تعرض المرأة جسدها - ولو بإرادتها - وتحتل نفسها من إنسان خلقه الله وكرمه، إلى جسد يقضي فيه الشهوانيون وطهرهم. وليت شعري لهذا قمة الاستعباد والاسترقاق.

والقرآن الكريم يجعل للمرأة حق المشاركة وإبداء الرأي في رضاء ابنها وطفامه وتربيته: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾^{٢٥٧}.

والسنة تجعل للأم رأياً في زواج بناتها كما قيل آمروا النساء في بناتكم لتجعل الرأي الأخير للبنات نفسها والباكر تستأذن وإذنها صمتها، والشيب أحق بنفسها^{٢٥٨}.

هذا بالإضافة إلى مظاهر الاستقلالية الاقتصادية التي تتمتع بها المرأة في التشريع الإسلامي وطرح الباحثون نظريات متنوعة بصدد أسباب ظهور الحجاب. وقد تُبَيِّنَت هذه الأسباب في الأعم الأغلب لإبراز الحجاب بوصفه عملاً ظالماً وممارسة جاهلة. وبدورنا نذكر جملة من هذه الأسباب.

نُمكننا تصنيف النظريات التي عثرنا عليها إلى: فلسفية، واجتماعية، وأخلاقية واقتصادية ونفسية وهي كما يلي:

١ - الاتجاه الرهباني والميل نحو الرياضة الروحية (الجذر الفلسفي).

٢ - فقدان الأمن والعدالة الاجتماعية (الجذر الاجتماعي).

٣ - حكومة الأب وتسُّلُّط الرجل على المرأة، واستغلال طاقتها الاقتصادية لمصلحة الرجل الاقتصادية (الجذر الاقتصادي).

٢٥٦- سورة الاعراف ٢٦ .

٢٥٧- سورة البقرة الآية ٢٢٣ .

٢٥٨- ولو انتقلنا إلى القانون المدني الفرنسي (قانون نابليون) في الفصل (٢٧١) وجدناه يقرر : أن المرأة المتزوجة لا يجوز لها أن تهب ولا تنقل ملكيتها ، ولا أن ترهن ، ولا أن تملك بعوض أو بغيره بدون اشتراك زوجها في العقد، وموافقة عليه موافقة كتابية . وهذا مما يدل على أن المرأة افتقدت أهليتها وشخصيتها واستقلاليتها حتى في أكثر التشريعات تقدماً، بل وفقدت في العرف الجاري اسمها ونسبها العائلي الخاص، وصارت من متعلقات زوجها !

٤ - أنانيّة الرجل وحسده (الجذر الأخلاقي).

٥ - العادة الشهريّة وإحساس المرأة بالنقص أمام الرجل، مضافاً إلى العادات القاسية، التي تُمارس ضد المرأة أيام حيضها من احتقارها وترك معاشرتها (الجذر النفسي).

هذه هي أهمّ العوامل، والإسلام لم يأخذ بنظر الاعتبار أيّاً من هذه العوامل في فلسفته الاجتماعيّة، وأنّ أيّاً من هذه العوامل لا ينسجم مع الأسس المعروفة والعامة للتفكير الإسلاميّ.

١ . الاتجاه الرهبانيّ والرياضة الروحيّة

ترتبط مسألة الحجاب بالاتّجاه الرهبانيّ والرياضة الروحيّة من خلال كون المرأة أروع موضوع من مواضيع المتعة واللذة، التي يتوقّر عليها الرجال. فإذا اختلط الرجل بالمرأة، وتعاشرا فسوف يتّجهان حتماً صوب المتعة واللذة.

وبغية أن يكون المحيط الاجتماعيّ منسجماً بشكلٍ كامل مع روح الزهد والرياضة، أقام أتباع الفلسفة الرهبانيّة حاجزاً بين الرجل والمرأة، وألزموها بالحجاب.

كما جانبوا سائر المغريات الأخرى. وجاء ظهور الحجاب في ضوء هذه النظريّة نتيجة احتقار الزواج وتقديس العزوبة. أنتج الاتّجاه الرهبانيّ وترك الدنيا بالنسبة للمال فلسفة الفقر والعزوف الكامل عن كلّ الوسائل الماديّة، كما أنتج بالنسبة للمرأة العزوبة ومجانبة الجمال .

إطالة الشّعر عادة مُتعارفة بين السيخ والهندوس وبعض الدراويش، كما أنّ مجانبية الجمال والوقوف ضدّ الشهوة من ثمار الفلسفة الرهبانيّة والميل نحو الرياضة الروحيّة .

يقول هؤلاء: إنّ تقصير الشّعر وتمشيّطه عامل زيادة الشهوة الجنسيّة، بينما تُفضي إطالة الشّعر إلى تقليل وإضعاف الشهوة^{٢٥٩}.

٢٥٩- تأتي إلى بعض ما قاله راسل في كتابه (الأخلاق والعلاقة الجنسيّة) الصفحة ٣٠ من الترجمة الفارسيّة:

إنّ نوح (بولس المقدّس) الفكريّ أشاعته الكنيسة بشكل كامل، خصوصاً في القرن الأوّل لميلاد المسيح، وسلك عدد كبير من الأفراد سبيل السياحة الروحيّة ليقهروا الشيطان، الذي يملأ أذهانهم في كلّ آنٍ بألوان التخيّلات الشهوانيّة .

وقد حاربت الكنيسة - ضمن هذا السياق - الاستحمام، إذ إنّ الاستحمام يدفع مفاصل البدن الإنسانيّ نحو الخطيئة. فرحبت الكنيسة بوساخة البدن، وأخذت رائحة البدن لوناً من القدسيّة، إذ إنّ نظافة البدن وتجميله تتعارض - من وجهة نظر بولس - مع نظافة الروح...

واما علّة ظهور الحجاب نرى هل ينسجم مثل هذا التبرير للحجاب مع النهج الإسلامي وطريقته الفكرية؟ .

للإسلام - من حسن الحظّ - نهج فكريّ واضح ونظرة جليّة للعالم. فوجهة نظره بصدد الإنسان والعالم واللذة واضحة، من هنا يُمكن أن نتعرّف بيسرٍ، هل أنّ للإسلام اتّجهاً نحو الرياضة الروحية أم لا؟ نحن لا نُنكر أنّ للرهبانية والرياضة الروحية وجوداً في نقاط من العالم. وربما يُمكن اعتبار حجاب المرأة . في البقاع التي يُسيطر عليها هذا اللون من التفكير . نتيجةً له. ولكن عندما شرّع الإسلام الحجاب لم يستند في جميع الحالات إلى مثل هذه العلّة، كما أنّ مثل هذا الاتجاه لا ينسجم مع روح الإسلام ولا مع سائر أحكامه.

فالإسلام - من حيث الأساس - حارب بشدّة التفكير الرهبانيّ. وهذه الحقيقة يُدّعن بها حتى المستشرقون الأوروبيون.

لقد دعا الإسلام للنظافة، فبدلاً من اعتبار القمّل جواهر إلهيّة، قال: (النظافة من الإيمان). وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: (مِنَ الدِّينِ الْمُتَعَةِ) ^{٢٦٠} كما جاء عنه ﷺ: (بئس العبد القاذورة). وجاء عن أمير المؤمنين ع عليه السلام أنّه قال: (إنّ الله جميل يُحِبُّ الجمال) ^{٢٦١}.

وجاء في الحديث عن الإمام الصادق ع عليه السلام أنّه قال: إنّ الله يُحِبُّ الجمال والتجمل ويُغضّ التّبؤس والتّباؤس، فإنّ الله إذا أنعم على عبده بنعمة أحبّ أن يُرى عليه أثرها، قيل: كيف ذلك؟ قال: يُنظّف ثوبه ويُطَيّب ريحه، ويُجصّص داره ويكنس أفنيته حتى أنّ السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في الرزق ^{٢٦٢}.

ونجد في أقدم كتب الحديث والرواية مثل كتاب (الكافي) الذي يعود الى ألف عام بحثاً تحت عنوان (باب الزيّ والتجمل).

لقد قدّم الإسلام وصايا أكيدة لتقصير الشّعر وتمشيّطه واستخدام الطيب ودهن الشّعر.

٢٦٠ - وسائل الشيعة طبعة آل البيت ، ج ٥ ص ٦٠.

٢٦١ - نفس المصدر : ج ٤ ، ص ٤٥٥ .

٢٦٢ - نفس المصدر : ج ٥ ، ص ٥ .

جاء في الرواية: أنّ جماعة من الصحابة كانوا حرّموا على أنفسهم النساء والإفطار بالنهار والنوم بالليل، فأخبرت أمّ سلمة رسول الله ﷺ فخرج إلى أصحابه فقال: أترغبون عن النساء، إني آتي النساء وأكل بالنهار وأنام بالليل....

وعن الصادق عليه السلام قال: إنّ ثلاث نسوة أتين رسول الله ﷺ فقالت إحداهنّ: إنّ زوجي لا يأكل اللحم، وقالت الأخرى: إنّ زوجي لا يشمّ الطيب، وقالت الأخرى: إنّ زوجي لا يقرب النساء.

فخرج رسول الله ﷺ يجرّ رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: ما بال أقوام من أصحابي لا يأكلون اللحم ولا يشمّون الطيب ولا يأتون النساء، أما إني أكل اللحم وأشمّ الطيب وآتي النساء، فمن رغب عن سنّي فليس منّي^{٢٦٣}.

إنّ الحكم بتقصير الثياب - خلافاً لعادة العرب آنذاك حيث كانت ثيابهم تحطّ في الأرض - كان لأجل النظافة، وقد بُيّن هذا الحكم في الآيات الأولى التي نزلت على الرسول ﷺ : ﴿وَتِيَابُكَ فَطَهِّرْ﴾^{٢٦٤}.

كما أنّ استحباب لبس الثوب الأبيض هو لأجل جماله من جهة ولأجل النظافة من جهة أخرى، إذ اللباس الأبيض يعكس بشكل أفضل الأوساخ، وهذه المسألة جاءت الإشارة في الروايات: (إلبسوا البياض فإنّه أطيب وأطهر)^{٢٦٥}.

وقد جاء في الأثر عن النبي ﷺ أنّه كان ينظر في المرأة، ويرجل جمته ويمتشط، وربّما نظر في الماء وسوى جمته فيه، ولقد كان يتجمل لأصحابه فضلاً عن تجمله لأهله^{٢٦٦}. وقد اعتبر القرآن الكريم خلق أسباب الزينة والتجمل من ألطاف الله تعالى على عباده، وهاجم بشدّة تحريم هذه النعم الإلهية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾^{٢٦٧}.

٢٦٣- وسائل الشيعة طبعة آل البيت جزء ٢٠ صفحة ١٠٧.

٢٦٤- سورة المدثر الآية ٤ .

٢٦٥- وسائل الشيعة ج ٣ ، ص ٤١.

٢٦٦- نفس المصدر ، ج ٥ ، ص ١١.

٢٦٧- سورة الاعراف : ٣٢.

وقد ورد في النصوص الإسلامية أنَّ الأئمة عليهم السلام استندوا في جدالهم مع المتصوّفة إلى نفس هذه الآية لإثبات بطلان ادعاءاتهم^{٢٦٨}. فالإسلام لم يرفض تمتّع الزوجين جنسياً أحدهما بالآخر فحسب ، بل جعل لذلك ثواباً وأجرأ.

ولعلّ من المدهش بالنسبة لشخص غربيّ أن يسمع أنَّ الإسلام يذهب الى استحباب الملاعبة بين الزوج والزوجة ، وتحمّل المرأة لزوجها . فالغربيّون سابقاً حينما كانوا يلتزمون تعاليم الكنيسة وكانوا يشجبون كلّ ألوان اللّذة، كانوا يعتقدون بخطأ ما يُستحبّ في الإسلام، بل كانوا يهزأون به.

لقد منع الإسلام بشدّة ألوان المتعة الجنسيّة خارج إطار الزواج الشرعيّ، ولهذا المنع فلسفة خاصّة. لكنّه رحّب بالمتعة الجنسيّة في حدود الشرع، حتى أنّه اعتبر حبّ النساء من خصائص الأنبياء: (من أخلاق الأنبياء حبّ النساء)^{٢٦٩}.

وذمّ الإسلام المرأة التي تُقصر في تحميل وتزيين نفسها لزوجها، كما ذمّ الأزواج الذين لا يُشبعون رغبات نساءهم. جاء في الأثر عن الحسن بن الجهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام (الإمام موسى بن جعفر عليه السلام) اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت فقال: نعم إنّ التهيئة ممّا يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهنّ التهيئة.

ثم قال عليه السلام:

أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا. قال: فهو ذاك. ثمّ قال: من أخلاق الأنبياء التنظيف والتطيّب وحلق الشّعر وكثرة الطروقة^{٢٧٠}.

وقد جاء في حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: تنظّفوا ولا تشبّهوا باليهود^{٢٧١} ، ثمّ أشار بعد ذلك إلى أنّ انحراف نساء اليهود نشأ جزأً وساخة رجالهنّ فكانوا غير مرغوبين من قبل نساءهم ، وأمّر المسلمين بالنظافة لكي ترغب بهم نساؤهم .

وقد ورد في الأثر: أنّ الصحابيّ عثمان بن مظعون اتّجه نحو الرهبة وترك الدنيا وملدّهاها ، فجاءت زوجته إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقالت:

٢٦٨- وسائل الشيعة طبعة آل البيت ج ٥، ص ٧.

٢٦٩- نفس المصدر : ج ٢٠، ص ٢٢.

٢٧٠- الكافي ، ج ٥ ، ص ٥٦٧ .

٢٧١- انظر : نهج الفصاحة .

يا رسول الله إنّ عثمان يصوم النهار ويقوم الليل، فخرج رسول الله ﷺ مُغَضِباً يحمل نعليه حتى جاء الى عثمان فوجده يُصَلِّي، فانصرف عثمان حين رأى رسول الله ﷺ فقال له:

يا عثمان لم يُرسلني الله بالرهباتية ولكن بعثني بالحنيفية السمحة أصوم وأصلي وأمس أهلي، فمن أحب فطرتي فليست بسنتي، ومن سني الزواج^{٢٧٢}.

٢ . فقدان الأمن

الشيء الآخر الذي ذكره لبروز ظاهرة الحجاب هو: فقدان الأمن. لقد كان فقدان الأمن والعدالة الاجتماعية ظاهرة سائدة بوضوح في الأزمنة الغابرة.

فقد كانت يد ذوي النفوذ والقدرة طويلة على أموال الناس ونواميسهم، فإذا كان لدى الناس مال أو ثروة فإنهم مضطرون لإخفائها بالدفن تحت الأرض.

فبقاء الكنوز مخفية يعود سببه إلى أنّ أصحاب الذهب والثروة لم تكن لديهم الجرأة لإطلاع أبنائهم على أماكن إخفائها، فقد كانوا يخافون كشف سرّ ذلك بواسطة أبنائهم فتقع فريسة بيد الأشرقياء والمتجاوزين.

من هنا فقد يموت الأب فجأة، ولم تتسّر له فرصة لإخبار ابنه بأسراره، فتبقى ثروته دفينة تحت التراب، ولذا اشتهرت الكلمة المعروفة: (إحفظ ذهبك ، وذهابك ، ومذهبك) .

فكما لم يكن هناك اطمئنان أمني بالنسبة للثروة، لم يكن أيضاً بالنسبة للمرأة، فكل شخص لديه امرأة جميلة كان مضطراً لإخفائها عن الأشرقياء، إذ لو اطلع هؤلاء على وجودها لم يبق ذلك الشخص مالكا لها.

فبمجرد اطلاع أبناء السلاطين ورؤساء القبائل والإقطاعيين على وجود امرأة حسنة في منزل ما، يهجمون على ذلك المنزل، ويخطفون المرأة من بيت زوجها. فلم يكن آنذاك الحديث حول (الستر) بل كان الحديث يدور حول إخفاء المرأة، لكي لا يعلم بها أحد. وقد نقل (ويل ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) وقائع مُخجّلة.

وذكر في عودة الحجاب^{٢٧٣} إن جملة الأحكام التي يطلق عليها عنوان (الحجاب) هي في الحقيقة مشتملة على أهم أجزاء النظام الاجتماعي في الإسلام.

٢٧٢- الكليني ، الكافي ، ج ٥ ، ص ٤٩٤ .

فإذا وضعت هذه الأحكام موضعها الصحيح في النظام الإسلامي بكامله ثم تأملها أحد فيه أثارة من البصيرة الفطرية السليمة لم يلبث أن يعترف بأنها الصورة الوحيدة الممكنة التي تضمن القصد والاعتدال في الحياة الاجتماعية^{٢٧٤}.

وأن هذه الأحكام لو عرضت على العالم منفذة في الحياة العملية بروحها الحقيقية الصحيحة لهرولت الدنيا المنكوبة إلى هذا النبع الصافي تلتمس فيه الدواء لأدوائها الاجتماعية المتفشية بدل أن تنفر منه أو تطعن عليه.

ففي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ومطلع القرن التاسع عشر فوجئت الشعوب الإسلامية بطوفان من الاستعمار الغربي. بينما المسلمون في سبات لم يستيقظوا بعد كل اليقظة مما جعل هذا السيل يمتد من بلد لآخر حتى شرق العالم الإسلامي وغربه وما أن انتصف القرن التاسع عشر.

حتى غدت معظم الأمم المسلمة عبيداً للغرب الأوربي وخولاً له والتي لم تدخل منها في عبوديته لم تسلم من الخضوع لسلطانته ورهبة بأسه وسطوته^{٢٧٥}. ولما بلغ هذا الانقلاب تمامه بدأت في المسلمين آثار اليقظة والحركة فلما فتحوا أعينهم على الحال التي قد صاروا إليها فشلت ربحهم وزال عنهم بغتة ذلك الفخار والاعتزاز.

٢٧٣- راجع : كتاب عودة الحجاب ج ١ وراجع : تاريخ معركة الحجاب تأليف: مُجَدِّ إِسْمَاعِيلِ الْمَقْدَم .

٢٧٤- في سنة ١٨٩٤م ظهر طعن بالحجاب هو (مرقص فهمي) المحامي وكتابه هو (المرأة في الشرق) دعا فيه صراحة وللمرة الأولى في تاريخ المرأة المسلمة إلى تحقيق أهداف خمسة محددة وهي :-

أولاً : القضاء على الحجاب الإسلامي .

ثانياً : إباحة اختلاط المرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثاً : تقييد الطلاق وإيجاب وقوعه أمام القاضي .

رابعاً : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامساً : إباحة الزواج بين المسلمات والقساوسة والأقباط .

وقد أحدث الكتاب ضجة عنيفة ولم يلبث المسلمون حين صدموا به حتى انطلقت في غمرات هذه الضجة قذيفة أخرى .

٢٧٥- كتاب: الحجاب للمودودي ص ٣٧ - ٤٧ طبعة مؤسسة الرسالة .

الذي طالما تأصل فيهم لبقائهم في نشوة وعزة من ان الاسلام نزل بلغة العرب فأصبحت لهم الغلبة ومجد السيادة قروناً متوالية فعادوا يفكرون في أنفسهم كالسكران يفيقه توالي الضربات^{٢٧٦}.

من عدو شديد ويبحثون عن الأسباب التي هبطت بهم وغلبت الإفرنج عليهم غير أن عقولهم لم تكن ثابت بعد إلى رشدتها إذ كان السكر لا ريب قد ذهب عنهم ولكن ميزان الفكر كان لا يزال مختلاً فيهم بسبب ابتعادهم عن وصية النبي ﷺ كتاب الله وعترتي.

فمن جانب كان يلح بهم شعور بالذلة والهوان ويؤزهم أزاً على تبديل ما هم فيه من الأحوال وبجانب آخر يغلبهم من حب الراحة وإيثار الدعة والارتقاء ما يحملهم على توخي أقرب الطرق وأسهلها.

لتبديل تلك الحالة وقد خارت فيهم من جهة ثالثة قوى الفكر والعقل وصدئت ملكات الفهم والذكاء بطول تعطلها عن العمل زد على ذلك كله ما أخذ بمجامع نفوسهم من الدهشة والروعة التي تعترى بالطبع كل أمة منهزمة مستعبدة.

فما سر العلاقة الودية الوثيقة التي تربط بين دعاة تحرير المرأة وبين القوى الاستعمارية والمعادية للإسلام وعلمائه ودعاته وأهله في كل مكان من العالم حولنا ؟

إنه بالرغم من افتراض حسن النية أو الجهل عند من كان يظهر الإسلام من دعاة تحرير المرأة لكن هذا الافتراض لم يمنع بعض المحللين والباحثين حق الاجتهاد والبحث عن علاقة ما محتملة سرية أو علنية بين مخططات الصهيونية والماسونية ومسيرتها السرطانية الدؤوبة التي لا نشعر بها إلا بعد ظهور الأورام وتفشي الموت في الدم واللحم والعظم.

وبين قيادات ودعاة السفور على مساحة ديار المسلمين الواسعة ومن أوقع نفسه في مواقع التهمة فلا يلومن من أساء الظن به^{٢٧٧}.

٢٧٦- وللمزيد راجع :

كتاب الحركات النسائية في الشرق لمحمد فهمي عبد الوهاب ص ١٣ - ١٤ طبعة دار الاعتصام.

كتاب الحجاب الاعرج للسيد سامي خضرة .

كتاب الإسلام والحضارة الغربية ص ٤١ - ١٠٠ وقاسم أمين للدكتور ماهر حسن فهمي ص ١٩ - ٢٠ .

كتاب دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام لمصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال نشر دار طيبة - الرياض وهي دراسة .

٢٧٧- راجع : كتاب عودة الحجاب ج ١ ص ٦٨ . وراجع : تاريخ معركة الحجاب تأليف مُجَدِّ إِسماعيل المقدم.

متابعات وتحاليل

نحن لا نُنكر أنّ فقدان الأمن والعدالة في الأزمنة الماضية كان له أثر في إخفاء المرأة.

ومن المسلم به أنّ الحجاب المتطّرف والأفكار المتطرّفة بشأن ستر المرأة ناتجة عن هذا اللون من الممارسات في التاريخ. ولكن يجب علينا أن نتساءل: هل أنّ فلسفة الحجاب في الإسلام تقوم على أساس هذا الأمر؟

من المقطوع به أنّ علّة تشريع الحجاب في الإسلام ليست هي فقدان الأمن، وعلى الأقلّ ليست هي العلّة الوحيدة والأساس، إذ إنّ فقدان الأمن لم يأت علّة في النصوص الإسلامية، كما أنّه لا يتطابق مع وقائع التاريخ.

فرغم أنّ الحجاب لم يكن تقليداً في العصر الجاهليّ إلاّ أنّ العرب كانوا يعيشون بأمن في ظلّ محيطهم القبليّ والبدويّ.

ففي نفس الوقت الذي كان يسود فقدان الأمن الاخلاقيّ والتجاوز على الأعراض بحده الأعلى، وكان هناك حجاب أيضاً، لم تكن بين أفراد القبائل العربيّة مثل هذه التجاوزات. فإنّ العرب كانت تفتقد في حياتها القبليّة الأمن الاجتماعيّ بين القبائل.

والحجاب ليس تديراً لمعالجة هذا الوضع. فقد كانت القبائل تتصارع بشكل دمويّ فيما بينها، ويُغير بعضها على الآخر فيأسر الرجال والنساء، وبالتالي لا يُعالج الحجاب مشكلة المرأة. فرغم الفارق الكبير بين مستوى حياة العرب في الجاهليّة وبين مستوى الحياة الصناعيّة المعاصرة، إلاّ أنّ هناك تشابهاً في شيوع ظاهرة (الزنا) حتى بذوات الأزواج.

ولكنّ مع الفارق وهو أنّ فقدان الأمن الفرديّ في عصرنا الصناعيّ لم يكن آنذاك، بحكم لون من الحرّيّة السياسيّة وفقدان الحكم الدكتاتوريّ، فلم يُمارس إخراج النساء بالقوّة من بيوت أزواجهنّ.

يكون الحجاب مانعاً من التجاوز فيما إذا كان المتجاوز يعيش في ظلّ عرفٍ وحياةٍ مشتركةٍ مع الآخرين، ولم يكن هناك تجاوز بين أفراد القبيلة الواحدة بحكم العُرف الحاكم آنذاك، ولذا لا يُمكننا أن نقول: إنّ الإسلام شرّع الحجاب لأجل إقرار الأمن الأخلاقيّ.

إنّ فلسفة الحجاب في الإسلام أمر آخر ونحن لا نريد أن نقول في الوقت ذاته إنّ مسألة الأمن الأخلاقيّ لم تكن منظورة على الإطلاق.

فسوف ترى عندما تفسر (آية الحجاب) أنّ القرآن أخذ هذه المسألة بنظر الاعتبار.

كما لا ندعي أيضاً أنّ هذه المسألة لا محلّ لها في عصرنا وأنّ الأمن الأخلاقيّ متوفّر للمرأة بشكلٍ كامل. فالصحف اليومية تعكس لنا أخبار الاعتداءات الخشنة التي تُمارس في بلدان العالم المتطوّر.

فهذه الدرة المصونة والجوهر المكنونة جاءها الإسلام وهي مهضومة الحقوق مهیضة الجناح مسلوية الكرامة مهانة مزدرة محل التشاؤم وسوء المعاملة معدودة من سقط المتاع .

وأبغس السلع تباع وتشتري توهب وتكتري لا تملك ولا تورث بل تقتل وتؤاد بلا ذنب ولا جريمة فلما جاء الإسلام بحكمه وعدله ورفع مكانتها وأعلى شأنها وأعاد لها كرامتها وأنصفها فمنحها حقوقها والغي مسالك الجاهلية نحوها واعتبرها شريكة للرجل شقيقة له في الحياة.

وقد ذكرها الله في كتابه الكريم مع الرجل في أكثر من موضع يقول سبحانه (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى).

٣ . استغلال المرأة

ذهب بعضهم إلى اعتبار العامل الاقتصاديّ جذراً من جذور ظاهرة الحجاب، فقالوا: إنّ ظاهرة الحجاب والحريم من بقايا عهد ملكيّة وسلطة الأب. فبغية أن يتوفّر الرجال من خلال النساء على منافع اقتصادية، كانوا يحفظونهنّ في البيوت، ولأجل تكييف المرأة وإقناعها بالبقاء ذاتياً في البيت، واعتبار الخروج من المنزل عملاً قبيحاً، اخترعوا فكرة الحجاب.

لقد سعى أصحاب هذه المقولة إلى توجيه وتفسير مسائل أخرى، نظير النفقة والمهر أيضاً على أساس مالكيّة الرجل للمرأة. فقضية الحجاب اليوم، وما يدور بينها وبين السفر من معارك، إلى أنّها لم تُعد قضيةً فرعية ومسألةً خلافية فيها الراجح والمرجوح^{٢٧٨}.

ولكنّها باتت قضيةً عقدية مصيرية، ترتبط بالإذعان والاستسلام لشرع الله عز وجل، في كلّ صغيرة وكبيرة، وعدم فصلها عن شؤون الحياة كلها، لأنّ ذلك هو مقتضى الرضى بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً وعلي ﷺ أماماً.

٢٧٨ - انظر : مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة - تأليف : تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي في جدة .

إن التشنيع على تغطية المرأة بالحجاب والتهالك على خروجها من بيتها، واختلاطها بالرجال، ليست اليوم مسألة فقهية فرعية، ولكنها مسألة خطيرة لها ما بعدها.

لأنها تقوم عند المنادين بذلك على فصل الدين عن حياة الناس، وعلى تغريب المجتمع، وهي إحدى الخطوات يا أختي المسلمة^{٢٧٩} فأعلمي أن العلم أنفس ما تبذل فيه الأعمار، فهو طريق العمار، وعنوان الصلاح في كافة الأزمان والأعصار.

والأخت المسلمة أشد حاجة من ذي قبل إلى العلم والتعلم، لتوازي به ركب العصر ومجرياته، وتقاوم طغيان الغرب وتحدياته، وتكون في مستوى التكوين الثقافي والعلمي بحيث تجابه متطلبات العصر وأولوياته دون إخفاق أو فشل.

ولما كان العلم لا يتعارض مع الدين والالتزام كان لزاما عليك أن تجعلي من طلبك للعلم وسيلة لنصرة الدين والاعتزاز به.

تعبدين الله بخروجك إلى طلب العلم، وتمرسك على التعلم والمطالعة، وتحافظين أثناء كل ذلك على العفة والحياء والطهارة والنقاء! وإليك بعض الوصايا التي لا غنى للطالبات عنها:

أ - تذكري أن ذهابك لطلب العلم هو عبادة وتدين فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا من ذكر الله وما ولاه وعالم ومتعلم. ومهما كان اختصاصك في العلوم، سواء في العلوم الشرعية أو غيرها كالفيزياء والطب والهندسة. فأنت ملزمة في ذلك بالإخلاص لأنه يحول عاداتك إلى عبادات وبملاء صحيفتك بالثواب الجزيل على ما تتعلمين.

ب - حافظي على حجابك أثناء الخروج والدخول وفي الشارع والمدرسة والجامعة، فإن الحجاب لا ينافي العلم. بل التبرج هو الذي ينافيه وينقضه لأنه محرم شرعا ومعاب عقلا وقد دلت التجربة الميدانية في الغرب وفي كثير من الدول الأخرى على فساده، وتسببه في الأمراض والأوبئة الفتاكة! فتألمي!.

واعلمي أيضا أنه لا ينافي الجمال ولا يعيبه، بل يحفظه ويستره لئلا تنهشه أنياب الذئاب ممن طاش عقلهم واستهوهم الشياطين! وتذكرني أيضا أن الحجاب له أوصاف معلومة لا تتجدد بتجدد الموضة والأزياء بل هي ثابتة ثبات الجبال وباقية ببقاء كتاب الله تعالى وصاحب الزمان ﷺ! .

وقد جعل الله الجهاد ذروة سنام الإسلام ، والدرع الذي يحمي بيضة الأمة ، وبقائها شرور الطامعين وسبباً لإزالة الحواجز التي تحول دون وصول دعوة الحق والإيمان إلى كل شعب وأمة ، وقد بدأ الجهاد فعلياً بمجرد تشكيل الدولة الإسلامية الأولى على يد النبي ﷺ ولا يزال ماضياً ما بقي الإسلام .

وللجهاد مراتب وأحوال ، فثمة جهاد اللسان ، وجهاد السنان ، وجهاد النفس والشيطان والذي يعنينا في هذا البحث هو الجهاد بمعناه القتالي ، والذي يمكن أن يكون فرضاً عينياً ، ويمكن أن يكون فرضاً كفائياً . والناس في دور المرأة في الجهاد بين غالٍ وجافٍ ، فالبعض يرى منعها مطلقاً ، ويتوسع آخرون فيجعلونها كالرجل في هذا الشأن ، مما يشكل فهماً مغلوطاً لبعض مفاهيم الجهاد في الإسلام .

وتلاحظ بعض المفاهيم المغلوطة حول مسألة جهاد المرأة المسلمة منها ان يقتصر الجهاد على الرجال وليس للمرأة دور فيه ، بل يجب منعها منه ، لطبيعتها وضعفها ، ولما يمكن أن يلحق بها من أذى أو أسر ونحوه .

لتوضيح هذا الأمر يمكن القول بأن الجهاد إما أن يكون فرض عين ، وإما أن يكون فرض كفاية ، ويكون الجهاد فرضاً عينياً إذا هاجم العدو المسلمين في ديارهم ، أو احتل جزءاً من بلادهم أو حصل استنفار عام من إمام المسلمين ، فيجب عندها على كل من قدر على القتال من أهل تلك البلاد المشاركة فيه لرد العدوان ، رجلاً كان أو امرأة ، وغير القادر على القتال بالسلاح عليه المشاركة بما يستطيعه من صنع الطعام ، وإسعاف الجرحى ، وتأمين المياه ، وكل أمر فيه منفعة للجهاد ، يستوي في ذلك الرجال والنساء .

ويكون الجهاد فرض كفاية في غير الأحوال التي سبق ذكرها ، ولا يجب على المرأة المشاركة فيه على سبيل الإلزام ، وإنما لها التطوع أن شاءت ، وتقوم بما تقدر عليه من خدمة للمجاهدين وصنع لطعامهم ، وإسعاف للجرحى ، ومباشرة للقتال إذا اقتضى الأمر أحياناً وغير ذلك .

ولكن الأصل أن الجهاد واجب على الرجال فقط ، ومشاركة المرأة فيه مشاركة عارضة ، وعلى خلاف الأصل ، وذلك لأن طبيعة المرأة وواجباتها التي خلقت لأجلها تحتاج إلى الرفق واللين وحسن المعشر ، وإكثار المرأة من حضور الحروب ومعاينة القتل وسفك الدماء يؤثر على طبيعتها .

ولذا فان مشاركة المرأة في الجهاد تكون في حدودها الدنيا ، وحتى في الغزوات التي شاركت فيها النساء مع المسلمين فقد كانت إعدادهن قليلة ، ومشاركتهن تتناسب مع طبيعتهن ومشاركة المرأة في العمل القتالي كانت في الغالب عند انهزام الجيوش ، أو تعرضها للبليلة التي تقتضي أن يحمل كل من حضر ساحة المعركة السلاح للدفاع عن نفسه ودينه .

وسماح الإسلام للمرأة بالمشاركة في الجهاد أحياناً فيه مصلحة راجحة ، فإن المرأة التي تحضر القتال ، وترى توضحيات المسلمين وبطولاتهم سوف تنقل ذلك لأبنائها فتربيههم على ما رأت من البطولات والشجاعة والإيثار .

ومما روي في مشاركة المرأة المسلمة في أعمال الجهاد ، عن النبي ﷺ أنه قال بحق أم عمارة : (ما التفت يميناً ولا شمالاً يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوي)^{٢٨٠} . وروي عن السيدة عائشة أنها قالت : كان النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين نسائه ، فأيتهن يخرج سهمها خرج بها ، فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي فخرجت مع النبي ﷺ^{٢٨١} .

وورد عن أنس أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً فكان معها فرأها أبو طلحة فقال يا رسول الله : هذه أم سليم معها خنجر ! فقال رسول الله ﷺ : ما هذا الخنجر ؟ قالت : اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك^{٢٨٢} . وعن أنس أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى^{٢٨٣} .

وفي مصنف عبد الرزاق : عن إبراهيم النخعي وسئل عن جهاد النساء فقال : كن يشهدن مع رسول الله ﷺ فيداوين الجرحى ويسقين المقاتلة ، ولم اسمع معه بامرأة قُتلت ، وقد قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين رهنهم جموع الروم ، حتى خالطوا عسكر المسلمين ، فضرب النساء يومئذ بالسيوف ، في خلافة عمر^{٢٨٤} .

وفي سنن سعيد بن منصور أن أسماء بنت يزيد الأنصارية شهدت اليرموك مع الناس فقتلت سبعة من الروم بعمود فسقاط ظللتها^{٢٨٥} .

٢٨٠ - العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر ، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، ٧٩\٦ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٢٨١ - البخاري : كتب الهبة وفضلها _ باب هبة المرأة زوجها وعتقها إذا كان لها زوج جائز ٢٤٥٣ .

٢٨٢ - مسلم : كتاب الجهاد والسير - باب غزوة النساء مع الرجال ١٨٠٩ .

٢٨٣ - مسلم : كتب الجهاد والسير - باب غزوة النساء مع الرجال ١٨١٠ ، الترمذي : كتاب السير - خروج النساء في الحرب ١٥٧٥ .

٢٨٤ - مصنف عبد الرزاق : كتاب الجهاد - باب جهاد النساء والقتل والفتك ٩٦٧٣ .

٢٨٥ - سنن سعيد بن منصور : باب ما جاء في سهمان النساء ٢٧٨٧ .

فمن هذه الأمثلة يتضح أن المرأة المسلمة شاركت في الجهاد ، ليس بمالها وجهدها فقط ، بل بنفسها ، وحملت السلاح عندما اقتضى الأمر حمل السلاح ، إلا أن هذا لم يكن حكماً عاماً للنساء بل هو تطوع من بعض النساء ولم يكن الإسلام ليكلف النساء بالجهاد تكليفاً إلزامياً يعم جنس النساء كما كلف الرجال ، بل في ما تقدم أن النبي ﷺ كان يُقرع بين نسائه فيأخذ إحداهن ، ولو كان الأمر على سبيل شيوع التكليف في النساء لأخذ جميع نسائه ولم يقرع بينهن .

يقول مُحمَّد بن الحسن الشيباني^{٢٨٦} : أما إذا لم يكن النفير عاماً فلا ينبغي أن يشتغل النساء بالقتال . وقال : لا يعجبني أن يباشرن القتال ؛ لأن الرجال غنية عن قتال النساء فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة^{٢٨٧} .

وعدم تكليف النساء بالقتال هو مزيد من العناية بهن ، وحماية لهن ، وحفاظ على إعراضهن إذ لو كلفن بالجهاد لتعرضن إلى الاغتصاب والموت والأسر ، وفي ذلك ضياع للمرأة ، وفيه من الفضيحة التي لا يتقبلها المسلم على نسائه ، فكيف بالذي يغار على حرمان الله ، قال ابن قدامة : ولا يؤمن ظفر العدو بهن فيستحلون ما حرم الله منهن^{٢٨٨} ، وقال المرغيناني : يكره إخراج المصاحف والنساء في سرية لا يؤمن عليها ، لأن فيه تعرضهن للضياع والفضيحة^{٢٨٩} .

ومن المفاهيم المغلوطة حول مسألة جهاد المرأة المسلمة منها ان للمرأة الحق في العمل في الجيش النظامي مثل خدمة العلم او الاحتياط أسوة بالرجل ، ولعموم النصوص التي أباحت للمرأة المشاركة في الجهاد .

ويتكون الجيش النظامي من مجموع الرجال المكلفين وفق الشرع بالجهاد ، على سبيل الكفاية نيابة عن بقية الأمة ، وهم بذلك يُسقطون الواجب الكفائي عن بقية المكلفين ، إلا إذا عجز الجيش عن تلبية احتياجات النصر ، والجيش النظامي ومنها خدمة العلم او الاحتياط الدائم ليس المكان الطبيعي للمرأة .

٢٨٦- مُحمَّد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة ، وأحد أعمدة المذهب الحنفي .

٢٨٧- الشيباني ، مُحمَّد بن الحسن ، السير الكبير ، ج ١ ، ص ٢٠٠-٢٠١ .

٢٨٨- ابن قدامة ، المغني ، ج ٨ ، ص ٣٦٦ - ٣٦٥ .

٢٨٩- المرغيناني ، الهداية شرح البداية ، ج ٧ ، ص ١٠٧ - ١٠٩ .

لما في مهمة الجهاد من مشقة وتعرض للأذى ، واحتمالات للأسر والتعذيب والاستنطاق والمرأة بطبعها ليست مؤهلة لذلك ، ومتى أقحمت المرأة في هذا العمل على سبيل الدوام تغيرت صفاتها ، وانقلبت فطرتها ، ولم تعد صالحة لتكون أماً ومربيةً وزوجةً ، لما يترتب على ذلك من خشونة الطبع ، وقسوة القلب ، والانشغال الدائم .

وأما النماذج التي نقلها التاريخ من جهاد النساء ، والبطولات التي سجلها ، فقد كانت عارضة في حياة المرأة ، ولربما شاركت بعض النساء مرة واحدة في حياتها في غزوة استمرت يوماً أو بعض يوم ، فلم تكن النساء تنقطع وتتفرغ للعمل في الجهاد ، وذلك لأن المكان الطبيعي للمرأة هو بيتها ، تربي أولادها ، وتنشئ جيلاً يحمل هموم أمته على عاتقه .

والجهاد لم يكتب على النساء ، لأنها تلد الرجال الذين يجاهدون في سبيل الله وهي مهياة لميلاد الرجال بكل تكوينها العضوي والنفسي ، ومهياة لإعدادهم للجهاد والحياة على السواء ، وهي في هذا الحقل أقدر وأنفع ، فالحرب حين تحصد الرجال وتستبقي الإناث تدع للأمة مراكز إنتاج للذرية تعوض الفراغ ، والأمر ليس كذلك حين تحصد النساء والرجال .

أو حتى حين تحصد النساء وتستبقي الرجال ، فرجلٌ واحد في النظام الإسلامي - وعند الحاجة إلى استخدام كل رخصه وإمكاناته - يمكن أن يجعل نساءً أربعاً ينتجن ، ويملأ الفراغ الذي تتركه المقتلة بعد فترة من الزمن ، ولكن ألف رجل لا يملكون أن يجعلوا امرأة تنتج أكثر مما تنتج من رجل واحد لتعويض ما وقع في المجتمع من اختلال^{٢٩٠} .

وربما جاز العمل في بعض الشؤون التابعة للجيش ، والتي لا تتصادم مع خصائص المرأة ولا تعرضها للأذى ولا تأخذ وقتها ، ولا تتعارض مع واجباتها كبعض أقسام الجيش غير المقاتلة ، والتي تعني بالأعمال الإدارية ، أو رعاية أسر المجاهدين ، أو التعامل مع الأسيرات والتفتيش النسائي ، وأعمال التمريض وغيرها ، على أن تكون هذه المهن منضبطة بالشرع ولا تتجاوز حدوده .

٢٩٠ - قطب، سيد ، في ظلال القرآن ، ٥ / ٦٤٤ .

أمثلة للمتابعة

ويكفي في الردّ على هذا الادعاء أن ندرس ونُحلّل الإجابة عن هذا الاستفهام :

هل أنّ الحجاب معلول لملكيّة الرجل للمرأة ، أم لا ؟.

وتلاحظ ان موقف الإسلام من الحجاب في ضوء القرآن الكريم ، هي من الأمور التي فرضها الإسلام الحجاب على المرأة ، والآيات الكريمة التي نصت على وجوبه ، بعضها موجه لنساء المؤمنين والبعض الآخر لنساء النبي ﷺ .

وقد أراد الإسلام بهذا التشريع أن يحفظ للمرأة حيائها وشرفها من أن تعبت به العيون الشرهة والنفوس المريضة وصيانتها من التبذل والاختلاط المشين الذي يُعرضها لأن تكون مهدورة الكرامة فريسة لأصحاب الشهوات والأهواء وان لا تحوم حولها الشبهات وتمتد إليها ألسنة المنافقين والمرجفين .

وقد بلغ من حرصه على أن لا تمسها ألسنة أهل السوء أن جعل النيل من كرامتها والتحدي لشرفها من الموبقات وجعله بمنزلة الشرك بالله وقتل النفس بغير حق ، وسجل القرآن على الذين يرمون المحصنات اللعنة في الدنيا والآخرة وفرض على الحاكم جلدتهم ثمانين جلدة تأديبا لهم كي لا يعودوا لمثل ذلك ولم يقبل لهم شهادة أبدا ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^{٢٩١}

وقال آية أخرى كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^{٢٩٢} .

فمن الآيات التي وجهها القرآن لنساء النبي ﷺ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^{٢٩٣} .

٢٩١ - النور الآيات ٤-٥ .

٢٩٢ - النور ٢٣ .

٢٩٣ - الاحزاب ٣٣ .

وهي صريحة في النهي عن التبرج والخروج ، كما كن يخرجن قبل الإسلام ، وكما نصت هذه الآية الكريمة على عدم جواز التبرج ، فقد نصت بعض الآيات على أن على المؤمنين إذا أرادوا أن يسألوهن شيئاً أن يكون ذلك من وراء حجاب صونا للفريقين عن الوسوس والشهوات .

وقال ﷺ ، بعد بيان جملة من الآداب التي يجب على المؤمنين التزامها مع الرسول ﷺ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴾ ٢٩٤ .

وكما خاطب القرآن نساء النبي ﷺ ، وكلفهم بالحجاب خاطب المؤمنين ونساءهم بمثل ذلك كما ذكرنا وأمرهم بغض الأبصار وحفظ الفروج وعدم التبرج لغير أزواجهن ، كما في قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ٢٩٥ .

وقوله تعالى : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ﴾ ٢٩٦ .

وأول ما خاطب الرجال بغض الأبصار وحفظ الفروج عما لا يجوز النظر إليه ، وبعد أن بين تكليف الرجل من حيث جواز النظر وعدمه توجه إليها بالخطاب يأمرها بغض بصرها عما لا يجوز النظر إليه ، وحفظ فرجها عن كل احد إلا عن زوجها ، ونهاها أن تبدي زينتها لأي كان من الناس ، إلا عن الأخ والابن والأب وما يتفرع عن هؤلاء .

وعند جميع المسلمين لا يجوز النظر إلى جسد المرأة وشعرها ومحاسنها ، فما عليه الكثيرات من النساء يخالف التشريع الإسلامي ولا يتفق مع تعاليمه وآدابه ولا يقره الدين بحال من الأحوال ، ولا مصدر له إلا تدهور الأخلاق وتجاهل القيم الإنسانية والمبادئ الإسلامية العالية .

٢٩٤ - الاحزاب ٥٣ .

٢٩٥ - النور ٣٠ .

٢٩٦ - النور ٣١ .

وقد أدرك الاستعمار بأن العقيدة الإسلامية ومبادئ الإسلام يشكلان خطراً على نفوذه وسيطرته . فيما لو قدر للمسلمين أن يطبقوا نصوص الإسلام وتعاليمه ، فأتجه هو ومن ايده وخصوصاً المروجين له إلى محاربة العقيدة الإسلامية وتوجيه المسلمين توجيهها يصرفهم عن واقع دينهم ، لكي يبقى له نفوذه وسلطانه ما يسهل له طرق الاستغلال والاستثمار والسيطرة عليهم .

وقد نادى بحرية المرأة التي نادى بها الإسلام من قبل ، ولكن الإسلام نادى بها في حدود الصون والكرامة والعزة وأعطاهما حقها بشكل كامل غير منقوص ، وأمدّها بجميع أسباب القوة التي تهيئها الى أداء مهمتها في الحياة .

ولكن (الحرية) نادى بها أعداء الإسلام في حدود الأزياء والألوان والشواطئ التي تجمع الرجال والنساء عراة من كل شيء إلا من الشهوات الجامحة والنفوس المريضة ، وعلى كل حال فالنصوص القرآنية فرضت على المرأة أن تلتزم جانب الحشمة ولا تجعل من نفسها فريسة لذوي الشهوات والغرائز الشرهة وسلكت بها الطريق الذي لا جور فيه ولا عدوان عليها ، فنهتها عن إبداء زينتها إلا فقط ما ظهر منها .

وقد جاء في تفسيرها أن المراد بما ظهر منها هو الوجه والكفان وإليه ذهب جماعة من علماءنا ، وصرّحت بذلك بعض الروايات الصحيحة ، كصحيحة مسعدة بن زياد ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام وقد سئل عما تظهر المرأة من زينتها قال : الوجه والكفان ، ويؤيد ذلك قوله تعالى :

﴿ وَلْيُضِرَّ بِنَ حُمْرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾^{٢٩٧} ، والخمار ثوب تغطي به المرأة رأسها وترسل الباقي منه على ظهرها .

وقال جماعة من علماء الشيعة : يجب ستر الوجه والكفين عملاً بإطلاق الآية ، فيكون المراد من المستثنى وهو ما ظهر منها الملابس والثياب الظاهرة . وفي بعض التفاسير أن المراد بما ظهر هو ما أظهرته الريح بدون قصد منها ، ومهما كان المراد فالحجاب مفروض في الإسلام ونص عليه الكتاب والسنة والقدر المتبقي منه ما عدا الوجه والكفين .

فما هو هدف الإسلام من أحكامه بالنسبة للستر والحجاب بين المرأة والرجل ؟!

هل أراد أن تكون المرأة من الزاوية الاقتصادية في خدمة الرجل ؟!

من المقطوع به أنّ الإسلام لا يستهدف ذلك. فالإسلام لم يُرد مطلقاً أن يستغلّ الرجل المرأة اقتصادياً. لقد أعلن الإسلام بحزم - لا مجال للشكّ إليه: أنّ الرجل لا يتمتّع بأيّ حقّ في استثمار المرأة.

فاستقلال المرأة اقتصادياً من المسلّمات الثابتة في الشريعة الإسلامية. فعمل المرأة تعود ثماره إليها.

فإذا رغبت المرأة في العمل داخل الدار تبرّعاً فلها ذلك، وإلاّ لا يحقّ للرجل إجبارها على أن تعمل، حتى رضاعة طفلها، فرغم أنّ الأم أولى من غيرها في إرضاع ولدها، لكن هذه الأولويّة لا تُسقط حقّها في الأجرة.

فإذا طلبت أجرة معيّنة مقابل رضاعة ولدها وكانت الأجرة متعارفة فهي أولى بإرضاع ولدها وأخذ الأجرة على الرضاعة.

إنّ المرأة إسلامياً تستطيع أن تختار أيّ عمل لا يؤدّي إلى إفساد الأسرة ولا يتعارض مع حقوق الزوج، وترجع ثماره الماديّة إليها.

أجل، فلو كان الإسلام يستهدف من الحجاب استغلال المرأة اقتصادياً، لم يسمح للمرأة بأن لا تعمل في بيت الزوج.

فلا يُعقل أن يؤمن من جهة باستقلال المرأة اقتصادياً، ويُشرّع الحجاب من جهة أخرى لأجل استغلال المرأة اقتصادياً وهناك نواة أولى كانت قاعدة لضرب الحجاب وتأسيس السفور.

فالنتيجة إذن لم يستهدف الإسلام مثل هذا الهدف؟.

فمثلاً : تلميذة وفية ل(طه حسين) أسمها أمينة السعيد ترأس تحرير مجلة (حواء) فمن خلالها تحرض نساءنا على النشوز وفتياتنا على التهتك والانحلال^{٢٩٨}.

ومثلاً : ماري إلياس زيادة الأدبية السورية^{٢٩٩} الأصل ، التي اشتهرت فيما بعد بالأنسة " مي " سافرة متحررة يجتمع في دارها (المحفل الذي أسسته سنة ١٩١٣ م) .

٢٩٨- الأخوات المسلمات ص ٢٦٤ .

٢٩٩- تأسس هذا المحفل - فيما بعد - بصورة رسمية من الجهات الحكومية آنذاك سنة ١٩١٤ م ، وذلك بجهود البرنس أولفادي لبيد . وللمزيد راجع :

رجال عرفتهم لعباس محمود العقاد (طبعة الهلال ١٩٦٣ م) فصل رجال حول مي .

وراجع : المؤامرة على المرأة المسلمة للدكتور السيد أحمد فرج ص ٢١ .

٤ . الحسد : (الجذر الأخلاقي)

الحَسَدُ قِسْمَانِ : حَقِيقِيٌّ وَمَجَازِيٌّ ، فَالْحَقِيقِيُّ نَمَى زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنْ صَاحِبِهَا ، وَهَذَا حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ مَعَ النَّصُوصِ الصَّحِيحَةِ.

وَأَمَّا الْمَجَازِيُّ فَهُوَ الْغِبْطَةُ وَهُوَ أَنْ يَتَمَنَّيَ مِثْلَ النِّعْمَةِ الَّتِي عَلَى غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْ صَاحِبِهَا ، فَإِنْ كَانَتْ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا كَانَتْ مُبَاحَةً ، وَإِنْ كَانَتْ طَاعَةً فَهِيَ مُسْتَحَبَّةٌ^{٣٠٠}.

وهو الجذر الآخر والمعادلة الصعبة - الذي ذكره لبروز ظاهرة الحجاب - ذو وجهة أخلاقية.

وهنا قال السيد سامي خضرة طرحوا هنا . كما هو الحال في النظرية السابقة . أنّ علّة ظهور الحجاب هي سلطة الرجل وأسر المرأة، مع فارق، وهو أنّ الاتجاه هنا استبدل الجذر الاقتصاديّ بآخر أخلاقيّ في تفسير سلطة الرجل، فقالوا:

إنّ علّة حفظ الرجل للمرأة . بهذه الصورة التي تضحى فيها المرأة أسيرة . هي أحاسيسه الحسود، وأنانيّته إزاء الرجال الآخرين.

فالرجل لا يرغب أن يستغلّ الرجال الآخرون المرأة التي تحته، ولو بالنظرة أو الحديث.

وباعتقاد هؤلاء أنّ الأحكام الدينيّة، رغم معارضتها في مجالات أخرى للأنانيّة وعبادة الذات، فقد انقلب الأمر هنا، إذ أمضت هذه الأحكام صحّة أنانيّة الرجال هنا، وحققت مآربهم.

فمن المعادلات الصعبة ان الناس دون استثناء يميلون إلى سعة العيش والرفاهية والدعة، إنهم من خلال وفرة الأشياء بين أيديهم يشعرون بالأمان من الفقر والعوز.

ويشعرون بالقدرة على بلوغ الرغبات والتمتع بالمرفهات والمشتهيات، لكن الناس يغفلون - في العادة - عن السنة التي تحكم حياة المرفهين.

وهي التعرض للإصابة بداء الترهل والكسل، وضعف روح المقاومة، والوقوع في أسر الأشياء التي يجبرونها.

٣٠٠ - كتاب : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لمحمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا.

إنك لا تستطيع أن تستمتع بالأشياء دون الشعور بالضعف أمام سلطانها، والنظر إليها على أنها قد تحولت من أشياء ثانوية لا مشكلة مع فقدانها، إلى أشياء أساسية يصعب الاستغناء عنها.

والنفوذ المتزايد للمرأة في الحياة الأسرية والحياة العامة نابع من هذه المعادلة؛ فالناس حينما يدرجون في سلم الحضارة يتذوقون طعم الرفاهية وليونة العيش.

والمرأة بالنسبة إلى الرجل مصدر أمن واطمئنان وترفيه، وبما أن المرأة تنظر إلى الرجل على أنه أيضاً مصدر أمن وترفيه بالنسبة إليها، فإن الرجل لا يستطيع أن يترقّ بها دون أن يرقّ لها، ومن جملة ترفيهها الانصياع لها، والسعي في تحقيق رغباتها .

يقول (راسل): لقد استطاع بنو البشر إلى حدٍّ ما السيطرة على أنانيتهم بالنسبة للمال والثروة، ولكنهم لم يستطيعوا السيطرة على أنانيتهم بالنسبة للمرأة.

فمن وجهة نظر (راسل) الغيرة ليست أمراً ممدوحاً، وتعود في جذورها إلى لون من البخل والأنانية.

نستنتج من حديث (راسل) أنه : إذا كان البذل والعطاء بالنسبة للثروة أمراً حسناً، فهو حسن أيضاً بالنسبة للمرأة. فلم نذمّ البخل والحسد بالنسبة للمال، ولا نذمّه بالنسبة للمرأة ؟ .

لم يُعدّ الكرم والإطعام عملاً أخلاقياً، بينما يُذمّ تمتيع الآخرين جنسياً؟ ليست هناك علة معقولة لهذا التفاوت باعتقاد أمثال (راسل) !

فالأخلاق لم تستطع التغلب على الأنانية والاحتكار بالنسبة للأمور الجنسية، بل على العكس استسلمت لعبادة الذات واعتبرت ما يُسمّى بالغيرة لدى الرجل والحجاب والعفاف لدى النساء عملاً حسناً.

وجرت تجارب على هذا فمثلاً في تركيا فلقد شرع أتاتورك - عليه من الله ما يستحق - قانونه لنزع حجاب المرأة المسلمة و راقب تنفيذه و عاقب مخالفيه وشنق معارضيه^{٣٠١}.

فقال: لقد رأيت كثيرات من أخواتنا يغطين وجوههن إذا ما رأين غريب يتقدم نحوهن ومن المؤكد أن هذا الغطاء يضايقهن كثيراً في الحر^{٣٠٢}.

٣٠١ - المرأة المسلمة لوحي غاوجي الألباني ص ١٨٩ .

وقام عام (١٩٢٥م) بإجبار تركيا بأكملها - و ليس المرأة فقط - على هجر الإسلام كلية حتى الحرف الذي تكتب به اللغة التركية متشابهاً مع لغة القرآن أم نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب و الإهانة في الطرقات حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة^{٣٠٢}.

وجاء في دائرة المعارف الماسونية ما نصه : (إن الانقلاب الذي قام به الأخ مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة الماسونية فقد أبطل السلطنة وألغى الخلافة الإسلامية وأبطل المحاكم الشرعية وأبعد دين الإسلام عن الحياة)^{٣٠٤}.

فيعتبر الحجاب حصناً أساسياً من الحصون التي تحافظ على العفة والستر والاحتشام، و يمنع إشاعة الفاحشة، كما انه مظهر من مظاهر الاعتزاز بالشعائر الشرعية، المحققة لعفاف الرجل والمرأة والمجتمع .

وحجاب المرأة ليس نافلة، فضلاً عن أن يكون مجرد رمز يسع المسلمة التحلي به أو تركه، بل هو فريضة من الله على النساء؛ صوناً لهن؛ وإعلاناً لعفافهن.

مثل قدواتهن من السيدة فاطمة عليها السلام وأبنتها بطة كربلاء السيدة زينب عليها السلام فلا يطمع فيهن أهل الأهواء والشهوات كما في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾^{٣٠٥}.

لقد دارت رحى الحرب على الحجاب مكشوفة صريحة ، من قبل أعداء هذا الدين ، ومن قبل متبعي الشهوات من المسلمين والمتاجرين بها، وربما استترت أحياناً، فأعلنت قبول الحجاب .

٣٠٢- مصطفى كمال أتاتورك إعداد لجنة الرواد والمشاهير بإشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى ص٩٦، وزوجة أتاتورك رفضت الاستجابة لطلب زوجها حينما راودها على كشف وجهها ورأسها وأمرها بالتخلي عن الحجاب وأصرت على لزوم الحجاب حتى كان هذا الأمر أحد أسباب طلبها الطلاق منه .

٣٠٣- كتاب : في مسألة السفور والحجاب ، تأليف : صافي ناز كاظم ص٩٦ .

٣٠٤- دائرة المعارف الماسونية ص١٦٢.

وراجع : محاضرات الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥م - ١٣٩٦هـ جري ص١٣٢ .

وراجع: مصطفى كمال أتاتورك ، د. رؤوف سلامة موسى ص٩٣ : ٩٦ .

وراجع : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢ / ٢٠ - ٢١ .

٣٠٥- سورة الاحزاب ٥٩ .

لكن مع مسخ حقيقته ، وتحويله إلى مجرد تقليد، وتراث يمكن أن يدخله التطوير والاختزال، بما يلغى مقصده وغايته .

إننا عندما ندرك أهمية الحجاب والقيمة المرتبطة به، يزول عجبنا من شراسة الحرب ضده، فالغرب -مثلاً- أصبح يضيق بالحجاب ذرعاً .

كما لم يضق بأي لباس آخر لأي طائفة دينية، أو نخلة بشرية، والشواهد على مضايقة المحجبات قانونياً وعملياً واضحة لكل متابع.

سواء أكان ذلك في العالم الغربي -الذي يزعم أن من أسسه حماية الحقوق الشخصية-، أو في بعض دول العالم الإسلامي والعربي المتبني لهم.

تحاليل ومتابعات

نحن نجد أنّ لدى الرجل ميلاً لعفاف وطهارة المرأة، يعني: أنّ للرجل رغبة خاصة في أن تكون زوجته طاهرة لم يلمسها أحد، كما أنّ لدى المرأة ميلاً خاصاً للعفاف .

وبديهياً أنّ لدى المرأة أيضاً ميلاً لأن يكون زوجها غير ذي علاقة جنسية مع غيرها .

غير أنّ هذا الميل ينطلق من أساس - كما نعتقد - مغاير للأساس الذي ينطلق منه الميل المشابه لدى الرجل .

فما لدى الرجل هو الغيرة، أو الحسد المخلوط بالغيرة، أما ما لدى المرأة فهو حسد بحت.

لا نريد هنا أن نتناول بالبحث لزوم عفاف الرجل وأهميته بالنسبة إليه وبالنسبة للمرأة وإثما بحثنا ينصبّ على الإحساس الذي لدى الرجال، والذي يُدعى (الغيرة) .

أولاً : هل أنّ الغيرة هي عين الحسد، مع تغيير في الألفاظ، أم أنّها أمر آخر؟

ثانياً : هل أنّ أساس الستر والحجاب الإسلامي هو احترام إحساس الرجل بالغيرة، أم أنّ هناك جهات أخرى يقوم عليها ؟ .

أما أولاً : نحن نعتقد أنّ الحسد والغيرة صفتان مختلفتان تماماً، ولكلٍ منهما أساس مستقل.

فأساس الحسد هو الأنانيّة، وهو ينطلق من غرائز الإنسان وأحاسيسه الذاتيّة. لكنّ (الغيرة) لون من الإحساس الاجتماعيّ العامّ، الذي يعود بالفائدة على الآخرين .

(الغيرة) لون من الصيانة أودعتها يد الإبداع في الوجود البشريّ، بُغية الاحتراز من اختلاط النسل.

وسرّ توقّر الرجل على حساسيّة شديدة إزاء اختلاط زوجته جنسيّاً مع غيره هو: أنّ التكوين والخلق وظّفه للحفاظ على نسبه في الأجيال القادمة. وهذا الإحساس شبيه بإحساس الارتباط مع ولده.

الكلّ يعرف مدى ما يحمله الابن لأبويه من آلام ومتاعب ونفقات، ولو لم تكن تلك العلاقة الشديدة لدى الآباء بأبنائهم لم يُقدم أحد على التناسل وحفظ النسل.

ولو لم يكن الإحساس بالغيرة موجوداً لدى الرجل للحفاظ على حرثه وزرعته، لانقطعت عندئذ علاقة النسل تماماً، فلا يعرف أيّ والد ولده، ولم يدر أيّ ولد من هو أبوه. وقطع هذه العلاقة يؤدّي الى إلغاء كون البشر اجتماعيين.

إنّ الاقتراح الذي يرى أنّ: على الإنسان في نضاله ضدّ الأنانيّة أن يضع الغيرة جانباً، يُشبه تماماً الاقتراح الذي يرى إلغاء غريزة الارتباط بالولد، بل إلغاء الإحساس الإنسانيّ كليّاً بوصفه ميلاً نفسيّاً لدى البشر. مع العلم أنّ هذا الميل النفسيّ ليس ميلاً دوتياً بل هو إحساس بشريّ رفيع الدرجة.

الميل لحفظ النسل موجود لدى المرأة أيضاً. ولكنّ هذا الميل لا يحتاج الى حراسة وصيانة، إذ نسبة الولد لأمّه محفوظة على الدوام ولا تقبل الشكّ والاشتباه.

ومن هنا يُمكن أن نفهم أنّ حساسيّة المرأة إزاء اختلاط زوجها بغيرها جنسيّاً له أساس مغاير لحساسيّة الرجل.

إحساس المرأة يُمكن أن نعتبره ناشئاً من الأنانيّة ورغبتها في التفرّد به، لكنّ إحساس الرجل ذو صبغة اجتماعيّة، ولأجل حفظ النوع .

نحن لا ندّعي أنّ الرجل خلو من الحسد والرغبة في التفرّد بالمرأة، وإمّا ندّعي أنّ الرجل لو افترضنا أنّه هدّب ذاته أخلاقياً وقضى على الحسد في نفسه، فهناك إحساس اجتماعيّ يمنعه من السماح لزوجته بالارتباط جنسيّاً مع الآخرين .

نحن ندّعي أنّ حصرَ علّة حساسيّة الرجل في الحسد الذي هو لون من الانحراف الأخلاقيّ خطأً. وقد وردت الإشارة في بعض الروايات أيضاً إلى هذا الموضوع: أنّ ما لدى الرجال هو الغيرة، وما لدى النساء هو الحسد .

ولأجل إيضاح هذه المسألة يُمكن أنّ نُضيف حقيقة هنا، وهي: أنّ المرأة تُريد على الدوام أن تكون معشوقة الرجل ومطلوبة منه، فتجمل المرأة وتغتنجها لأجل أن تجلب انتباه الرجل .

فالمرأة لا تطلب الوصال الجنسيّ بمقدار رغبتها في جعل الرجل عاشقها المولّه .

فإذا لم تُرد المرأة أن يتّصل زوجها بغيرها من النساء جنسياً فذلك لأنّها تُريد أن تختصّ بمركز المعشوق والمطلوب .

ومثل هذا الإحساس لا وجود له لدى الرجل، فالرغبة في الاختصاص على هذا الشكل غير موجودة في تكوين الرجل، من هنا فإذا حال دون اتّصال زوجته بالرجال الآخرين جنسياً، فذلك يعود إلى ما أشرنا إليه من حراسة النسل وصيانة النوع .

ولا ينبغي أيضاً أن نقيس المرأة بالثروة، فالثروة تفنى بالاستهلاك، ولذا تكون مورداً للنزاع والصراع، ورغبة البشر في الاختصاص بها يحول دون استفادة الآخرين.

إلا أنّ تمتّع رجلٍ بالمرأة ليس مانعاً من تمتّع الآخرين، ففي مثال المرأة لا تُطرح قضية الاحتكار والتخزين.

تنطبق على البشر المعادلة التالية: كلّما غطس الإنسان في وحل الشهوات وخسر عفافه وتقواه وإرادته الأخلاقيّة، كلّما ضعف في نفسه الإحساس بالغيرة.

فعبيد الشهوات لا يتأثرون حينما تتّصل زوجاتهم بغيرهم جنسياً، بل يلتذّون أحياناً ويدافعون عن هذا العمل!

وعلى العكس من ذلك، الذين يُحاربون أنانيتهم ويهدّون شهواتهم، والذين يقتلعون من أنفسهم جذور الحرص والطمع والمادية، فيتحوّلون إلى (إنسان ومحبي الإنسان) بمعنى الكلمة، ويوقفون أنفسهم على خدمة الخلق، ويستيقظ في ذواتهم الإحساس بضرورة خدمة أبناء جنسهم، مثل هؤلاء أكثر غيرةً وأشدّ حساسيةً.

بل تمتدّ غيرتهم وحساسيتهم لنساء الغير أيضاً. فوجدانهم لا يسمح لهم بأن يروا تجاوزاً على الناموس الاجتماعي، حيث يضحي الناموس الاجتماعي ناموسهم الشخصي.

وغيرهم يتخرجون من ولاية اليتيم ولا يتخرجون من الزنى فقليل لهم إن خفتم الذنب في مال اليتيم فخافوا ذنب الزنا ، فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولا تقربوا الزنا.

لعلّي عليّ حيلة مثيرة، حيث يقول: (ما زنى غيور قطّ) فلم يقل الحسود لا يزني بل قال: الغيور لا يزني. لم؟ ذلك لأنّ الغيرة لون من الشرف الإنسانيّ ولون من الحساسية الإنسانيّة بالنسبة لعفاف المجتمع.

فكما لا يرضى الإنسان الغيور بتلوّث ناموسه الشخصي لا يرضى أيضاً بتلوّث الناموس الاجتماعي، إذ الغيرة تختلف عن الحسد، فالحسد حالة شخصيّة وفردية تنشأ جرّاء سلسلة من العقد النفسيّة، أمّا الغيرة فهي إحساس إنسانيّ وعاطفة نوعيّة.

وهذا بنفسه دليل على أنّ (الغيرة) لا تنشأ من الأنانيّة، بل هي إحساس خاصّ أوجده قانون الخلق لأجل تحكيم أساس الحياة الأسريّة التي هي حياة طبيعيّة، لا اعتباريّة.

ونتيجة هذه الغيرة أحس أكثر النساء^{٢٠٦} بعواقب الاختلاط الوخيمة وقالوا إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طبعت المرأة بما يخالف فطرتها.

وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة أولاد الزنى وهنا البلاء العظيم على المرأة. وأما آن لنا أن نبحت عما يخفف إذا لم نقل عما يزيل هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية.

٣٠٦ - هي: الكاتبة الإنجليزية LADY COOK أحست بعواقب الاختلاط الوخيمة وكتبت في صحيفة ALAIEO .

فها هي المرأة الغريبة تنادي بأعلى صوتها، أريد العودة إلى منزلي، فقد جربت ورأت نهاية الحياة التعيسة.

وأما هل أنّ تقديس الإسلام للستر والحجاب استجابة لغيرة الرجل، أم لا؟. فالجواب هو: أنّ الإنسان - بلا شك - يحسب نفس الحساب الذي تحسبه (الغيرة) أي الحفاظ على النسل وعدم اختلاط الأنساب.

ولكن ذلك ليس هو العلة الوحيدة للحجاب.

٥ . العادة الشهرية: (الجذر النفسي)

يعتقد بعضهم أنّ الحجاب وجلس المرأة في المنزل ذو جذر نفسي. فالمرأة منذ البدء تحسّ بنقص أمام الرجل، وينشأ هذا الإحساس من ناحيتين^{٣٠٧}:

إحدهما، إحساسها بالنقص العضوي، والأخرى، ما ينزل منها من دم حال الحيض والنفاس وحال إزالة البكارة.

إنّ اعتبار العادة الشهرية نقصاً وأمرًا حقيرًا، تفكير ساد منذ القدم بين بني الإنسان، من هنا كانت النساء - أيام العادة - تُسجن في زاوية من المنزل، كأَيِّ شيء تافه وحقير، ويُتعدّ عنهنّ.

ولعلّ هذا الاعتبار كان السبب في سؤال الرسول ﷺ عن هذه العادة. لكنّ الآية التي نزلت في الجواب عن هذا السؤال لم تعتبر الحيض نقصاً وحقارة، ولم تعتبر المرأة الحائض أمرًا حقيرًا يجب اجتناب معاشرته.

بل جاء الجواب القرآنيّ معتبراً الحيض لوناً من ألّم الذي يعتري الجسد، وأمّر القرآن باجتناب اللقاء الجنسيّ بالمرأة، حال الحيض. قال تعالى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ).

فالقرآن الكريم عدّ حالة الحيض لوناً من المرض فقط، كسائر الأمراض، ونفى عنه أيّ لون من التحقير والإهانة.

ذكر في سنن أبي داود عن سبب نزول هذه الآية ما يلي: عن أنس بن مالك، أنّ اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يُشاربوها، ولم يُجامعوها في البيت، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأَنزل الله سبحانه

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ)^{٣٠٨}. فقال رسول الله ﷺ : جامعوهنّ في البيوت واصنعوا كلّ شيء غير النكاح.

فالمرأة الحائض - من وجهة نظر الإسلام - حكمها حكم الإنسان المحدث، الذي يفتقد الوضوء أو الغسل، حيث يُمنع في هذه الحالة عن الصلاة والصوم .

وإذا اعتبرنا (المحدث) أمراً تافهاً، يرتفع بالطهارة (الوضوء أو الغسل) ويكون الحيض كالجنابة والنوم والبول وغيرها من الأمور التي نُعدّها تافهة، فإنّ هذا اللون من التفاهة لا يختص بالمرأة، كما أنّه يرتفع بالغسل أو الوضوء .

لقد جرى حديث كثير بصدد أنّ المرأة أخذت تشعر بالنقص، وقد أدّى ذلك إلى أنّ يعتبرها الرجل وتعتبر هي نفسها موجوداً حقيراً .

وسواء كان هذا الحديث صحيحاً أو غير صحيح، فلا علاقة له بفلسفة الإسلام بصدد الحجاب.

فلا يرى الإسلام الحيض سبباً لتحقير وإهانة المرأة، ولم يُشرّع الحجاب بسبب حقارة وتفاهة المرأة، بل كانت له أهداف وغاية أخرى. والله العالم .

الفصل الثالث

المرأة في كلام نهج البلاغة

مكانة المرأة في الإسلام^{٣٠٩} عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ عليه السلام : خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي^{٣١٠}.
وما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم.

ومثله عنه عليه السلام : أنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً^{٣١١}.

وقال عليه السلام : اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله^{٣١٢}.

وكان عليه السلام إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً ، وقد وصف النساء فقال عليه السلام : إنهن المؤمنات الغاليات...^{٣١٣}.

وروي عنه عليه السلام قال : ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه ، أو صحبهما إلا أدخلته الجنة^{٣١٤}.

٣٠٩- مثلاً : احصائية لسنة واحدة مثل سنة ١٩٩٠ م :

كان مبلغ ١٦٤ مليار دولار ميزانية التنصير في العالم ٢٤٥٨٠ عدد المنظمات التنصيرية في العالم .
ومنها ٢٠٧٠٠ منظمة في مجال الخدمة .

ومنها ٣٨٨٠ منظمة تبعث منصرين متخصصين في مجالات التنصير والإغاثة .
ومنها ٩٨٧٢٠ معهداً تنصيرياً .

ومنها ٢٧٣٧٧٠ عدد المنصرين المتفرغين للعمل خارج إطار المجتمع النصراني .
ومنها ١٩٠٠ إذاعة تبث إلى أكثر من ١٠٠ دولة وبلغاتها .

وقد بلغ أكثر من ١٥٠ مليار دولار مجموع التبرعات التي حصل عليها المنصرون خلال عام واحد .
انظر : كتاب التنصير ، الدكتور علي النملة .

٣١٠- أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي .

٣١١- ابن عساكر عن علي عليه السلام ، انظر الجامع الصغير .

٣١٢- أخرجه البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية .

٣١٣- حديث ١٧٨٣٧ - حديث عقبة بن عامر الجهني - مسند الامام أحمد .

وَقَالَ ﷺ : مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ، أَوْ ابْنَتَانِ ، أَوْ أُخْتَانِ ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتُهُنَّ ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ^{٣١٥} وفي رواية أضافه: فأدبهنَّ ، وأحسن إليهنَّ ، وزَوَّجهنَّ فله الجنة.

فهذا هو الدين وهذه نظرتُه فركز الاسلام على المرأة فلقد خاطبة بلاغة وفصاحة أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وذكر لبيب بيضون اهمية تربية المرأة فمن ثمرات كون المرأة عاطفيه، انها تستطيع ان تربي اولادها وتوجههم وتغرس فيهم، ما تشاء من الخير، فاذا احسنا توجيه المرأة منذ الصغر، حصلنا على ينبوع غزير من الطاقات الخيره، التي نستطيع بها ان نبني المجتمع الفاضل.

لذلك شدد النبي ﷺ على اهمية تعليم البنت و تربيتها، حتى قال ﷺ : (من كانت عنده بنتان، فاحسن تربيتهما وتحذيهما كفلت له الجنة) .

وفي هذا المعنى قال الامام الخميني : المرأة نصف المجتمع، ومربية النصف الاخر وذلك لبيان قيمتها في المجتمع، واهمية تربيتها والعناية بها.

وفي معناه أفاد سيد الفقهاء الأمام الخوئي : لا مانع من أن تطرح المرأة رأيها إذا لم يستلزم محرماً من المحرمات^{٣١٦} ، وكذلك يجب تعليم المسائل الدينية كفائياً على كل أحد^{٣١٧}.

وقال ما معناه : جعل الله للمرأة كأم لا يمكن للرجل ان يعوض اولاده عن امهم ولو اتى بامراة اخرى ودورها كزوجة في اكمال دين الرجل .

فالرجل ناقص الدين حتى يتزوج فصارت المرأة مكملة لدين الرجل وليس العكس فالرجل اذا تزوج سكن وهدأت نفسه وانتج اكثر وكان صالحا اكثر وهنا اكمل دينه^{٣١٨}.

ومن هذه الوجهة نفسر مدى اكرام الام والتوصيه بها . فقد اوصى النبي ﷺ كثيرا بالأم فقال ﷺ (الجنة تحت اقدام الامهات) وما ذلك الا لفضلها الكبير على الانسانية والبشرية ، فهي الحاملة والوالده والمرية والمتحملة لصنوف العذاب والالام .

٣١٤- سنن ابن ماجه ٣٨٠١ .

٣١٥- أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه .

٣١٦- صراط النجاة - استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي مع تعليقة لآية الله العظمى التبريزي ط ١ : الجمهورية الاسلامية الايرانية - سؤال رقم ٨٩٧ .

٣١٧- كتاب : صراط النجاة - استفتاءات لآية الله العظمى الخوئي مع تعليقة وملحق لآية الله العظمى التبريزي الطبعة : الاولى في الجمهورية الاسلامية الايرانية - سؤال ٨٦٧ .

٣١٨- هذا المعنى تجده في مؤلفاته ، حينما تستخلص معاني كلماته الشريفة .

فالإسلام في القرن السابع الميلادي حرر المرأة ، ووضع حجر الأساس لذلك ، متماشياً مع التطور ضمن قفزات نوعية لا يمكن احتمالها (بالنسبة للنظر لها قبل الاسلام) .

فأعطاهما الحق السياسي منذ أول يوم للدعوة ، وحضرت النساء بيعتي العقبة الأولى والثانية ، اللتين تعتبران بمثابة المؤتمر التأسيسي لقيام الدولة الإسلامية في المدينة .

وسمح للمرأة أن تقاتل وتهاجر وتناضل فالنبي ﷺ أقام دولته وحكم وفق حدود الله ووفق ما يتناسب مع المجتمع الحضاري مع ظروف التطور التاريخي .

- الفرق بين المرأة والزوجة في القرآن

عندما تستقر الآيات القرآنية التي جاء فيها اللفظين تلحظ أن لفظ كلمة (زوج) يُطلق على المرأة إذا كانت الزوجية تامة بينها وبين زوجها ، بدون أي اختلاف .

فلاحظ القرآن حينما لم يكن التوافق والإنسجام كامل بينهم ، ولم تكن الزوجية متحققة ، فإنه يطلق عليها (امرأة) وليست زوجاً ، كأن يكون أي اختلاف بينهما .

فمن الأمثلة على ذلك كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكِرُونَ ٣١٩ 》 .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ٣٢٠ 》 .

وهكذا جعل القرآن السيدة حواء زوجاً لآدم ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ٣٢١ 》 .

٣١٩ - سورة الروم ٢١ .

٣٢٠ - سورة الفرقان ٧٤ .

٣٢١ - سورة البقرة ٣٥ .

وكذلك بهذا الاعتبار جعل القرآن نساء النبي ﷺ (أزواجاً) له ، في قوله تعالى : ﴿التَّيَّاتُ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾^{٣٢٢} على المشهور.

فإذا لم يتحقق الإنسجام والتشابه والتوافق بين الزوجين لمانع من الموانع فإن القرآن يسمي الأنثى (امراًة) وليس (زوجاً).

كما في قول القرآن : (امرأة نوح - امرأة لوط) ولم يقل : زوج نوح أو زوج لوط في قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةً نُوحٍ وامْرَأةً لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾^{٣٢٣}.

مع أن كل واحدة منهما امرأة نبي ، ولكن كفرهما لم يحقق الإنسجام والتوافق بينها وبين بعلمها وهو نبي ، من هذا هي ليست (زوجاً) له ، وإنما هي (امرأة) تحته .

وكذلك بهذا الاعتبار قول القرآن في امرأة فرعون كما في قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةً فِرْعَوْنَ﴾^{٣٢٤}.

لأن بينها وبين فرعون مانع من تلك الزوجية ، فهي مؤمنة وهو كافر، ولذلك لم يتحقق أي إنسجام بينهما ، فهي (امرأته) وليست (زوجته) .

وكذلك من روائع تعابير القرآن العظيم في التفريق بين (زوج) و(امرأة) ما جرى في إخبار القرآن عن دعاء زكريا عليه السلام من أن يرزقه ولداً يرثه . فلقد كانت امرأته عاقراً لا تنجب، ورغب هو في آية من الله تعالى، فاستجاب الله له ، وجعل امرأته قادرة على الحمل والولادة .

فعندما كانت امرأته عاقراً أطلق القرآن عليها كلمة (امرأة) كما في قوله تعالى على لسان زكريا عليه السلام : (وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)^{٣٢٥}.

٣٢٢- سورة الاحزاب ٦ .

٣٢٣- سورة التحريم ٥ .

٣٢٤- سورة التحريم ١١ .

٣٢٥- سورة مريم ٥ .

وعندما أخبره الله تعالى أنه استجاب دعاءه ، وسيرزق بغلام ، أعاد الكلام عن عقم امرأته ، فكيف تلد وهي عاقر كما في قوله تعالى : (قَالَ رَبِّ أُنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)^{٣٢٦}.

وإطلاق كلمة (امرأة) على زوج زكريا ﷺ لأن الزوجية بينهما لم تتحقق في أتم صورها وحالاتها ، بالرغم من أنه نبي ، وامرأته كانت مؤمنة صالحة، وكانا على الوفاق التام من كل النواحي .

ولكن عدم هذا التوافق والإنسجام التام بينهم سببه عدم إنجاب امرأته ، والهدف (النسلي) من الزواج هو النسل والذرية ، فإذا وُجد المانع البيولوجي عند أحد الزوجين يمنعه من الإنجاب. اذا : إن الزوجية لم تتحقق بصورة تامة.

ولأن امرأة زكريا ﷺ عاقر ، فالزوجية بينهم لم تتم بصورة متكاملة، ولذلك أطلق عليها القرآن كلمة (امرأة).

فبعدما زال مانع هذا الحمل ، وأصلحها الله تعالى ثم ولدت لزكريا ﷺ ابنه يحيى ﷺ فإن القرآن لم يطلق عليها لفظ (امرأة) وإنما أطلق عليها كلمة (زوج).

لأن الزوجية تحققت بينهم في أتم صورة كما في قوله تعالى : (وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ)^{٣٢٧}.

فلاحظ أن امرأة زكريا ﷺ قبل ولادتها يحيى ﷺ هي (امرأة) زكريا ﷺ في القرآن ، لكنها بعد ولادتها يحيى ﷺ هي (زوج) وليست مجرد امرأته .

وبهذا تعرف الفرق من القران بين (زوج وامرأة) في التعبير القرآني العظيم ، وأنها ليسا مترادفين. كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^{٣٢٨}.

٣٢٦ - سورة مريم ٨ .

٣٢٧ - سورة الانبياء ٨٩ .

٣٢٨ - سورة النساء ٨٢ .

(أ) - التباين بين نفسه المرأة والرجل

ويذكر علم النفس فرقا بينا بين نفسه الرجل ونفسه المرأة، فقد بينت الدراسات ان نفسه الرجل (فاعليه) بينما نفسه المرأة (انفعاليه) .

وهذا يفسر رغبة الرجل في الاعتداء على غيره ، بينما يفسر رغبة المرأة في العيش في ظل رجل يؤمن حمايتها وسعادتها .

ولذلك وجد ان اغلب جرائم الرجال هي القتل والسرقه والاعتداء والبطش ، بينما اغلب جرائم النساء هي الزنا (اعوذ بالله) .

حينما نقول الإنسان الحر، نحلم أن نصل إلى رفع كل أشكال الطغيان عن مكونات المجتمع، الرجل والمرأة بشكل عام، ومعالجة وضع المرأة بشكل خاص، فالمرأة تعاني ما يعانيه الرجل، مضافاً إليه اضطهاد المجتمع بتقاليده وأعرافه .

فلا يمكن حل مشاكل المرأة المعاصرة إلا من خلال فهم نظرة الإسلام لها، ضمن رؤية معاصرة تنطلق من كون هذا الدين عالمي وصالح لكل زمان ومكان.

فبالرغم من تكريم الإسلام للمرأة، إلا أنه لا يخفى على أحد كيف كرس فقه أهل السنة موروث قد أوجد وضعاً مهيناً لها يناسب مجتمعات ذكورية تسودها الروح القبلية والعشائرية.

فالمرأة وفق فقه صحاح أهل السنة متاع مع الأشياء والحيوانات، وناقصة عقلٍ ودين، تحتاج لولي يزوجهها ومحرم يسافر معها، باعتبارها ضلع قاصر لا تستطيع تولي أمور حياتها.

ضمن نظرة دونية بعيدة كل البعد عما جاء في التنزيل الحكيم، نظرة تقدم الحجج الجاهزة لكل من يتهم الإسلام بالتخلف والرجعية، وتعطي مسوغاً لظلم النساء حتى من أنفسهن .

أما إذا نظرنا إلى وضع المرأة في التنزيل الحكيم، فنجد نظرة مختلفة تماماً، حيث ساوى الله تعالى بين الذكر والأنثى على المستوى الإنساني العاقل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^{٣٢٩}.

وعلى المستوى البشري الفيزيولوجي ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾^{٣٣٠} وخاطب المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات دون أفضلية لأحد الطرفين.

فإما بشكل عام (يا أيها الناس) و (يا أيها الذين آمنوا) أو بشكل خاص

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾^{٣٣١}.

وفي حوار امرأة عمران مع ربها جملة أوضح من أن يختلف فيها اثنان ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾^{٣٣٢}.

ففي اللغة العربية المشبه به أفضل من المشبه في مجال التشبيه، سواء كان قول ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾ على لسان الله تعالى أم على لسان امرأة عمران، فيمكننا أن نفهم من هذا أن هناك جوانب معينة الأنثى أفضل من الذكر.

ونتيجة لفهم خاطئ لمعنى لفظة (النساء) في الآية ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ ﴾^{٣٣٣}.

جرى اعتبار المرأة (متاعاً) و(المتاع) هو ما ينتفع به من الأشياء، بينما لا يمكن اعتبار أن (النساء) هنا تعني أزواج الرجال، لأن الخطاب موجه للناس ذكوراً وإناثاً.

و(نساء) من (النسيء) وهو التأخير، كقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾^{٣٣٤} والناس قاطبة تحب الجديد من الأشياء ك(الموضة) وهذه الرغبة التي هي بمستوى الشهوة التي تحرك التقدم الذي يخضع للتجديد .

٣٣٠- سورة النجم ٤٥ .

٣٣١- سورة الاحزاب ٣٥ .

٣٣٢- سورة ال عمران ٣٦ .

٣٣٣- سورة ال عمران ١٤ .

٣٣٤- سورة التوبة ٣٧ .

وفي حين تركزت المرأة في الوعي الجمعي كمتاع وموضع شهوة، نرى التنزيل الحكيم يعبر بمنتهى الرقي عن العلاقة بين الرجل والمرأة ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ ﴾ ٣٣٥ .

والزواج علاقة متبادلة من السكينة والمودة والرحمة ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ٣٣٦ .

وهو ميثاق غليظ تأخذه المرأة من الرجل أمام الله فلا ينقضه ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ٣٣٧ .

والتعددية لها شروطها ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ٣٣٨ .

وأما القوامة، فيتكئ المجتمع عليها وهي قوله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَحَافُونَ نَشُورُهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴾ ٣٣٩ .

والمرأة الصالحة هي من تحفظ كرامة من تحت قوامتها، سواء كان أخ أم أب أم ابن زوج، فإن تجبرت واستبدت بالأسرة يمكن نصحتها، وإن كانت زوجة هناك اساليب مثل قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ ﴾ ٣٤٠ .

٣٣٥- سورة البقرة ١٨٧ .

٣٣٦- سورة الروم ٢١ .

٣٣٧- سورة النساء ٢٠ - ٢١ .

٣٣٨- سورة النساء ٣ .

٣٣٩- سورة النساء ٣٤ .

٣٤٠- سورة النساء ٩٤ .

أو استخدم أفعلاً أخرى من الآية التي تلي آية القوامه ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ٣٤١.

ولأن الزواج ميثاق، فإن فكه بيد الطرفين، وليس أحدهما فقط، وعبر التنزيل الحكيم عن ذلك بدقة، فإن أراد الرجل الطلاق فعليه التزام المعروف ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنِ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَخُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ٣٤٢.

وكما يحق للرجل يحق للمرأة ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ لَكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ٣٤٣.

١ - الجنس والأمومة

ومن الفروق الاساسية بين طبيعة الرجل والمرأة ، هو في الناحية الجنسية . فقد جعل الله سبحانه تسلسلا بديعا مترابطا في العلاقة بين عناصر الخليقة .

فالرجل تستهويه المرأة فتشده اليها، والمرأة يستهويها الاطفال فتسعى وراءهم ، وبذلك يكتمل بناء الاسرة القوى ، الذي يدفع الحياه الى الاستمرار على الارض .

فمن الملاحظ ان من اهم ضرورات الرجل اشباع غريزته الجنسية ، ويكون الدافع له الى الزواج هو تامين حاجته الجنسيه وحفظ نفسه من الفسوق، دون ان يفكر في موضوع الانجاب والاولاد .

٣٤١ - سورة النساء ٣٥ .

٣٤٢ - سورة النساء ٢٣١ .

٣٤٣ - سورة الطلاق ٢ .

اما المرأة فيضعف دافعها الجنسي امام عاطفه الامومة التي تسيطر على كيانها. فهي تتخذ الجنس وسيلة للحصول على الاولاد^{٣٤٤}.

واذا كان اهتمامها وتعلقها ينصب في البداية على الزوج ، فان ذلك يتقلص مع انجاب الاولاد، الذين تربطها بهم رابطة اقوى من الجنس، هي رابطة الامومة ، فهي تشعر بانهم قطعه من كبدها ، لا بل اغلى من حياتها .

وجاء في أحكام الزواج وفقه الأسرة^{٣٤٥} ان من آداب التعامل مع الرضيع من حيث رغب الاسلام والوالدين على تحمل بكاء الطفل ، ونهاهم ان يضربوه على بكائه .

وروي عن رسول الله ﷺ انه قال : لا تضربوا اطفالكم على بكائهم، فإن بكاءهم اربعة اشهر، شهادة ان لا اله الا الله، واربعة اشهر الصلاة على النبي وآله، واربعة اشهر الدعاء لوالديه.

وحرضت السنة على ارضاع الطفل، وجاء في حديث شريف عن النبي ﷺ في اجر المرضعة عند الله: فإذا ارضعت كان، لها بكل مصة تعدل عتق من ولد اسماعيل عليه السلام فإذا فرغت من رضاعه، ضرب ملك كريم على جنبها وقال : استأنفي العمل فقد غفر لك.

وقال الامام امير المؤمنين عليه السلام : ما من لبن رضع به الصبي اعظم بركة عليه من لبن امه.

وامر الامام الصادق عليه السلام مرضعة ان ترضع الطفل من الثديين، وقالت ام اسحاق نظر إليّ ابو عبد الله عليه السلام وانا ارضع ابني محمد وإسحاق، فقال عليه السلام : يا أم اسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد وارضعيه من كليهما يكون احدهما طعاما والاخر شرابا.

٣٤٤- ولو قلت : أن هناك نساء تفضل وترغب ممارسة الجنس مع الرجل أكثر من حصولها على الاطفال ؟

الجواب : أنه :

اولاً : لكل قاعدة شواذ وهذا يعتبر من الشواذ .

ثانياً : تأمل لو تزوجت امرأة ولم تنجب اولاداً ، ومثلاً جميع النساء عقيم ستجد ان الحياة توقفت وانتهت ، وهو خير دليل على أن المرأة هي نواة وأساس المجتمع وليس الرجل .

٣٤٥- راجع : احكام الزواج وفقه الأسرة تأليف : اية الله السيد محمد تقي المدرسي .

وجعل الاسلام فترة الرضاع حولين كاملين، وقال الامام الصادق عليه السلام: ليس للمرأة ان تأخذ في رضاع ولدها اكثر من حولين كاملين، ان ارادا الفصال قبل ذلك عن تراض منهما فهو حسن والفصال الفطام.

وحرم الشرع ان يضار الزوجان بعضهما بمنع المباشرة، خشية الحمل وخوفا على الرضيع، جاء بذلك القرآن ثم فسرته السنة الشريفة ففي الحديث المأثور عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام حينما سأله ابو الصباح الكناني عن قول الله عزوجل : لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده.

فقال عليه السلام : كانت المراضع مما تدفع احداهن الرجل، اذا اراد الجماع، تقول : لا ادعك اني اخاف ان احبل فاقتل ولدي هذا الذي ارضعه، وكان الرجل تدعوه المرأة فيقول اني اخاف ان اجامعك فأقتل ولدي فيدفعها فلا يجامعها. فنهى الله وَعَلَى اللَّهِ عن ذلك ان يضار الرجل المرأة والمرأة الرجل .

ومن احكام الرضاع كراهة استرضاع الزانية وابنتها من الزنا ، هكذا جاء عن الامام الكاظم عليه السلام حيث سأله اخوه علي بن جعفر عن امرأة ولدت من الزنا هل يصلح ان يسترضع بلبنها قال عليه السلام : لا يصلح ولا لبن ابنتها التي ولدت من الزنا .

وكذلك المجوسية لا تسترضع حسبما جاء في حديث مروي عن الامام الصادق عليه السلام : لا تسترضع الصبي المجوسية وتسترضع اليهودية والنصرانية ولا يشربن الخمر ويمنعن من ذلك . وكذلك لا تسترضع الناصبية .

ورغب الاسلام في انتخاب المرضعة حسب القيم الشرعية والعقلية فقد قال الامام امير المؤمنين عليه السلام :

انظروا من يرضع اولادكم فإن الولد يشب عليه ومن ذلك كراهة استرضاع الحمقاء او العمشاء، فإن اللبن يعدي .

وهكذا ندب الاسلام الى استرضاع الحسناء، دون القبيحة، فجاء في حديث عن الامام الباقر عليه السلام : عليكم بالوضاء من الضئيرة فإن اللبن يعدي .

واما حينما يبلغ ليصل الى دور المراهقة فلقد ذكر في المتابعة علم وفن^{٣٤٦} لتكون فترة المراهقة في المجتمعات البدائية قصيرة ، وذلك لسهولة تحقيق الاستقلال الاقتصادي (وعند الفتيات يظهر هذا النمو مبكراً بمقدار عامين أو ثلاثة) .

أما في المجتمعات المتحضرة ، فإنها تطول نظراً لما يتطلبه استقلال المراهق من الإعداد العلمي والفكري والمهني والتخصصي الطويل ليقوى على مسايرة الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية السائدة ، والتي تتسم في ظل الحضارة الحديثة بالتعقيد.

وقد تواجه المراهق مشكلات وأزمات ، بسبب نظرة المحيطين به إليه؛ فإن تصرف كرجل كان محل انتقادهم ، وإن تصرف كطفل عابه الآباء.

وفترة الانتقال هذه من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرجولة تجعله في عالم يجهل معظم أسرارته وخباياه وطرائق التعامل فيه، وقد يعتري المراهق بعض الحالات منها :

- صدام حاد يحول بينه وبين الاستمرار في القراءة والاستذكار.
- إهمال الواجبات الدراسية ، أو التأزم لصعوبتها .
- عدم التكيف مع المعلمين ، والزملاء والإخوة والأخوات .
- الشعور بالحياء والخجل والانطواء والتأمل الذاتي والنقد وخاصة الموجه من الآباء والآخرين .
- فقدان الشعور بالثقة تجاه ذاته .
- الشعور بالضيق والقلق والاكتئاب والخوف والحزن .
- الشعور بالتعب والإرهاق والإعياء دون سبب.
- الرغبة بالنوم لفترات طويلة .

٣٤٦- كتاب المتابعة علم وفن تأليف : محمد منير لكود تقديم : المربية غازية لكود ، التدقيق اللغوي : ريم لكود - حسام لكود تنسيق : م.حنان لكود الطبعة الأولى نشر: معهد المحيط للغات والمتابعة سورية - دمشق - داريا .

- البقاء خارج المنزل لساعات طويلة من الليل .
- الإكثار من الاهتمام بمظهره الخارجي .
- ركب المخاطر وإظهار الرجولة .
- الميل للكذب وعدم الأمانة والسرقة ، أو التدخين أو الإدمان على المخدرات ، أو شرب الخمر ، وربما التورط في الجريمة .
- ويتوقف نمط المراهقة على ظروف تربية الشاب أثناء طفولته ، ومقدار ما حمل من مؤثرات إيجابية أو سلبية جعلها مقياساً له في اتخاذ قراراته.
- ومدى صحته العقلية والنفسية والجسدية وموقف الآخرين منه ، وقابليته للتمسك بآداب الدين وأخلاقياته ومبادئه، وصولاً إلى سن المراهقة التي تأخذ أشكالاً متعددة مثل المراهقة التي يميل صاحبها إلى المشاكسة والعدوان والعناد .
- والظاهرة الأبرز لدى المراهق، النمو الجسدي ، والدافع الجنسي القوي الذي يصعب إخفاؤه وسط رقابة الأهل والمجتمع ، وقد تسبب هذه الظاهرة للفتاة الخوف والقلق.
- إن لم تجد في محيطها من تتواصل معه، كالأم والجدّة والخالة والعمة، لتبوح بالتغيرات المفاجئة التي تحدث معها، وتلاحظها فتخشى منها.
- ويرافق هذه الظاهرة حساسية عصبية ، ويقظة وتحفز لكل كلمة، أو حديث يدور حول هذه التغيرات، أو ما يرافقها من الشرح المفصل والمكشوف ؛ في حين يسعى صاحبها جاهداً ليكون الحديث عنها همساً وسراً.
- وكما يسعى الإنسان لاختيار ما لذّ وطاب ، من طعام وشراب ، لإشباع دوافع الجوع والعطش ، بعد استبعاد القبيح منها ، وما حرمه الله ﷻ .
- فيجب أن يسعى أيضاً للتعقل والتبصر والمقاومة ، إزاء قدرته ورغبته الجنسية ، وما يفرضه الدين والعادات الاجتماعية السائدة ، وأحياناً يضعف أمام رغباته ، فيلجأ إلى العادة السرية ، أو الميل إلى الجنس الآخر ، أو ربما من نفس جنسه لإشباع هذه الرغبة.

ونبهنا الرسول ﷺ إلى ذلك حينما قال يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء.

وفي هذه الفترة ، يميل المراهق إلى التأمل في مكونات جسده ، ويقارنها مع أجساد الآخرين ، ويستعرض عضلاته بحجمها وقدرتها ، فتبرز المنافسة والمبارزة بين الأقران.

وفي حال فاز أحدهم يعتريه الابتهاج ونشوة النصر ، ليكسب مبايعة أقرانه من حوله ، فيشعر بالقيادة ، ونجده يطرح آراءه لتشكيل تكتلات هو مركزها.

أما في حال الخسارة فإنه يشعر بالنقص والهروب والانعزال، وربما يلجأ للانضمام إلى فئة أخرى ، ليأخذ بثأره و(يكيل الصاع صاعين) ليعيد اعتباره ومعنوياته التي فقدتها أمام زملائه .

كما أنه ينزع إلى الاستقلالية وتحرير ذاته من قيود وأنظمة المجتمع والأسرة ، التي يصعب اختراقها والخروج عنها .

ويمكن في هذه الفترة أن تقوده أفكاره للثورة على كل أشكال الاستبداد والتسلط وقهر الشعوب ، فيميل للانضمام إلى الأحزاب التي تحمل المثل العليا لتحرير هذه الشعوب.

ومن أجل مساعدة المراهق والإمساك بيده للانتقال من مرحلة الطفولة وصولاً إلى بر أمان النضج والرشد ، يجب على الأهل الانتباه والحذر في التوجيهات التي يوجهون بها أولادهم ؛ على أن تكون إيجابية وبناءة ، وأن يستمعوا إليه ، ويحسنوا الحوار معه لطرح آرائه.

فيساعد ذلك على كشف توجهاته ، وإصلاح ما عاب منها ، وتكليفه بتحمل المسؤولية مع الوالدين لقضاء حاجات الأسرة اليومية ، وتأمين ما يلزم من أدوات وتقنيات راقية ؛ تضمن غزارة المعلومات والوصول إليها بسهولة ولتحقيق التعلم يلزم ما يلي :

١- الصبر وبذل الجهود الكبيرة والمستمرة بالمتابعة اليومية للعلم المراد ترسيخه .

٢- الالتحاق بالدورات التعليمية المختلفة، والتأسيسية المتابعة لجميع مواد المنهاج .

٣- تعود التكلم باللغة العربية الفصحى ، ونطق الحروف من مخارجها؛ لتكون واضحة ومفهومة ، ويمكن أيضاً طرح أسئلة وأجوبة باللغة المراد تعلمها .

٤- التدريب على مهارات التركيز والدراسة والحفظ .

٥- تعلم فن الاستماع والحوار .

٦- رياضة الفكر ونشاطه الذي ينمي التفكير والإبداع، ومعالجة المواضيع على أساس المنطق والعلم السديد .

٧- تنمية الوعي من خلال أفلام ثقافية هادفة وموجهة .

٨- التعلم عن طريق اللعب والمسابقات الثقافية .

٩- تعلم مبادئ المعلوماتية لأهميتها في مختلف نواحي الحياة.

١٠- تعلم الإسعافات الأولية لضرورتها في الحالات الطارئة.

وكل هذا يجب أن نعي جانبين أساسيين منها :

منها - تلقين العلوم ، وهذه مهمة الأستاذ المختص في المدرسة .

منها - متابعة حل المسائل والتمارين كواجبات مدرسية، وهذه من مهام الأسرة في البيت؛ والإشراف على تنفيذها ، أو المساعدة من قبل المختصين .

- الحضانة :

الفرد الصالح هو أساس الأسرة الفاضلة التي هي نواة المجتمع الخير ، ولهذا فقد عني الإسلام به منذ نعومة أظفاره بل قبل ذلك عندما أمر الرجل أن يختار الزوجة الصالحة من المنبت الحسن ؛ وما أجمل أن يكون الحب المتبادل والاحترام قوام العلاقة بين الأبوين .

فإن أثر ذلك في الذرية عميق وهو سياج متين لرسالة البيت في الداخل والخارج ؛ وقد نبه الرسول ﷺ إلى أهمية تنشئة الطفل تنشئة صالحة ، فقال ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصره أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء^{٣٤٧})^{٣٤٨} ، أي أن الناس يفعلون بما ذلك فكذاك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة .

٣٤٧- الجدعاء هي المقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك .

٣٤٨- البخاري : كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين ، ١٣١٩ .

مما يبين مدى تأثير الأبوين على المولود وتحويله في حالة الانحراف عن مقتضى فطرته إلى الكفر والفسوق وهي البداية ؛ ولقد سبق الإسلام الأمم والشعوب الأخرى التي انتبعت لأهمية المحاضن وخطورتها وتأثيرها في تكيف عقلية الناشئة ، ولهذا فإن الحضانة في الإسلام لها أهمية بالغة .

ويعتبر الشرع الإسلامي الأم الحضانة الطبيعية والشرعية لطفلها حتى يكبر ويصبح قادراً على الاعتماد على نفسه ، ومنهم قدر مدة الحضانة الشرعية بسبع سنين للولد وبتسع سنين للبنات ويمكن مد هذا السن إلى ما بعد ذلك عند بعضهم .

ويكون الحق في الحضانة خلال هذه الفترة للأم على أن تراعى على وجه الدقة مصلحة الطفل وعلى أن يكون الأب ملزماً بالنفقة وبعد انتهاء فترة حضانة الأم تعود للأب الذي هو القيم والوصي الأول للولد ، وإذا رفضت الأم استمرار حضانتها للولد ألزم الأب بحضانتها ، ولا تحق الولاية لقربة الأم إلا بعد استنفاد العصة (قرابة الأب) الذين هم وفق الشرع أولى من غيرهم في الولاية بعد الأب .

وأما تعريف الحضانة (لغةً) فهي مشتقة من الحَضَن وهو ما دون الإبط إلى الكشح ، وقيل: هو الصدر والعضدان وما بينهما ومنه الاحتضان وهو احتمال الشيء وجعله في الحَضَن . والحضانة بفتح الحاء وكسرها مصدر سماعي للفعل حَضَنَ ، يقال : حَضَنَ الطائر بيضه حَضْناً أي ضمه تحت جناحيه والحضانة اسم منه^{٣٤٩} .

وأما (اصطلاحاً) عرف الفقهاء الحضانة أنها سلطة يجعلها الشارع لإنسان معين على الولد أو من بحكمه وذلك للقيام بما يلزمه من مؤونة المعيشة وحمايته مما يؤذيه وكفالاته بشتى وسائل التربية بما يصلحه تماماً ، وهي القيام بحفظ من لا يميز ولا يستقل بأمره وتربيته بما يصلحه ووقايته مما يؤذيه^{٣٥٠} .

وتعتبر الحضانة هي تربية المحضون وتنشئته تنشئة سليمة على العقيدة الإسلامية والأخلاق الفاضلة وتربية جسمه وعقله ووجدانه وإصلاح سائر شؤونه مما هو في حاجة إليه من تنظيف ولباس ومأكل ومشرب ، وهي تربية الطفل ورعاية شؤونه الشخصية أي كل ما يتعلق به من خدمات خاصة بشخصه وبدنه وعقله أو ما يحتاج إليه من خدمات مادية ومعنوية تتطلبها رعاية من يكون في سنه وحفظ الصغير أو المعتوه أو المعاق مما يضره ، وتربيته ورعاية مصالحه إلى أن يكبر أو يصلح .

٣٤٩- الفيومي ، المصباح المنير في غريب شرح الكبير ، ١/١٩٣ ، تحقيق مصطفى السقا ، مطبعة الحلبي .

٣٥٠- النووي ، روضة الطالبين ، ٩/٨٩ ، مكتب الإسلامي للطباعة ، دمشق ، ١٩٦٦ م .

واما مشروعية الحضانة من الادلة الاربعة في القرآن الكريم كما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عَنْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^{٣٥١}.

دلالة بهذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى حث على الرعاية والعناية بالآباء عند الكبر - وهو مظنة العجز والحاجة إلى الرعاية - معززاً ذلك بما قدماه من تربية وحضانة ورعاية للأبناء في مرحلة الطفولة ، فلا أقل من أن تقابل الحسنة بمثلها والبادئ أفضل ، وفي الآيتين دليل على الرعاية والحضانة لكل من هو في حاجة إليها سواء كان صغيراً أو كبيراً .

والاخر من مشروعية الحضانة في السنة : أن امرأة أتت إلى الرسول ﷺ ، فقالت : يا رسول الله إن ابني هذا كان بطني له وعاء وحجري له حواء وثديي له سقاء وزعم أبوه أنه ينزعه مني ، قال ﷺ : أنت أحق به ما لم تنكحي^{٣٥٢}.

وثالث مشروعية الحضانة هو الإجماع : كما نقل ابن رشد وغيره إجماع الأمة على مشروعية الحضانة^{٣٥٣} بلا خلاف .

ورابع مشروعية الحضانة هو العقل او المعقول ، لان خلق الله سبحانه وتعالى المولود ضعيفاً ، وأمر الأبوين بوجوب رعايته والعناية به في كل ما يحتاجه من رضاعة ونفقة وحسن تربية وتعليم ، حتى يكون أهلاً للقيام بواجباته والقيام بمصالح البشر المتمثلة بالاستخلاف في الأرض ، كما في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنِيمَ الرَّضَاعَةُ﴾^{٣٥٤}.

والحضانة واجبة ، لأن الولد إذا ترك ضاع وهلك ، وكذلك كل من لا يستقل بالقيام بأمر نفسه كالكبير العاجز ، والحضانة فرض كفاية إن قام بها البعض سقط الإثم عن الباقي^{٣٥٥}.

٣٥١- الاسراء ٢٣-٢٤ .

٣٥٢- احمد بن حنبل : مسند المكثرين من الصحابة ، مسند عبدا الله بن عمر ، ٦٧٠٧ .

٣٥٣- ابن رشد ، أبو الوليد محمد بن أحمد ، المقدمات ٢٥٨\٢ .

٣٥٤- البقرة ٢٣٣ .

٣٥٥- ابن قدامة :الكافي ١٠٠٥\٢ ، وابن رشد :المقدمات ٢٥٨\٢ .

- مفاهيم حول الحضانة :

تدور في عادات أي مجمع بعض المفاهيم المغلوطة حول مسألة الحضانة مثل دور الحضانة تغني عن البيت ؟! . فعندما أوجب الإسلام على الرجل نفقة البيت ، كان في الحقيقة يعطي المرأة عوضاً عن تفرغها لحسن تبعلها لزوجها ورعاية أبنائها واتجاهها الكامل إلى أداء رسالتها الطبيعية .

والذين يزدرون وظيفة ربة البيت يجهلون خطورة هذا التوجه وآثاره البعيدة في حاضر الأمومة ومستقبلها الأخلاقي والاجتماعي ، وأعباء هذا المنصب داخل البيت تكافئ أعمال الرجل الشاقة خارجه ، وقد وجهت الشريعة كلا الجنسين إلى ما يليق به ويتفوق فيه .

والقدرات المتميزة لبعض النساء لا تلغي هذا التخصص ، ولا ريب أن كيان المرأة النفسي والجسدي قد خلقه الله على هيئة تخالف تكوين الرجل ، فقد بني جسم المرأة على نحو يتلاءم ووظيفة الأمومة تلاؤماً كاملاً ، كما أن نفسيتها قد هيئت لكي تكون ربة الأسرة وسيدة البيت .

ولا شك أن الإمكانيات الضرورية للحضانة وتعهد الأطفال أصل من أصول اللين الأنثوي الذي جعل المرأة سريعة الانقياد للحس والاستجابة للعاطفة ، ويصعب عليها ، وهذا مما يسهل على الرجل من تحكيم العقل وتقليب الرأي وصلابة العزيمة .

فلا يمكن لدور الحضانة مهما كان بها من كوادر بشرية متخصصة ومرافق فنية حديثة أن تلعب دور الأم في العناية بالأولاد وأن تمنح العاطفة والحنان التي تمنحها الأم ، فالأم هي المدرسة الأولى التي تربي الأبناء .

وكذلك من المفاهيم المغلوطة ان الأم أحق من الأب في حضانة الأبناء وإن تزوجت ؟!.

والأولى بالحضانة النساء لأنهن بالولد أشفق وبه أرحم وإليه أقرب وهن على ذلك أقدر وأواهن في هذا الحق الأم ، فإذا لم توجد انتقلت الحضانة إلى الأم التي بعدها ؛ والشرع الحكيم قد أقر بالحضانة للمرأة لأنها أقدر من الرجل على رعاية شؤون الأطفال وتدفع العاطفة الجياشة بحبهم فتدفع ذاتها لإرضاعهم وإطعامهم وخدمتهم وتنظيفهم ورعاية شؤونهم .

وكما في حديث المرأة التي جاءت الرسول ﷺ ؛ وفي ذلك دليل على أن الأم أولى بالولد من الأب ما لم يحصل مانع من ذلك بالنكاح لتقييد الرسول ﷺ للأحقية بقوله : (ما لم تنكحي) ، ولأنها إذا تزوجت اشتغلت بحقوق الزوج الجديد عن الحضانة فكان الأب أحفظ له .

وكذلك من المفاهيم المغلوطة انشغال الأم بحضانة الأبناء تعيق إبداعها وتقدمها !؟.

من الأمور التي أجمع عليها المربون إقرارهم بأهمية التربية بوصفها عاملاً رئيساً في توجيه الأفراد نحو أهداف المجتمعات ، وسر تقدمها هو نتاج إبداع المرأة في تربية الأجيال وتوجيهها ولا ينكر على المرأة قدرتها على الإبداع في مناحي الحياة المختلفة ، إلا أن ذلك لا يجاري قدرتها على صنع المجتمعات من خلال تربية الأبناء التي هي أهم الوظائف التي يجب أن تتقنها وأن الأمور التي تعيق أداء مهمتها تلك يجب رفضها لما له من أثر في تربية النشء ومستقبل الأمة .

وهذا ما يوافق فطرة المرأة الطبيعية ، وها هي الخبرة الاجتماعية الأمريكية الدكتورة أيدا الين تقول :
(أن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها ، وإشرافها على تربية أولادها ، فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم هجرت بيتها ، وأهملت طفلها وتركته إلي من لا يحسن تربيته) .

وقالت أستاذة في إحدى الجامعات في بريطانيا - وهي تودع طالباتها بعد أن قدمت استقالتها- :
(ها أنا قد بلغت الستين من عمري ، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز ، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري وحققت عملاً كبيراً في نظر المجتمع .

ولكن هل أنا سعيدة إن حققت كل هذه الانتصارات ؟! لا ؟ ، إن وظيفة المرأة الوحيدة هي أن تتزوج وتكون أسرة ، وأي مجهود تبذله بعد ذلك لا قيمة له في حياتها بالذات) .

إن مهمة المرأة هي التعامل مع الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى بمراحل نموه المختلفة وهو ميدان عملها الأساس تمنحه مثل التربية اللازمة لتكوين المجتمع الصالح .

فإن كانت الأم منشغلة بأي عمل آخر مهملة لبيتها وأبنائها ولو حققت أعلى المراتب ، صعب عليها المواءمة بين عملها ووظيفتها الفطرية الأساسية في تربية الأبناء ، فتفشل في إمداد المجتمع بالطاقات البشرية اللازمة لنمائه واستمراره .

٢ - الثقافة الجنسية

لو سئلت لماذا الحديث عن الجنس وهذا التركيز عليه ولماذا هذا الربط القوي في الرسالة بين الزواج والجنس أو المرأة والجنس أو الرجل والجنس؟

طبعاً جوابه بسيط جداً لأهميته والسبب لتعلق استمرار الحياة فيه وخلافه تتوقف كل مفاسل الحياة الدنيا.

إذاً : الجنس جزء أساسي من الحياة عموماً ومن الحياة الزوجية خصوصاً. فأنت صادفت في حياتك الكثير من الأزواج ومن الزوجات كاد الأمر بين الزوجين أن يصل إلى الطلاق.

فمثلاً عندما تتاح لك الفرصة للتدخل من أجل الصلح بينهما يتحدثان مستعدين للحديث عن كل شيء إلا عن سبب الخلاف الأساسي وهو (الجنس).

وتحدثهما يرفضان بشدة سواء كان تلميحا أو تصريحاً عن الحديث في هذا الموضوع لعدة أسباب منها كما في قوله تعالى: (فجاءته إحدهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)^{٣٥٦}. وايضاً مجتمعاتنا تعتبر الحديث عن الجنس بمس شخصية الزوجين.

فينبغي أن نكون على ذكر من أن الله سبحانه وتعالى، وقد أنزل في القرآن الكريم من أمور الجنس الكثير مما فيه شواهد تطبيقية على أن ذكر الأمور الجنسية في مناسبتها لا يتعارض مع الحياء بجهة من الجهات.

وهناك من الشواهد تبين كيف عالج القرآن الكريم في أدب كثيراً من القضايا التي لها علاقة بالأعضاء التناسلية أو بالمتعة الجنسية، فقدم بذلك للمسلمين ثقافة جنسية رصينة.

فهناك فرق بين أن نتحدث عن الجنس بكلام بذيء فاحش وهو ذكر ما يستقبح ذكره بألفاظ صريحة.

وبين أن نتحدث عن الجنس بالفاظ مؤدبة يحكمها العلم والدين فهذا ما لا يجوز أن يناقشه أحد في حله وجوازه.

وتجد المراهقين والمراهقات يعانون أشد ما يعانون من وطأة الكثير من الأسئلة والمشاعر. فكيف يتم إعداد الأبناء لاستقبال هذه المرحلة الخطرة من حياتهم بما تحتويه من متغيرات نفسية وجنسية وفسولوجية وحتى مظهرية.

وهكذا يستمر الموضوع سرًا غامضًا تتناقله ألسنة المراهقين فيما بينهم، وهم يستشعرون أنهم بصدد فعل خاطئ يرتكبونه بعيدًا عن أعين رقابة الأسرة.

وفي عالم الأسرار والغموض تنشأ الأفكار والممارسات الخاطئة وتنمو وتتشعب دون رقيب أو حسيب، ثم يجد الشاب والفتاة نفسيهما فجأة عند الزواج وقد أصبحا في مواجهة حقيقية.

ويواجه كل من الزوجين الآخر بكل مخزونه من الأفكار والخجل والخوف والممارسات المغلوطة، ولكن مع الأسف يظل الشيء المشترك بينهما هو الجهل وعدم المصارحة بالرغبات والاحتياجات التي تحقق الإحسان.

ويضاف لكل ذلك الخوف من الاستفسار عن المشكلة أو طلب المساعدة، وعدم طرق أبواب المكاشفة بما يجب أن يحدث وكيف يحدث، لأن الجاهلين منا سيقولون للسائل (عيب). لا يجوز أن تسأل ولا يجوز أن نجيبك)!.

مع الأسف يشارك المجتمع في تفاقم المشكلة وأجهزة الإعلام مساهمة حقيقية في هذا الاتجاه رغم كل الغناء والفساد على شاشاتها والذي لا يقدم بالضرورة ثقافة بقدر ما يقدم صور خليعة .

وإذا أردنا العلاج والإصلاح فمن أين نبدأ؟.إننا بحاجة إلى رؤية علاجية خاصة بنا تتناسب مع ثقافتنا الإسلامية حتى لا يقاومها المجتمع وأن نبدأ في بناء تجربتنا الخاصة .

٣ - المرأة والتحرر الجنسي

من خلال هيجان الثورة الجنسية في عصرنا الحاضر تتعرض المرأة (خصوصا دول الغرب) إلى تهمة دورها في الأسرة والمجتمع وإبرازها كسلعة جنسية رخيصة .

وتركوا ابرز الدور الأساسي للمرأة في المجتمع كما شرعها الإسلام على جميع الأصعدة وخصوصا العلمية والثقافية مع تبيان المقام السامي للمرأة في إنشاء الأسرة الصالحة والمساهمة في تطور المجتمع ورفيه .

ومما يزيدك حسرة وحيرة أن البعض من الكتب وللأسف حشروا الدين وقالوا ان المانع من الحرية الجنسية للمرأة هو الدين عموما والإسلام بالخصوص !.

إن عظمة مقام المرأة بينها دين الإسلام في تشريعاته كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝٣٧ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٣٨ ﴾ . وفي سورة غافر ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هِيَ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩ ﴾ .

وضمن لها الطعام والكسوة والسكن ونفقات العلاج وغيرها للزوجة فلقد أوجبها الإسلام على الزوج دون الزوجة.

ومثلاً الإسلام لا يوجب على المرأة الطبخ أو التنظيف داخل بيتها. نعم: يستحب لها فعل ذلك ولا يجب بل لا يجوز لأي رجل شرعاً إكراه امرأته (زوجته) على ذلك (كما يفعل بعض المسلمين).

بمعنى أن المرأة مؤمنة ومضمونه اجتماعيا واقتصاديا ومحفوظة الكرامة داخل وخارج أسرتها بحيث لا تحتاج إلى العمل مادامت متزوجة.

٣٥٧- سورة النساء الآية ١٢٤ .

٣٥٨- سورة النحل الآية ٩٧ .

٣٥٩- سورة غافر الآيات ٣٩-٤٠ .

بينما تجد العكس توجب القوانين الغربية والوضعية (أكثرها) العمل على المرأة لكي تعيش. وهو دليل على علو ومكانة المرأة في الإسلام.

فلا نجد ولم نسمع في اضعف وقت للحضارة الإسلامية مهازل مثل التي تحدث في الغرب الذي يبحث عن الجنس من أي طريق متاح والعياذ بالله ويبحث عن طرق استغلال المرأة تحقيقا لهذه الأغراض البهيمية.

والآيات الكريمة السابقة المشار إليها تؤكد أن مقياس التفاضل بين البشرية جميعا من الرجال والنساء هو : (الإيمان والعمل الصالح) كما قال النبي الأكرم ﷺ : (إنما النساء شقائق الرجال) وليس الجنس .

وفسروا كلمة (شقائق) بالأمثال. فالنساء في التكليف وفي الحساب والعقاب والثواب على حد سواء مع الرجال. بل امر النبي ﷺ بوضوح انه لو كان له أمر التفضيل لفضل النساء فقال ﷺ : (ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء).

وقال الله تعالى في القرآن الكريم :

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّالَهُ فِي سَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^{٣٦٠}.

وهذا الضعف وآلام الحمل والوهن قدم رسول الله ﷺ حسن صحبتها على حسن صحبة الوالد كما في الحديث قيل يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابي ؟ قال: أمك قال: ثم من قال ﷺ : أمك قال: ثم من قال ﷺ : أمك قال : ثم من. قال ﷺ : أبوك.

وقال ﷺ : (أي رجل لطم امرأته لكمة أمر الله ﷻ خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لكمة من نار جهنم).

بل أعطى المرأة خصوصية كبيرة فنهى عن تتبع عثرات النساء فليس للرجل أن يصير رقيقا على زوجته يتسقط لها الأخطاء ويعاتبها ويشدد في عتابها ولومها .

فمع تحافت منطق الثورة الجنسية لتحرير المرأة علت موجات التحرر فقد صارت المرأة مستقلة بكسبها وبصوتها وحررتها وسائل منع الحمل من قيود الأمومة .

فأطلقت بعض الفئات من النساء صيحات تطرّف تنادي بكسر كل القيود الموروثة وتنادي باعتبار الأسرة نفسها تعتبر مضطهدة للمرأة فينبغي إلغاء مسؤولية الأسرة^{٣٦١} .

ونتيجة الغاء المسؤولية ان كل نزوة وشهوة حاجة ملحة مستحقة الإرضاء واعتبروا كل امتناع عن إرضائها إبقاء على الزيف وعدم الصدق مع النفس. فعندهم الصدق مع النفس هو إشباع الرغبات بلا حدود.

وكل نزوة شخصية وغيرها حتى التي كانت تعتبر انحراف نفسي مثل السادية (التلذذ من عذاب الآخرين) والماسوشية (التلذذ من عذاب الذات). والميول الاستعراضية ، واستبدال الزوجات ، والممارسات الجنسية الجماعية^{٣٦٢} .

فكل هذه الحالات الشاذة اصبحت اليوم تمارس بشكل علني وتوصف بأنها خيارات بديلة مستحسنة لإشباع حاجة طلابها^{٣٦٣} .

واستمرت هذه التيارات التي تسمى بـ (الثورة الجنسية) حتى منتصف السبعينات ومع ما فيها من تدمير خلقي واجتماعي للجميع فهي جعلت من الافراد والمجتمعات التي مارسها في أوروبا وأمريكا مختبر ضخم جداً لبعض الأمور الإنسانية المهمة ، مشابها لتجارب القروء والأرانب والفقران في المختبرات.

٣٦١- كما في أوروبا وأمريكا بسنوات الستينات من القرن العشرين الميلادي سميت بالثورة الجنسية Sexual Revolution ، وعبر عن فكرها الأساسي - أبراهام ماسلو - بقوله : (إنّ النفس حزمة من الرغبات المكبوتة وأن التقاليد تدفع الناس لمزيد من الكبت ومن اصطناع شخصيات مصطنعة فيعيش الناس حياة زائفة. وإنّ واجبنا أن نتخلص من هذه الضوابط الزائفة لنعيش الحياة كما تملئ علينا رغباتنا).

٣٦٢- وكذلك الزواج المثلي homosexualism ، وكذلك السحاق (العلاقات الجنسية فيما بين النساء) Lesbianism

٣٦٣- الزواج المثلي أصبح يعقد رسميا في الكنائس بمباركة القساوسة في البلدان الاسكندنافية.

حقائق النتائج الحتمية للثورة الجنسية

يمكن الاستفادة تجارب الإباحية الجنسية التي مورست بتطرف في أوروبا وأمريكا وبعض الدول يمكن ان نلخصه بالتالي :

النتيجة الأولى :

تجد هناك علاقة بين الانضباط الجنسي والصحة (العافية) بحيث يؤدي عدم الانضباط الجنسي لمخاطر صحية تعجز عن مقاومتها كل قدرات وعلاج الطب الحديث.

فتظهر الأمراض المعدية الخطيرة الغير قابلة للعلاج في الوقت الحاضر كنتيجة مباشرة لعدم الانضباط الجنسي مما اقنع كثيرين في حكومات الدول أنّ هذا المرض عقاب مستحق للانحراف الخلقي.

هذا الشعور ساهم في ضمن عوامل كثيرة من الحد من غليان وهيجان الثورة الجنسية واستمالة روادها إلى الاعتدال مع الانضباط الجنسي^{٣٦٤}.

النتيجة الثانية :

التخلي عن الضوابط الجنسية وآداب الجنس والمحاذير منه يؤدي تدريجيا لترويض الشهوة نفسها ثم الاخذ بلجامها والتحكم فيها كيفما شئت.

وقد شاهد هذه الظاهرة الكثير من علماء الجنس وعلماء النفس من خلال دراساتهم من دون الرجوع للقران والسنة^{٣٦٥}.

٣٦٤- منذ أواخر السبعينات انتشر المرض السري المسمى هرپز (GENITAL HERPE) مرضا شائعا يقدر المصابون به في أمريكا بعشرين مليونا ويقدر من يصابون به إصابة جديدة بنصف مليون في السنة. وهناك المرض المستعصي على العلاج اسمه ايدز (AIDS) وهو مرض فيروسي. فيروسه محصن ضد العلاج ونتيجته غالبا الوفاة (راجع تقارير الامم المتحدة) فلقد أحدث هلعا كبيرا في أمريكا وأوروبا. وقتل الملايين نسمة بالدول . فهذه الأمراض المعدية الخطرة غير قابلة للعلاج الآن والدراسات الطبية ذاتها لا تضمن أن استخدام الوقاء المطاطي يمكن ان يمنع الايدز والأمراض الجنسية الاخرى.

٣٦٥- مثل عالم النفس تريپ (TRIPP) قال : (إنّ إثارة الجنس تتوقف على وجود عقبات وموانع في طريقه. زوال هذه العقبات والموانع يزيل معه الإثارة واللذة).

النتيجة الثالثة :

ان الإباحية الجنسية مع التخلي عن ضوابط الأسرة وواجباتها يفجع الافراد والمجتمع جميعه.
واما في حسابات الخسائر تجده يضر المرأة أكثر من الرجل كما اعترفت به العالمة كارولين ستيوارت حيث قالت :
(يستطيع الرجال أن يكونوا أكثر عفوية في حياتهم الجنسية. أمّا النساء فالجنس بالنسبة لهم ارتباط. أنّ الرجال يستخدمون الحنان للوصول للجنس ، أمّا النساء فينهن يستخدمن الجنس ليصلن للحنان!) .
وكذلك حينما كلفت الكاتبة الأمريكية (آن لاندز)^{٣٦٦} من إحدى المؤسسات التابعة للحكومة بتقرير لها .

فكان الرد مفاجيء وغير متصور بهذه النسبة إذا كان السؤال موجها للرجال عبر تجارب كثيرة أكدت حقيقة شائعة وهي أنّ الممارسات الجنسية العفوية تضر بالنساء أكثر مما تضر بالرجال.
وذلك لأنّ العلاقة إذا أنتهت الى الحمل (الجنين) بالرغم من الاحتياطات التي تعرفها المرأة اكثر من الرجل فسيبقى في بطونهن الجنين غير المرغوب فيه .
وهن (النساء) اللائي يتعرضن لأذى من سائل منع الحمل والسبب لان مانعات الحمل تشتمل على مخاطر غير مباشرة. وهي وحدها تواجه احتمالات سرطان عنق الرحم وهو مقترن بالمضاعفات الجنسية مع عدد من الرجال.
والمهم إنّ جميع هذه التجارب تثبت قطعاً أنّ ربح المرأة من الأسرة أكبر من خسارتها للأسرتها والمجتمع.

٣٦٦- وهي : د. آن لاندز (ANN LANDERS) كاتبة أمريكية تنشر مقالاتها ألف صحيفة أمريكية ، أرسلت سؤالاً واحداً لآلاف النساء الأمريكيات وطالبتهن الإجابة بنعم أو لا : السؤال هو: هل تفضلن الملاحظات والملازمة بحنية على الجماع نفسه ؟ ! فرد على السؤال تسعون ألف امرأة وكان رد ٧٠% من هؤلاء النساء على السؤال بنعم .

النتيجة الرابعة :

هو الإجهاض من الحمل الغير شرعي وهكذا تزهق الأرواح البشرية بدم بارد؟^{٣٦٧}.
فلقد أدت الثورة الجنسية التي حدثت في أوروبا وأمريكا وبعض الدول إلى انتشار آراء ناقدة للأسرة بل داعية للاستغناء عنها كبيئة فاشلة وظالمة للمرأة^{٣٦٨}.

النتيجة الخامسة :

هل حقق التحرر الجنسي السلام والوثام في المجتمع الغربي وأنتج الأسرة الصالحة ؟
جوابه يكمن في أن العنف الأسري بذاته هو احد النتائج الغير مباشرة من الثورة الجنسية. فلقد لحق العنف الأسري بشتى أنواعه وبأضعف أعضاء الأسرة، أي النساء والأطفال.
وما زال الكتمان وعدم كفاية الأدلة، والحواجز الاجتماعية والقانونية، تجعلك من الصعب حصولك على بيانات مضبوطة عن العنف المنزلي الموجه ضد المرأة.
الذي يعتقد علماء الاجتماع أنه أقل ما يبلغ عنه من أنواع الجرائم.
فمعظم البيانات عن العنف الموجه ضد المرأة، تُجمع من دراسات صغيرة من هنا وهناك فلا تعطي غير لمحة فحسب، عما يفترض أنه ظاهرة عالمية.
ولكنها تبين بشكل وآخر أن العنف في البيت أمر شائع، والمرأة هي ضحيته في أكثر الحالات.
فنحن نستنتج أن الغرب قد ساهم في القضاء على الأسرة وضياعها بدعوته إلى التحرر الجنسي من خلال هيجان الثورة الجنسية وزيادة العنف ضد المرأة وتسويقها كسلعة جنسية وتفشي اللااخلاق^{٣٦٩}.

٣٦٧- تشير الدراسات أن ثلاثين ألف طفل يقتل سنويا في السويد بسبب الإجهاض . وفي أمريكا العدد رهيب جدا ويصل أحيانا إلى المليون!. راجع : مكانة المرأة في الإسلام وتهافت منطق التحرر الجنسي تأليف : أسامه النجفي.

٣٦٨- ولكن مجلة تايم الأمريكية أعدت دراسة حول الموضوع وخلصت الدراسة التي نشرتها المجلة إلى الآتي: (بعد الضجة التي أثارها الثورة الجنسية فان غالبية الأمريكيين والأمريكيات أصبحوا أشد تمسكا بالأسرة وإيماننا بالزواج وعادوا إلى الفكرة التقليدية التي تقرن الجنس بالحب وترى ألا يكون الجنس عفويا أبدا).

(ب) :- بعض مظاهر نفسية المرأة

وسوف نستعرض فيما يلي بعض مظاهر نفسية المرأة مثل الرقة والرحمة والمساواة .

فالمرأة تتميز عن الرجل بعطفها وحنانها، ورقه عواطفها ورهف احساسها، وشده تاثرها وسرعه انفعالها، كما انها تتميز بصبرها وجلدها وقوه تحملها.

وهذه الخصال الرفيعة تتناسب مع وظيفتها بالحياة فتربيه الطفل تحتاج الى الرقة والحنان والعطف والرحمة ، كما تحتاج الى الصبر والتجلد والتحمل.

واما الرجل فيتميز بقسوته وعنفوانه وجبروته وبطشه ، ولذلك قال القران في صفه الرجال بقوله تعالى: (واذا بطشتهم بطشتهم جبارين).

كما يتميز بحزمه وعزمه وشجاعته ورباطه جأشه. وهذه الخصال تفرضها عليه طبيعة المهمة التي اوكلت به، وهي تامين حاجات الاسرة وحمايتها من الخارج.

واعطى الله تعالى المرأة ايضا خصالا تناسب حاجات الاسرة والتربية ، منها النظافة والاناقة وحب الترتيب ، فتجد هذه الصفات مطبوعة في فطره اغلب النساء .

والرجل بخشونته وقسوة الطبع عنده وقله رحمته، يحب المرأة التي تعوضه بعض ذلك برقتها ووداعتها ورحمتها. فيجد فيها فيض الحنان والحب، الذي يمتن بينهما اواصر الزوجية ، ويجعلهم ينجبان اولاد طيبين.

والمساواة في الثواب والعقاب لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ٣٧٠ .

٣٦٩- وحاصله الانتحار بمئات الآلاف سنويا والايديز (بالملايين!) والاجهضات التي وصلت أرقاما فلكية وستكون سببا لانحيار الغرب والدول الاخرى ، كما برهن ذلك الفيلسوف الالماني شبنغلر Oswald Spingler في كتابه (سقوط الغرب) والفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي وغيرهم .

٣٧٠- سورة النساء ٣٥ .

لو أن الله سبحانه وتعالى قال : إن المسلمين والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين إلى آخر الآية لكانت هذه الآية تشمل كذلك الرجال والنساء.

ولكن الله أراد أن يؤكد ويبين ويزيل اللبس من أن المرأة مثل الرجل مساوية له تماماً في التكاليف الشرعية ، في أصول وفروع الدين.

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٣٧١.

وقال تعالى : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ٣٧٢.

وقال ﴿ عَذَابُ الزَّانِيَةِ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣٧٣.

والمساواة في حق الحياة فلقد بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ ٣٧٤ ، واجماع على أن الرجل يُقتل بقتل المرأة ، فكرامتها من كرامته ، والعكس كرامته من كرامتها .

والمساواة في التشريف فلقد جعل الذين يرمون المحصنات الغافلات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء جعل قصاصهم من أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، وألا تُقبل لهم شهادة أبداً.

حتى لو تابوا لابد من أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، فعقاب الدنيا لا يسقط بالتوبة ، لذلك جاء في الأثر قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة.

وتلاحظ من أهم الأدلة على المساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ ٣٧٥.

٣٧١- سورة النحل ٩٧ .

٣٧٢- سورة المائدة ٣٨ .

٣٧٣- سورة النور ٢ .

٣٧٤- سورة التكوين ٨ .

٣٧٥- سورة الحجرات ١٣ .

فجعل التفاضل بين كل الناس سواء كانوا رجالاً أم نساءً ، ابيض أو اسود ، عرب أو عجم بالتقوى وحدها. وكذلك المرأة مساوية للرجل تماماً في الأقاير (أي جمع إقرار) ، والعقود والتصرفات.

يعني بإمكانها أن تشتري ، وأن تباع ، وأن تقرّ بيعاً أو شراءً ، فالبر ، والصدقة ، والدين ، والوقف ، والبيع ، والشراء والكفالة ، والوكالة كلها ، المرأة فيها مساوية للرجل بالتمام والكمال.

فلماذا لم ينزل الله سبحانه وتعالى سورة الرجال وحدهم ؟.

إن الله سبحانه وتعالى بحكمته خاطب الرجال في أغلب الآيات والسبب لأن اللغة العربية تقتضي تغليب الذكر في الخطاب.

وراجع كتب اللغة لتجد أن جميع الخطابات التي كانت موجهة للنساء والرجال على حد سواء تأتي فيها صيغة المذكر بشكل كبير فهل معنى هذا أن النساء غير معنيات بالأمر؟.

وإن كان هذا الأشكال تام وصحيح فيجب على الجن أن يعترضوا لأن أغلب آيات القرآن تقول (يا أيها الناس ...) ولم تأتِ (يا معشر الجن والإنس ..) إلا في آيات قليلة.

وأشارت البحوث العلمية إلى أن العاطفة هي السمة الأساسية التي تتسم بها نفس حواء فمن سمات الأنثى النفسية والعقلية^{٣٧٦} هي:

١ - القدرة على التأثير بالإيحاء .

٢ - سرعة الاستجابة للدوافع. ويعتبر الدافع مؤشر قوي يدفع الكائن الحي إلى القيام بسلوك يرمي إلى تحقيق غرض محدد .

٣ - سرعة التأثر العاطفي .

٤ - الرغبة في التنوع .

٥ - الحساسية والمرونة. وتظهر على كثير من بنات حواء مظاهر النشاط والصحة والمرح والابتهاج، ولكن تنتهجن مشاعر الضيق والانقباض في أثناء فترة الحيض مثل العصبية وعدم الانسجام وسرعة التهيج والحساسية المرفهة وكثرة تقلب المزاج.

٣٧٦ - انظر: النوع الاجتماعي الجندر: سيما عدنان أبو رموز - إشراف: الدكتور مصطفى أبو صوي القدس فلسطين.

٦- التماس حواء لعون الرجل وحمايته .

٧- سمة التقبلية. فمن الناحية الوجدانية تميل المرأة إلى أن تكون الموضوع المعشوق الذي يحظى بالإعجاب فلها الميل الفطري للتزين وأن تكون على أجمل صورة وأبهى منظر لغرض الوصول الى غايتها (عشق - حب).

٨ - سمة الحدس والإلهام .

٩ - سمة الاحتواء والرعاية. وتظهر سمة الاحتواء عند المرأة فسيولوجياً في عملية الحمل ، ثم في احتضان الطفل .

١٠ - الأمومة وهي الغريزة الفطرية المحورية التي تتمركز حولها حياة الأنثى منذ الصبا إلى الشيخوخة^{٣٧٧} .

الاهتمام بالمظهر والسمعة

لاحظ ان المرأة تهتم بالمظهر أكثر من الرجل ، الذي يهتم بالجواهر. فاذا راقبت اهتمامات المرأة، تجد انهما مهما بلغت من العلم والفهم ، فهي مسيرتها الاهتمام بالأشكال والمظاهر، مما نسليه زينة الحياة الدنيا.

وغرس الله ﷻ هذه الخاصة في المرأة ، لتكون المرأة أكثر جاذبية للرجل ، لكي يتمتع بزینتها وجمالها، ويشم رائحتها وعبقها ، فتسره اذا نظر اليها، وتجنبه النظر الى غيرها.

وهو مصداق قول الإمام علي عليه السلام : (المرأة ربحانه وليست بقهرمانه) ، والقهرمان هو الذي يحكم في الامور ويتصرف فيها برايه .

فالإمام عليه السلام لا يرغب ان تنصرف المرأة للانشغال بتصرف الامور العامة ، فهو مما يمنعها عن مزاوله وظيفتها الاساسية ، وهي ان تظل في بيتها ربحانة لهم وراعيه لأولادها .

٣٧٧- للمزيد راجع :

مُجد عثمان الخشت وليس الذكر كالأنثى، ص ٥٩-٧٠ .

الدكتور مُجد وصفي الرجل والمرأة في الإسلام، تقديم مُجد عبد الله السمان، خرّج أحاديثة مُجد صديق المنشاوي الوهاجي ص ٤٤-٥٨ القاهرة ، ط: دار الفضيلة .

وبما ان المرأة عاطفية ، فإنها قد تنساق وراء هذه المظاهر، ولا تتحرج لأشباع تلك الرغبة من التساهل في اوامر الشرع ، فتستخدم تلك الغريزة بغير محلها الصحيح فبدل ان تتزين لزوجها . فانها تقوم بعرض مفاتنها امام الغرباء في الازقة والطرقات، ولا تخفى مفاسد هذا التصرف في اشاعه الفحشاء والمنكر في المجتمع.

واما من ناحيه السمعة ، فقد وجد ان المرأة تحاول المحافظة على سمعتها بين الناس، فهي ان فعلت منكر تفعله بالخفاء بعيدا عن اعين الناس، حتى لا يفتضح امرها وتهدر كرامتها .

اما الرجل فهو حين يفسق لا يتورع ولا يهتم عن ذكر ذلك امام الناس ، وربما تفاخر بفعل ذلك، بدون ان يبالي بسمعته وشهرته. وهناك بعض صفات المؤمنات الممدوحات مع أزواجهن منها :

أ - صالحات بعمل الخير والإحسان إلى الأزواج.

ب - مطيعات لأزواجهن فيما لا يسخط الله ويعجل .

ج - محافظات على أنفسهم في غيبة أزواجهن .

د - محافظات على ما خلفه الأزواج من أموال .

هـ - لا يرين أزواجهن إلا ما يسرهم من طلاقة الوجه وحسن المظهر وتسليية الزوج.

وحسن المظهر والهئية هو من التجميل ويعتبر أمر فطري عند الإنسان فمبدأ التجميل هو للرجال والنساء وكذلك السمات الحسن فليل للنبي ﷺ إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً.

قال ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال.

ومثله قال ﷺ خير النساء من تشرك إذا أبصرت.

ولا يعني حسن المظهر أن تكون المرأة جميلة حسناء ، لأن الجمال يعتبر أمر نسبي ، وجمال المرأة هو دينها وحسن خلقها وأدبها ، والمرأة الحكيمة هي التي تتفنن في كيفية إظهار جمالها لزوجها.

وهذا ليس معناه منع الرجل من ان يتزوج بامرأة جميلة إذا كانت على خلق ودين ، فقد قال الرسول ﷺ : تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك.

(ج) :- الحب والكره

ان المرأة بدافع عاطفتها الشديدة ، اذا احبت انسانا احبته فوق التصور، واذا ابغضته فإنها لا تنسى بغضها له . وفي ذلك يقول الامام علي عليه السلام : المرأة تكتم الحب اربعين سنة، ولا تكتم البغض ساعة واحدة^{٣٧٨}.

ومن امثله الصنف الاول حب خديجه عليها السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحب فاطمه الزهراء عليها السلام للأمام علي عليه السلام.

ومن امثلة الصنف الثاني بغض السيدة عائشة للأمام علي عليه السلام لأسباب لا مجال لذكرها هنا ، حتى ان ايمانها لم يمنعها بدافع ذلك الكره من ان تحارب الامام عليا عليه السلام فيذهب بجريتها خمسة عشر الفا من الضحايا المسلمين ، وذلك في موقعه الجمل التي جرت قرب البصرة .

مخالفة بذلك امر خالق الالكون في محكم القرآن ، حين امرها بملازمة بيتها وعدم التدخل في امور السياسة ، وذلك في قوله تعالى مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة حيث يقول ﷺ ﴿ وَفَرَنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^{٣٧٩}.

أي ان خروج زوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بيتها هو مخالفه لأمر الله ﷻ، وعدم طاعه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم. وقد نظم هذا المعنى الشيخ كاظم الأزري في قصيدته المشهورة فقال :

حفظت اربعين الف حديث * ومن الذكر آية تنساها

وفي المقابل تجد المرأة هي المظهر الصادق^{٣٨٠}، والنموذج الرائع، للفرد الذي يتسامى على وسائل التهيب ، وأساليب الخداع ، في ذلك الجو الحالك .

إنها (طوعة) رحمها الله السيدة المؤمنة الواعية، التي احتضنت مثل الثورة مسلم بن عقيل عليه السلام حين تفرق الناس عنه.

وحمت القائد وآوته حين تقاذفته سكك الكوفة وشوارعها فتفوقت بعملها البطولي وموقفها الثوري على جميع رجال مجتمعها الجبناء الخانعين.

٣٧٨- الحكمه ٢٢٨ الملحقه بآخر تفسير ابن أبي الحديد .

٣٧٩- سورة الاحزاب ٣٣ .

٣٨٠- راجع : مسئولية المرأة ، تأليف الاستاذ الشيخ حسن الصفار .

واليوم المرأة تعيش الإهانة والاحتقار لان إنسانيتها محل نقاش وموضع جدال، ما كان يتأني لها بالطبع أن تساهم في تسيير الحياة الاجتماعية، وما كان يمكنها أن تلعب دوراً ما في أحداث عصرها ومجتمعها.

وكيف يمكنها أن تؤدي أي دور وهي تعيش على هامش الحياة، وينظر إليها بازدراء واحتقار! جعلها هي الأخرى تفقد الثقة بنفسها ، وترضى بواقعها البغيض .

إن أراءها تعتبر ناقصة، وتحركاتها مشبوهة، وكلما تأتاهة تافهة ، وما عليها إلا أن تقبل ما يجري وتخضع لما يحدث.

وباختصار : كانت عضواً مشلولاً في المجتمع وطاقة مهملة في الحياة .

ويراد للمرأة أن توجه اهتمامها نحو موديلات الأزياء وتفكر في حفلات الرقص والغناء وتفتش عن أبطال الحب والعشق وتعرض نفسها على شباب المراهقة وتبحث عن مغامرات الجنس .

هذه المرأة هل تستطيع بعد ذلك أن تمارس دوراً اجتماعياً خطيراً ، أو تشارك في صنع أحداث الحياة ؟ .

- الكيد والمكر :

الكيد هو اراده مضره الغير بشكل خفي عن طريق المكر والحيلة والخديعة .

والمرأة السيئة تكيد للرجل لكي تغويه ، كما يكيد الشيطان الى بنى الانسان . ومن ابرز امثله القرآن على ذلك كيد امرأه العزيز ليوسف عليه السلام ، الذي بقي صامداً بتأييد ربه وَعَلَىٰ ، وفضل السجن على ارتكاب الفاحشة .

وذلك مصداق قوله تعالى على لسان العزيز: (فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيد كن، ان كيد كن عظيم)^{٣٨١} وقوله على لسان يوسف عليه السلام قال :

(رب السجن احب الى مما يدعونني اليه، وإلا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم)^{٣٨٢}.

٣٨١- سورة يوسف الاية ٢٨ .

٣٨٢- سورة يوسف الاية ٣٣ - ٣٤ .

وكذلك ، كيد المرأة للمرأة اذا تعارضت مصالح احدهما مع الاخرى ، وغالبا ما يحدث ذلك بدافع الغيرة .

وعندها تصبح المرأة شرا، على الرغم من حاجه الرجل والوجود البشرى اليها فنسب اليه عليه السلام قال: (المرأة شر كلها، وشر ما فيها انه لا بد منها).

وهو قول غير مقبول قط، لا من منطق الإسلام، ولا من نصوصه. كيف والقرآن الكريم يقرن المسلمات بالمسلمين، والمؤمنات بالمؤمنين والقانتات بالقانتين، إلى آخر ما هو معلوم من كتاب الله ويعلي.

والتفسير الصحيح لرواية: المرأة شر كلها.. مرفوض.

والله ويعلي القائل (ولقد كرمنا بني آدم)^{٣٨٣} فهذا التكريم الإلهي ليس مختص بالرجل وحده بل هو شامل لكل بني آدم من المرأة والرجل .

ولهذا.. فإننا نرفض كل الروايات التي تقلل من شأن المرأة وإنسانيتها، كما نرفض الروايات التي تحط من شأن بعض الأقوام والأعراق .

ونعتقد : أن المعصوم لا يصدر عنه أمثال هذه الروايات المخالفة للقرآن الكريم.

فمن الروايات التي تحط من شأن المرأة ما نسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (المرأة شر كلها، وشر ما فيها: أنه لا بد منها). فإننا نشك أن هذه الكلمة للإمام علي عليه السلام... وذلك..

ان الإمام علي وسائر الأئمة عليهم السلام أن الإنسان لم يخلق شريراً في أصل خلقته .

وأن عنصر الإغراء لا يصلح تفسيراً لهذه الكلمة، لأن الرجال يمثلون عنصر إغراء للمرأة. ولو سلمنا بأن عنصر الإغراء شر، فلما يطلق الحكم بهذه السعة، فإن الإغراء ليس هو كل عناصر شخصية المرأة^{٣٨٤}.

ويمكن حصر بعض الأخطاء التي يكثر وقوعها في الحوارات الأسرية فمن خلال تلك الحوارات التي تجري داخل البيوت يجد المرء أخطاء كثيرة، تذهب بفائدة الحوار وتبطل أثره في النفوس^{٣٨٥}.

٣٨٣- سورة الاسراء ٧٠ .

٣٨٤- كتاب : خلفيات كتاب مأساة الزهراء ج ٥ ص ٣٦ .

٣٨٥- أنظر: كتاب : حوارات أسرية ، تأليف : مازن بن عبد الكريم الفريح ، السعودية الرياض .

بل وربما جلبت الشقاق والنزاع والخلاف وأورثت البغض والحقد والكراهية، ومن هذه الأخطاء:

١ - الحوار في ظروف غير مناسبة :

لكي يكون الحوار مؤثراً في النفوس، ومحققاً للأهداف التي يراد الوصول إليها، لا بد أن يتحین المرء الأوقات الملائمة، والأمكنة المناسبة، فلكل مقام مقال وعلى سبيل المثال :

تخطئ الزوجة التي تفتح باب الحوار (بل باب المشاجرة) مع زوجها وهو غضبان ؛ ولذلك قال أحد الرجال قديماً يوصي زوجته :

خذي العفو مني تستدمني مودتي * ولا تنطقي في سوري حين أغضب

ولا تنقربي نفرك الدف مرة * فإنك لا تدري كيف المغيب

ولا تكثر الشكوى فتذهب بالهوى * ويأباك قلبي والقلوب تقـلب

فإني وجدت الحب في القلب والأذى * إذا اجتماعاً لم يلبث الحب يذهب

ولما دخل أبو الدرداء على زوجته قال لها: إذا رأيتني غضباناً فرضيني، وإذا رأيتك غضبي رضيتك، وإلا لا نعيش بعد اليوم أبداً!

وتخطئ الزوجة التي تفتح مع زوجها حواراً تطلب منه أشياء تريدها عند دخوله للبيت بعد فترة غياب في العمل لا تدري كيف قضاها الزوج!

ويخطئ الزوج الذي فتح باب الحوار لتقويم زوجته أمام أهل والأولاد والأقرباء.

٢ - الاستئثار بالكلام :

هناك بعض الأزواج لا يدع مجالاً للمحاوراة داخل الأسرة، سواء كانت زوجة أو بنتاً أو أختاً إما لعرف خاطئ أو لتكبر في نفسه واعتداد بذاته وغرور برأيه. وإما لاحتقار واستصغار للمقابل.

ويتولد عن هذا الخطأ: البغض أو الكره للزوج أو العزلة عنه أو عدم القناعة بما يمليه عليهم، فإذا حضر الزوج التزم أهل البيت - على مضض - بما يريد وإذا خرج عادوا إلى ما يريدون بعد أن يحمدا الله على خروجه!.

فدع أهل بيتك يعبرون عن آرائهم بصراحة في حواراتهم معك، وأحط هذه الصراحة بسور من أدب الحديث الذي أجبننا به الإسلام، وما هو سيد البشر ﷺ يسمح لزوجاته أن يراجعنه في القول فتدلي كل واحدة منهن برأيها وتعبر عما في صدرها بل وتدافع عن نفسها، فليس هو وحده الذي يتكلم في البيت.

٣- عدم ضبط النفس عند الحوار:

وله مظاهر عديدة وصورة كثيرة فمنها بعض الأزواج ما إن تحاوره زوجته حتى يحمر وجهه وتنتفخ أوداجه، ويعلو صوته حتى يسمعه الجيران فضلاً عن الأولاد .

فصدره ضيق لا يتسع لأحد ولو كان أقرب الناس إليه فما أعظمها من وصية تلك التي أوصى لقمان بها ابنه وهو يقول : ﴿ واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾^{٣٨٦}.

وقد قيل قديماً إن كثرة صخب الرجل دليل على حماقته وقلة عقله. وإذا كان ارتفاع الصوت في غير موضعه من الرجال قبيحاً فهو من النساء أقبح وأشنع.

وروي أنه أغلظ أبو بكر لعائشة عندما سمعها ترفع صوتها على النبي ﷺ حيث جاء للنبي ﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ فأذن له ، فدخل. فقال لها: يا إبنة أم رومان!

الكلمات الجارحة والعبارات البذيئة:

فإن من الناس من لم تستقم ألسنتهم على هدي القرآن وسنة سيد الأنام ﷺ وأهل بيته الاطهار ﷺ فألسنتهم كالحصان الجموح، إذا تكلموا شتموا، وإذا تحدثوا سبوا، وإذا تحاوروا لعنوا.

ولعل للنساء من هذا حظاً كبيراً لا سيما إذا كان الطرف الآخر في الحوار أحد الأبناء فتسمع من اللعن والسب ما يصح مسامعك، ولهذا قال الرسول ﷺ معللاً سبب كثرة النساء في النار ب(تكثرن اللعن، وتكفرن العشير).

الأحكام القاسية والعقوبات الجائرة :

بعض الرجال ينهي حوار - أحياناً - بأحكام قاسية على زوجته وأبنائه ، بل قد يصل به الحوار إلى الطلاق فيعض أصابع الندم حسرة على استعجاله بعد أن يرى بيته وقد تخدم بناؤه، وقوضت أركانه فالأطفال مع أمهم أو عند جدتهم أو عند الخادمة !.

والتي كانت زوجته بالأمس رحلت إلى بيت أهلها، وظل هو في بيته فلم يعد يسمع تلك الأصوات التي كانت تملأ البيت حياة وأنس والتي طالما استأنس بسماعها دون أن يشعر بقيمتها.

وكم رأيت من أمثال هؤلاء يقول الواحد منهم - بعد فوات الأوان - وهو يفرك يديه النادمة : هل لي من رجعة إلى زوجتي؟!.

أتبكي على لبي وأنت قتلتها * فقد ذهبت لبي فما أنت فاعل

وهناك من النساء من تسلك مثل هذا المسلك فتختتم بعض حواراتها مع زوجها بـ (وإلا سأذهب إلى بيت أهلي.. أو وإلا طلقني! أو وإلا....) .

يا أمة الله يقول الرسول ﷺ إنما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة.

أيها الأزواج ، طهروا حواراتكم من هذه الأساليب فإن عاقبتها مرة !.

٤ - عدم الاعتراف بالخطأ :

فالإنسان يخطئ باستثناء المعصومين الاربعة عشر والانبياء عليهم السلام وكما قال الرسول ﷺ كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

وقد يعمل المرء عملاً يرى صوابه ثم يحاوره آخر فيتبين له خطأ ما فعل والمسلم أبواب تواب، يرى أن الرجوع إلى الحق خير له من التماسي في الباطل، فلا تتحرج إذا حاورتك زوجتك في قضية ترى أن الحق لم يحالفك فيها أن تقول لها: لقد أخطأت!.

وهناك الكثير من النماذج لحوارات أسرية ، فلقد عرضها القرآن الكريم ، تجلى فيها أدب الحوار الاسري ، ومعالج الخطاب التربوي الذي يؤصل في النفوس حقيقة الإيمان وأخلاق القرآن.

– تعدد الزوجات :

لم يكن الإسلام أول نظام يشرع التعدد ويقره ، فهذه الظاهرة الاجتماعية معروفة عند الأمم السابقة ، إذ كانت معروفةً عند اليونان والرومان والبابليين والهنود وقدامى المصريين ، كما عرفه الأوروبيون في العصور الوسطى ؛ وكان لا يحده عدد ولا يقيد شرط ، ولم يكن له هدف إلا قضاء الشهوة^{٣٨٧} .

أما الأديان السابقة فقد ورد فيها ما يدل على إباحة التعدد : فاليهودية كانت تبيح التعدد بلا حدود ، وجاء في التوراة إباحة الزواج بغير عدد محصور من النساء ، إلا أن بعض أحبار اليهود حدد ذلك بثماني عشرة زوجة وأنبياء التوراة بلا استثناء كانت لهم زوجات كثر^{٣٨٨} .

وأما النصرانية فلم يرد فيها نص صريح يمنع التعدد ، وإنما ورد على سبيل الموعظة أن الله سبحانه وتعالى خلق لكل رجل زوجته ، وهذا لا يفيد أكثر من الترغيب في الاقتصار على زوجة واحدة في أحسن الاحتمالات ، بل أن في رسائل بولس ما يفهم منه جواز التعدد حيث يقول : ويلزم أن يكون الأسقف زوجاً لزوجة واحدة ، وهذا يدل على إباحة ذلك لغيره^{٣٨٩} .

وينبغي للعالم كله أن يعرف أنه لا علاقة للدين النصراني في أصله بتحريم التعدد ، وذلك لأنه لم يرد نص صريح يدل على تحريم تعدد الزوجات ، وإنما كان السابقون من أهل أوروبا من النصارى قد ساروا على نظام وحدة الزوجة لأن معظم الأمم التي أنتشر فيها الديانة النصرانية من أهل أوروبا الوثنية أول الأمر – وهي شعوب اليونان والرومان – كانت تقاليدها تمنع تعدد الزوجات .

وقد سار أهلها بعد اعتناقهم النصرانية على ما وجدوا عليه آباءهم من قبل ، فكل ما في الأمر أن النظم الكنسية المستحدثة بعد ذلك قد استقرت على تحريم تعدد الزوجات واعتبرت هذا التحريم من مفاهيم الدين على الرغم من أن أسفار الإنجيل نفسها لم يرد فيها ما يدل على هذا التحريم .

٣٨٧- السباعي ، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٧١ ؛ الأبراشي ، مُجد عطية ، مكانة المرأة في الإسلام ، ص ٦٠ ؛ شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ١٩٨ ، دار الإدارة العامة للثقافة الإسلامية في الأزهر ، القاهرة ، ١٩٩٥ م .

٣٨٨- أبو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع ، ص ٧٤ ؛ مكانة المرأة ، ص ٦٢ .

٣٨٩- رضا ، رشيد ، حقوق النساء في الإسلام ، ص ٦١ . خالد ، حسن ، أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٤٤ ؛ السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٦٢ .

من هنا نخلص إلى أن التعدد لم يكن بالأمر المبتدع في الإسلام ، بل لقد عرفته الأمم والديانات السابقة ، وإنه من الإنصاف القول أن تعاليم الإسلام لها الفضل في تنظيم التعدد بصورة دقيقة و سن التشريعات من حيث الشروط والقيود والتعليمات المنظمة له مما خفف من غلوائه وآثاره السلبية^{٣٩٠} .

والأصل في تعدد الزوجات في الإسلام هي الإباحة ، بدليل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾^{٣٩١} .

ولفظ (انكحوا) وإن كان للأمر إلا أنه يفيد الإباحة لا الوجوب ، والتعدد وإن كان مباحاً إلا أن الاختصار على واحدة في نظر الإسلام الأفضل ، وهو حرام عند وجود الضرر والجور وعدم العدل^{٣٩٢} فكان معلوماً بذلك أن قوله تعالى ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ .

وإن كان مخرجه مخرج الأمر ، فإنه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الأمر بالنكاح^{٣٩٣} ، على أن حكم التعدد قد تجري عليه الأحكام الشرعية التكليفية الخمسة ، تبعاً لحال الرجل وواقع البيئة المحيطة بهما >

فقد يكون حراماً في أحوال ، وقد يكون مكروهاً في أحوال أخرى ، أو مستحباً أحياناً ، بل قد يكون واجباً أحياناً أخرى ، وليس هذا الموضع المناسب لبسط الكلام في التفاصيل ، وارجع الى كتب الفقه للمزيد .

٣٩٠- شفقة ، شرح أحكام الأحوال الشخصية ، ص ٢٩٢ ؛ مكانة المرأة ، ص ٦٩ .

٣٩١- النساء ٣ .

٣٩٢- شفقة ، شرح أحكام الأحوال الشخصية ، ج ١ ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ؛ الإسلام و المرأة المعاصرة ، ص ٨٩ ؛ تنظيم الإسلام للمجتمع ، ص ٧٥ .

٣٩٣- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ ، دار المعارف ، القاهرة .

كما إن الإسلام هو دين الرحمة والواقع والفطرة ، وقد شرع التعدد رخصة يحتاج إليها الناس في كل عصر ، ولا يعرف قيمة هذه الرخصة إلا من يعانون أوضاعاً لا ينقذهم منها إلا التعدد^{٣٩٤} ، ويمكن استجلاء حكم التعدد وفوائده من خلال عدة معاني منها :

منها : حفظ كيان الأمة وصالحها ورشد المجتمع الإسلامي بالطاقة البشرية التي هي عماد قوته العسكرية ورخائه الاقتصادي ، فالمرأة قد تكون قليلة النسل أو عقيماً أو آيسة ، ولأن الرجال بحكم طبيعتهم ووظيفتهم الخارجية أكثر تعرضاً للموت من النساء بمشاركتهم في الحروب وتشمهم صعب الأعمال فلو لم يبح التعدد لأصابهم نقص الأنفس ولضعفت الأمة الإسلامية صاحبة الرسالة الإنسانية والمكلفة بتبليغها .

منها : صون الرجال والنساء من السفاح لأن ما يصيب المرأة من آلام الحمل والولادة ، قد يضطرها أن تعتزل فراش زوجها أمداً بعيداً ، وقد يكون الزوج لا يطيق هجر المعاشرة طويلاً أو لديه مقدرة جنسية جاححة أو تقل رغبة الزوجة في المعاشرة الزوجية مع أنها تحب زوجها ولا ترغب في مفارقتها ، فلو لم يشرع التعدد لانحرف بعضهم ؛ فهو يحفظ المرأة من الوقوع في حمأة الرذيلة إذا حرمت من حقها الفطري في الزواج فيصون كرامتها ويعفها وينقذها من محالب الطامعين الذين يريدونها متاعاً يلهون به ، فيكون علاجاً لهذا الوضع .

منها : قد يكون عدد الإناث في شعب من الشعوب أكثر من عدد الذكور كما يحدث عادة في أعقاب الحروب ، بل تكاد تكون الزيادة في عدد الإناث مطردة في أكثر الأمم حتى في أحوال السلم نظراً لما يعانيه الرجال غالباً من الاضطلاع بالأعمال الشاقة .

التي تمهبط بمستوى السن عند الرجال أكثر من النساء ، وهذه الزيادة توجب التعدد وتفرض الأخذ به لكفالة العدد الزائد وإحصائه ، وإلا اضطرون إلى الانحراف واقتراف الرذيلة ويفسد المجتمع وتنحل أخلاقه أو أن يقضين حياتهن في ألم الحرمان فتضيع ثروة بشرية قد تكون قوة للأمة وثروة تضاف إلى مجموعة ثرواتها .

٣٩٤ - عبد الواحد ، مصطفى ، الأسرة في الإسلام ، ط٤ ، ص١٥٤-١٥٥ ، مكتبة المتنبي ، القاهرة .

منها : إن استعداد الرجل للتناسل أكثر من استعداد المرأة ، فهو مهياً إلى العملية الجنسية منذ البلوغ إلى سن متأخرة بينما المرأة لا تنهيها لذلك مدة الحيض والنفاس والولادة إضافة إلى ظروف الحمل والرضاع وفترة القدرة على الإنجاب عند المرأة تنتهي مبكراً مقارنة بالرجل أو أن يكون الرجل بحكم عمله كثير الأسفار والغياب عن الأهل وتشق عليه الوحدة ، فيكون التعدد علاجاً لهذه الحالة .

منها : قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد أو مريضة مرضاً لا يرجى شفاؤها منه - وهي مع ذلك راغبة في استمرار الحياة الزوجية - والزوج راغب في إنجاب الأولاد ، وفي فيمن تدبر شؤون بيته ، فمن الأفضل لهما أن يتزوج بأخرى ممسكاً بها وراعياً لها ومحافظاً على مصالحها على أن يتركها في مثل هذه الحالة .

وتجب ملاحظة هنا ، وهي أن إنجاب الزوجة للإناث فقط لا يعتبر مسوغاً للتعدد ، لأن هذا أمر يدخل في نطاق إرادة الله وحكمته ولا شأن للبشر به .

منها : الحفاظ على العلاقات الأسرية والاجتماعية متينة وحمايتها من التعرض للقطيعة داخل الأسرة والمجتمع بالسماح بالتعدد خوفاً من الوقوع في الرذيلة .

منها : التعدد نظام إنساني فيه يرتفع عن كاهل المجتمع عبء امرأة بلا زوج ويجعل منها زوجة محصنة تحظى بالرعاية والإنفاق ويثمر أبناءً صالحين للمجتمع .

وهذه المعاني الكريمة يحققها نظام التعدد خلافاً لتعدد العشيقات الذي استبدلت به أوروبا تعدد الزوجات^{٣٩٥} .

- مفاهيم حول تعدد الزوجات :

قيل ان الإسلام أول من جاء بنظام تعدد الزوجات ؟ . هذا كلام تعوزه الدقة والتحقيق العلمي التاريخي الصحيح ، فقد كان نظام تعدد الزوجات سائداً قبل الإسلام عند شعوب كثيرة ، منها عرب الجاهلية ، وبعض الشعوب الجرمانية السكسونية ، وهذا النظام لا يزال منتشرًا عند عدة شعوب لا تدين بالإسلام في أفريقيا والهند والصين واليابان^{٣٩٦} .

أما الديانة اليهودية فكانت تبيح التعدد بدون حد ، وكان لعدد من أنبياء اليهود زوجات كثيرات مثل النبي سليمان عليه السلام كان له سبعمائة امرأة من الحرائر وثلاثمائة من الإماء^{٣٩٧} ، وفقاً لما ذكر في العهد القديم عندهم .

وقد ذكرنا سابقاً أنه لم يرد في الديانة المسيحية نص صريح يمنع التعدد ، بل جاء في بعض رسائل بولس كما تقدم ما يفيد أن التعدد جائز كما قال : (يلزم أن يكون الأسقف زوجاً لزوجة واحدة)^{٣٩٨} ؛ ففي إلزام الأسقف بزوجة واحدة دليل على جوازه لغيره ، حيث كان التعدد معترفاً به عند الشعوب التي تدين بالمسيحية .

ولم يعتبر مخالفاً لتعاليم دينهم وهذا مما يؤكده (وستر مارك) بقوله : (إن تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقي إلى القرن السابع عشر وكان يتكرر كثيراً في الحالات التي لا تحصيها الكنيسة والدولة)^{٣٩٩} .

ولكن نرى المسيحية المعاصرة تعترف به في إفريقيا السوداء ، فقد وجدت الإرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي هو تعدد الزوجات لدى الأفارقة الوثنيين ، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين دخول الأفارقة في النصرانية فنادوا بوجوب السماح للإفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد وعدد معين .

٣٩٦- انظر : حقوق النساء في الإسلام .

٣٩٧- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٦٠ .

٣٩٨- رسالة بولس الأولى إلى تيمثاوس .

٣٩٩- العقاد ، حقائق الإسلام ، ص ١٧٧ .

فالشعوب الغربية المسيحية وجدت نفسها بسبب زيادة عدد النساء عن عدد الرجال - خاصة بعد الحربين العالميتين - إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة لا تزال تتخبط في إيجاد الحل المناسب لها^{٤٠٠}؛ وقد كان من بين الحلول التي برزت إباحة التعدد .

كما حدث أن مؤتمر الشباب العالمي عقد في ميونيخ في ألمانيا عام ١٩٤٨ م ، وكانت النتيجة أن أقرت توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة التعدد لحل المشكلة ، كما طالب الألمان بنص دستوري يبيح التعدد^{٤٠١}.

وقيل : تعدد الزوجات مظهر من مظاهر تخلف الإسلام ؟!

الحقيقة أن نظام تعدد الزوجات لم يظهر في صورة واضحة ، إلا من خلال الشعوب المتقدمة حضارياً على حين أنه قليل الانتشار أو منعدم في الشعوب البدائية المتأخرة ، كما يرى ذلك علماء الاجتماع ومؤرخو الحضارات .

ويرى الكثير منهم أن نظام التعدد سيتسع نطاقه ، ويكثر عدد الشعوب الآخذة به كلما تقدمت المدنية واتسع نطاق الحضارة ، وليس من الصحيح الزعم من أن نظام تعدد الزوجات مرتبط بتأخر الحضارة ، بل على العكس من ذلك تماماً ما نراه جلياً على أرض الواقع .

فتعدد الزوجات المقنن وفقاً لتشريعات عادلة وحكيمة ، كما هو في النظام الإسلامي ، هو مظهر للسمو الحضاري ، وبالمقارنة بتعدد العشيقات والفوضى الجنسية المعروفة في الأنظمة الرأسمالية ، وبفكرة الشيوعية الجنسية التي نادى بها الأنظمة الاشتراكية ضمن حتمية الشيوعية الثانية المزعومة ، فإن تعدد الزوجات بالطريقة الشرعية الإسلامية هو الأرقى بلا منازع ، وقد تقدم الحديث عن الفوائد والحكم التشريعية في التعدد ، فلا حاجة للإطناب في ذلك .

قيل : وجوب تحكيم القاضي في تقدير إمكانية العدل عند الزوج الراغب بالتعدد وبالتالي السماح له بالزواج أو عدمه ؟!

٤٠٠ - نورجيه ، النصرانية والإسلام في أواسط إفريقيا ، ص ٩٢ - ٩٨ .

٤٠١ - موسى ، محمد يوسف ، الأحكام الشخصية ، ص ١٢١ ، طبعة ٢ .

إن اشتراط هذا القيد لا يستقيم لأسباب متعددة ، منها :

منها : إن العدل شرط ديني وليس شرطاً قانونياً ، فإنه ليس لدى القاضي وسائل للتحقق من وجوده ، لا سيما أن العدل أمر مستقبلي يعرف عندما يتم التعدد فعلاً لا قبله^{٤٠٢} ، فضلاً عن أنه أمر باطني ، لا سبيل لقياسه ومعرفته .

منها : إن هذه الفكرة مبتدعة وتؤدي إلى العلاقة غير الشرعية بالمرأة^{٤٠٣} ، فالشارع الحكيم الذي هو أعلم بمصالح البشر ، وحاجاتهم وطبائعهم ، لم يشترط هذا الأمر فليس في الكتاب الكريم ولا السنة المطهرة ما يشير مجرد إشارة إلى ذلك ، فضلاً عن اعتباره وتقريره ، وإن اشتراط موافقة القاضي قد تدفع بالمحتاج للزواج الثاني إلى إجراء العقد خارج نطاق المحاكم الشرعية ، مما يعمل على إضاعة الحقوق المتعلقة بالنسب والحضانة والمهر وشروط العقد وغير ذلك .

منها : إن الآية قد وكلت أمر الخوف من تحقق العدل أو عدمه إلى الأفراد وضمايرهم لا إلى سلطان القاضي فمن عدد مع عدم القدرة على العدل يأثم .

منها : أن الزوجة الثانية تعلم حال الزوج ، وقد رضيت بالزواج منه مختارة ، والأولى تعلم بزواجه من الثانية فإن غرر بالثانية كان لها طلب الطلاق ، وكذلك يحق للأولى طلب الطلاق إن هي تضررت .

منها : إن علاج عدم العدل إنما يكون بتوعية المسلمين بحقيقة الأمور التي تبيح التعدد ، وأما أن يوكل الأمر إلى تقدير القاضي فله مضاره من حيث أن الدافع للتعدد غالباً ما يكون شخصياً ولأسباب ليس من المصلحة كشفها أو معنوية ليس من السهل ضبطها .

وقيل : ان إباحة تعدد الزوجات حق يستخدمه الرجل متى يشاء دون قيد أو شرط ؟!

صحيح إن كثيراً من المسلمين أساءوا استخدام رخصة التعدد الذي شرعه الله لهم ، فالعيب ليس في إباحة التعدد ، بل العيب بالتطبيق الناشئ عنه ، فمنهم من يعدد وهو غير واثق من نفسه بالعدل الذي شرطه الله للزوج بأخرى ، ومنهم من يعدد وهو غير قادر على النفقة على أكثر من زوجة .

٤٠٢ - السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٠٧-١١٤ .

٤٠٣ - مذكور ، الإسلام والأسرة والمجتمع ، ص ٧٩-٨١ .

فالإسلام حينما أباح تعدد الزوجات لم يدعه مطلقاً ، بل وضع له قيوداً صارمة وشروطاً محددة حاسمة ، مثل (العدد) ، فلا يحل للرجل أن يجمع في عصمته في آن واحد أكثر من أربع زوجات ، كما في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ ﴾^{٤٠٤}.

وجاء في السنة أن غيلان الثقفي أسلم وتحتة عشر نسوة ، فقال له رسول الله ﷺ : (اختر منهن أربعاً وسرح الباقي)^{٤٠٥}.

وكذلك من القيود والشروط مثل (العدل) ، كما قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ۚ ﴾^{٤٠٦} ، ولقول الرسول الكريم ﷺ : (من كانت له امرأتان يميل لأحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط)^{٤٠٧} ، فإن خشي عدم العدل وجب عليه أن يقتصر على واحدة وأن لا يعدد.

والعدل المطلوب شرطاً لإباحة تعدد الزوجات والذي يؤخذ الزوج ويأثم إن لم يلتزم به هو العدل في الأمور الظاهرية التي يملكها بإرادته ، وذلك كأن يسوي بين زوجاته في النفقة والمبيت ، أما ما لا يستطيعه وهو الميل القلبي والمحبة والشهوة ، فلا يؤخذ إن لم يلتزم العدل فيها ، لأن المحبة شعور يغلب على إرادة الإنسان فلا يملك التصرف به .

وبهذا التفريق بين نوعي العدل يزول التعارض الظاهري بين قول الله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ۚ ﴾^{٤٠٨} ز

وقوله تعالى : ﴿ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾^{٤٠٩} ؛ فالعدل في الآية الأولى هو العدل الظاهري ، أما العدل المنفي في الآية الثانية فهو الميل القلبي ، ويتضح ذلك من قول رسول الله ﷺ : (اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك)^{٤١٠}.

٤٠٤ - النساء ٣ .

٤٠٥ - الترمذي : كتاب النكاح - باب الرجل يسلم وعنده عشرة نسوة - ١١٢٨ .

٤٠٦ - النساء ٣ .

٤٠٧ - الترمذي كتاب النكاح - باب التسوية بين الضرائر - ١١٤١ .

٤٠٨ - النساء ٣ .

٤٠٩ - النساء ١٢٩ .

٤١٠ - أبي داود : كتاب النكاح - باب في القسم بين النساء ، ٢١٣٤ ،

وكذلك من القيود والشروط ، مثل (القدرة على الإنفاق) : وهي مقدرة الزوج على الإنفاق على جميع زوجاته وأولاده بالعدل ، كما في قول الله تعالى : ﴿ ذَلِكْ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾^{٤١١}؛ والعدل شرط لإباحة التعدد ، ومن لم يقدر على الإنفاق على جميع زوجاته وأولاده أنفق على بعضهن دون البعض الآخر ، هذا ظلم يمنع من التعدد^{٤١٢} .

وكذلك من القيود والشروط ، مثل أن لا يجمع الزوج في تعدده بين من يحرم الجمع بينهما كالجمع بين الأختين أو المرأة وعمتها أو خالتها على خلاف منهم من قال بالحرمة والامامية قالوا (العمة والحالة) يشترط بموافقة الزوجة .

أباح الإسلام للمرأة أو وليها حق اشتراط عدم الزواج عليها في عقد الزواج ، وهو شرط ملزم ولها حق فسخ عقد الزواج إذا أخل الزوج بالشرط ، ولا يسقط حقها إلا برضاها ، وهو الأحق بالإيفاء ، كما في قول الرسول ﷺ : (إن أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم من الفروج)^{٤١٣} .

قيل : ان تعدد الزوجات يشكل هدراً لكرامة المرأة وعدواناً على شخصيتها المستقلة ويظلم المرأة وينقص من حقوقها؟! .

أوجب الإسلام العدل على الزوج فيما بين زوجاته سواءً في الطعام والكسوة والمبيت وسائر ما هو مادي ؛ فإذا خاف الرجل الجور وعدم الوفاء بحقوقهن جميعاً حرم عليه الجمع بينهما ، فإن قدر على الوفاء بحق اثنتين من دون الثالثة حرم عليه العقد عليها ، وكذلك إذا خاف الجور بزواج الثانية حرمت عليه كما في قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكْ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾^{٤١٤} ، أي اقرب ألا تجوروا ، كما في قول الرسول ﷺ :

(من كانت له امرأتان يميل لأحدهما على الأخرى جاء يوم القيامة وأحد شقيه ساقط) ، فإن العدل المطلوب هو العدل المادي الظاهر المقذور عليه ، وليس العدل القلبي في المودة والمحبة .

٤١١ - النساء ٣ .

٤١٢ - تفسير القرطبي ، ج ٥ ، ص ٢٠ ؛ تفسير الظلال ٢/٢٥٢ .

٤١٣ - الترمذي : كتاب النكاح - باب الشرط عند عقدة النكاح ١١٢٧ .

٤١٤ - النساء ٣ .

وقد أعطى الإسلام المرأة كافة حقوقها وأعلى من شأنها وصان كرامتها في شتى جوانب الحياة ؛ ومن مظاهر هذا التكريم إباحة تعدد الزوجات ، فهو من دون شك خير من منعه الذي قد يحملها على ارتكاب الحرام ويتركها بدون نفقة أو معيل .

والتعدد لا ينطوي على ظلم للزوجة ، لأن الإسلام حينما أباح حده بشروط وأحاطه بقيود من شأنها استئصال كل معنى للظلم فيه ، وأن الظلم إن وقع فعلاً فهو خطأ من يتعامل بالتشريع وليس قصوراً في التشريع ذاته .

وعلاج هذا الخطأ يكون بإصلاح النفوس التي تمارس التشريع لا بإلغائه ؛ ومن ناحية أخرى لا يصح منع التعدد خشية سوء معاملة متوقع ، وإذا حدث الضرر والظلم على الزوجة نتيجة التعدد كان بمقدورها رفعهما بطلب الطلاق من الحاكم .

قليل : حصر حق التعدد بالرجل واستثناء المرأة منه ظلم لها ؟!

إن من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل حق التعدد مقتصرًا على الرجل ، إذ أنه لم يعرف على مر العصور حضارة أو تشريعاً أقر تعدد الأزواج لزوجة واحدة لمخالفة ذلك للفطرة السليمة ولقانون إعمار الكون بمخلوقاته المتنوعة الحيوانية والنباتية .

التي عرفت تعدد الإناث لذكر واحد لا العكس ؛ وتعدد الأزواج لزوجة واحدة فيه امتهان للكرامة الإنسانية ، ولا يمكن أن يرتضيه عاقل ، فأنفة الإنسان السوي وكرامته ومروءته وعفته تأبى عليه ذلك ، ولو سمح بذلك لكانت العواقب وخيمة ومنها :

منها : اختلاط الأنساب وفوضى في العلاقات الاجتماعية ؛ وذلك أن تعدد الزوجات ليس فيه محذور ضياع النسب ، فالأب معروف لأنه الوحيد ، والأم كذلك لأنها التي ولدت ، أما في حالة تعدد الأزواج لامرأة واحدة ، فإن الأم معروفة بلا إشكال وأما الأب فإنه مجهول ، فلا يعرف أي الأزواج هو الأمر الذي يسبب كارثة اجتماعية فتضيع الأنساب وينقطع البر والصلة .

منها : عدم قدرة المرأة على القيام بواجباتها نحو أكثر من زوج في وقت واحد ، ويشمل ذلك العلاقات الجنسية ، والمنزلية ، والاجتماعية وغير ذلك .

منها : اضطراب الحياة الاجتماعية داخل الأسرة بسبب اختلاف أمزجة الأزواج ، وتعدد مطالبهم ورغباتهم ، مما قد يتسبب بنزاعات مزمنة في الأسرة ، مع عدم قدرة المرأة على كبح جماح ثورات الغضب التي قد تنشأ بين الأزواج ، لضعفها وإمكاناتها البدنية والنفسية .

منها : الانتقاص من كرامة المرأة ؛ لأنها بطبيعتها ترى كرامتها وعزتها في أن تكون زوجة لرجل واحد لا غير .

منها : انتشار الأمراض الجنسية الخطرة ، وهذا ما أثبتته الطب ، فقد جاء في معرض ذلك أن المرأة يتشكل لديها ما يشبه البصمة في الرحم تجاه ماء الرجل بحيث تتناسب إفرازاتها مع خصائص إفرازات الرجل ، وإن تعدد الأزواج يؤدي إلى اضطراب في هذه العملية ، وقد يسبب الإصابة بالأمراض الجنسية التي قد تكون معدية^{١٥} .

منها : اختلال النظام الاقتصادي للأسرة من خلال الاختلاف حول مسؤولية النفقة .

قيل : إن التعدد يفضي إلى الفقر والبطالة نظراً لكثرة الأولاد ويفتح الباب إلى تشردهم^{١٦} ! .

تعدد الزوجات ليس سبباً للفقر ذلك أن العنصر البشري دعامة رئيسة للقوة الاقتصادية ، وفي الوقت الذي نجد فيه أعداء التعدد يدعون إلى منعه ، نجدهم ينادون بخروج المرأة إلى العمل لتعويض النقص في الأيدي العاملة والمساهمة في التنمية الشاملة في المجتمع .

والتعدد لا ينتهي إلى تشرد الأبناء ، لأنه غالباً ما ينتشر في الأوساط الريفية الفقيرة ، والتي تحتاج إلى كثرة الأبناء للمساعدة في كسب رزق الأسرة ، ورغم قلة التعدد في البيئات المتحضرة المترفة إلا أن ظاهرة تشرد الأبناء في المدن ظاهرة للعيان وتعود إلى عوامل اجتماعية لا علاقة لها بالتعدد مثل الخلافات الزوجية وضعف الروابط العائلية وعدم رسوخ القواعد الدينية في الحفاظ على وحدة الأسرة .

قيل : إن القرآن الكريم يمنع التعدد في قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾^{١٦} .

٤١٥ - انظر : محمود ناظم النسيمي ، الطب النبوي والعلم الحديث .

٤١٦ - النساء ٣ .

وفي قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمُعَلَقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^{٤١٧}؛ لأن الآية الأولى اشترطت العدل في إباحة التعدد ، والآية الثانية تقطع باستحالة العدل بينهما فكان التعدد مشروط بما يستحيل إمكانية ، فهو ممنوع ؟! .

ان العدل المشروط في الآية الأولى (النساء ٣) هو غير العدل المقطوع باستحالاته في الآية الثانية (النساء ١٢٩) ، فالعدل المشروط بالأولى هو العدل الذي يمكن للزوج أن يفعله (العدل المادي) مثل المسكن والمبيت والطعام .

واما العدل المقطوع بعدم استطاعته هو العدل الذي لا يمكن للزوج أن يفعله (العدل المعنوي) في الحب والمكانة القلبية ، فما تزوج الثانية إلا وهو معرض عن الأولى لسبب من الأسباب ، فكيف يعدلها بها ويساويها معها بحبه وعواطفه ؟ .

وعلى هذا فلا تعلق بين العدلين في الآيتين ، إلا من حيث العدل بين الزوجات ويكون تعليق التعدد بالعدل بين الزوجات لا يزال مشروطاً وقائماً ، فمن علم أنه لا يعدل بينهما كان آثماً ، أما عدم العدل في حبه بينهما فلا يؤاخذ الله عليه ، إلا إذا أفرط في الجفاء وبالغ في الانصراف .

وإن نص الآية الثانية قاطع بالمراد من العدل الذي لا يستطيعه الإنسان وهو الحب ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يعلم طبيعة النفس الإنسانية ، وأنها لا تستطيع العدل بين الأولى والثانية فخاطب الزوج بما يستطيع ونهاه عن أن يميل عن الأولى كل الميل فيذرها كالمعلقة .

ومعنى ذلك أن بعض الميل إذا وقع من الزوج لعدم قدرته على ضبطه جائز ولا بد أن يقع ، ولذلك ختمت الآية الكريمة بقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^{٤١٨} .

وهذا حث آخر للزوج على أن يصلح الحال بينه وبين الزوجة الأولى ، ويتقي الله في أمرها فلا يهجرها ويسيء عشرتها بما يقع في قلبه من وجوب العدل معها وحسن معاملته لها .

٤١٧- النساء ١٢٩ .

٤١٨- النساء ١٢٩ .

فلو كان الأمر كما زعمه هؤلاء ، لما كان قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾^{١٩}؛ دون معنى أو غرض ، ولكان الأولى أن يمنع التعدد رأساً وفي لفظ واحد، لا أن يبيحه ويعلقه بشرط مستحيل ؛ فهذا عبث من الكلام يصاب عنه كلام أي واحد من العقلاء ، فكيف بكلام رب العالمين .

ونقلت لنا السنة النبوية ان الرسول ﷺ لا يسمح بحرام ولا يقره ، وثبت أن الذين دخلوا في الإسلام ، كان لدى بعضهم أكثر من أربع زوجات ، أمرهم ﷺ أن يختار كل واحد منهم أربعاً من الزوجات ويفارق الأخريات .

ومن الثابت أن الرسول ﷺ قد عدد زوجاته ، وأن أصحابه قد عددوا الزوجات في حياته ولم ينكر عليهم ، أما زيادة زوجات الرسول ﷺ على أربعة فهي من خصوصياته ﷺ فقط ، التي لا يجوز التأسي بها .

قليل : تعدد الزوجات سبب لمفاسد ومضار أسرية واجتماعية ولا بد لولي الأمر من منعه ؟!

إن الإسلام أباح كل ما فيه فائدة للإنسان وجنبه كل ما فيه مضرة ، وقد شرع للرجل تعدد الزوجات لأسباب وضمن شروط وقيود محددة ، فالإسلام وازن بين ما في التعدد من منافع ومضار ، ثم أذن به لمن يحتاج إليه محافظاً على مصلحة كافة الأطراف وتلبية لحاجتهم الفطرية .

وأن من مصلحة المجتمع أن يصون رجاله ويستر بناته بزواج حلال يتحمل فيه كل من الرجل والمرأة المسؤولية عن نفسه وصاحبه وما قد يرزقهما الله من ذرية ، بدلاً من التعدد الذي عرفه الغرب الذي أنكر على المسلمين تعدد الزوجات وأباح هو تعدد الخليلات ، وهو تعدد غير أخلاقي وغير أنساني يستمتع فيه كلاهما بصاحبه من دون أن يتحمل أية تبعه دون الاهتمام بما ينتج عن هذه العلاقة من نسل ومفاسد .

وقد حفظت الشريعة للزوجة الأولى حقها في المساواة بينها وبين الزوجة الأخرى في النفقة والسكن والكسوة والمبيت ؛ وتحري العدل بين الزوجات ضرورة لازمة ، وإن لم يلتزم بعض الرجال بذلك فهم مخالفون للشرع ، وإساءة التطبيق لا تعني إلغاء المبدأ من أساسه .

ولا يحق لولي الأمر أن يمنع أمراً مباحاً منعاً عاماً مطلقاً ، وإنما أجاز له تقييد بعضه تبعاً لمصلحة راجحة في بعض الأوقات والأحوال فالتحريم من حق الله تعالى وحده ، فالفعل بكلمة (انكحوا) في الآية الكريمة- وإن جاء على صيغة الأمر- إلا أنه هنا للإباحة لا للإيجاب ، فلا يعني وجوب التعدد حتى أربع ، فالتعدد مشروط بالعدل ، ومن لم يتأكد من القدرة على العدل لم يجز له أن يتزوج بأكثر من واحدة .

وقد تأثرت قوانين الأحوال الشخصية في بعض البلدان الإسلامية بالدعوة إلى عدم التعدد^{٤٢٠} فهذه الدعوة رغم ما ظهر من بطلانها ، وتهاوي المزاعم التي تشبث بها أصحابها ، قد لقيت صدى في بعض النفوس وقبولاً لدى بعض أهل الحل والعقد ، وقد تمثل ذلك في تأثر قوانين بعض الدول الإسلامية بها ، مثل القانون المصري والقانون السوري والعراقي شرط القدرة على الإنفاق^{٤٢١} .

(د) :- غيرة المرأة على الرجل

والمرأة بدافع غيرتها على زوجها قد تنساق وراء عاطفتها، فتتصور ان زوجها يمكن ان يتزوج عليها، فخير سبيل لتتفرد به هو ان تفقره او تمنعه من مغادره الدار.

او تصمه بالريبة في كل نظره ينظرها ، مما يسبب لها فساد حياتها الزوجية ، ويعود عليها بالضرر والسوء .

ولذلك نهاها الامام عليه السلام عن هذه الغيرة المحرمة ، واعتبرها كفرا بالنعمة التي انعمها الله عليها. واذا كانت الغيرة تصل الى حد تنسى معه الله تعالى .

٤٢٠- كما في تركيا ، وكذلك في تونس - وهي أكثر الدول تأثراً بفكرة عدم التعدد - تنص المادة ١٨ من مجلة الأحوال الشخصية التونسية على أن تعدد الزوجات ممنوع ، وأن التزوج بأكثر من واحدة يستوجب عقاباً بالسجن مدة عام . وفي القانون المصري ورد النص على: أنه لا يأذن القاضي بالتعدد إلا بعد تأكده من قدرة الزوج على القيام بحسن العشرة والإنفاق على من في عصمته وعلى من تجب نفقتهم عليه من أصوله وفروعه، وأعطى للزوجة الأولى حق طلب فسخ عقد الزواج إذا تزوج بغير رضاها كما أعطى للزوجة الثانية حق طلب الطلاق إذا لم تكن على علم بزواجه من قبل . وكذلك في سوريا : قيد القانون التعدد بالقدرة على الإنفاق، وكذلك في العراق : شرط القانون إذن القاضي للتعدد بقدرة الزوج المالية من جهة ، ووجود مصلحة مشروعة لزواجه الثاني من جهة أخرى .

٤٢١- العتر ، نور الدين ، ماذا عن المرأة، ص ٤٤-١٥٤ .

بل وتتحدى معها اوامره تعالى ونواهيه بشكل علني وسافر وعن سابق توجه واطلاع.

فانها في حاله غيرتها وثورتها لا تعترف بسلطان الله ﷻ ولا تخضع لاوامره وزواجه . ولعل هذا اقرب الى ما يرمى اليه الإمام علي عليه السلام من كلمته المأثورة : (غيره المرأة كفر).

فقال عليه السلام : (غيرة المرأة كفر) وهذه الغيرة مختلفة جدا عن غيره الرجل التي تعنى الحفاظ على زوجته واهله ضد اي اعتداء خارجي .

او انتهاك لكرامتهم ، فهذا واجب على كل رجل ، وهو جزء من الايمان، فقال عليه السلام: (وغيره الرجل ايمان) وقال صاحب كتاب هديتي لابنتي عند زفافها أما حفظك لنفسك في غيبته فهو مما يمليه عليك دينك قبل كل شيء واعلمي أن الرجل قد يغار مما لا إثم فيه فاحفظي نفسك منه رعاية لغيرته وإن غيرة الرجل قد تصل إلى حد يفوق التصور.

وروي أن الصحابة كانوا يسدون الثقوب والكوى في الحيطان من الغيرة ، وأن معاذاً رأى امرأته تطلع في الكوة فضربها وأراها مرة دفعت إلى غلامه تفاحة قد أكلت منها فضربها.

وقد يغار زوجك من أن يسمع غريب صوتك أو يرى شيئاً من ملابسك أو حذاءك مثلاً ونحو ذلك من أمور قد تبدو في نظرك لا تستدعي غيرة زوجك .

فعليك باحترام ذلك منه لأنه أعرف بالرجال منك وبعض مرضى القلوب يتأثرن بمثل ذلك وأقل.

احذري الحديث مع أجنبي مهما اقتضت الحال إلا في ضرورة مع إذن الزوج لك مثل الرد على طارق الباب أو هاتف ونحو ذلك .

وإياك من باب أولى من الخلوة مع أجنبي ولو كان من أحمائك (أخو زوجك) فما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما .

كما أوصيك يا بنيتي بدراسة حدود عورة المرأة أمام محارمها وأمام النساء واحذري ما تفشى في بعض المجتمعات من إرضاع المرأة لطفلها أمام محارمها ، والتزمي بما يمليه عليك زوجك ولو زاد على تلك الحدود إرضاء له وإذهاباً لغيرته .

وإياك أن تضعي ثيابك في غير بيت زوجك فيرى عورتك غيره ولو كانت امرأة كما في الحمامات العامة والمساح.

وقال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام .

ولا تمكني رجل أجنبي من مداعبة طفلك وتقبيله في حضرتك ولا تداعي أنت طفلا لأجنبي عنك
ولا تقبله في حضرتك فإن لذلك تأثيرا غريبا في المرأة والرجل وكأنا يعني به الوالدة أو الوالد قال الشاعر :

ولست بسائل جارات بيتي * أغياب رجالك أم شهود

ولا ألقى لذي الودعات^{٤٢٢} * سوطي لألهيه وربته أريد

وقال آخر :

لا آخذ الصبيان ألثمهم * والأمر قد يغزى به الأمر

وقال ثالث :

إذا رأيت صبي القوم يلثمه * ضخم المناكب لاعم ولا خال

فاحفظ ثيابك منه أن يدنسها * ولا يغرنك حسن الحال والمال

كما لا تتعرضي للسؤال عن أجنبي وعن حاله ولا تمتدحيه بشيء وصلك عنه ولو كان قريبا ،
فلربما وصله ذلك فأحدث الشيطان في نفسه أمرا.

ولا تمتدحي رجلا أجنبيا بشيء أمام زوجك مهما اقتضى الأمر ، وإن كان لدينه ففیه غنية عن
الأحياء مظنة الفتنة والريبة .

وفي المقابل لا تمتدحي زوجك أمام أجنبيات فإنك إن أمنت فتنتهن به وزهدن في أزواجهن
بسبب ذلك ، لم تأمني حسدهن لك .

وإني لأعرف امرأة كانت تمتدح زوجها عند صديقة لها فإذا بها في يوم من الأيام تقول لها : أريد
أن أفارق زوجي لأتزوج من زوجك ، وهذا وإن كان على سبيل المزاح فإنه يوحى بما تحت الرماد من نار.

وإياك والجلوس في مجلس فيه رجال أجنب ولو في حضرة زوجك مهما كنت من الالتزام
بالحجاب الشرعي ، كأن يوصلك صديق لزوجك في سيارته بحضرته ، إلا إذا دعت الضرورة .

٤٢٢ - ذي الودعات هو (الطفل) .

فإن في ذلك مفسدة عظيمة لدينك فلربما ظهر منه لطف في العبارة أو خفة في الدم أو صفات ليست في زوجك وقد يقع بصرك عليه فترين فيه ما ليس في زوجك .

فيحدث لك فتنة في دينك ويقذف الشيطان في قلبك مقارنة زوجك به مما قد يزهك في بعلك وعشيرك ويشغل فكرك بغيره.

وانظري إلى ما ذكره من خالط جوازي القصور فأصبح خبير بنساء الحكام مثل ابن حزم وقد تربى بين النساء فأصبح من أخبر الناس بهن قال:

ما رأيت قط امرأة في مكان تحس أن رجلا يراها أو يسمع حسها إلا وأحدثت حركة فاضلة كانت بمعزل وأتت بكلام زائد كانت عنه في غنية مخالفين لكلامها وحركتها قبل ذلك ، ورأيت التهمم لمخارج لفظها وهيئة تقلبها لائحاً فيها ظاهراً عليها لاختفاء به.

والرجال كذلك إذا أحسوا بالنساء ، وأما إظهار الزينة وترتيب المشي واصطناع المرح عند خطوط المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا أشهر من الشمس في كل مكان .

وقد حدثني بعض الفضلاء عن صديق له يشكو حادثة وقعت معه تؤكد ما ذكرته لك يقول : إن له صديقاً ركب معه سيارته هو وزوجة للذهاب إلى مكان بعيد ، وكان صديقه قليل الحركة ثقيل الدم وكان هو على العكس من ذلك .

ومرت مواقف عديدة عليهم أثناء الطريق على مرأى ومسمع من تلك المرأة التي انتهزت فرصة نزول زوجها من السيارة لقضاء أمر ما ، فأمسكت بصديق زوجها وتعلقت به تقول له :

لقد أكلت قلبي وأنا قضيت عمراً مع هذا السمج ... ونحوا من هذا الكلام ، حتى أصبح الرجل الآن في فتنة عظيمة ، وهي في فتنة أعظم .

وأما غدر المرأة ففي الحكمة الرابعة يبين الامام عليه السلام جانباً من نفسية المرأة الشريرة ، التي دأبها ان تغدر بزوجها ، في حين تظهر له حسن معاشرتها وتصرفاتها .

فهي كالعقرب التي تلدغ الانسان بعد ان تعطيه الثقة والامان ، فقال عليه السلام : (المرأة عقرب حلوه اللبسة).

ولعل الاقرب الى ما يرمى اليه أمير المؤمنين عليه السلام من كلمته هذه، هو ان المرأة كثيرا ما تؤذي الرجل عن عمد او من غير عمد، ولكنها بملاحظه وضعها العاطفي والاثوي المثير له تجعل الرجل ليس فقط لا يجد الم لسبتها وانما هو يلتذ بها كذلك .

(هـ) :- خيار خصال النساء

نتيجة التباين في خصال المرأة وفي وظيفتها عن الرجل ، تعتبر بعض الخصال السيئة في الرجل، خصال جيدة في المرأة .

ويعتبر الامام عليه السلام ثلاث من هذه الخصال وهي : الزهو والجبن والبخل. فيقول عليه السلام: خيار خصال النساء، شرار خصال الرجال : (الزهو والجبن والبخل) .

فاذا كانت المرأة مزهوه (اي فخوره بنفسها) لم تمكن من نفسها. واذا كانت بخيله حفظت مالها ومال بعلها. واذا كانت جبانة فرقت (اي فرغت) من كل شىء يعرض لها^{٤٢٣}.

فالمرأة التي لا تستهين بنفسها يدفعها اعجابها بنفسها الى ان لا تمكن احدا من نفسها، وهي صفة جيدة في المرأة. على عكس المرأة الدنيئة التي تسلم نفسها لكل طالب لنفسها .

وبما ان السعي وراء زينه الدنيا يحتاج الى المزيد من المال الذي يرهق كاهل الرجل، كانت المرأة البخيله افضل من المسرفة، لانها بذلك تحافظ على ما لها ومال زوجها واسرتها.

اما الجبن والخوف لدى المرأة من افضل الصفات، لان المرأة التي تدعي الجرأة تضع نفسها في مواضع الخطر دون ان تحتس، وبما انها ضعيفه، فهي بذلك تعرض نفسها للمهالك، ولو كانت تخاف لتجنبت اماكن الخطر، ولحسبت لكل امر الف حساب.

اما الرجل، فمن اسمى خصاله ان يكون متواضع وكريم وشجاع على ان لا يخرج ذلك عن حدود الشرع، فينقلب تواضعه الى ذل، وكرمه الى اسراف، و شجاعته الى تهور.

والنساء في الاسلام شقائق الرجال، وخير الناس خيرهم لأهله؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع، والرعاية، وإحسان التربية، وهي في ذلك الوقت قرة العين، وثمره الفؤاد لوالديها وإخوانها^{٤٢٤}.

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة، التي يغار عليها وليها، ويحوطها برعايته، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء، ولا ألسنة بأذى، ولا أعين بخيانة.

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله، وميثاقه الغليظ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار وواجب على زوجها إكرامها، والإحسان إليها، وكف الأذى عنها.

أن الإسلام حرم الزنا، وشدّد في تحريمه ؛ لما فيه من المفساد العظيمة التي تفوق الحصر والعد، والتي منها: اختلاط الأنساب ، وقتل الحياء ، والذهاب بالشرف وكرامة الفتاة ؛ إذ الزنا يكسوها عاراً لا يقف حده عندها ، بل يتعداه إلى أهلها وأقاربها .

ومن أضرار الزنا : أن فيه جناية على الجنين الذي يأتي من الزنا ؛ حيث يعيش مقطوع النسب، محتقراً ذليلاً ، والإسلام حين حرّم الزنا وشدّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة، والسكن ، والطمأنينة ألا وهو الزواج، حيث شرع الزواج .

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن جعل لها نصيباً معلوماً من الميراث؛ فللأم نصيب معين، وللزوجة نصيب معين، وللبنت وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُفصّل في مواضعه، ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث.

المرأة هي نصف المجتمع وهي التي تربي النصف الآخر وهي الأم والأخت والزوجة والابنة ومصدر الحنان والعاطفة في الحياة ، قد جعلها الله سكن للزوج وجعل بينهما مودة ورحمة.

كما كرم الله الأم ووصى بها احساناً في القرآن فإذا صلحت المرأة صلح المجتمع كله وكانت بمائة رجل وحملت الدين على اكتافها .

نجد ايضا ان هناك سورة في القرآن اسمها سورة النساء وتتكلم عن العدل والرحمة مع المستضعفين في الارض وخاصة النساء ، وقد جعل الله عز وجل حسن معاملة الأم سبباً رئيسياً لدخول الجنة.

بل وجعل طاعة الوالدين بعد طاعة الله وَعَلَى ، قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ وقال تعالى : ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ إِلَّا أَنْ لَأُمٌ مُزِيدٌ عَنَاءٍ وَتَقْدِيرٌ .

فقد سأل رجل النبي ﷺ : من أحق الناس بحسن صحابتي ، فقال : (أمك) ، قال ثم من ، قال : (أمك) ، قال ثم من قال : (أمك) ، قال ثم من قال : (أبوك) .

حفظ الإسلام حق المرأة :- إذا كانت بكرًا فلا تزوج إلا بإذنها لقوله ﷺ (ولا تنكح البكر حتى تستأذن) حفظ الإسلام حق المرأة في صيانة عرضها ، كلفها الإسلام بفرائض حسب طبيعتها وأسقط عنها فراض وأوقف عنها أداء فرائض أيضا رحمة بها حسب طبيعتها .

ومن حقوق المرأة في الاسلام :

١ . المساواة في الإنسانية : فبعد أن كان ينظر لها نظرة احتقار وازدراء أو أنها جسد بلا روح أعلن الإسلام إنسانيتها وكرامتها قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ٤٢٥ .

٢ . حرية التعاقد : سواء أكان في البيع والشراء ام سائر العلاقات الاقتصادية حتى في الزواج .

وهو عقد له أهمية كبرى في حياة الإنسان فلها حرية إبرامه أو عدم إبرامه ولا يملك أب أو ولي أن يكرهها على الزواج بغير من ترضاه .

قال ﷺ : (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، ولا تنكح البكر حتى تستأذن) .

ويروى عنه ﷺ قال : جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت : إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته .

قال : فجعل الأمر إليها فقالت : قد أجزت ما صنع أب ي . ولكن أردت أن أعلم النساء : أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء .

٣ . حق العلم : فقد أمر الرسول ﷺ بتعليم المرأة وعد ذلك حقا لها فقال ﷺ : من ابتلى من البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار . والإحسان اليهن يقتضي تعليمهن .

٤ . حق التملك : فقد نص القرآن الكريم صراحة على حقها في التملك فقال تعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾^{٤٢٦}.

٥ . حق الميراث قال ﷺ : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾^{٤٢٧}.

٦ . حق العمل: وذلك وفق الشروط التالية :

أ . أن ينسجم العمل وطبيعة المرأة كالتعليم والمهن والوظائف الخاصة بالنساء وتنسجم وطبيعتهن أما الأعمال التي لا ينجح في القيام بها إلا الرجال فقد منعها الإسلام من ممارستها .

ب . أن يكون العمل بعيدا عن جو الاختلاط وذلك منعا للشبهات وحفاظا على الأخلاق الطيبة.

ج . ألا يتعارض عمل المرأة مع رسالتها الحقيقية. وهي الأمومة .

ومن خيار خصال النساء ما ذكر التاريخ لنساء قمن بهداية الآخرين ومنهن زوجة زهير بن القين أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام. فلقد كان زهير عثماني الهوى، وفي طريقه إلى العراق من مكة المكرمة، فعلم أن الإمام الحسين عليه السلام أيضاً في المسير نفسه.

وروا في أحوال زهير أنه كان في مسيره يجتنب أن ينازل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في منزل، حتى إضطرَّ إلى ذلك فجاء رسول الحسين عليه السلام وقال :

يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان ما في يده حتى كأن على رؤوسهم الطير.

فقال له امرأته : سبحان الله أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! لو أتيت فسمعت من كلامه، ثم انصرفت .

٤٢٦ - النساء ٣٢ .

٤٢٧ - النساء ٧ .

فأتاه زهير بن القين. فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه فقوّض وحمل إلى الحسين عليه السلام ثم قال لامرأته : أنت طالق ، إلحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسبي إلا خير.

ثم قال لأصحابه: من أحبّ منكم أن يتبعني وإلا فهو آخر العهد^{٤٢٨}.

إن المرأة تستطيع أن تبدّل وتغيّر حياة إنسان من عدوّ لأُمير المؤمنين إلى محبّ وتابع له عليه السلام. وقد صار زهير بفضل كلام زوجته ممن يخاطبهم يومياً الآلاف من الناس بكلمات وهي: (بأبي أنت وأمي).

فأنت يمكنك أن تقومي بدور هداية الآخرين ، فاعتنمي أوقاتك في طلب العلم ، وعلمي نظيرتك من الأقارب والصديقات ما تفضّل الله به عليك حتى يهتدين إلى نور الأئمة الأطهار الهداة من آل الرسول عليه السلام.

– معاملة النساء والحفاظ عليهن :

لا توجد قضية التبس فيها الحق بالباطل، واختلط فيها الصواب بالخطأ ووقع فيها الغلو والتقصير، مثل قضية المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية.

فالحق أنه لا توجد ديانة سماوية أو أرضية ، ولا فلسفة مثالية أو واقعية ، كرمت المرأة وأنصفتها وحمتها مثل الإسلام .

ولم ييخل الامام عليه السلام عن اسداء بعض الارشادات الضرورية للرجال، في كيفية معاملة نسائهم والحفاظ عليهن .

فالمرأة التي تنساق عادةً وراء عاطفتها ، يجب ان تكون في ظل رجل يصونها من الشذوذ والانزلاق، ويحمضها النصيحة والرأي الصائب ، الذي يجعلها تفوز بسعادة الدنيا والاخرة.

يقول الامام عليه السلام في آخر الوصية التي كتبها لابنه الحسن عليه السلام عند انصرافه من صفين:

واياك ومشاورة النساء ، فان رأيهن الى افن^{٤٢٩} ، وعزمهن الى وهن^{٤٣٠} ، وأكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن ، فان شدة الحجاب ابقى عليهن .

وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن ، وان استطعت الا يعرفن غيرك فافعل .
ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها ، فان المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة .

ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها. واياك والتغاير في غير موضع غيره، فان ذلك يدعوا الصحيحة الى السقم، والبريئة الى الريب^{٤٣١}.

يتضمن هذا النص الامور التالية كمشوره المرأة ففي البداية يبين الامام عليه السلام ان تفكير المرأة مرتبط بعاطفتها ارتباطا وثيقا، ورايها في الاشياء مرتبط باهتماماتها .

فقد كرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها إنساناً. وكرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها أنثى. وكرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها بنتاً. وكرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها زوجة.

وكرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها أم. وكرم الإسلام المرأة وأنصفها وحماها عضوا في المجتمع.

واما اذا كانت المرأة ذات رأي قويم وعزم قوى، فلماذا لا يشاورها الرجل، ولا يكلفها بحسيم الاعمال والمهمات؟ كما فعل الامام الحسين عليه السلام حين كلف اخته مولانا زينب العقيلة عليها السلام .

بان تتابع نهضته من بعده، وان تبين للملا اهدافها وراميها، فقامت بذلك بكل ثبات ورباطه جاش، وحمى ابن اخيها الامام زين العابدين عليه السلام وجميع السبايا، فكانت بذلك (بطلة كربلاء).

فالمرأة العربية قبل الاسلام كان لها نصيب لا يستهان به من حرية الرأي وقوة الشخصية وسلامة المنطق عند كثير من القبائل العربية ولم تكن نخباً مباحاً لكل رجل إلا من خلال الغزوات.

وبعض الباحثين ذهبوا إلى أن العرب قبل الإسلام (لم يعرفوا زواجاً مستمراً ترتبط فيه المرأة برجل معين لأجل غير مسمى ..).

٤٢٩ - افن : أي نقص .

٤٣٠ - وهن : أي ضعف .

٤٣١ - نهج البلاغة الخطبة ٢٧٠ .

فقليلًا ما عرفت المرأة العربية قبل الاسلام هذا الزواج المستمر المشروع ، كما عرفت المنحرفات من النساء عن سبيل العفة والشرف كأنظمة أخرى للاتصال الجنسي بالرجل.

كما أشار إلى ذلك تفصيلاً الحديث الذي روته السيدة عائشة ما مضمونه لما جاء الإسلام بدد بنوره الوهاج كثيراً من الظلمات والمظالم الاجتماعية التي أطبقت على (حواء) منذ اللحظة الأولى لمولدها: فكان كثير من العرب قبل الاسلام يكرهون الأنثى ويضيقون ذرعاً بمولدها الذي كانوا يعتبرونه نقمة لا نعمة ومحنة لا منحة ونذيراً بالشر لا بشيراً بالخير .

كما ينطق بذلك قولهم في التهنية بمولدها مشفقين على أهلها وأبويها فيقولون لهم: (آمنكم الله عارها ، وكفاكم مغونتها، وصاهرتم القبر).

وكانت بعض القبائل العربية مثل تميم وقيس وأسد وهذيل وبكر بن وائل تسارع إلى وأدها ودفنها في التراب قبل أن ترى النور والحياة.

كما أفخر بذلك قيس بن عاصم قائلاً لرسول الله ﷺ: كنت أخاف سوء الأحداث والفضيحة في البنات فما ولدت لي بنت قط إلا وأدتها.

وما كان العرب يغدون البنات دون الذكور إلا لأنهم كانوا يعتقدون أن البنات رجس من خلق الشيطان ، لا من خلق آلهتهم.

واوضح معاملة للنساء والحفاظ عليهن هو ما جرى على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ماتت وهي غاضبه فعلى من كانت غاضبه ؟ .

حيث يقال إن هناك محبة بين أهل البيت عليهم السلام كعلي بن أبي طالب و فاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين عليهم السلام وبعض الصحابة.

بالمقابل ترى حقائق في كتب الصحاح تصرح عكس مدعاكم ففي صحيح البخاري وغيره من الصحاح والمسانيد والكتب الحديثة أن السيدة فاطمة عليها السلام ماتت وهي غاضبة على الاول ولم تكلمه وطلبت من الإمام علي عليه السلام أن لا يشارك الاول في دفنها وتشيعها والصلاة عليها.

فاخرج عدة من الحفاظ منهم البخاري في صحيحه قال : حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن السيدة عائشة أن فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ .

مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير فقال أبو بكر إن رسول الله ﷺ قال لا نورث ما تركنا صدقة إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ﷺ .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة عليها السلام منها شيئاً فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها وكان لعلي من الناس وجه حياة فاطمة فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس^{٤٣٢} .

وكذلك مثله اخرج عدة من الحفاظ منهم البخاري في صحيحه^{٤٣٣} .

يستفاد من الحديثين السابقين إن السيدة الزهراء عليها السلام طلبت أربعة حقوق من حقوقها فمنعها ابو بكر عنها بحجة أن رسول الله ﷺ قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة.

الحق الأول : خمس خبير .

الحق الثاني : ارثها من فدك .

الحق الثالث : صدقته بالمدينة .

الحق الرابع : ما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ .

٤٣٢- انظر : صحيح البخاري كتاب المغازي - غزوة خبير ص ٤ ج ١٥٩٤ ح ٣٣٩٨ ، صحيح مسلم ج ٣ ص ١٣٨٠ ح ٥٢ ، مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٩ ح ٥٥ قال محقق المسند شعيب الأرنؤوط صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صحيح ابن حبان ج ١١ ص ١٥٢ ح ٤٨٢٣ قال محقق الكتاب شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح و ج ١٤ ص ٥٧٣ ح ٦٦٠٧ ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ، نصب الراية للزيلعي ج ٢ ص ٣٦٠ ، طبقات ابن سعد ج ٢ ص ٣١٥ ، تاريخ المدينة لابن شبه النميري ج ١ ص ١٩٧-١٩٨ .

٤٣٣- صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٢٦ ح ٢٩٢٦ ، مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٦ ح ٢٥ تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ح ١٢٥١٢ و ح ١٢٥١٤ ، الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٨ ، فتح الباري ج ٦ ص ٢٠٢ ، عمدة القاري ج ١٥ ص ١٩ ح ٢٩٠٣ .

الحق الأول : خمس خيبر من غنيمة الحرب أي من فتح خيبر والله تعالى يقول بآية صريحة قطعية الدلالة ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَافِي الْجُمُعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{٤٣٤}.

بهذه الآية حق للزهراء عليها السلام من خمس خيبر والزهراء عليها السلام هي من ذوي القربى والخليفة الاول أبو بكر منعها من حقها من خمس خيبر وقد بين رسول الله ﷺ أن بني هاشم لهم حق من خمس خيبر وأخرج البخاري في صحيحه قال :

حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن جبير بن مطعم أخبره قال : مشيت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فقلنا أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركتنا ونحن بمنزلة واحدة منك.

فقال (إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد) . وقال جبير ولم يقسم النبي ﷺ لبني عبد شمس وبني نوفل شيئاً^{٤٣٥}.

وفي تفسير الجلالين قال جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي في تفسيرهم : (واعلموا أنما غنمتم) أخذتم من الكفار قهراً (من شيء فإن لله خمس) يأمر فيه بما يشاء (وللرسول ولذي القربى) قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب...^{٤٣٦}.

النتيجة ثبت من القرآن والسنة بالثبوت القطعي من أن الزهراء عليها السلام لها حق في خمس خيبر.

الحق الثاني : ارثها من فذك ونتساءل كيف رسول الله ﷺ يترك الزهراء عليها السلام ولم يبلغها ولم يبلغ الإمام علي عليه السلام ولم يبلغ الحسنين عليهما السلام عليها وهم أصحاب الشأن فبلغ فقط أبو بكر والذي ليس له أي شأن بالميراث والفخر الرازي له كلمة قوية بهذا الأمر في تفسيره الكبير قال:

٤٣٤ - سورة الأنفال آية ٤١ .

٤٣٥ - صحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٤٥ ح ٣٩٨٩ .

٤٣٦ - تفسير الجلالين ج ١ ص ٢٣٣ رقم ٤١ .

(إن المحتاج إلى معرفة هذه المسألة ما كان إلا فاطمة وعلي والعباس، وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء وأهل الدين ، وأما أبو بكر فإنه ما كان محتاجا إلى معرفة هذه المسألة ، لأنه ما كان ممن يخطر بباله أنه يورث من الرسول ، فكيف يليق بالرسول أن يبلغ هذه المسألة إلى من لا حاجة له إليها ، ولا يبلغها إلى من له إلى معرفتها أشد الحاجة؟)^{٤٣٧}.

والثابت في القرآن والسنة بالثبوت القطعي أن البنت ترث وثبت من القرآن الكريم بالثبوت القطعي أن الأنبياء يورثون كما ذكر عز وجل في محكم كتابه قوله تعالى:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾^{٤٣٨}.

وذكروا أن الخليفة الثاني عمر أعطى ما بقي من خير بعد وفاة رسول الله ﷺ لزوجاته حيث أنهم منعوها عن السيدة الزهراء عليها السلام وقد استقطع الأرض للسيدة عائشة فقد اخرج عدة من الحفاظ منهم البخاري في صحيحه قال:

حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع أن عبد الله بن عمر أخبره أن النبي ﷺ عامل خير بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع فكان يعطي أزواجه مائة وسق ثمانون وسق تمر وعشرون وسق شعير فقسم عمر خير فخير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضي لهن فمنهن من اختار الأرض ومنهن من اختار الوسق وكانت عائشة اختارت الأرض^{٤٣٩}.

الحق الثالث : صدقته بالمدينة ترى أن الخليفة أبا بكر منعها من صدقة رسول الله ﷺ بحجة انه لا يغير سنة النبي ولا حظ عمر يعطيها للعباس والإمام علي عليهما السلام وغلب الإمام علي عليه السلام عليها :

٤٣٧ - التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٩ ص ١٧١ .

٤٣٨ - سورة النمل الاية ١٦ .

٤٣٩ - صحيح البخاري ج ٢ ص ٨٢٠ ح ٢٢٠٣ ، عمدة القاري ج ١٢ ص ١٦٧ .

(...) تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله ﷺ من خير وفدك وصدقته بالمدينة فأبى أبو بكر عليها ذلك وقال لست تاركا شيئا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به فإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ. فأما صدقته بالمدينة فدفعها عمر إلى علي وعباس..^{٤٤٠}.

الحق الرابع : ما أفاء الله تعالى على رسول الله ﷺ ونرى القرآن الكريم بآية قطعية الدلالة إن الزهراء عليها السلام لها حق مما أفاء الله عز وجل على رسول الله ﷺ فقال عز وجل في محكم كتابه بقوله تعالى :

(مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)^{٤٤١}.

والزهراء عليها السلام هي ذوي القربى هناك ولها حق الفياء فمنعها الخليفة أبو بكر من حقها. فأين المحبة التي تدعوها من الصحابة لهم؟

فلاحظ الصحابة لم يعتبروا أي اعتبار للسيدة الزهراء عليها السلام بالرغم من ان رسول الله ﷺ قال فاطمة بضعة منه من آذاها فهو أذية لرسول الله ﷺ وغضبها هو غضب رسول الله ﷺ فلقد اخرج عدة من الحفاظ منهم البخاري في صحيحة قال :

حدثنا أبو الوليد حدثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)^{٤٤٢}.

واخرج الألباني في السلسلة الصحيحة : (فاطمة بضعة مني يقبضي ما يقبضها، ويسطني ما يسطها ، وإن الأنساب يوم القيامة تنقطع غير نسبي وسبي وصهري) . صحيح . وأخرجه البخاري مختصرا بلفظ : (فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني)^{٤٤٣}.

٤٤٠ - صحيح البخاري ج ٣ ص ١١٢٦ ح ٢٩٢٦ ، مسند احمد بن حنبل ج ١ ص ٦ ح ٢٥ تعليق شعيب الأرناؤوط :
إسناده صحيح على شرط الشيخين ، سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٠ ح ١٢٥١٢ و ١٢٥١٤ ، الطبقات
الكبرى ج ٨ ص ٢٨ ، فتح الباري ج ٦ ص ٢٠٢ ، عمدة القاري ج ١٥ ص ١٩ ح ٢٩٠٣ .
٤٤١ - سورة الحشر الآية ٧ .

٤٤٢ - صحيح البخاري ج ٣ ص ١٣٦١ ح ٣٥١٠ و ج ٣ ص ١٣٧٤ ح ٣٥٥٦ .

٤٤٣ - السلسلة الصحيحة ج ٤ ص ٦٥٠ ح ١٩٩٥

واخرج الهيثمي في مجمع الزوائد : عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : (إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك). رواه الطبراني وإسناده حسن^{٤٤}.

واخرج الإمام احمد في مسنده قال : حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن عباد المكي ثنا أبو سعيد مولى بني هاشم ثنا عبد الله بن جعفر عن أم بكر وجعفر عن عبيد الله بن أبي رافع عن المسور قال:

بعث حسن بن حسن إلى المسور يخطب بنتا له قال له توافيني في العتمة فلقية فحمد الله المسور فقال : ما من سبب ولا نسب ولا صهر أحب إلى من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله ﷺ قال فاطمة شجنة مني يبسطني ما بسطها ويقبضني ما قبضها وانه ينقطع يوم القيامة الأنساب والأسباب إلا نسبي وسبي وتحتك ابنتها ولو زوجتك قبضها ذلك فذهب عاذرا له^{٤٥}.

وقال المناوي في إتحاف السائل في الباب الثالث في فضائلها :

وبناء المصطفى عليها واختصاصه بها واهتمامه بشأنها وتنويهه بذكرها وتحذيره من إيذائها وبغضها والأذى لها وتعليمه إياها وتأديبه وتهذيبه لها وغير ذلك.

فضائلها : الحديث الأول مكانتها عن المسور بن مخزومة أنه عليه ﷺ قال : (فاطمة بضعة مني أي جزء مني فمن أغضبها فقد أغضبني).

رواه البخاري في الصحيح الحكم فيمن يسبها : قال السهيلي : إن من سبها فقد كفر ويشهد له أن أبا كبابة حين ربط نفسه وحلف أن لا يحله إلا رسول الله ﷺ وجاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله وقال بعضهم :

إن كل من وقع منهم في حق فاطمة به فالنبي ﷺ يتأذى به ولا شيء أعظم من إدخال الأذى عليها من قبل ولدها وهذا عرف بالاستقراء .

٤٤٤ - مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٢٨ ح ١٥٢٠٤ .

٤٤٥ - مسند الإمام احمد بن حنبل ج ٤ ص ٣٣٢ ح ١٨٩٥٠ تعليق شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح دون قوله : (وإنه تنقطع يوم القيامة الأنساب والأسباب إلا نسبي وسبي) فهو حسن بشواهد .

معالجة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد .

الحديث الثاني هي بضعة من رسول الله ﷺ عنه - أيضا - أنه ﷺ قال: (فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها وييسطني ما ييسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي). رواه الإمام أحمد والحاك.

الحديث الثالث هي شجنة منه عنه - أيضا - عن رسول الله ﷺ : (إنما فاطمة شجنة مني ييسطني ما ييسطها ويقبضني ما يقبضها)^{٤٦}.

وترى أن السيدة الزهراء عليها السلام ماتت وهي غاضبة على أبو بكر وهجرته ولم تكلمه إلى ان ماتت ولم تأذن له في الدفن ولكن الأسوأ من هذا انهم هددوا بإحراق دارها فأخرج عدة من الحفاظ منهم ابن أبي شيبة بسند صحيح على شرط الشيخين قال : حدثنا محمد بن بشر ، حدثنا عبيد الله بن عمر ، حدثنا زيد بن أسلم ، عن أبيه أسلم :

((أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله ﷺ كان علي عليه السلام والزبير يدخلان على فاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة عليها السلام فقال :

يا بنت رسول الله ﷺ والله ما أحد أحب إلينا من أهلك ، وما أحد أحب إلينا بعد أهلك منك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي أن اجتمع هؤلاء نفر عندك ، إن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت ، فلما خرج عمر جاؤوها ، فقالت :

تعلمون أن عمر قد جاءني ، وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت ، وأيم الله ليمضين لما حلف عليه ، فانصرفوا راشدين ، فروا رأيكم ، ولا ترجعوا إليّ ، فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر))^{٤٧}.

واما سند الحديث السابق فنأتي برواة الخبر المتقدم وهم :

٤٤٦ - إتحاف السائل لما لفاطمة من مناقب المنقبة الثالثة .

٤٤٧ - المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة ج ٧ ص ٤٣٢ ح ٣٧٠٤٥٥ .

١- مُجَدِّد بن بشر العبدي ، قال ابن حجر : ثقة حافظ^{٤٤٨} ، وقال يحيى بن معين والنسائي وابن قانع : ثقة ، وقال أبو داود : هو أحفظ من كان بالكوفة ، وقال ابن سعد : ثقة ، كثير الحديث^{٤٤٩} .

٢- عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب . قال ابن حجر : ثقة ثبت ، قدمه أحمد بن صالح على مالك في نافع ، وقدمه ابن معين في القاسم عن عائشة على الزهري عن عروة عنها^{٤٥٠} .

وقال أيضا: أحد الفقهاء السبعة ، وقال أحمد بن حنبل :

أثبتهم وأحفظهم ، وأكثرهم رواية ، وقال النسائي : ثقة ، وقال ابن حبان وابن منجويه : كان من سادات أهل المدينة وأشراف قريش فضلاً وعلماً وعبادة وشرفاً وحفظاً واتقاناً ، وقال ابن سعد : وكان ثقة ، كثير الحديث ، وقال العجلي : ثقة ثبت مأمون ليس أحد أثبت في حديث نافع منه ، وقال ابن معين : ثقة حافظ متفق عليه^{٤٥١} .

٣- زيد بن أسلم العدوي مولى عمر بن الخطاب ، قال فيه ابن حجر : ثقة عالم ، وكان يرسل^{٤٥٢} وقال أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو حاتم ومُجَدِّد بن سعد والنسائي وابن خراش: ثقة ، وقال يعقوب بن شيبة : ثقة من أهل الفقه والعلم ، وكان عالماً بتفسير القرآن .

٤- أسلم مولى عمر بن الخطاب . قال فيه ابن حجر : ثقة مخضرم^{٤٥٣} وقال العجلي : ثقة من كبار التابعين ، وقال أبو زرعة : ثقة^{٤٥٤} .

٤٤٨- تقريب التهذيب ص ٤٦٩ رقم ٥٧٥٦ .

٤٤٩- نفس المصدر : ج ٩ ص ٦٤ رقم ٩٠ .

٤٥٠- نفس المصدر : ص ٣٧٣ رقم ٤٣٢٤ .

٤٥١- نفس المصدر : ج ٧ ص ٣٦ رقم ٧١ .

٤٥٢- نفس المصدر : ص ٢٢٢ رقم ٢١١٧ .

٤٥٣- نفس المصدر : ص ١٠٤ رقم ٤٠٦ .

٤٥٤- تهذيب التهذيب ج ١ ص ٢٣٣ رقم ١٠٥ .

- المهر :

رعى الإسلام المرأة واهتم بحقوقها المالية مع سائر الحقوق الأخرى والتي كانت مسلوقة منها من قبل ، حيث أعطاهما حق الملك والتصرف في التملك بعد أن كان وليها يتصرف في خالص مالها ، فالديانة اليهودية تفرض للمرأة مهرا لكنها لا تملكه بالفعل ألا إذا مات زوجها أو طلقها ، لأنه ليس لها أن تتصرف بمالها وهي متزوجة^{٤٥٥}.

ولم يكن للمرأة قبل الإسلام حق التصرف في صداقها بكرة كانت أم ثيبا ، وإنما كان صداقها حقا لولي أمرها من أب أو عم أو غيرها ، والذي يزوجه لمن شاء رضيت أم أبت ويأخذ صداقها ويتصرف فيه كما يشاء ، فلما جاء الإسلام قضى على هذه العادة الجاهلية وقرر الصداق حقا خالصا للمرأة ، وأباح لها التصرف فيه كما تريد .

وبهذا حمى الإسلام المرأة ورفع شأنها في المجتمع ، فرفع عنها هذا الجور وفرض لها المهر وجعله من حقها دون غيرها ولا يحق لأحد أن يأخذ منه شيئا ألا بطيب خاطر ، كما في قول الله تعالى :

﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾^{٤٥٦}.

فإذا أعطت الزوجة شيئا من مالها حياءً ، أو خوفاً أو خديعةً ، فلا يحل أخذه لقول الله تعالى :
﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا * وَكَيفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾^{٤٥٧}.

والمهر المفروض للمرأة يطيب نفسها ويرضيها بقوامه الرجل عليها مع ما يضاف إلى ذلك من توثيق الصلات ، وإيجاد أسباب المودة والرحمة .

٤٥٥- محمد رشيد رضا، نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الإسلام وحققهن من الإصلاح المحمدي العام ،

ص ٢٥ ، الدار الحديثة ، القاهرة - مصر .

٤٥٦- النساء ٤ ، والصدقات تعني المهور ، ونحلة أي الشريعة والفريضة .

٤٥٧- النساء ٢٠ - ٢١ .

ولو عرفنا المهر : هو حق من حقوق الزوجة على زوجها ، وهو المال الذي يجب على الرجل للمرأة بسبب عقد الزواج وقد عرف بعض الفقهاء المهر بأنه ما يقدمه الزوج لزوجته على انه هدية لازمة وعطاء واجب على الزوج لزوجته^{٤٥٨} ، فهو لإبانة شرف عقد الزواج وإظهار خطره وهدية لازمة وعطاء مقرر لقول الله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾^{٤٥٩} ، أي عطاء لتقريب القلوب .

وأما أدلة مشروعية المهر ففي الكتاب : قوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾^{٤٦٠} ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾^{٤٦١} .

فقد أمر الله تعالى بإيتاء المرأة صداقها ، ووصف إيتاء الأجور وهي المهور بأنها فريضة .

ومن أدلة مشروعية المهر هي السنة كما في أحاديث الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام الواردة في إيجاب المهر على الزوج لزوجته ، ومنها قوله ﷺ :

(أدوا العلائق ، قيل : يا رسول الله وما العلائق ؟ قال : ما تراضى عليه الأهلون)^{٤٦٢} ، كما ثبت أنه ﷺ لم يخل زواجا من مهر ولو كان غير واجب لتركه ولو مرة ليدل على عدم وجوبه .

وكذلك من أدلة مشروعية المهر هو الإجماع ، فقد انعقد إجماع كافة المسلمين من عصر الرسول ﷺ إلى يومنا هذا على أن المهر واجب للزوجة على زوجها^{٤٦٣} .

٤٥٨ - بلغة السالك : ٨٠ \ ٢ والزيلعي : تبين الحقائق ١٣٦ \ ٢ .

٤٥٩ - النساء ٤ .

٤٦٠ - النساء ٤ .

٤٦١ - النساء ٢٤ .

٤٦٢ - البيهقي : السنن الكبرى ٧ \ ٢٣٩ .

٤٦٣ - محمود السراطوي ، فقه الأحوال الشخصية ، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون المقدسات الإسلامية ، ص ٧٥ ،

عام ١٩٩٠ م .

واما الغاية او الهدف او الحكمة من مشروعية المهر فهي أولهما تمييز النكاح من السفاح لقول الله تعالى : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾^{٤٤}.

وثانيهما تحقيق فائدة النكاح بتوطین النفس على المعاونة الدائمة ويكون ذلك بدفع الزوج المهر لزوجته تطيبا لخاطرهما من جهة ، وحتى لا يقدم الزوج على السعي للفرقة إلا مضطرا من جهة أخرى .

وثالثهما إعطاء الزوج المهر لزوجته هو مظهر لعنايته بنكاحها واهتماما بشأنها .

- مفاهيم حول المهر :

قيل : المهر لا يكون ألا مال ، ويجب تحديد للمبلغ سقف أعلى له ؟! .

لم يحدد الشارع المهر لان تحديده متعذر لاختلاف مراتب الناس في مناصبهم وثرواتهم وتفاوتهم في ميولهم ورغباتهم فقد يسخو الرجل لامرأة بمهر لا يسخو بنصفه لمن هي دونها في الدين والمنصب والجمال والثراء .

وقد لا تقنع المرأة لغناها ومنصبها إلا بخاطب كفء وبمهر وفير يوثق علاقتهما الزوجية ويمنع زوجها أن يقدم على فراقها بغير ضرورة وبالمقابل ثمة من تقنع بمهر قليل ، وتجد كم من امرأة فاضلة استهوها فضل رجل معسر فاقتنعت منه بقليل من المهر حرصا على الاقتران به .

والمغالاة في المهور وفرض ما يصعب على الخاطب أدائه ينفره من الإقدام على الزواج ويوقعه في الضيق في بداية حياته الزوجية ، وهذا مما يزهّد الشباب في الزواج والمصاهرة ، ولا بد من التيسير في ذلك ، كما في قول الرسول ﷺ : (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عظيم)^{٤٥} .

٤٦٤ - النساء ٢٤ .

٤٦٥ - سنن الترمذي كتاب النكاح - باب من ترضون دينه وخلقه - ١٠٨٤ .

وإذا كان البعض حدد اقل المهر بثلاثة دراهم ، فقد اتفقوا على أنه ليس له من ناحية الكثرة حد أو مقدار^{٤٦٦} لقوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^{٤٦٧}.

وورد عن الخليفة عمر أنه خطب الناس وقال ألا لا تغالوا في صداق النساء فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سبق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال ، ثم نزل (عمر) فعرضت له امرأة من قريش فقالت : أكتب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك !!.

قال : بل كتاب الله تعالى فما ذاك ، قالت: نهيت الناس أنفا أن يغالوا في صداق النساء والله تعالى يقول في كتابه : ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾^{٤٦٨}.

فقال عمر : كل الناس أفقه من عمر مرتين أو ثلاثا ثم رجع إلى المنبر فقال للناس : إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء إلا فليفع رجل في ماله ما بدا له^{٤٦٩}.

فالشريعة لم تجعل للمهر مقدارا لقلته ولا لكثرتة ، إذ الناس يختلفون في الغنى والفقر، ويتفاوتون في السعة والضيق ولكل جهة عاداتها وتقاليدها ، فتركت التحديد ليعطي كل واحد على قدر طاقته ، وحسب حالته ، وعادات عشيرته ، وكل النصوص جاءت تشير إلى أن المهر لا يشترط فيه ألا أن يكون شيئا له قيمة بغض النظر عن القلة أو الكثرة .

كما قال الرسول ﷺ : (هل عندك من شيء تصدقها ؟ قال : لا أجد شيئا ، قال : التمس ولو خاتما من حديد)^{٤٧٠} ، فيجوز أن يكون خاتما من حديد ، أو صاعاً من تمر أو تعليما لكتاب الله أو منفعة كما في قصة نبي الله موسى عليه السلام ، إذ قال الله سبحانه وتعالى على لسان العبد الصالح : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حِجَجٍ﴾^{٤٧١}.

٤٦٦- الصاوي: بلغة السالك ٨٠، ٨٩\٢ والزيلعي: تبين الحقائق ، ١٣٦\٢ .

٤٦٧- النساء ٢٠ .

٤٦٨- النساء ٢٠ .

٤٦٩- رواه سعيد بن منصور في سننه : باب ما جاء في الصداق ٥٩٨ ، والبيهقي في السنن الكبرى : كتاب الصداق

— باب لا وقت في الصداق ١٤١١٤ .

٤٧٠- البخاري : كتاب النكاح — باب السلطان ولي ٤٨٤٢ .

٤٧١- القصص ٢٧ .

وتلك ميزة للمرأة المسلمة ، تتضح قيمتها إذا علمنا أن الشعوب غير المسلمة تفرض على المرأة أن تدفع المهر للرجل ، فترى البنت العذراء مضطرة إلى الكد والكدح لأجل أن تجمع مالا تقدمه لمن يقتن بها وكثيرا ما تركب الأوانس الناعمات اخشن المراكب وتعرض للعت والتفريط في العرض والشرف في سبيل تحصيل هذا المال^{٤٧٢} .

قليل : إن قلة المهر يبخس المرأة ويحط من قدرها ومركزها في المجتمع ؟!

إن الإسلام يحرص على إتاحة فرص الزواج لأكثر عدد ممكن من الرجال والنساء ليستمتع كل بالحلال الطيب ، ولا يتم ذلك إلا إذا كانت سبله مذللة ، وطرقه ميسرة ، بحيث يقدر عليه الفقراء الذين يجهدهم بذل المال الكثير .

فكره الإسلام التغالي في المهور ، وافر أن المهر كلما كان قليلا كان الزواج مباركا ، وإن قلة المهر من يمن المرأة ، كما قال النبي ﷺ : (يمن المرأة خفة مهرها ، ويسر نكاحها ، وحسن خلقها ، وشؤمها غلاء مهرها ، وعسر نكاحها ، وسوء خلقها)^{٤٧٣} .

وكثير من الناس جهل هذه التعاليم وحاد عنها ، وتعلق بعادات الجاهلية من التغالي في المهور ورفض التزويج إلا إذا دفع الزوج قدرا كبيرا من المال يرهقه ، ويضايقه ، كأن المرأة سلعة يساوم عليها ، ويتاجر بها ، وقد أدى ذلك إلى كثرة الشكوى .

لذلك كان من الأجدى للمجتمع الإسلامي ولنموه أن تراعى هذه النواحي بدقة ، حسب قدرة الزوج المالية ، حتى لا يقف حجر عثرة في طريق زواج الكثيرين من أبناء هذه الأمة ، وقد يعود بأضرار نفسية وخلقية على الزوج والزوجة .

قليل : المهر حق للولي لما انفق في تربية البنت التي لا حق لها فيه لان نفقتها واجبة على الزوج ؟!

أوجب الإسلام أن يكون المهر للمرأة وحدها ، وأجاز لوكيلها أو اللوصي عليها أن يقبضه عنها بتفويض منها ، فإذا بلغت القاصرة سن الرشد طالبت الوصي عليها بمهرها كاملا ، لان المهر من حق المرأة وملكها تتصرف فيه كيف شاءت دون مشورة زوجها .

٤٧٢- نداء للجنس اللطيف ، ص ١٣ .

٤٧٣- احمد بن حنبل ٦/٦٦٦ .

ولا أذن أبيها أو وليها أو وصيها إذا كانت راشدة ، فيجوز لها بيعه أو رهنه أو إيجاره أو هبته بلا عوض لزوجها أو لوالديها أو لغيرهم فالمهر من خالص حقها تتصرف فيه بالأخذ أو الإسقاط كيف شاءت إذا ملكت رشدًا .

ومتى تم عقد الزواج صحيحا ، يكون المهر حقاً خالصاً للزوجة ، من غير مشاركة أحد من أقاربها فيه ولا من غيرهم ، وتثبت ملكيتها للمهر من غير التوقف على القبض ، فمتى كانت بالغة عاقلة راشدة يكون لها وحدها حق مطالبة الزوج به .

ولها ولاية قبضه بنفسها ، أو من توكله عنها سواء كانت بكرًا أم ثيبًا ، وإذا وكلت أباهًا أو جدًا في قبض مهرها وكانت بكرًا يكتفى منها بسكوتها ، ويعتبر ذلك رضا منها ، فان كانت ثيبًا فيشترط أن تصرح في توكيلها أما إذا كان وكيل قبض المهر غير الأب أو الجد فلا بد من أذنها صراحة في القبض ، بكرًا كانت أو ثيبًا^{٤٧٤}.

فان كانت الزوجة صغيرة ، أو كبيرة في حكم الصغيرة ، أو بالغة عاقلة ومحجور عليها للسفه أو الغفلة ، فالذي يملك قبض مهرها من له الولاية على مالها ، ووكيل الزوجة بالزواج لا يملك قبض مهرها ، لأنه ليس ولياً لها ، وإنما هو معبر عن إرادتها في الزواج ولا يرجع إليه أي حق من حقوق الزوجة .

فإذا كان وكيلًا عن الزوجة كذلك في قبض مهرها فانه يملك قبضه بصفته وكيلًا في القبض لا في الزواج ، وإذا كان للبننت مال خاص بها فليس للأب إلا حسن القيام عليه بالمعروف .

وحرمان المرأة من قبضها لمهرها ما هو إلا من رواسب الجاهلية حيث كان الولي يأخذ مهر المرأة ولا يعطيها شيئاً^{٤٧٥} ، فالإسلام نهى عن ذلك وأعطاهما حقها في قبض مهرها وهو ملك لها لا يحل لأحد غيرها إلا بطيب نفس منها لقول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾^{٤٧٦} .

٤٧٤ - ابن قدامة : المغني ، ج ٧ ص ١٠٤ .

٤٧٥ - القرطبي ، ج ٥ ، ص ٢٣ .

٤٧٦ - النساء ٤ .

ونهى الإسلام عن نكاح الشغار او المعروف بال(كصة) ، وهو تزويج الأب ابنته لرجل على أن يزوجه الآخر ابنته على طريق التبادل ، وذلك لخلو الزواج من المهر^{٤٧٧} .

قيل : لا حاجة للمهر الذي يظهر المرأة سلعة وثمنا لامتلاك الرجل لها ؟!

إن المهر اثر من آثار العقد وليس شرطاً لصحته ، فإذا وجد عقد الزواج ولم يسم فيه مهر كان العقد صحيحاً ويجب للزوجة مهر المثل^{٤٧٨} ، ويستحب أن لا يخلو عقد النكاح من تسمية المهر حتى لا يحدث نزاع في تقديره بمهر المثل .

وهو واجب على الرجل تكريماً لوفادة المرأة عليه ولأنه الأقدر على العمل ولأن الرجل يملك الطلاق فوجوب المهر عليه يجعله أكثر تروياً في إيقاعه على الزوجة ، والمهر ليس ثمناً أو عوضاً للانتفاع بالمرأة وإنما هو نحلة أي عطية عن طيب خاطر دون مقابل فقد قال تعالى : ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾^{٤٧٩} .

ولو أتيح الزواج دون مهر لأدى ذلك إلى ابتذال النساء ، والخط من قدرهن ، وإلى الاستهانة بأمر الزواج ، فتقطع العلاقة الزوجية لأتفه الأسباب حيث إن الزواج لم يكلف الزوج شيئاً من المهر ، أما إذا دفع مهراً فإن ذلك يحمله على التأني في الطلاق .

فلا يقدم عليه إلا عند الضرورة والحاجة ، والحكمة من وجوب المهر على الرجل أن الرجل اقدر على العمل والكسب من المرأة، وعمل المرأة غالباً ما يكون في البيت ، ولو كلفت بالعمل لجمع مال المهر لكان هذا امتهاً لكرامتها وإهداراً لعفتها .

وفي جعله على الرجل دون المرأة دليل على رغبة الرجل بالمرأة رمز لإكرامها ، وسمى صداقاً لأنه يدل على صدق الرجل في الاقتران بالمرأة بعقد الزواج ، كما انه في إيجابه على الرجل يجعله أكثر تروياً في إيقاع الطلاق .

٤٧٧ - القرضاوي ، يوسف ، مركز المرأة في الحياة الإسلامية ، ص ٨١

٤٧٨ - السبحاني ، جعفر بن محمد حسين ، اصول الفقه المقارن عام ٢٠٠٤ م .

٤٧٩ - النساء ٤ .

لما يلحق به من ضرر ، وليس المهر ثمنا أو عوضا للاستمتاع بالمرأة وإنما هو نحلة أو عطية دون مقابل، وإنما وجبت تلك الهدية على الزوج دون الزوجة ، لان ذلك مقتضى النظام الطبيعي في الوجود الإنساني ، فقد حكم هذا النظام على الرجل أن يجتهد ويعمل لكسب المال وعلى المرأة أن تقوم على شؤون البيت من غير مطالبات مالية عليها .

قيل : ليس للزوج أن يزيد في المهر بعد العقد كما لا يحق للمرأة أن تحط منه ؟!

للزوج إذا كان كامل الأهلية جائز التصرف في الأموال أن يزيد في المهر بعد العقد وللزوجة كاملة أهلية التصرف في الأموال أن تحط عن زوجها من مهرها ما شاءت بعد انعقاد العقد ، وتلحق الزيادة والنقصان بأصل العقد إذا قبل به الطرف الآخر في مجلس الزيادة أو الحط منه ويترتب على ذلك انه إن حصلت فرقة بالطلاق قبل الدخول وجب للزوجة نصف المفروض في العقد ونصف الزائد بعد العقد.

– النفقة :

يمتاز التشريع الإسلامي – فيما يمتاز به – عن التشريعات الأخرى ، بكونه تشريعا واقعيا مترابطا ذلك أن الشارع أخذ بعين الاعتبار التكوين المادي والمعنوي للإنسان ذكراً كان أم أنثى ، فوضع التكاليف والأحكام بما تشتمل عليه من حلال وحرام ، ولعل إيجاب الإسلام النفقة للزوجة على الزوج من أوضح الأمثلة على ذلك .

ومعنى النفقة لغة : مشتقة من النفوق بمعنى الهلاك يقال : نفقت الدابة تنفق نفوقاً أي ماتت ، ونفقت الدراهم أي نفدت ، ونفقت السلعة أي راجت^{٤٨٠} ، وهي قسمان :

نفقة الإنسان على نفسه وهي واجبة عليه ومقدمة على النفقة على غيره وذلك لقوله ﷺ : (ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان فضل فلاهلك)^{٤٨١} ، ونفقة تجب على الإنسان لغيره، وأسباب وجوبها ثلاثة النكاح ، القرابة والملك^{٤٨٢} – حين كان الرق قائماً ، ولم يعد لهذا السبب وجود الآن–، والنفقة تشمل الطعام والكسوة والسكنى ومتاع البيت الخادم والتطبيب .

٤٨٠ – ابن منظور : لسان العرب مادة نفق ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ .

٤٨١ – مسلم كتاب الزكاة – باب أي الصدقة أفضل – ٢٥٤٦ ، قال الألباني : صحيح .

٤٨٢ – الشريبي : مغني المحتاج ٤٢٥\٣ . الزيلعي : تبين الحقائق ٥٠\٣ .

أما ما يتعلق بنفقة الزوجة شرعاً : فهي تكليف مالي واجب على الزوج للزوجة وفق شروط معينة بمستوى الكفاية عرفاً^{٤٨٣} .

وأما أدلة مشروعية النفقة منها الكتاب : في قول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^{٤٨٤} ، والمراد بلفظ آية (المولود له) : الأب .

ولفظ (الرزق) في هذا الحكم هو الطعام الكافي ، ولفظ (الكسوة) : اللباس ، ولفظ (المعروف) : المتعارف عليه في عرف الشرع من غير تفريط ، ولا إفراط ، لقوله تعالى :

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلَ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمَا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى * لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُئْنِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^{٤٨٥} .

ومن أدلة مشروعية النفقة هي السنة ، كما روي عن الرسول ﷺ انه قال في حجة الوداع : (فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بكلمة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك ...، ولهن عليكم رزقهن ، وكسوتهن بالمعروف)^{٤٨٦} .

وقال ﷺ : (أطعموهن مما تأكلون واكسوهن مما تكتسون ولا تضربوهن ولا تقبحوهن)^{٤٨٧} .

ومن أدلة مشروعية النفقة هو الإجماع فقد انعقد على وجوب نفقة الزوجة على الزوج ، ويدل له أيضا إن الزوجة لا تخرج للاكتساب لتتمكن من القيام بشؤون البيت والأولاد فكانت نفقتها لذلك على الزوج .

٤٨٣ - البصري ، عارف ، نفقات الزوجة في التشريع الإسلامي ، المطبعة الإسلامية الحديثة ط ١ ، ص ١٥ ، لبنان - بيروت ، ١٩٨١ م .

٤٨٤ - البقرة ٢٣٣ .

٤٨٥ - الطلاق ٦ - ٧ .

٤٨٦ - البخاري ١٥٥٧ ، ومسلم ، ١٤٧/١٢١٨ - ١٥٠ .

٤٨٧ - أبو داود كتاب النكاح - باب في حق المرأة على زوجها - ٢١٤٤ .

- مفاهيم حول النفقة :

قيل : ليس للزوجة الحق في فرض نفقه على الزوج أو أن تأخذ من ماله ما يكفيها دون علمه ولو كان شحيحا ؟! .

ذهب أكثر فقهاء الإسلام إلى أن للزوجة الحق في أن تستوفي نفقتها من مال زوجها الموسر الممتنع عن الإنفاق عليها وعلى أولادها الصغار أيضا وإن لم يعلم بذلك ، شريطة أن تأخذ منه بقدر الكفاية بالمعروف ، لتمكنها من تحصيل حقها بالمحاكم أو بيدها إن قدرت فإن منعها ما يجب لها أو بعضه وقدرت له على مال أخذت منه مقدار حاجتها^{٤٨٨}.

فإذا كان الزوج بخيلا لا يقوم بكفاية زوجته أو أنه تركها بلا نفقة بغير حق ، فلها أن تطلب فرض نفقة من الطعام والكسوة والمسكن ، وللحاكم أن يقضي لها بالنفقة ويلزم لها الزوج بها متى ثبت لديه صحة دعواها .

كما أن لها الحق أن تأخذ من ماله ما يكفيها بالمعروف ، وإن لم يعلم الزوج ، إذ أنه منع الواجب عليه وهي مستحقة له ، وللمستحق أن يأخذ حقه بيده متى قدر عليه ، وأصل ذلك ما روي ، أن هنداً قالت :

يا رسول الله إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه ، وهو لا يعلم ؟ فقال ﷺ : خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف^{٤٨٩}.

والنفقة غير محددة في الشرع ، ويجب على الزوج لزوجته تقدير ما يكفيها مما لا بد منه للحياة حسب المتعارف وإن ذلك يختلف باختلاف الأمكنة ، والأزمنة والأحوال .

٤٨٨ - المغني ، ج ٨ ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

٤٨٩ - سبق تخريجه .

وتقدر النفقة للزوجة بحسب حال الزوج ، يسرا وعسرا مهما تكن حال الزوجة ، كما في قول الله تعالى : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^{٤٩٠}.

قيل : ليس للزوجة الحق في طلب من يخدمها من زوجها بقطع النظر عن مستواهما الاجتماعي وقدرة الزوج المالية ؟!

إذا كانت الزوجة من ذوات الشأن أو القدر أو وضع خاص بهم في المجتمع ، وجرت العادة بأنهن لا يتولين الخدمة بأنفسهن في بيوتهن ، فانه يجب على الزوج أن يجعل لها خادما أو أكثر بحسب ما يليق بها متى كان قادرا على ذلك .

وإذا كان الزوج من الأغنياء الذين لا يليق بهم عادة أن تقوم زوجاتهم بخدمة المنزل ، وجب عليه أن يجعل لها خادمة أو أكثر حتى لو كانت هي فقيرة ليس من شأنها أن يكون لها خادمة .

وإذا كان الزوج فقيرا لا يتيسر له أن يجعل لزوجته خادمة فلا يجب استحضار خادم لها ولو كانت منزلتها الاجتماعية مختلفة ، ويجب عليها حينئذ القيام بالخدمة بحسب ما جرت به العادة .

أما إذا كان الزوج ميسورا ويستطيع أن يجعل لزوجته خادمة ، ولكن لم تجري العادة بان يكون مثله ومثل زوجته خادم فعليها أن تخدم بنفسها على حسب العادة ، فالواجب عليها خدمة نفسها وزوجها هذا إذا كانت الزوجة متفرغة لأعمال البيت ، فان كان لها عمل خارجي يؤثر على خدمة المنزل فينبغي أن يتفق على من يتحمل اجر الخادم ويدخل في ذلك إذنه لها بالعمل وعدم إذنه ، وما يترتب على ذلك من وجوب النفقة وسقوطها.

قيل : نفقة الزوجة واجبه على الزوج باختلاف الأحوال ودون قيد أو شرط ؟!

الصحيح أنه لا تجب نفقة الزوجة على زوجها إلا فقط في حالة شرطين : أحدهما أن يكون بين الزوجين عقد نكاح صحيح ولو مع اختلاف الدين بينهما ، فتجب للزوجة الكتابية على زوجها المسلم ، وإذا كان العقد الزواج فاسدا لم تجب النفقة إلا إذا كان هناك حمل فتجب النفقة للحمل .

ولما كانت النفقة من قبيل الصلات بين الزوجين أو الأقارب ، فإن كان دفعها في العقد الفاسد بالتراضي فلا يرجع فيها ، وإن كان قد دفعها بحكم الحاكم ومن ثم تبين فساد العقد ولم تكن الزوجة حاملا كان له الرجوع فيها ، لأنه قد تبين عدم وجوبها عليه ولم يكن متبرعا بها .

والآخر هو الانتقال إلى بيت الزوجية : فإذا امتنعت الزوجة من الانتقال إلى بيت الزوجية من غير عذر مشروع لم تجب لها النفقة ، أما إذا كان امتناعها من الانتقال لان الزوج لم يدفع لها المهر المعجل ، فلها النفقة على الزوج.

وكذلك نشوز الزوجة بتركها بيت الزوجية بلا مسوغ شرعي أو أن تمنع الزوج من الدخول إلى بيتها قبل طلبها النقلة إلى بيت آخر ، وتسقط النفقة بمضي المدة دون أن تطالب بها الزوجة أو يفرضها لها الحاكم الشرعي لأنها صلة لا تملك إلا بالقبض .

قيل : ليس من الحق أن يلزم الرجل بالنفقة على المرأة لأنها موجودة في ميدان العمل معه ؟! .

إذا خرجت المرأة للعمل بغير إذن زوجها فلا نفقة لها ، وأما لو أذن لها بالعمل فله حق الرجوع في الإذن متى شاء فإن رفضت سقطت نفقتها ، ولا حق للزوج في مال الزوجة وإن أذن بالعمل وتجب لها النفقة ، وبعضهم قال انه ليس للزوج منع الزوجة من العمل إذا تزوجها وهي تعمل ، ولا يعد خروجها للعمل نشوزاً تسقط به نفقتها .

وذلك لان رضاه عند إجراء العقد بالعمل مع جريان العرف به قائم مقام الشرط، والمعروف كالمشروط لان بعض الأزواج قد يطلب من الزوجة ترك العمل خصوصاً عند النزاع والشقاق إمعانا في إيقاع المزيد من الأذى بالزوجة لحرمانها من العمل .

فإذا وقع الطلاق كانت من غير عمل تكسب قوتها منه هذا إذا أخذنا في عين الاعتبار إن الكثير من الأعمال التي يمكن أن تقوم بها المرأة قد لا تتوافر نظرا لوجود البطالة فتفوت بتركها العمل مصلحة متحققة لها .

– الرضاع :

إن الأم هي أقرب الناس إلى ولدها ، وإن لبنها هو أفضل غذاء طبيعي له باتفاق الجميع ومنهم الأطباء ، وللملاءمته حال الطفل في مراحل تطوره ، وله أهمية في حمايتها وحماية وليدها من النواحي الطبية والنفسية والعاطفية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية .

والأم هي أشد الناس شفقة على وليدها وأعظمهم حناناً وعطفاً عليه ، قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَسِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾^{٤٩١}.

والنص إن كان وارداً في صورة الخبر ، إلا أنه في معنى الأمر يدل على الوجوب ، ولهذا لم يختلف فقهاء المسلمين في ذلك فقالوا جميعاً بوجوب الرضاعة على الأم سواء كانت متزوجة بأبي الرضيع أم كانت مطلقة منه وانتهت عدتها ، فإن امتنعت عنه مع قدرتها كانت مسؤولة أمام الله تعالى ، لكنهم اختلفوا في وجوب الإرضاع عليها قضاء .

ويُعَرَفُ الرِّضَاعُ لغةً : بفتح الراء وكسرهما شرب اللبن من ثدي المرأة .

ويُعَرَفُ شرعاً : مص الرضيع اللبن من ثدي امرأة آدمية في زمان مخصوص^{٤٩٢} .

ولا فرق في الرضاع المحرم بين أن يأخذ الطفل من الثدي مباشرة أو أن يأخذ بالسقي ، ولكن لا بد من وصول اللبن إلى الجوف . وعلى الأم أن ترضع ولدها اللبأ وهو اللبن الذي يوجد في ثديها في الأيام الأولى لولادة الطفل لأن الولد يتضرر بدونه .

٤٩١ – البقرة ٢٣٣ .

٤٩٢ – ابن نجيم : البحر ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

- مفاهيم حول الرضاع :

قيل : الأم مجبرة على إرضاع وليدها ولا يحق لها أن تتعاطى أجر على ذلك !؟.

الأم المرضعة إما أن تكون في عصمة الزوج أو في العدة من طلاق رجعي أو بائن أو أن تكون عدتها قد انتهت فذهب بعض الفقهاء إلى أن الأم المتزوجة بأبي الرضيع وحالة الزوجية قائمة وباقية بينهما لا تستحق أجرة على الرضاع .

وسبب ذلك لأن الرضاعة واجب عليها ديانة لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ﴾^{٤٩٣}.

فالوالدات يجب عليهن إرضاع أولادهن إلا لعذر كالعجز ، فإذا أقدمت عليه بالأجر ظهرت قدرتها ، فكان الفعل واجباً عليها ديانة ، فلا يجوز أخذ الأجرة عليه^{٤٩٤} .

وقد ذهب بعض الحنابلة والشافعية والامامية في وجه آخر إلى أن الأم المتزوجة بأبي الرضيع والزوجية قائمة بينهما لها الحق في أخذ الأجرة على الرضاعة^{٤٩٥} ، كما في قوله تعالى :

﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾^{٤٩٦}.

وذهب اغلب الحنفية والمالكية إلى أن الأم لا تستحق أجرة على الرضاعة إذا كانت معتدة من طلاق رجعي لأنها ما زالت في حكم الزوجية ، أما المعتدة من طلاق بائن فلها أجرة على الرضاعة لأن النكاح قد زال بالكلية فصارت كالأجنبية^{٤٩٧} .

٤٩٣- البقرة ٢٣٣ .

٤٩٤- ابن قدامة : المغني ٨\٢٢٦ .

٤٩٥- ابن قدامة : المقنع ٣\٢٢٨ ، والنووي : الروضة ٩\٨٨ .

٤٩٦- الطلاق ٦ .

٤٩٧- المرغيناني : الهداية ٢\٤٥ ، والد سوقي : الشرح الكبير ٢\٥٢٥ .

وذهب الحنابلة والشافعية إلى أن الأم تستحق أجره الإرضاع مطلقاً سواء كانت معتدة من طلاق رجعي أو طلاق بائن ما دامت في العدة^{٤٩٨}؛ وفي رواية عند أبي حنيفة أن المطلقة بائناً لا تستحق أجره الرضاع لأن نفقتها زمن العدة واجبة على الزوج ، فأشبهت المطلقة طلاقاً رجعياً وهي في العدة^{٤٩٩}.

وكما اتفقوا^{٥٠٠} على أن الأم تستحق أجره الإرضاع إذا انتهت عدتها^{٥٠١}، بل ذهبوا في قول إلى أن الأم أحق بإرضاع ولدها إن طلبت أجره المثل ، ولو وجد امرأة أخرى ترضعه بأقل من أجره المثل أو متبرعة^{٥٠٢}، لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ﴾^{٥٠٣}.

ولكن الاصل هو إن نفقة الرضاع للولد واجبة على الأب دون الأم ، وعليه أن يتخذ لولده مرضعة إلا إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة لذلك .

ولا تجبر عليه كما في قول الله سبحانه تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسُتْرُوعُهُ لَكُمْ أُخْرَى ﴾^{٥٠٤}، وقالوا : إن هذه الآية دليل في وجوب النفقة على الوالد دون الأم^{٥٠٥}.

قيل : يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب بقطع النظر عن سن الرضيع ؟!

لا بد للتحريم الحاصل بالرضاع أن يقع في سن معينة وفقاً للنصوص الشرعية الواردة في هذا الشأن، وقد اختلف الفقهاء في الاستنباط من هذه النصوص .

٤٩٨- الشيرازي : المهذب ١٦٧\٢، وابن قدامة : المغني ٢٢٦\٨ .

٤٩٩- المرغيناني : الهداية ٤٥\٢ .

٥٠٠- وقد أخذت اغلب القوانين للحكومات الحالية لأهل السنة برأي الحنفية والمالكية في أن الأم لا تستحق أجر الإرضاع إذا كانت الزوجية قائمة أو كانت في عدة طلاق رجعي، وأنها تستحق الأجره إذا كانت معتدة من طلاق بائن أو انتهت عدتها .

٥٠١- ابن قدامة : المغني ٢٢٦\٨، والشيرازي لا : المهذب ١٦٧\٢ .

٥٠٢- المرغيناني : الهداية ٤٥\٢ ، وابن قدامة : المغني ٢٢٦\٨ ، والنووي : الروضة ٨٨\٩ .

٥٠٣- البقرة ٢٣٣ .

٥٠٤- الطلاق ٦ .

٥٠٥- ابن العربي ، أحكام القران ، ج ٤ ، ص ١٨٤٠ .

فقد ذهب الامامية بشكل واضح جدا، ولكن الحنفية قالوا أن وقت الرضاع المحرم محدد بثلاثين شهراً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾^{٥٠٦}.

وذهب الفقهاء إلى أن مدة الرضاع مقدرة بسنتين ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَمِّمَ الرِّضَاعَةَ ﴾^{٥٠٧}.

وقوله تعالى : ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾^{٥٠٨} ، والفصال يعني الفطام ؛ فدللت الآيتان على أن مدة الرضاع سنتان .

قيل : يحصل التحريم بالرضاع بقطع النظر عن عدد الرضعات !!؟ .

هذا الفهم لا يتفق مع النظرة الشرعية للرضاع ؛ فقد خالف وانفرد به أبو حنيفة ومالك إلى أن قليل الرضاع يحرم ولو كان مصة أو مصتين ، واستدلوا بقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ﴾^{٥٠٩}.

فالآية الكريمة علقت التحريم بالإرضاع من غير تقدير بقدر معين .

كما استدلوا بقول الرسول ﷺ في بنت حمزة :

(لا تحل لي يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب هي بنت أختي من الرضاعة)^{٥١٠} ، أي يقوم الرضاع مقام النسب في التحريم في النكاح .

وقد ذهب الشافعي وأحمد إلى أن مقدار الرضاع المحرم خمس رضعات مشبعات^{٥١١} .

٥٠٦- الاحقاف ١٥ .

٥٠٧- البقرة ٢٣٣ .

٥٠٨- لقمان ١٤ .

٥٠٩- النساء ٢٣ .

٥١٠- البخاري: كتاب الشهادات ، باب الشهادة على الأنساب والرضاع المستفيض والموت القديم .

٥١١- الشيرازي ج٢، ص١٥٦ ، وابن قدامة : المقنع ، ج٣، ص٢٩٩ .

(و) :- المرأة وعدم الاختلاط

ثم يؤكد الامام عليه السلام على امر المشرع بحفظ المرأة، فان عدم اختلاطها بالرجال احفظ لها ولهم.

فقال عليه السلام : (واكفف عليهن من ابصارهن بحجابك اياهن) أي احجبهن عن الغرباء حتى لا تقع ابصارهن على ما يكون سببا لفسادهن .

ثم يقول عليه السلام : (فان شدة الحجاب ابقى عليهن) ، وليس المقصود بالحجاب هنا ما يوضع على الراس والعنق والجيب ، وانما المقصود به الاعتزال وعدم الاختلاط .

وان كان حجاب الراس هو واجب ايضا بنص القرآن الحكيم. يقول تعالى عن الحجاب الاول مخاطبا نساء النبي صلى الله عليه وسلم اللواتي هن قدوة المسلمات : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^{٥١٢}.

ويقول عليه السلام عن حجاب الرأس ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾^{٥١٣}.

ثم يؤكد على لزوم ستر العنق وما يليه من الصدر وهو الجيب فيقول عليه السلام : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾^{٥١٤}.

والمقصود بالزينة الظاهرة ما تظهره المرأة من جسمها حال الصلاة ، وهو الوجه الوضوئي واليدين الى الزندين والقدمين الى الكعبين^(٥١٥).

ثم قال الامام عليه السلام : (وليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا يوثق به عليهن) ، فهو عليه السلام يقول :

٥١٢ - سورة الاحزاب ٣٣ .

٥١٣ - سورة الاحزاب ٥٩ .

٥١٤ - سورة النور ٣١ .

٥١٥ - البحث المتقدم فقهي فيه مسائل خلافية بين الفقهاء. وما ذكر هنا هو بحسب ما جاء من سياق الكلام.

ان خروج النساء من البيت اهون من دخول شخص غير موثوق عليهن، لان من تكون هذه صفته يتمكن من الخلوة معهن في البيت بدون رقيب، بينما لا يتمكن من ذلك اذا راهن في الطريق.

ورغم ان المشرع الحكيم سمح للمرأة بالخروج من بيتها في حالات الضرورة والحاجة ، فان الامام عليه السلام شدد كثيرا على هذه الناحية ، لتقديره المفسد الكبيرة التي تنشأ عن اختلاط النساء بالرجال ، كما هو في عصرنا لحاضر .

ولذلك قال عليه السلام : (وان استطعت الا يعرفن غيرك فافعل) . ورغم ان الخطاب في هذه الوصية هو للامام الحسن عليه السلام فهو غير موجه اليه بقدر ما هو موجه لعامة المسلمين، لان عقيلات اهل البيت عليهم السلام كن اشد الناس تمسكا وتطبيقا لتعاليم الشريعة .

وروى ابن شهر آشوب في المناقب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة عليها السلام : (اي شيء خير للمرأة ؟ قالت عليها السلام : ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل . فضمها اليه وقال: ذريه بعضها من بعض) .

وقد اثر عن زينب العقيلة عليها السلام انها كانت لا تعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي . وكانت عند ما تضطر الى مغادره بيتها ، تخرج ليلا محجبة ومعها الحسن عليه السلام عن يمينها والحسين عليه السلام عن شمالها ، وابوها امير المؤمنين عليه السلام امامها .

وقد كانت مولانا السيدة سكينة^{٥١٦} عليها السلام (ت ٥ ربيع أول ١١٧ هـ . ق) بنت الامام الحسين عليه السلام شبيهه بجدها فاطمة الزهراء عليها السلام فكانت مقطعة الى العبادة ودائمه الا اتصال مع الله ، لا تغادر بيتها ولا تلتفت عن مسجدها .

٥١٦- ومن غريب الامر والمؤلم ، ان يذكر احد المؤرخين وهو الزبير بن بكار في كتابه نسب قريش ان سكينة عليها السلام نفسها كانت تقيم مجالس الانس والشعر والغزل ، وان بيتها كان منتدئ للرجال والنساء .

وفي هذا تزوير متعمد ، للحط من قيمة اهل البيت عليهم السلام في نظر الناس وتشكيكهم بهم . والحقيقة ان التي كانت تقوم بهذا الامر (مجالس الانس والشعر والغزل) هي سكينة بنت خالد بن الزبير ، فقد كانت تجالس الشعراء ويتغزلون بها وبجملها .

وفرغ ابن بكار هذه الوصمة عن آل الزبير وجعلها في آل البيت عليهم السلام لان الوضع السياسي يناسب ذلك . وقد كشف هذا الافتراء ابو الفرج الاصبهاني في كتابه الاغانى حيث قال : ان التي كانت تجالس الشعراء هي سكينة بنت خالد بن الزبير وليست سكينة بنت الحسين عليها السلام .

حتى انه لما خطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام قال له ابوها الحسين عليه السلام:
(اعطيك فاطمه عليها السلام بنتي فهي كأمي الزهراء عليها السلام في العباد، اما سكينه عليها السلام فلا تصلح لرجل، لانها
غالب عليها الاستغراق مع الله).

جاء في استقلال المرأة في الإسلام انه قيل : ان المرأة في تكوينها العقلي تساوي الرجل ، فليس
للرجل رأس ، وللمرأة نصف رأس ، ولا يأتي الفرق إلا من تقييد المرأة في البيت ^{٥١٧}.

وقيل : ان كل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الإسلام ، وإنما هو شيء آخر سموه
إسلاماً ^{٥١٨}.

وقيل : لم يحترم أحد المرأة كما احترمتها محمد بن عبد الله ، ولم يسمُ بها أحد إلى المكان اللائق بها ،
كما سما بها محمد بن عبد الله ^{٥١٩}.

وقيل : الدرجة التي جعلها القرآن الكريم للرجال على النساء ، ليست هي درجة القوامة والوصاية
، وإنما هي درجة الإحسان في المعاشرة الزوجية ، والإحسان في المفارقة ﴿ فَأَمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِخْ
بِإِحْسَانٍ ﴾ ^{٥٢٠} ، فهي درجة تجعل الرجال أكثر إنسانية وذوقاً وكياسة ^{٥٢١}.

والإسلام الأصيل ، القرآن والعترة الطاهرة عليهم السلام ، لا تفاسير القرآن الكريم ، والسنة المحمدية
المفسرة لهذا القرآن في جلاء ووضوح .

لا الأحاديث أو المأثورات المنسوبة إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ظلماً وعدواناً ، ثم الممارسة العملية
للقرآن الكريم والسنة الصحيحة في العهد الإسلامي الأول .

٥١٧- هو جمال الدين الافغاني .

٥١٨- محمد عبده ص ١٢٠ كتاب : العلم والمدينة .

٥١٩- محمد حسنين هيكل باشا ص ٣٢٦ ، كتاب : حياة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٥٢٠- البقرة ٢٢٩ .

٥٢١- د. محمد البهي ص ٣٣٢ ، كتاب : الفكر الإسلامي والمجتمع المعاصر .

ولا سيما عهد الرسول ﷺ وخليفته ووصيه الراشد علي بن ابي طالب ﷺ ثم ما تيسر من الأحكام الإسلامية الفقهية الحرة المسيرة للتطور الزاحف إلى الأمام تحت ظل الأئمة الاثني عشر اماماً كلهم من قريش من ولد فاطمة عليها السلام .

إن تسجيلنا لأفضال الإسلام على تحرير المرأة واستقلالها لا يجوز أن يكون على حساب الإنصاف للحقيقة والتاريخ .

فأبدلهم الإسلام من كراهية الأنثى حباً لها وفرحاً بمولدها بأحاديث نبوية كثيرة مثل :

لا تكرهوا البنات ، فأنا أبو البنات .

ما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانن إلا لئيم .

استوصوا بالنساء خيراً .

إلى آخر أحاديث ما نسب للرسول ﷺ والإنسان الأول الذي كما يكنى أبي القاسم ﷺ ويكنى بأبي الزهراء عليها السلام وحمل القرآن حملته على جريمة وأد البنات آيات كثيرة يكفينا منها

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ ٥٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أُمَسِّكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ٥٢٣ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ ٥٢٤ .

وكان كثير من العرب يعتبرون عقد الزواج من إحدى بناتهم (صفقة تجارية) كما يدل على ذلك أن البنت في معجمات اللغة العربية بلقب (النافجة).

٥٢٢ - التكوير ٨-٩ .

٥٢٣ - النحل ٥٨-٥٩ .

٥٢٤ - الزخرف ١٧ .

ومن ذلك قولهم في التهنة بمولدها أحيانا : هنيئاً لك (النافجة) أي المنفجة لمالك بما تأخذه من مهرها - وهو العوض الذي يدفع لأهلها - وبما تأخذه من صداقها - وهو العوض الذي يدفعه الرجل لها.

وبفضل المهر والصداق ينتفخ ويتضخم مال والدها - وهذه النظرة إلى البنت كسلعة تجارية قد أبدلهم الإسلام منها نظرة إلى عقد الزواج كرباط مقدس.

وآية ربانية عالمية شاملة : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾^{٥٢٥} ، وقد وصفه بالميثاق الغليظ ، وأقامه على أمتن الدعائم والأركان من السكينة والمودة والرحمة قائلاً: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^{٥٢٦}.

وفي ظلال السكينة والمودة والرحمة لا وجه لاعتبار هذه الرابطة المقدسة سلعة تجارية ، ولا مكان للمغلاة في المهر والصداق ، تلك المغلاة التي عرفت بها بعض القبائل العربية - ولا سيما قبيلة كندة - وأعلن الرسول ﷺ الحرب على هذه المغلاة بالقول والعمل .

فأخير النساء أيسرهن صداقاً ومن اكتفى من المهر بخاتم من حديد ، فإن لم يتيسر فبتعليم ما تيسر من آيات القرآن الكريم .

ولحرص الإسلام على كرامة المرأة بحرصه على حقها في المهر أبطل الزواج الذي كان معروفاً في الجاهلية بزواج (الشغار) الذي سمي بهذا الاسم لخلوه من المهر.

وهو الزواج القائم على اتفاق رجلين فيما بينهما على أن يزوج كلاهما الآخر ابنته أو أخته بدون مهر مطلقاً ، وكأنها سلعة تجارية تبادل بسلعة تجارية أخرى .

٥٢٥- يس الآية ٣٦ .

٥٢٦- الروم ٢١ .

ولحرص الإسلام على كرامتها وحريتها واستقلالها كفل لها قبل الزواج حقها كاملاً في اختيار أو رفض من يتقدم لزواجها بكرة كانت هذه المرأة أو ثيباً .

ولا تكون كالسُّفُور التي من ملازماتها الاختلاط^{٥٢٧} ، وهذه حرب ناعمة الملمس ضاربة النتائج لينّة المظهر قاسية المخبر يتذرع دعاؤها بالتقدم ويتظاهرون بحرية المرأة وليس لهم من وراء ذلك غاية إلا نبذ الفضائل والتخلي عن مكارم الأخلاق وإشباع نزواتهم المحمومة وغرائزهم البهيمية .

ولست أدري من المرأة التي صرخت في هؤلاء لينقذوها ؟ ومن تلك التي استغاثت بهم لينجدها ؟ يا لك من مخلوقة مظلومة : لقد أخرجوك من خدرِك المصون زاعمين أنهم يريدون تحريرك .

ومتى كنتِ أمةً حتى يحرروك ؟ إنكِ منذ خلق الله الخلق حرة طليقة تنجيب الرجال الأفداد وتصنع الأبطال الأشاوس .

ولقد حفظك الله وضرب عليك الحجاب ليعبدك عن عبث العابثين ومجون الماجنين وأحاطك بالإجلال والتوقير كما تحيط الصدفه بالؤلؤة لحمايتها من كل معتد أثيم .

فأغار عليك هؤلاء في غفلة أبنائك البررة فأخرجك من قصرِكَ المنيع وأنزلوك من عرشك الرفيع وتركوك في الشوارع هائمة حائرة لا تدرين إلى أين تذهبين .

ولست بذلك أدعو إلى ما يزعمه الزاعمون من جعل المرأة كُماً مهماً أو سلعةً تباع وتشتري أو اتخاذها كمقطعة من أثاث البيت تزين به العُرف والصالونات . معاذ الله أن يكون الإسلام داعياً إلى شيء من ذلك أو يكون المسلمون الواعون يفهمون ذلك الفهم .

إن الإسلام هو أول من أنصف المرأة ، ووقف إلى جوارها يشد أزرها وينزلها تلك المنزلة الرفيعة .

الإسلام هو الذي اعتبر المرأة صِنُو الرجل ففرض عليها كل ما فرض عليه وجعل لها من الأجر والمثوبة على عمل الصالحات مثلما جعل له (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا) .

والإسلام هو الذي جعل برَّ الأم مقدماً على برِّ الأب حيث أمر الرسول ﷺ ببرها ثلاثاً ، وفي الرابعة أمر ببر الأب .

– مزاحمة الرجال :

أي الاختلاط ، وعلى ذلك فلم يعهد عن النبي ﷺ انه أمر النساء بالاعتكاف بالبيوت مطلقا ، كما انه لم يترك الأمر من دون ضابطة ، فلم يبيح للنساء مزاحمة الرجال في كل وقت ومكان ولم يسمح للمرأة بالتسكع باذلة نفسها وزينتها لمن يرغب في المشاهدة والاطلاع .

ونذكر هنا بشكل مجمل بعض الضوابط التي قيد الإسلام بها إباحة الاختلاط منها أن الأصل تلزم المرأة بيتها لرعايته وإدارة شأنه ، لأنه مجال عملها الرئيسي ، ولها أن تخرج منه للحاجة ، كأداء الصلاة في المسجد أو طلب العلم أو صلة الرحم أو تحصيل الرزق وغير ذلك ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^{٥٢٨} ، فنهى الله تبارك وتعالى عن مشاكله نساء الجاهلية اللواتي تبرجن أي ظهرن وخرجن في كل وقت وحين دون حاجة تقتضي ذلك .

ومنها كذلك ، إذا خرجت المرأة لقضاء حاجة في مجتمع فيه رجال فعليها أن تحتشم في لباسها وصوتها ومشيتها ، فلا يجوز لها أن تكون سببا لإشاعة الفتنة بإظهار جمالها وزينتها لأنه قد علم بمقتضى التجربة والطبع أن الرجل يتأثر بالمرأة ويميل إليها ، كما إنها تميل إليه كذلك .

وتزداد رغبة الرجل بالمرأة إذا تحملت وتزينت فأمرت المرأة لذلك بستر ما يرغب الرجال فيه صونا لها ومنعا لمادة الفساد وحسما للفتنة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوَازِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^{٥٢٩} .

٥٢٨- الاحزاب ٣٣ .

٥٢٩- النور ٣١ .

ويقول النبي ﷺ : (أيا امرأة استعطرت فمرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية)^{٥٣٠} ، كما نهي الله تعالى المؤمنات عن الخضوع بالقول ، وهو تلطيف الصوت وترقيقه والتكلف بتنعيمه حتى لا يطمع مرضى القلوب ، ويفتح باب الشيطان ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾^{٥٣١} .

ومن الضوابط التي قيدت منها ، فرض الإسلام على كل من الرجل والمرأة غض البصر ، فقال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾^{٥٣٢} ، وذلك لإغلاق باب الفتنة لأنه بالتأمل وبإمعان النظر قد يثور في القلب ما لا يحمل ولا يحسن من المشاعر والرغبات .

وليس معنى غض البصر الإطراق ، والسير منكوس الرأس ، فهذا أمر يعسر ويشق ، ولكن معنى ذلك أن لا يتقصد الرجل أو المرأة متابعة الآخر بنظرة أو تكلف مشاهدته ، بل يسير من دون اكتراث وكأنه ينظر من خلال الأشياء لا إليها .

وكذلك منها اجتناب الخلوة ، وهي اجتماع رجل بامرأة أجنبية^{٥٣٣} مع أمن الاطلاع عليها ، فان ذلك مدعاة وذريعة للفساد ، كما ورد في حديث الرسول ﷺ : (ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)^{٥٣٤} ، أي بمعنى يسؤل لهما ، ويزين كل واحد في عين الآخر .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^{٥٣٥} .

وجاء في حديث النبي ﷺ : (لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة^{٥٣٦} إلا ومعه رجل أو اثنان)^{٥٣٧} .

٥٣٠- احمد بن حنبل : مسند الكوفيين - حديث أبو موسى الأشعري ، ١٩٧٢٦ .

٥٣١- الاحزاب ٣٢ .

٥٣٢- النور ٣٠-٣١ .

٥٣٣- المرأة الأجنبية : هي المرأة التي يحل للرجل الزواج بها في وقت من الأوقات .

٥٣٤- مسلم : كتاب الحج - باب سفر المرأة مع محرم إلى حج أو غيره ١٣٤١ .

٥٣٥- البقرة ١٦٨-١٦٩ .

٥٣٦- المغيبة : المرأة التي غاب عنها زوجها .

٥٣٧- مسلم : كتاب السلام - باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول بها - ٢١٧٣ .

فهذا نهي من النبي ﷺ عن خلوة الرجل بالمرأة ، فان كان معه غيره لم تسم خلوة وجاز دخوله للمصلحة والحاجة وإلا لم يجز ، بل منع الإسلام الخلوة حتى بأقارب الزوج من أخوان وأبناء عمومته وغيرهم ، كما ورد عن رسول الله ﷺ قال :

(إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمى؟ قال: الحمى الموت)^{٥٣٨}،
يعني لشدة خطره فان الناس يتساهلون بذلك مما قد يكون ذريعة للفساد .

- مفاهيم حول الاختلاط :

قيل : يرى بعض المتورعين إن المرأة يجب أن تبقى حبيسة بيتها ولا تخرج إلا للضرورة وان صوتها عورة فلا يجوز أن تخاطب أحدا غير محارمها واستدلوا بعموم النصوص التي تطلب إلى المرأة القرار في بيتها، والتي تفضل صلاتها في بيتها على صلاتها في المسجد .

وجوابه إن الورع هو من شعار المؤمنين ، إلا أن الورع ليس معناه المبالغة والتشدد والذي يخرج عن روح الشرع وأدلته ، فان النبي ﷺ هو إمام الورعين وسنته أكمل المناهج والطرق ، وليس الورع إلا بإتباعها .

وقد ورد في كثير من الأقوال عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ما يخالف رأي المبالغين في أمور الدين ، ونقل أن النبي سمح للنساء مشاركة المسلمين الصلاة في المسجد وحضور صلاة العيدين والكسوف والجهاد وحضور مجلس العلم .

وخاطب المسلمون النساء وحاورت النساء النبي ﷺ أمام المسلمين وناقشت المرأة الخليفة أمام الناس في مسألة تحديد المهور وخرجت للسوق واشترت وباعت وعملت في البساتين مع زوجها ، ولم يكن أحد يعتبر ذلك تساهلا أو فتنه ، وذلك لان المرأة حافظت على ضوابط الشرع في خروجها وحديثها ومشيتها ولباسها وعملها وعلمها .

٥٣٨- البخاري : كتاب النكاح - باب لا تخلو رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة - ٤٩٣٤ .

أما إن (صوت المرأة عورة) ، فليس هناك دليل واحد من الشرع يدل على ذلك ، ولكن الشرع نهى المرأة عن الخضوع والتغنج في القول ولم ينهها عن القول ذاته ، وقد خاطب المسلمون أمهات المؤمنين وأجبنهم .

أما أن النبي ﷺ فضل صلاة المرأة في بيتها على صلاتها في مسجد قومها ، وصلاتها في مسجد قومها على صلاتها في مسجد النبي ﷺ ، فهذا دليل على جواز خروجها للصلاة في مسجد قومها ومسجد النبي ﷺ ، وذلك لان التفضيل لا يكون إلا بين مباحين .

فأحدهما فاضل والآخر مفضول ، وغاية ما في الحديث أن قرار المرأة في بيتها مفضل على خروجها حتى للصلاة ، مع جواز خروجها للصلاة ومصدق ذلك قوله ﷺ (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)^{٥٣٩} .

قيل : أما المتساهلون فرما يقولون : إن مسالة العفة ونقاء المجتمع مسالة نابعة من داخل الإنسان ، فلا مبرر لمنع الاختلاط بين الرجال والنساء وخصوصا ، إذا كانوا ناضجين ويعرف كل مصلحته ، وإذا كانت العلاقة قائمة على حسن النية ؟! .

جوابه ، إن مسالة حسن النيات أمر لا يمكن قياسه ، والتحقق منه ، والإسلام عندما يشرع لا يعلق الأحكام بما لا يمكن ضبطه ، كما أن حسن النية قد يكون في مرحلة من مراحل العلاقة بين الرجال والنساء ، إلا انه قد يتغير ويتبدل بفعل عوامل النفس البشرية ووساوس الشيطان وغيرها .

كما ان التجربة الإنسانية زاخرة بالأمثلة على تحول النيات الحسنة إلى مصائب جسيمة نتجت عنها آثار وخيمة ، كما إن المقصود من منع الاختلاط ليس بالضرورة تحقق الفاحشة بسببه ، وإنما آثار الاختلاط الضار قد تتعدد وتتجاوز هذه الجزئية .

ومن ذلك إن المرأة المتزوجة إذا خالطت الرجال وتعرفت إلى ميزاتهم وخصائصهم فإنها ستجري مقارنة محققة مع خصائص زوجها وأخلاقه ولربما عند غيره من الميزات والصفات ما ليس عنده ، الأمر الذي يدخل على الحياة الزوجية شيئا من الكدر والضيق وسوء العشرة .

كما إن الزوج إذا خالط النساء فانه سيقارن زوجته بهن ويبدو له من عيوبها ما لم يكن ظاهرا له ، ثم تبدأ بذلك مرحلة النقد والزهد في زوجته مما يهدد أمن وصفوة الأسرة بأكملها .

ومن الآثار السيئة للاختلاط ، تأثر الرجال بأخلاق وطبائع النساء ، وتأثر النساء بأخلاق وطبائع الرجال ، مما يحرف كل منهما عن فطرته ويغير من صفاته .

قيل : إن اشتراط مرافقة المحرم للمرأة في السفر قد استنفد أغراضه ، ولم تعد له حاجة في عصر تقاربت فيه المسافات وحصل الأمن وزالت فيه أسباب الخوف على المرأة !؟.

إن الإسلام لما شرع مرافقة المحرم للمرأة قيده بالسفر الطويل الغير آمن والخطر ، وان كانت قد توسعت مداركها وعلت ثقافتها ، إلا إنها ما زالت بحاجة إلى الرجل ولا تستغني عنه ، وان استغلال المرأة لم ينقطع في عصر من العصور ، ولربما ازداد في هذا العصر بسبب غياب القيم والضوابط واختلاط الفضيلة بالرذيلة ، وتميع المفاهيم .

فكانت حاجة المرأة إلى المحرم اشد وألزم ، كما إن السفر قد يحدث فيه من الطوارئ والحوادث والمصائب ما تحتاج معه المرأة إلى من يحميها ويقضي حاجاتها ، وينفذها ويدبر أمرها وهي عاجزة عن ذلك أو عن بعضه لضعفها .

قيل : الاختلاط سبب لتعرّف الراغبين في الزواج إلى بعضهم مما يساهم في إيجاد حلول لمسألة البحث عن زوجة ؟! .

إن قضية النفع والضرر قضية نسبية ، فإذا كانت المفسد والمضار الكائنة في أمر ما تزيد على المصالح والمنافع المتحققة فيه كان منعه أفضل وأولى والعكس صحيح ، كما ان المفسد المتوقعة والمخوفة من الاختلاط تربو وتزيد عن هذه المصلحة المرجوة .

علما بان هناك بدائل لإيجاد الزوجة تؤدي نفس الغرض ، وان مضار الاختلاط لا تخفى على العقلاء حتى من غير المسلمين ، وفي ذلك تقول الكاتبة الأمريكية هيلسان ستاتسيري : -

(إن المجتمع العربي كامل وسليم ، ومن الخلق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده ، التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول ، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة ، وتحتم احترام الأب والأم ، وتحتم عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع في أوروبا وأمريكا ، ولذلك فإن القيود التي يفرضها المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة - واقصد ما تحت العشرين - هذه القيود صالحة ونافعة ، لهذا انصح بان تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم ، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خير لكم من إباحية أوروبا وأمريكا ، وإن الاختلاط والإباحية والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي هدد الأسر، وزلزل القيم والأخلاق ، فالفتاة الصغيرة في المجتمع الحديث تخالط الشبان ، وترقص وتشرب الخمر والسجائر تتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والعجيب في أوروبا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها ، تتحداهم باسم الحرية والاختلاط والانطلاق)^{٥٤٠} .

(ز) :- المرأة ريحانة

كان لأمر المؤمنين ﷺ اهتمام خاص بالمرأة ، فنراه تارة ينظر إليها كآية من آيات الخلق الالهي ، وتحلي من تحليلات الخالق عز وجل فيقول ﷺ : (عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم).

واخرى ينظر ﷺ الى كل ما موجود هو آية ومظهر من مظاهر النساء فيقول ﷺ:

(لا تملك المرأة من أمرها ما جاوز نفسها فإن المرأة ريحانة وليس قهرمانة) أي ان المرأة ريحانة وزهرة تعطر المجتمع بعطر الرياحين والزهور .

فلقد وردت كلمة الريحان في القرآن الكريم في سورة الواقعة بقوله تعالى: (فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة النعيم) والريحان هنا كل نبات طيب الريح مفردته ريحانة ، فروح وريحان تعني الرحمة والرحمة.

فالأمام ﷺ هنا وصف المرأة بأروع الأوصاف حين جعلها ريحانة بكل ما تشتمل عليه كلمة الريحان من الصفات فهي جميلة وعطرة وطيبة تسر الناظر إليها.

٥٤٠ - خيال ، محمد عبد الحكيم ، الاختلاط بين الجنسين ، ص ٢٠٦ .

وأما القهرمان فهو الذي يكلف بأمور الخدمة والأشتغال ، وبما ان الاسلام لم يكلفها بأمور الخدمة والأشتغال في البيت ، فما اراده الأمام عليه السلام هو أعفاء المرأة من المشقة.

وعدم الزامهن بتحمل المسؤوليات فوق قدرتها لأن ما عليهن من واجبات هو تكوين الأسرة وتربية الجيل فهذا يستغرق جهد ووقت لذا ليس من حق الرجل اجبار زوجته للقيام بأعمال خارجة عن نطاق واجباتها.

فالفرق جوهرى بين اعتبار المرأة ربحانة وبين اعتبارها قهرمانة لان الربحانة تكون محبوبة ومحفوظة ومصانة تعاملها برقة وتحاطبها برقة، لها منزلتها وحضورها العاطفي في قلوب الازواج فلا يمكنك التفريط بها.

وأما القهرمانة فهي المرأة التي تقوم بالخدمة بالمنزل وتدير شؤونه بدون ان يكون لها في قلب الزوج المكانة العاطفية والاحترام والرعاية.

فمعاملة الزوج لزوجته ان تكون نابعة من اعتبارها ربحانة وليست خادمة تقوم بأعمال المنزل لأن المرأة خلقت للركة والحنان فتغذي الرجل العاطفة والحنان.

وبالرغم من ان المرأة مظهر من مظاهر الجمال الرباني فهي تستطيع مثل الرجل ان تنال جميع الكمالات الأخرى ، وهذا ليس معناه انه لابد ان تخوض جميع ميادين الحياة مثل الحرب والأعمال الشاقة ، بل ان الله تعالى جعلها مكملة للرجل، أي الرجل والمرأة احدهما مكمل للآخر.

ثم يؤكد الامام عليه السلام ان وظيفه المرأة هي في ممارسه الاعمال المناسبة لها ، ومن اجلها انجاب اولادها ورعاية اسرتها ، فهي لم تخلق لكي تحمل المسؤوليات الشائكة والاعمال التي تضر بأنوثتها.

بل خلقت لكي تظل وردة جميله وريحانه عطره. فقال عليه السلام: (ولا تملك المرأة من امرها ما جاوز نفسها، فان المرأة ربحانة وليست بقهرمانة).

وفي هذا ارفاق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها وانوثتها ولا يزيدا اعباء فوق اعبائها وسبق ذكره.

ثم يقول عليه السلام : (ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها في ان تشفع لغيرها) اي لا تجاوز بكرامتها نفسها ، فتكرم غيرها بشفاعتها.

وكل ذلك مبني على طبيعة المرأة من الانسياق وراء عاطفتها وتجاوز حدود حقها اذا أطلق لها العنان. وان تشفع المرأة للولد بشكل متكرر منساقه وراء عاطفة الامومة يسيء الى تربيته.

والمرأة لا تحكم بهذا المنطلق نهي النبي ﷺ عن اماره النساء، لانها اذا حكمت تحكم بمواها، فتشيع في الارض الفساد ، وهذا من علامات آخر الزمان وقيام الساعة .

قال النبي ﷺ : (اذا كان امراؤكم اخياركم، واغنياؤكم سمحاكم ، وامركم شورى بينكم ، فظهر الارض خير لكم من بطنها. واذا كان امراؤكم اشراركم، واغنياؤكم بخلاءكم ، وامركم الى نسائككم ، فبطن الارض خير لكم من ظهرها) .

وقال الإمام علي عليه السلام: (ومن امارات الساعة : اماره النساء والصبيان وكثره السراري وارتفاع البنيان . ولا تقوم الساعة حتى تشتغل الرجال ، والنساء بالنساء) .

ويقول الامام^{٥٤١} عليه السلام: (يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة - وهو شر الازمنة- نسوه كاشفات عاريات ، متبرجات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات الى الشهوات ، مشرعات اي اللذات ، مستحلات للمحرمات ، في جهنم خالدات) .

لقد كرم الإسلام المرأة تكريم عظيم ، باعتبارها (أم) يجب برها وطاعتها والإحسان إليها ، وجعل رضاها من رضا الله تعالى ، وأخبر أن الجنة عند قدميها.

أي أن أقرب طريق إلى الجنة يكون عن طريقها ، وحرمة عقوقها وإغضاها ولو بمجرد التأفف ، وجعل حقها أعظم من حق الوالد ، وأكد العناية بها في حال كبرها وضعفها ، وكل ذلك في نصوص عديدة من القرآن والسنة.

ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾^{٥٤٢}.

وقوله ﷻ : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾^{٥٤٣}.

٥٤١ - مستدرک نخب البلاغة ص ١٧٦ .

٥٤٢ - سورة الاحقاف ١٥ .

٥٤٣ - سورة الاسراء ٢٤ / ٢٣ .

وروى عَنْ قَالَ^{٥٤٤} : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَتُبْغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارَ الْآخِرَةَ؟ قَالَ: وَيْحَكَ أَحْيَيْتُ أُمَّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ازْجِعِ فَبَرَّهَا.

ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنَ الْجَانِبِ الْآخِرِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَتُبْغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ: وَيْحَكَ ! أَحْيَيْتُ أُمَّكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

قَالَ : فَارْجِعِ إِلَيْهَا فَبَرَّهَا. ثُمَّ أَتَيْتُهُ مِنْ أَمَامِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي كُنْتُ أَرَدْتُ الْجِهَادَ مَعَكَ أَتُبْغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَّارَ الْآخِرَةَ، قَالَ : وَيْحَكَ ! أَحْيَيْتُ أُمَّكَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : وَيْحَكَ الزَّمْ رِجْلَهَا فَتَمَّ الْجَنَّةُ.

وَقِيلَ^{٥٤٥} جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : أُمُّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أُمُّكَ . قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : ثُمَّ أَبُوكَ.

إلى غير ذلك من النصوص التي لا يتسع المقام لذكرها.

وقد جعل الإسلام من حق الأم على ولدها أن ينفق عليها إذا احتاجت إلى النفقة ، ما دام قادر ومستطيع ، ولهذا لم يعرف عن أهل الإسلام طيلة قرون عديدة أن المرأة تُترك في دور العجزة. أو يخرجها ابنها من البيت ، أو يمتنع أبناؤها من النفقة عليها ، أو تحتاج مع وجودهم إلى العمل لكي تأكل وتشرب.

وكرم الإسلام المرأة زوجةً ، فأوصى بها الأزواج خيرا ، وأمر بالإحسان في عشرتها ، وأخبر أن لها من الحق مثل ما للزوج. إلا أنه يزيد عليها درجة ، لمسئوليته في الإنفاق والقيام على شئون الأسرة ، وبين أن خير المسلمين أفضلهم تعاملًا مع زوجته ، وحرَمَ أخذ مالها من غير رضاها.

٥٤٤ - سنن ابن ماجه ٢٧٨١ عن معاوية بن جهمه السلمي وصححه الالباني تحت سنن ابن ماجه وعند النسائي

٣١٠٤ بلفظ (فألزمها فان الجنة تحت رجليها).

٥٤٥ - وروى البخاري برقم ٥٩٧١ ، ومسلم برقم ٢٥٤٨ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^{٥٤٦} وقوله : ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^{٥٤٧}.

وكذلك الحديث النبوي قوله^{٥٤٨} ﷺ : (اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا).

ومثله الحديث النبوي قوله^{٥٤٩} ﷺ : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي) .

وكرمها وهي بنت فحث على تربيتها وتعليمها ، وجعل لتربية البنات أجرا عظيماً ، ومن ذلك قوله^{٥٥٠} ﷺ : (مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَصَمَّ أَصَابِعُهُ) .

ومثله^{٥٥١} قيل سَمِعْتُ ﷺ يَقُولُ : (مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ^{٥٥٢} كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) .

وكرم الإسلام المرأة كأخت وعممة وخالة ، فأمر بصلة الرحم ، وحث على ذلك ، وكرم قطيعتها في نصوص كثيرة كقوله^{٥٥٣} ﷺ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ .

٥٤٦ - سورة النساء ١٩ .

٥٤٧ - سورة البقرة ٢٢٨ .

٥٤٨ - رواه الامام البخاري برقم ٣٣٣١ ، والامام مسلم برقم ١٤٦٨ .

٥٤٩ - رواه الترمذي برقم ٣٨٩٥ ، وابن ماجه ١٩٧٧ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .

٥٥٠ - رواه الامام مسلم ٢٦٣١ .

٥٥١ - وروى الامام ابن ماجه ٣٦٦٩ ، عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

٥٥٢ - من جِدَّتِهِ : أي من غناه .

٥٥٣ - رواه ابن ماجه برقم ٣٢٥١ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه .

ومثله^{٥٤} عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - عن الرحم- : ﴿مَنْ وَصَلَكَ وَصَلَتْهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ﴾ . وقد تجتمع هذه الأوجه في امرأة واحدة ، فتكون زوجة و بنت وأم وأخت وعمة وخالة ، فينالها التكريم من هذه الأوجه مجتمعة .

فالإسلام رفع من شأن المرأة ، وسوى بينها وبين الرجل في أكثر الأحكام ، فهي مأمورة مثله بالإيمان والطاعة ، ومساوية له في جزاء الآخرة . ولها حق التعبير ، تنصح وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الله ، ولها حق التملك ، تباع وتشترى ، وترث ، وتتصدق وتهب ، ولا يجوز لأحد أن يأخذ مالها بغير رضاها .

ولها حق الحياة الكريمة ، لا يُعتدى عليها ، ولا تُظلم . ولها حق التعليم ، بل يجب أن تتعلم ما تحتاجه في دينها . ومن قارن بين حقوق المرأة في الإسلام وما كانت عليه في الجاهلية أو في الحضارات الأخرى علم حقيقة ما قلناه ، بل نجزم بأن المرأة لم تكرم تكريماً أعظم مما كرمتم به في الإسلام.

٥٥٤- حديث ٥٩٨٨ رواه البخاري ومن مؤلفاته : اختلف أصحاب التراجم في عدد مؤلفات البخاري ، فالمشهور أنه كتب سبعة عشر كتاباً في الحديث والرجال والتاريخ وغيرها .

وقد اهتم أهل السنة بكتب البخاري جميعها اهتماماً كبيراً وخاصة الجامع الصحيح ، ولا يوجد في أي ملة كتاب له من الشأن مثل ما للجامع الصحيح عند أهل السنة . قال شيخ الشريعة الاصفهاني بعد أن نقل فتوى البخاري من كتاب الكفاية في شرح الهداية - فقه المذهب الحنفي :

هذه الفتاوى إن دلت على شيء فإنها تدل على جهل البخاري وسداجته ، لأن نشر الحرمة في الرضاع فرع الأبوة والأمومة ولا يعقل أن يكون حيوان أباً لإنسان أو أما له .

يستفاد من عناوين الأبواب التي ذكرها البخاري في صحيحه ، أن هذه العناوين هي في الواقع فتاوى البخاري، وأن الأحاديث التي يوردها البخاري في تلك الأبواب تعتبر أدلة البخاري على آرائه كما قال الشيخ محي الدين: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط ، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها ، ولهذا المعنى أخلى كثيراً من الأبواب عن إسناد الحديث واقتصر على قوله فيه فلان عن النبي ﷺ أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير إسناد ، وقد يورده معلقاً.

وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوماً ، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريباً ، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة ، وفي بعضها ما فيه حديث واحد ، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شيء فيه البتة . هدى الساري: ٦ . المغرب . (أضواء على الصحيحين).

ولو حدثت بعض التصرفات فهي لا تحتسب على الاسلام فهي تصرفات شخصية مثل أقتحام بيت السيدة الزهراء عليها السلام واسقاط جنينها وكسر ظلعها الشريف.

وتصرف خالد بن الوليد مع مالك بن النويرة رضي الله عنه ليلة زفافه ودخوله على زوجته بلبلة قتل زوجها وغيرها كثير فهي تصرفات يتحمل مسؤوليتها من هتك حرمة الله تعالى. ولا داعي لأن نذكر حال المرأة في مجتمع الإغريق أو الفرس أو اليهود ، لكن حتى المجتمعات النصرانية^{٥٥} كان لها موقف سيء مع المرأة.

فقد اجتمع اللاهوتيون في (مجمع ماکون) لبحثوا : هل المرأة جسد بحت أم جسد ذو روح ؟ وغلب على آرائهم أنها خلّو من الروح الناجية ، ولا يستثنى من ذلك إلا مريم عليها السلام. والقانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات.

وفي العصر الحديث أصبحت المرأة تطرد من المنزل بعد سن الثامنة عشرة لكي تبدأ في العمل لنيل لقمة العيش. وإذا ما رغبت في البقاء في المنزل فإنها تدفع لوالديها إيجار غرفتها و ثمن طعامها وغسيل ملابسها^{٥٦} !.

فكيف يقارن هذا بالإسلام الذي أمر ببرها والإحسان إليها وإكرامها ، والإنفاق عليها ؟.

وأما تغير هذه الحقوق عبر العصور ، فلا تغير فيها من حيث المبدأ والتأصيل النظري. وأما من حيث التطبيق الذي لا شك فيه أن عصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان المسلمون فيه أكثر تطبيقاً لشرعة ربهم ، ومن أحكام هذه الشريعة: بر الأم والإحسان إلى الزوجة والبنت والأخت والنساء بصفة عامة .

وكلما ضعف التدين كلما حدث الخلل في أداء هذه الحقوق ، لكن لا تزال طائفة إلى يوم القيامة تتمسك بدينها ، وتطبق شريعة ربها ، وهؤلاء هم أولى الناس بتكريم المرأة وإيصال حقوقها إليها.

٥٥٥- عقد الفرنسيون مؤتمراً سنة ٥٨٦م للبحث في شأن المرأة : هل لها روح أم لا ؟ ، وإذا كانت لها روح هي روح حيوانية أم روح إنسانية ؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان ! ولكنها خلقت لخدمة الرجل فحسب . وأصدر البرلمان الإنجليزي قراراً في عصر هنري الثامن يحظر على المرأة أن تقرأ (العهد الجديد) لأنها تعتبر نجسة.

٥٥٦- راجع : كتاب عودة الحجاب ٢ / ٤٧ - ٥٦ .

ورغم ضعف الدين عند كثير من المسلمين اليوم إلا أن المرأة تبقى لها مكانتها ومنزلتها ، أمّا وبنّا وزوجة وأختا ، مع التسليم بوجود التقصير أو الظلم أو التهاون في حقوق المرأة عند بعض الناس ، وكل مسئول عن نفسه.

وأخيرا كلام الإمام علي عليه السلام كان تكريما للمرأة ووضعها المكانة التي وضعها الله تعالى بها، حيث لم يحملها مشقة الخدمة والعمل في المنزل وأعتبر أجر ما تقوم به من اعمال في رعاية بيتها كأجر الجهاد في سبيل الله.

(ح) :- خطر تمادي الرجل في الغيرة

ثم ينهي الامام عليه السلام في موعظته حول معاملته المرأة، ينهى الرجل عن التمادي في الغيرة على النساء والزوجة ، فيسيء الظن بمن بدون سبب ، فان ذلك يولد فيهن رد فعل سيء.

فخير الامور الوسط، وكل شيء في محله جميل. يقول عليه السلام: (واياك والتغاير في غير موضع غيره، فان ذلك يدعو الصحيحه الى السقم، والبرئته الى الريب). فاذا كانت المرأة سوية بريئة فان شدة الضغط عليها قد يولد الانفجار، فتميل الى الشذوذ والى سلوك سبل الريب. وجهاد المرأة جانب هام من وظيفتها الفطرية، وذلك حينما تكون زوجها صالحه.

ان سبب نجاح الزواج كامن في علاقة المحبة والالفة بين الزوجين، وفي التوافق النفسي والروحي بينهما وتلعب هنا العلاقة الزوجية دورا كبيرا. لذلك اكد الشارع الحكيم على تقوية العلاقة ليصون الاسرة ويجعل بناءها قويا متينا ووضع المسؤولية الكبرى في تمتين تلك الرابطة على الزوجه بالذات.

لانها اوتيت الوسائل اللازمة لذلك ، واعتبر عملها هذا في تقوية تلك الرابطة مسؤولية كبيرة لا يجوز لها ان تستهين بها ، وسماها (جهاد المرأة) في مقابل (جهاد الرجل). الذي يقصد به مجاهدة الاعداء والسعي في تامين ضرورات الحياه. وقد ترجم الإمام علي عليه السلام هذا المعنى بقوله: (هاد المرأة حسن التبعل).

ويقصد بالتبعل اطاعه المرأة لزوجها وتامين كل حاجاته المادية والعاطفية ، حتى يظل مشدودا اليها ومشغولا بها عمن سواها، فتكون له درءا يجنبه الحرام، وحافظا يصونه من طوارق الايام.

وفي ذلك يقول النبي ﷺ : (ما استفاد امرؤ فائدة بعد الاسلام افضل من زوجه مسلمه ، تسره اذا نظر اليها ، وتطيعه اذا امرها ، وتحفظه اذا غاب عنها ، في نفسها وماله) .

وجاء في كتاب آداب الاسرة في الإسلام قال : من أجل تعميق العلاقات العاطفية وإدامة الروابط الروحية وادخال السرور والمتعة في نفس الزوج ، يستحب للمرأة الاهتمام بمقدمات ذلك ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال : « جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ، ما حق الزوج على المرأة ؟ قال ﷺ : أكثر من ذلك .

فقالت : فخيرني عن شيء منه فقال ﷺ : ليس لها أن تصوم إلا باذنه . يعني تطوعاً . ولا تخرج من بيتها إلا باذنه ، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها ، وتلبس أحسن ثيابها ، وتزين بأحسن زينتها ، وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها »^{٥٥٧} .

ويستحب لها كما يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام : « .. إظهار العشق له بالخلاصة والهيئة الحسنة لها في عينه »^{٥٥٨} .

وفي رواية جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إن لي زوجة إذا دخلت تلقيني ، وإذا خرجت شيعتني ، وإذا رأيتني مهموماً قالت : ما يهّمك ، إن كنت تهتم لرزقك فقد تكفل به غيرك ، وإن كنت تهتم بأمر آخرتك فزادك الله همّاً .

فقال رسول الله ﷺ : « بشرها بالجنة ، وقل لها : إنك عاملة من عمّال الله ، ولك في كلّ يوم أجر سبعين شهيداً » .

وفي رواية : « إن لله عزّ وجلّ عمّالاً ، وهذه من عمّاله ، لها نصف أجر الشهيد »^{٥٥٩} .

ويحرم على الزوجة أن تعمل ما يسخط زوجها ويؤلمه في ما يتعلق بالحقوق العائدة إليه ، مثل ادخال بيته من يكرهه ، أو سوء خلقها معه ، أو اسماعه الكلمات المثيرة وغير اللائقة .

قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة آذت زوجها بلسانها لم يقبل منها » .

٥٥٧ - كتاب اصول الكافي ٥ : ٥٠٨ .

٥٥٨ - تحف العقول : ٢٣٩ .

٥٥٩ - مكارم الاخلاق : ٢٠٠ .

ومن أجل تعميق العلاقات العاطفية وإدامة الروابط الروحية وادخال السرور والمتعة في نفس الزوج ، يستحب للمرأة الاهتمام بمقدمات ذلك ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ما حق الزوج على المرأة ؟ قال : أكثر من ذلك صرفاً ولا عدلاً ولا حسنة من عملها حتى ترضيه »^{٥٦٠}.

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام : « أيما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حق ، لم تقبل منها صلاة حتى يرضى عنها ، وأيما امرأة تطيبت لغير زوجها ، لم تقبل منها صلاة حتى تغتسل من طيبها ، كغسلها من جنباتها »^{٥٦١}.

ويحرم على الزوجة أن تهجر زوجها دون مبرر شرعي^{٥٦٢} قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة هجرت زوجها وهي ظالمة حشرت يوم القيامة مع فرعون وهامان وقارون في الدرك الأسفل من النار إلا أن تتوب وترجع »^{٥٦٣}.

ومن أجل الحيلولة دون تمادي الزوجة غير المطيعة في ارتكاب الممارسات الخاطئة التي تخلق أجواء التوتر في الأسرة ، جعل الإسلام للزوج حق استخدام العقوبات المؤدبة لها إذا لم ينفع معها الوعظ والارشاد.

وتندرج العقوبة من الأخف أولاً ثم الأشد ثانياً حسب حال المرأة ومقدار نشوزها واعراضها وعدم طاعتها بعد بذل النصيحة والموعظة ، قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّاتِي خَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾^{٥٦٤}.

فتجوز له العقوبة إذا منعه من نفسها ، وتسلّطت عليه بالقول أو الفعل ، فيبدأ بوعظها وتخويفها من الله تعالى ، فإن أثر ذلك وإلا هجرها بالاعراض عنها في مدخله ومخرجها ومبيتها من غير اخلال بما يحفظ حياتها من غذاء ولباس.

٥٦٠- مكارم الاخلاق : ٢٠٢ .

٥٦١- الكافي ٥ : ٥٠٧ .

٥٦٢- جواهر الكلام ٣١ : ٢٠١ . ومنهاج الصالحين - المعاملات : ١٠٣ .

٥٦٣- مكارم الاخلاق : ٢٠٢ .

٥٦٤- سورة النساء : ٣٤ .

فان أثر ذلك وإلاّ ضربها ضرباً غير مبرّح ، وإن خرجت من منزله بغير إذنه أو باذنه وامتنعت عن الرجوع إليه فله ردّها ، وإن أبت فله تأديبها بالاعراض عنها وقطع الانفاق^{٥٦٥}.

وأكدت الروايات على مراعاة حق الزوج ، واتباع الأساليب الشّيقة في ادامة أواصر الحبّ والوثام بينهما ، وخلق أجواء الانسجام والمعاشرة الحسنة داخل الأسرة.

فجعل الإمام الباقر عليه السلام حسن التبعل جهاداً للمرأة فقال عليه السلام : « جهاد المرأة حسن التبعل »^{٥٦٦}.

ولأهمية مراعاة هذا الحق قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا تؤدي المرأة حق الله عزّ وجلّ حتى تؤدي حق زوجها »^{٥٦٧}. وذكر صلى الله عليه وآله طاعة الزوج في سياق ذكره لسائر العبادات والطاعات التي توجب دخول الجنة ، حيث قال صلى الله عليه وآله : « إذا صلّت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأحصنت فرجها ، وأطاعت بعلها ، فلتدخل من أيّ أبواب الجنة شاءت »^{٥٦٨}.

اسماء بنت يزيد الأنصارية

ولبيان الفرق بين جهاد المرأة وجهاد الرجل ، وان جهاديهما متكاملان ، نورد قصه اسماء بنت يزيد الأنصارية ، وافدة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومجمل القصه ان اسماء اتت الى النبي صلى الله عليه وآله وهو في اصحابه فقالت: بأبي وامي انت يا رسول الله صلى الله عليه وآله ، انا وافدة النساء اليك. ان الله عز وجل بعثك الى الرجال والنساء كافه، فأمنّا بك وبأهلك. وانا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم ومقتضى شهواتكم وحاملات اولادكم .

وانكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ . وان احدكم اذا خرج حاجا او معتمرا او مجاهدا حفظنا لكم اموالكم، وغزلنا اثوابكم، وربينا اولادكم، افما نشارككم في هذا الاجر والخير؟

٥٦٥- الكافي في الفقه : ٢٩٤ .

٥٦٦- من لا يحضره الفقيه ٣ : ٢٧٨ .

٥٦٧- مكارم الاخلاق : ٢١٥ .

٥٦٨- نفس المصدر : ٢٠١ .

فالتفت النبي ﷺ الى اصحابه بوجهه كله، ثم قال ﷺ : هل سمعتم مسألة أمراه قط، أحسن من مسألتها هذه في أمر دينها ؟ فقالوا: يا رسول الله اي امره تقتدى الى مثل هذا ؟ فالتفت اليها النبي ﷺ وقال : افهمي ايتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء، ان حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها امره، يعدل ذلك كله^{٥٦٩}.

فهذه فتاة بكر شكت إلى الرسول ﷺ أن أباهأ أرغمها على الزواج من رجل يريد هو ولا تريده هي ، فأذن لها الرسول ﷺ في فسخ عقد زواجها معلناً أنه ليس للآباء من أمر بناتهم شيء .

وهذه خنساء بنت خزام الأنصارية تشكو إلى رسول الله ﷺ أن أباهأ لم يأذن لها في اختيار الرجل الذي اختاره قلبها ، وأرغمها على الزواج من رجل آخر. فقال لها الرسول ﷺ : لا نكاح له ، انكحي من شئت ، ورد نكاح أبيها، وأذن لها في الزواج ممن اختارته هي على الرغم من أبيها^{٥٧٠}.

(ط) :- مظاهر الكمال النقص

بعض النساء أتهمن الامام علي عليه السلام بالتحامل على المرأة والسبب لأنه وسمها بالتكامل من النقص . ولكن كلام الامام عليه السلام هو كبيان حال لها، وليس مقصوده الخط من قيمة المرأة تجاه الرجل. فكل شيء لا يملكه الانسان هو نقص فيه .

فإذا كانت المرأة معذورة لنقص في بعض الامور ، فان الرجل ناقص في امور اخرى . إلا ان القران الكريم قدم الرجل لقوله تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)^{٥٧١}.

وقد حدد الإمام علي عليه السلام ضعف المرأة في ثلاثة مجالات هي (العقول والحظوظ والطهارة).

يقول الإمام علي عليه السلام من خطبه له بعد فراغه من قتال السيدة عائشة في حرب الجمل، في بيان النساء: (معاشر الناس. ان النساء نواقص الايمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول.

٥٦٩- المجالس السنية ج ٢ ص ٥ و ١٣٣ .

٥٧٠- الغزالي حرب - استقلال المرأة في الإسلام - ص ٣١ - ٣٤ .

٥٧١- سورة النساء ٣٤، هذه الاية ليست في مقام تقرير الافضلية النهائية والمطلقة للرجل على المرأة وانما هي مقام اعطاء الرجل حق القيمومه على المرأة وتقرير: ان القرار النهائي يرجع اليه لانه هو الذي يتصدى للانفاق على المرأة ولانه هو الذي يملك قدره اكبر على اتخاذ القرار الانسب مادام ان عواطفه ليست بدرجة من القوه بحيث تمجن على عقله ولاسباب اخرى. ولذلك جعل الله قيادة الاسرة بيد الرجل.

فأما : نقصان إيمانهن فقعودهن عن الصلاة والصيام في أيام حيضهن .

وأما : نقصان عقولهن فشهادتهن إمرأتين كشهادته الرجل الواحد .

وأما : نقصان حظوظهن فموارثتهن على الانصاف من موارث الرجال .

فاتقوا شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر. ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر (. انتهى .

وإذا كانت طاعة المرأة للرسول ﷺ شريعة محكمة وفريضة ثابتة؛ لصيانة كرامة المرأة والمجتمع عامة؛ ولتدعيم مبدأ العفة . فإن تشريعاً آخر يرتبط بهذه الغاية ويقويها، وهو إباحة تعدد الزوجات، الذي تم تشويه حقيقته من خلال الطرح الإعلامي المشوه، ومن خلال الممارسة الخاطئة له .

رغم أن الواقع التطبيقي لهذا التشريع حتى في المجتمعات غير الإسلامية يؤدي لدعم مكانة المرأة وقيمتها في المجتمع. ولتوضيح ذلك قارن بين المجتمعات التي يسود فيها تشريع التعدد كيف تكون فيها المرأة ذات قيمة كبيرة، في مقابل المجتمعات التي تحرم وتحرم هذا التشريع تكون فيها المرأة ذات قيمة أقل.

فالتعدد تشريع ثابت محكم، مشروط بالعدل، محقق لكرامة المرأة وميسر لها الزواج بكرامة وعفة، بغض النظر عن حالها من ترمل أو طلاق أو كبر. وفي المقابل فإن حالات اجتماعية كثيرة لا يكون حلها إلا بالتعدد مثل عقم الزوجة، أو مرضها، أو طبيعة مهنتها، أو وضعها القانوني كالجنسية، وحالات أخرى كثيرة.

وكلها لا بديل فيها عن التعدد إلا الطلاق، وهو أكره ما يمكن أن يحدث بين زوجين يكن كل منهما المودة والرحمة للآخر، كما أن التعدد في كثير من الأحيان يكون سبب لحفظ كرامة الأطفال.

وذلك بإيجاد الأب البديل للطفل اليتيم أو الفاقد للأب، عوضاً عن التشرّد أو دور الأيتام كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾^{٥٧٢}.

فالإسلام راعى مصلحة المجتمع من الرجال والنساء بشكل عام، بما يحقق مقاصد الزواج للطرفين، وبما يشبع حاجاتهم النفسية والاجتماعية، من العفة، والسكن، والذرية، حتى لو تعارض بعض الاحيان مع الرغبة الآنية، والمصلحة الطيقة الخاصة بالمرأة المتزوجة.

وسوف نشرح باختصار فيما يلي مظاهر الاختلاف السابقه وعواملها من خطبة الامام علي عليه السلام يوم الجمل:

- الطهارة (الايمان)

وقد عبر عنه الامام عليه السلام بنقص الايمان في قوله (ان النساء نواقص الايمان) ذلك ان العبادة التي هي لب الايمان لا تستقيم بدون طهاره. ولكن يستطيع الرجل ممارسة العبادات في كل وقت، نجد ان المرأة تقعد عن الصلاه والصيام في أيام الحيض، وهي تشكل نحواً من ربع حياتها.

وسبب ذلك ان المرأة اثناء الحيض تعاني من تبدلات عضويه ونفسيه تجعلها غير مهية لممارسه العبادات بقوله تعالى:

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى ۖ ﴾^{٥٧٣}.

ويصح ذلك بالنسبة للجنب من الزوجين، فالجنابة والحيض والنفاس يرافقها ظلمة تغطي النفس لا تزول إلا بزوالها. هذا وإن حال الحيض لما تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والانجاب والارضاع. فهو ليس منقصه للمرأة بل كرامه تعتر بها. لأن المرأة بهذا النحو تكون منجبه للاجيال وصانعه للابطال.

فكثيراً من الذين يحسون بقسوة قلوبهم يبحثون عن علاجات خارجية يريدون الاعتماد فيها على الآخرين مع أن بمقدورهم (لو أرادوا) علاج أنفسهم بأنفسهم وهذا هو الأصل.

لأن الإيمان علاقة بين العبد وربّه وفيما يلي ذكر عدد من الوسائل الشرعية التي يمكن للمرء المسلم أن يعالج بها ضعف إيمانه ويزيل قسوة قلبه بعد الاعتماد على الله عز وجل وتوطين النفس على المجاهدة وهي:-

١- تدبر القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل تبياناً لكل شيء ونوراً يهدي به سبحانه من شاء من عباده ، ولا شك أن فيه علاجاً عظيماً ودواءً فعالاً قال الله ﷻ : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^{٥٧٤} ، ومن طرق العلاج مثل التفكير والتدبر.

وكان النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام يتدبرون القرآن وقد بلغوا في ذلك مبلغاً عظيماً.

والقرآن فيه توحيد ووعيد وأحكام وأخبار وقصص وآداب وأخلاق وآثارها في النفس متنوعة وكذلك من السور ما يهرب النفس أكثر من سور أخرى.

٢- استشعار عظمة الله عز وجل ، ومعرفة أسمائه وصفاته ، والتدبر فيها ، وعقل معانيه واستقرار هذا الشعور في القلب وسريانه إلى الجوارح لتنتطق عن طريق العمل بما وعاه القلب فهو ملكها وسيدها وهي بمثابة جنوده وأتباعه فإذا صلح صلحت وإذا فسد فسدت .

٣- محاولة طلب العلوم الشرعية لمعرفة أحكام الشرع الذي يؤدي تحصيله إلى خشية الله وزيادة الإيمان به عز وجل كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^{٥٧٥}.

٤- لزوم حلق الذكر وهو يؤدي إلى زيادة الإيمان لعدة أسباب منها ما يحصل فيها من ذكر الله ، وغشيان الرحمة ، ونزول السكينة ، وحف الملائكة للذاكرين ، وذكر الله لهم في الملاء الأعلى ، ومباهاته بهم الملائكة، ومغفرته لذنوبهم.

٥- ومن الأسباب التي تقوي الإيمان الاستكثار من الأعمال الصالحة من مواساة عوائل الشهداء وهذا من أعظم أسباب العلاج وهو أمر عظيم وأثره في تقوية الإيمان ظاهر كبير.

٦- تنويع العبادات : من رحمة الله وحكمته أن نوع علينا العبادات فمنها ما يكون بالبدن مثل الصلاة في العتبات المقدسة ومنها ما يكون بالمال كالخمس ومنها ما يكون بجها معاً كالحج والزيارة ومنها ما هو باللسان كالذكر والدعاء.

٧- ومن علاجات ضعف الإيمان : الخوف من سوء الخاتمة ، لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة ويجدد الإيمان في القلب.

٥٧٤- سورة الاسراء ٨٢ .

٥٧٥- سورة فاطر ٢٨ .

٨- الإكثار من ذكر الموت : يقول الرسول ﷺ : (أكثروا من ذكر هائم اللذات يعني الموت).

٩- ومن الأمور التي تجدد الإيمان بالقلب تذكر منازل الآخرة لمظلومية أهل البيت عليه السلام .

١٠- ومن الأمور التي تجدد الإيمان : التفاعل مع الآيات الكونية.

١١- ومن الأمور بالغة الأهمية في علاج ضعف الإيمان ذكر الله تعالى وهو جلاء القلوب وشفافها ، ودواؤها عند اعتلالها ، وهو روح الأعمال الصالحة وقد أمر الله به فقال ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ ٥٧٦ .

وواعد بالفلاح من أكثر منه فقال : ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ٥٧٧ ، وذكر الله أكبر من كل شيء قال الله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ ٥٧٨ .

١٢- ومن الأمور التي تجدد الإيمان مناجاة الله والانكسار بين يديه عز وجل ، وكلما كان العبد أكثر ذلة وخضوعاً كان إلى الله أقرب.

١٣- قصر الأمل : وهذا مهم جداً في تجديد الإيمان .

١٤- التفكير في حقارة الدنيا حتى يزول التعلق بها من قلب العبد قال الله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ ٥٧٩ .

١٥- ومن الأمور المجددة للإيمان في القلب : تعظيم حرمة الله ، يقول الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ ٥٨٠ .

وحرمة الله تعالى هي حقوقه سبحانه وقد تكون في الأشخاص وقد تكون في الأمكنة وقد تكون في الأزمنة، فمن تعظيم حرمة الله في الأشخاص القيام بحق الرسول ﷺ ونصرة أهل بيته عليه السلام .

٥٧٦- سورة الاحزاب ٤١ .

٥٧٧- سورة الجمعة ١٠ .

٥٧٨- سورة العنكبوت ٤٥ .

٥٧٩- سورة الحديد ٢٠ .

٥٨٠- سورة الحج ٣٢ .

ومن تعظيم شعائر الله في الأمكنة مثل تعظيم الحرم والعتبات المقدسة ومن تعظيم شعائر الله في الأزمنة مثل تعظيم شهر رمضان ومناسبات أهل البيت عليه السلام : ﴿ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ﴾^{٥٨١}.

١٦- ومن الأمور التي تجدد الإيمان في القلب : الولاء لأئمة أهل البيت عليهم السلام وذلك أن القلب إذا تعلق بأعداء الله يضعف جداً وتذوى معاني العقيدة فيه ، فإذا جرد الولاء للآل الله فوالى عباد الله المؤمنين وناصرهم ، وعادى أعداء الله ومقتهم فإنه يحيى بالإيمان.

١٧- وللتواضع دور فعال في تجديد الإيمان وجلاء القلب من صدا الكبر والتكبر ، لأن التواضع في الكلام والمظهر دال على تواضع القلب لله.

١٨- وهناك أعمال للقلوب ، مهمة في تجديد الإيمان مثل محبة الله والخوف منه ورجائه وحسن الظن به والتوكل عليه ، والرضا به وبقضائه ، والشكر له والصدق معه واليقين به ، والثقة به سبحانه ، والتوبة إليه وما سوى ذلك من الأعمال القلبية من محبة أهل البيت عليهم السلام.

وهناك مقامات ينبغي على العبد الوصول إليها لاستكمال العلاج كالاستقامة والإنابة والتذكر والاعتصام بالكتاب والسنة والخشوع والزهد والورع والمراقبة وقد أفاض لنا أئمة أهل البيت عليهم السلام الكثير منها.

١٩- ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول عليه السلام :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾^{٥٨٢} فلا بد أن يكون للمسلم وقت يخلو فيه بنفسه فيراجعها ويحاسبها وينظر في شأنها ، وماذا قدم من الزاد ليوم المعاد.

٢٠- وختاماً فإن دعاء الله عز وجل من أقوى الأسباب التي ينبغي على العبد أن يبذلها كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

(إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم).

٥٨١- سورة الحج ٣٠ .

٥٨٢- سورة الحشر الآية ١٨ .

– الحظوظ (المواريث)

ويقصد به حظ المرأة في الارث، فنصيب النساء على الانصاف من نصيب الرجال، وذلك في قوله تعالى (لذكر مثل حظ الانثيين). وهو تكريم كبير للمرأة ففي حين لم يطالب الاسلام المرأة بايه نفقه لاحد، نراه يعطيها نصف ما يعطى الرجل. بينما طالب الرجل بالانفاق على اسرته ووالديه وحتى على اخوته ان كانوا محتاجين.

فالتفريق في سهم الارث انما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة والتكليف بين الرجل والمرأة. ولو اعطى الله المرأة كالرجل في تلك الحال لكان اعتبر ذلك ظلما وجورا. وهذا النقص ايضا ليس دعوة للتقليل من قيمه المرأة، وانما هو لتحقيق العدل والانصاف، والتعادل بين الحق والواجب والعناية الفائقة التي جاءت بها شريعتنا السمحاء ، وديننا الكامل لهذه الأسرة.

ففي كل ما سنتعرض له هي ومضات سريعة وخلاصات موجزة مركزة ؛ لأننا نريد رسم صورة كاملة ؛ فإنها أعظم نفعاً، وأكثر في التأثير والمعرفة التي تنبها على حقيقة هذا الموضوع ، وأهمية ما يتعلق بخطورته من أن نفيض في الجوانب التفصيلية والفرعية العناية ، الفائقة تظهر من وجوه كثيرة فمنها :

١ – التشريعات التفصيلية :

لقد جاء القرآن الكريم والسنة النبوية مشتملة على تشريعات تفصيلية كثيرة فيما يتعلق بالأسرة وأحكامها من الزواج والطلاق والعدد والإحداد ونحو ذلك من المواريث وما يلحق بهذا ، إلى أحكام الرضاعة والحضانة ، في تفصيلات كثيرة .

٢ – دعوة الترغيب :

لهذه الأسرة وتأسيسها وبنائها كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾^{٥٨٣}.

والإعانة الإلهية تكفل بها الله تعالى لكل سالك في هذا السبيل ، وآخر في هذا الطريق طالب التزام الشرع ، واقتفاء الهدى النبوي ، طالب عفة تمنعه من الحرام.

وحياء يجعله في كمال من الإنسانية ، والفترة السوية كما جاء في تلك الآيات كذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ ﴾ ٥٨٤ .

والمنشوبة الربانية فيا عجباً لهذه الشريعة العظيمة كيف تجعل قضاء الوطر وأداء حظوظ النفس وممتعة وشهوة الغريزة إذا كانت على النهج السديد والشرع الحكيم أمراً تكتب به الحسنات وترفع به الدرجات.

وأسس البناء والتكوين لأنها ليست أساساً واحداً بل أسس متنوعة شاملة لكل ما يتصل بالإنسان وما يؤثر في حياته ؛ ليقوم هذا البناء على ذلك الأساس من:

أ - الأساس الإيمانى .

ب - الأساس الفطري .

ج - الأساس القانوني : فإن هذا الإناء لا بد أن يكون محكم لا تكفي فيه حتى الأساس الإيماني والفطري فجاء ليكون عقداً وله شروطه وعليه شهود وله تبعات ليس أمراً هيناً .

ولذا ما وصف العقد والميثاق في القرآن بالغلظ إلا في أمرين اثنين في عقد النوبة وميثاقها ، وفي عقد وميثاق الزواج قال تعالى :

﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذَنَّ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا عَظِيمًا﴾ ٥٨٥.

د - الأساس المالي .

هـ - الأساس العاطفي : فإن المحبة القلبية ، والميل النفسي هو ترجمة لحقيقة تلك المعاني.

واما أسس التعامل والتمثيل فهي مثل:

٥٨٤ - النور ٣٢ .

٥٨٥ - النساء ٢١ .

١ - حسن العشرة .

٢ - تحقيق المتعة : مما جاءت به الآيات ، كما قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴾ *
إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٥٨٦﴾ .

٣ - الطاعة والقوامة .

٤ - الخطاب الديني : من إنه ليس شيء من ذوات أنفسنا وليس شيء من تحكم الرجال أو من رغبتهم في تحقيق مرادهم ! بل هو من دين الله تعالى وجاءت فيه نصوص يعجز عنها بعض الناس ليتأملوا كثيراً لكي يدركوا حكمتها.

٥ - الخدمة والرعاية : ففيه الوصايا والأقوال والاختلافات الفقهية الفرعية ؟ فإن مبنى الأسرة في محبتها وفي رعاية مصالحها أكثر من أن تثار فيه مثل هذه المسائل .

٦ - النفقة والحماية .

٧ - التعليم والإرشاد : كقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ٥٨٧ .

وأما أسس الامتداد والنماء فهي مثل العلاقات الاجتماعية وتربية الأبناء وغيرها ، فقد أثبت الإسلام تقديره للمرأة ، ورعايته لحقوقها بإعطائها حق الميراث خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية الذين كانوا لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً ، ويقولون : (لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل وطعن بالرمح وضارب بالسيف وحاز الغنيمة) ٥٨٨ .

وكثير من الشعوب القديمة ، وبعض شعوب العصر الحاضر حرّموا المرأة ذلك الحق ، وحذر الإسلام من تفضيل الولد على البنت في الهبة والمعاملة المالية ، والتصرف لصالح الولد في الموارث الشرعية التي حددها القرآن الكريم ، كما قال الله تعالى :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾ ٥٨٩ .

٥٨٦ - المؤمنون ٥-٦ .

٥٨٧ - سورة التحريم ٦ .

٥٨٨ - القرطبي ، ج ٥ ، ص ٤٦ ؛ المنار ، ج ٤ ، ص ٣٩١ .

٥٨٩ - النساء ٧ .

وحذر الإسلام من التعدي على نصيب المرأة في الميراث فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَتَذَهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ ﴾^{٥٩٠}.

وقد تناولت الشريعة الإسلامية مسائل الميراث بإفاضة وتفصيل وتحديد ، شمل جميع حالاته وأسبابه وموانعه وترتيبه ، كما أعطى الإسلام المرأة الحق في إرث والديها وأقاربها وجعله نصيباً مفروضاً لها، وقرر قاعدة عامة في تثبيت شرعية الإرث الذي هو حق للجنسين ذكوراً وإناثاً .

وتعريف الميراث لغة : هو من ورث بكسر الراء يقال ورث أباه يرثه ورثا ووراثا وميراثا بكسر الكل بمعنى البقاء ومنه اسم الله تعالى : ﴿ الْوَارِثُ ﴾ ، أي الباقي بعد فناء الخلق ، ومن دعاء النبي ﷺ :

(اللهم متعني بسمعي وبصري واجعلهما الوارث مني)^{٥٩١} ، أي أبقهما معي صحيحين سالمين إلى أن أموت ، ومن هنا سمي من يستحق تركة الميت الوارث لبقائه وانتقال بقية مال الميت إليه^{٥٩٢}.

وأما شرعاً ، هو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة^{٥٩٣} . أما علم الميراث فهو قواعد من الفقه والحساب يتوصل بها إلى معرفة حق كل وارث من التركة ؛ مثل قاعدة : إن الأب يحجب الجد وإن الأم تحجب الجدة من أي جهة كانت ، وقاعدة إن العصبية تأخذ ما يبقى من التركة بعد أصحاب الفروض وتسقط إذا لم يبق لها شيء.

ويقصد هنا بالحساب الوارد في تعريف علم الميراث : حساب الفرائض من تأصيل المسائل وتصحيحها والمناسخات وقسمة التركات وغيرها ، مما يتوصل به لمعرفة حق كل وارث من التركة ، وليس المقصود به هنا علم الحساب المعروف .

٥٩٠- النساء ١٩ .

٥٩١- المستدرک ١٩٣٣ ، مصنف عبد الرزاق ١٩٦٤٠ .

٥٩٢- كشف القناع ج ٤ ص ٤٤ - العذب الفاضل في شرح عمدة الفارض ١٠ ص ١٢ .

٥٩٣- الشافعي ، احمد ، أحكام الموارث والوصايا والوقف في الشريعة الإسلامية ، ص ١١ ، طبعة دار الهدى للطبوعات ، القاهرة .

ويسمى كذلك بعلم الفرائض لان سهامه مقطوع بها كما قال الله سبحانه وتعالى بعد قسمة الموارث : ﴿ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾^{٥٩٤} ، ويقصد بلفظ الـ (فَرِيضَةً) النصيب المقرر شرعاً للوارث .

واما أدلة مشروعية الميراث فقد جاء في الكتاب (القرآن) قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾^{٥٩٥} .

واما في السنة ، كما قال رسول الله ﷺ : (أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فمن مات وعليه دين ولم يترك وفاءً فعلينا قضاؤه ، ومن ترك مالا فلورثته)^{٥٩٦} .

وتلاحظ من حكمة مشروعية الميراث عدم تفتيت الثروة مع الحفاظ على ترابط الأسرة من خلال إشراكهم في مصالح مالية مشتركة وإزالة أسباب الفرقة والحسد والتباغض ، ومن أسباب الميراث منها :

منها : (النسب) كما في قوله تعالى: ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾^{٥٩٧} .

منها : (الزواج الصحيح) كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ ﴾^{٥٩٨} .

وقيل : عدم المساواة في الميراث من دواعي إحجام كثير من الشباب عن الزواج من المرأة الفقيرة غير القادرة على المشاركة في نفقة البيت !؟ .

رغم أن المرأة الأوروبية ترث بمقدار ما يرثه الرجل ، نجد أن الإعراض عن الزواج عند الشباب الأوروبي منتشر أكثر منه في المجتمع الإسلامي ، فالمرأة ملزمة بدفع المهر لزوجها عند بعضهم ومكلفة بالتخلي عن إدارة أموالها له .

٥٩٤ - النساء ١١ .

٥٩٥ - النساء ٧ .

٥٩٦ - البخاري : كتاب الفرائض - باب قول النبي ﷺ في ترك مالا فالأهله ٦٣٥٠ .

٥٩٧ - الانفال ٧٥ .

٥٩٨ - النساء ١٢ .

ولو أصبح نصيبها في الميراث مساوياً لنصيب الرجل في كافة الأحوال لكان من العدالة أن تلتزم بالإنفاق على البيت والأسرة مثل الرجل ، وفي ذلك حرمان يعود بالشقاء والبؤس على الزوجات الفقيرات اللاتي لم ينلن ميراثاً من ذويهن .

وهذا يشمل عدداً كبيراً من الزوجات خصوصاً غير العاملات اللاتي يعجزن عن مقاومة هذا الشقاء أو التخفيف منه ، والمرأة المسلمة تتمتع بكافة أنواع الاستقلال في إدارة أعمالها وأموالها ، بينما نجد المرأة في أنظمة أخرى محرومة من هذه الامتيازات إذ لا يمكنها أن تنفق مالها ، ولا أن تتعاقد مع الغير ولا أن تحترف حرفة دون تصديق زوجها وموافقته .

بينما يكفل الإسلام للمرأة الحياة الكريمة ويوجب نفقتها على ذويها الذكور في جميع مراحل حياتها دون مساس بمالها إلا عن طيب خاطر، وأما مساعدة المرأة الغنية لزوجها في الإنفاق بسبب ضيق حاله فهي محض تطوع منها وهي غير ملزمة بها ، وتؤجر عليها .

كما روي عن أم المؤمنين أم سلمة عليها السلام أنها قالت :

يا رسول الله ، هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم ولست بتاركتهم هكذا وهكذا وإنما هم بني ؟ .

قال صلى الله عليه وسلم : (نعم لك أجر ما أنفقت عليهم)^{٥٩٩} .

وقال عالم الاجتماع غوستاف لوبون في هذا الموضوع :

(منح القرآن المرأة حقوقها الإرثية أحسن مما في قوانيننا الأوروبية ، وإن قوانين الميراث التي نص عليها القرآن على جانب كبير من العدل والإنصاف وإن الشريعة الإسلامية منحت الزوجين حقوقاً في الموارث لا نجد مثلها في قوانيننا)^{٦٠٠} .

٥٩٩ - البخاري: كتاب النفقات - باب على الوارث مثل ذلك - ٥٠٥٤ .

٦٠٠ - غوستاف لوبون ، حضارة العرب ، ص ٤٧٤ .

– شهادة امرأتين برجل

وقد شرحنا جانب منه حينما ذكرنا التفاوت بين المرأة والرجل من حيث توزيع العقل والعاطفة ،
ليقوم كل منهما بدوره على احسن وجه .

وقد ورد هذا النقص على لسان الامام عليه السلام في موضع آخر من النهج، وذلك في وصيته لعسكره
قبل لقاء العدو بصفين، حين وصاهم بعدم التعرض للنساء بأذى، وان تفوهن بألفاظ السب والشتم.

يقول عليه السلام : (ولا تهيجوا النساء بأذى ، وان شتمن اعراضكم وسبين امراءكم ، فانهن ضعيفات
القوى والانفس والعقول) .

فمن صفه النساء اذا اثرت حفيظتهن، انهن يسترسلن في التفوه بانواع الكلام ، دون ان يستطعن
كبح جماح انفسهن وعاطفتهن . ولهذا السبب كانت المرأة في الماضي اذا تكلمت امام السلطان او
الامير، فلا يحاسبها كما يحاسب الرجل، بل يقول: انها امرأة والمرأة تتكلم بعاطفتها.

ولهذا السبب اعتبر الشارع المقدس شهادة المرأتان مثل شهادة الرجل الواحد، لان المرأة بدافع
عاطفتها الغالبة عليها يمكن ان تحور مضمون الشهادة فتخرجها عن حقيقتها، اضافته الى انها كثيره
النسيان وقليله الدقة العقلية .

ولا ينفي ذلك تمتع بعض النساء بعقول ناضجه قد تفوق عقول الرجال.

وجاء في الامثل سبب اعتبار شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، فهو لأن المرأة كائن
عاطفي وقد تقع تحت مؤثرات خارجية، لذلك فوجود امرأة أخرى معها يحول بينها وبين التأثير العاطفي
وغيره : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾^{٦٠١} .

وتعليل الإمام عليه السلام في مسألة نقصان العقل هو ان شهادة امرأتين هي في حكم شهادة رجل
واحد ، جاء في القرآن :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾^{٦٠٢} .

٦٠١ - سورة البقرة ٢٨٢ .

٦٠٢ - سورة البقرة ٢٨٢ .

ولكن هذا لا يعود إلى مسألة التفكير والعقل ، فالقرآن يذكر نكتة ذلك ويقول : ﴿ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ ٦٠٣ .

وامرأتان من أجل ان يكون لكليهما حضور في الحادثة وهذا يعود إلى ضعف الذاكرة وليس إلى ضعف العقل ، لأن المرأة مشغولة بأعمال البيت وتربية الطفل ، ومشكلات الأمومة.

لذا من الممكن ان تنسى تلك الحادثة التي رآتها . بناء على هذا تحضر امرأتان في هذه القضية حتى تذكر أحدهما الأخرى . ولكن في بعض الحالات شهادة المرأة مسموعة ومقبولة كاملاً.

ومن طبيعة المرأة النفسي وجد ان القدرة العاطفية هي المحور الأساسي الذي يوجه نفس حواء وتفكيرها. وبالتالي وجود امرأة أخرى كفيل بالقضاء على أي لون من ألوان الخضوع لأي انفعال أو تأثير أو إيجاء .

فهذا الأمر لا يعدو أن يكون من قبيل الخيطة والاستيثاق والضمان، وليس فيه مطلقاً ما يחדش كرامة المرأة أو يقلل من إنسانيتها وقدرها.

فمثلاً من أسباب إباحة تعدد الزوجات :

- ١ - قد يزيد عدد النساء في المجتمع عن عدد الرجال لظروف حرب أو غيرها.
- ٢ - قد تكون رغبة الرجل في التعبير من طاقته الجنسية ملحة.
- ٣ - من المعروف أنّ فترة الإخصاب عند الرجل تمتد إلى سبعين عاماً أو ما فوقها، بينما هي عند المرأة في غالب الأحيان تقف عند سن الخمسين أو قريباً منها وتلك فطرة الله التي فطر عليها كلاً من الذكر والأنثى.
- ٤ - قد تكون الزوجة الأولى غير مهيأة للحمل والولادة أصلاً.
- ٥ - قد يكون في التعدد كفالة لامرأة صالحة لا كافل لها، وحماية لها من ضغوط الحاجة.
- ٦ - قد يكون في التعدد صيانة لزوجة شهيد من شهداء الإسلام ورعاية لأبنائه وكفالة لهم.
- ٧ - قد يكون في التعدد رعاية ليتامى.

فإن الإسلام وهو يبيح التعدد إنما يتجاوب مع الواقع الذي يعيشه الناس في الحياة ويواجهه بالحلول الواقعية كذلك . ومن أقرب الأمثلة على ذلك تلك المرأة المخزومية التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفحمته حتى قال: ألا تعجبون من أمام أخطأ وامرأة أصابت، فاضلت امامكم ففضلته!؟.

– القوامة :

ثمة خصائص مشتركة وصفات متماثلة بين الذكر والأنثى إلا إن لكل منهما سماته المميزة وإمكاناته الخاصة الفريدة ، فالنوع الواحد يجمع بين الرجل والمرأة في الخصائص والصفات الآدمية في حين يمتاز أحدهما عن الآخر في السمات المتعلقة بجنسه .

وبذلك قرر الإسلام لكل منهما حقوقا على الآخر ، وألزمهم بواجبات تتناسب مع فطرته وطبيعته فقال تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^{٦٠٤}.

فالله سبحانه وتعالى جعل معيار التفضيل بين خلقة التقوى وجعل الميدان مفتوحا للمنافسة في ذلك قال الله تعالى : ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾^{٦٠٥}، وكذلك قوله تعالى : ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾^{٦٠٦}.

وقد جعل الإسلام للرجل مهمة ودورا في الحياة ، وللمرأة مهمة ودورا كذلك ، وجعل الدورين متكاملين متناسقين ، حتى تتم مهمة إعمار الأرض واستمرار الحياة ، والفضل بينهما متعلق بقيام كل منهما بواجباته تجاه ربه وشريكه والمجتمع .

فالأصل في الحياة الزوجية أن تكون حياة اطمئنان ، وعشرة الزوجين عشرة صحبه ، وقوامة الزوج على زوجته قوامة رعاية ، لا قوامة استبداد وتسلط ، وقد فرض عليها الإسلام الطاعة الواعية وفرض عليه النفقة وحسن الرعاية بالمعروف .

٦٠٤ - النساء ٣٤ .

٦٠٥ - الصافات ٦١ .

٦٠٦ - المطففين ٢٦ .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^{٦٠٧}.

وقال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾^{٦٠٨}؛ ولفظ الـ﴿دَرَجَةٌ﴾ المعنية في الآية الكريمة ، هي القيادة ليستقيم المجتمع الذي لا بد له من رئيس يوجه أفرادَه وينظم العلاقة بينهم .

وتعريف القوامة لغة : هي قيام الرجال بمصالح النساء ويقال الرجل قيم ، فالرجل قيم على المرأة وتلزمه إعالتها ومؤونها ولا يلزمها شيء من ذلك^{٦٠٩}.

وأما شرعاً ، هي قيام الرجال على النساء قيام الحفظ والدفاع وقيام الاكتساب والإنتاج المالي والتفضيل وهو من المزايا الفطرية التي تقضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذب عنها وحراستها لبقاء ذاتها وهي حاجة مستمرة وإن كانت تقوى وتضعف^{٦١٠}.

فالقوامة هي بمعنى القيام على النساء بالحماية والرعاية والولاية والكفاية تستلزم أن يفرض على الرجال الجهاد دون النساء وضمان الحماية لهن وإن يكون حظهم من الميراث أكثر من حظهن لأن عليهم النفقة ما ليس عليهن .

وسبب ذلك إن الله فضل الرجال على النساء في أصل الخلقة وأعطاهم ما لم يعطهن من الحول والقوة ، فكان التفاوت في التكاليف والأحكام أثراً للتفاوت في الفطرة والاستعداد^{٦١١}.

ويعتبر الرجل أقدر على قيادة الأسرة من المرأة وذلك لتركيبته النفسية والبدنية وعلاقاته الاجتماعية والاقتصادية ، إذ إن واقع المرأة النفسي والجسمي لا يمكنها من أداء هذا الدور بنفس الكفاءة ، فقد تعثر بها أوضاع تقلل من فاعليتها في هذا المجال ، كأوضاع الحمل والولادة والإرضاع والأمومة .

٦٠٧- الروم ٢١ .

٦٠٨- البقرة ٢٨٨ .

٦٠٩- ابن منظور ، لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٢٩٤ .

٦١٠- ابن عاشور ، مُجَدِّد الطاهر ، التحرير والتنوير ، ج ٥ ، ص ٣٨- ٣٩ .

٦١١- رضا ، مُجَدِّد رشيد ، تفسير المنار ص ٦٧- ٦٨ .

كما أن طريقة تعامل المرأة مع الأمور تعتمد على العاطفة والدين - وهو الأمر المطلوب للقيام بواجبات الأمومة واحتمال الأطفال- وأما الرجل فيتعامل مع الأمور بمنطقية أكثر بعيداً عن التأثير بالعاطفة نظراً لانخراطه في مجتمعات العمل والكسب والدعوة والجهاد والإدارة ، وتقتضي القوامة أن يكون للرجل حق الطاعة بالمعروف والتوجيه والإرشاد والتأديب ضمن الضوابط الشرعية التي قيدت حق القوامة للرجل ، فلم تطلق له العنان في التسلط والاستبداد بالرأي والقمع والتضييق .

- مفاهيم حول القوامة :

قيل : قوامة الرجل على المرأة ، فرض للوصاية عليها وسلب لحريتها وأهليتها وثقتها بنفسها !؟.

ان قوامة الرجل على المرأة في الإسلام ليست قوامة سطو واستبداد واستعباد ، ولكنها قوامة التبعات والالتزامات والمسؤوليات مبنية على الشورى والتفاهم في إدارة الأسرة ، وليس منشؤها تفضيل عنصر الرجل على المرأة .

وإنما منشؤها ما ركب الله في الرجل من ميزات فطرية تؤهله لدور القوامة لا توجد في المرأة بينما ركب في المرأة ميزات فطرية أخرى تؤهلها للقيام بما خلقت من اجله من أمومة ورعاية البيت وشؤونه الداخلية .

فالرجل أقوى جسماً واقدر على الكسب والدفاع عن بيته وعرضه واقدر على معالجة الأمور وحل معضلات الحياة بالمنطق والحكمة وتحكيم العقل والتحكم بعواطفه ، كما ان من الإنصاف والعدل أن يكون من حمل هذه التبعات .

وكلف هذه التكاليف من أمور البيت وشؤونه هو الأحق بالقوامة والرئاسة ممن كفلت لها جميع أمورها ، وجعلت في حل من جميع الالتزامات فرئاسة الرجل إذن إنما نشأت له في مقابل التبعات التي كلف بها وما وهبه الله من ميزات فطرية تجعله مستعداً للقوامة .

وقد نبه الإسلام الرجال ووجههم إلى تحقيق معنى القوامه التي يعينها فقال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^{٦١٢}؛ وقال ﷺ : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)^{٦١٣}.

فيشعر الرجال أن النساء بحاجة إلى الرعاية لا إلى التسلط والتشدد فقال ﷺ في حجة الوداع : (استوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم) ، أي أسرى لديكم^{٦١٤}.

إن الإسلام ينظر إلى المرأة على أنها إنسان قبل كل شيء ولها حقوقها الإنسانية وشقيقة الرجل خلقت من نفس عنصره الذي خلق منه ، فهما سيان في الإنسانية ، كما قال الرسول ﷺ : (إنما النساء شقائق الرجال)^{٦١٥} ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾^{٦١٦}.

والأمومة والبيت في حاجة إلى نوع آخر من الميزات الفطرية فهي بحاجة إلى العاطفة الدافقة والحنان الدافئ والإحساس المرفه لتضفي على البيت روح الحنان والحب وتغمر أولادها بالعطف والشفقة .

وإذا استشعر الزوج ذلك وامتلأ ما أمره الله ﷻ ، وما أمره رسول الله ﷺ فلا شك أنه سينصف المرأة ، ومن شذ عن ذلك واستبد وتعالى وجار على المرأة ، فإن الإسلام لا يرضى منه ذلك ولا يؤاخذ الإسلام بجريرة الشواذ العاصين لأوامره .

وقوامه الرجل على المرأة لا تتفق مع مبدأ الحرية والمساواة بينهما من بعد أن أصبحا متساويين في التعليم والعمل والنفقة على البيت ، فليس من العدل أن ينفرد الرجل بالسلطة ورئاسة الأسرة من دونها .

إن هناك فروقا جوهرية دقيقة عميقة أوجدها الخالق سبحانه وتعالى بين الذكر والأنثى لحكمة يعلمها ويريدها ، وهو الأمر الذي يستحيل معه تطبيق نظرية المساواة الكاملة بين الذكر والأنثى في جميع الجوانب ، والمناداة بالمساواة بين المرأة والرجل على الإطلاق هي ظلم للمرأة والمجتمع ، فالمساواة في بعض الجوانب هي عين العدالة ، وهي في جوانب أخرى محض الظلم والقسوة والتجني .

٦١٢- النساء ١٩ .

٦١٣- ابن ماجه : كتاب النكاح ، باب حسن معاشره النساء ١٩٧٧ ، قال الألباني : صحيح .

٦١٤- الترمذي : كتاب الرضاع ، باب حق المرأة على زوجها ، ١١٦٣ . قال الألباني : حسن .

٦١٥- أبي داود : كتاب الطهارة ، باب في الرجل يجد البلة في منامه ٢٣٦ قال الألباني : حسن .

٦١٦- الروم ١٢ .

فللمرأة خصوصيات يجب مراعاتها ، علماً بأن من الخطأ الشائع المناداة بالمساواة على الإطلاق دون قيد ، والأصح المناداة بالعدالة ، فهي إعطاء كل ذي حق حقه ، فإعطاء الابن الذي يدرس في الجامعة نفس قيمة المصروف اليومي الذي يتقاضاه أخوه الذي يدرس في المرحلة الابتدائية صحيح هو المساواة الكاملة لكنها الظلم بعينه .

ويقول المفكر اليكسس كاريل في كتابه (الإنسان ذلك المجهول) :

(إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء الجنسية وعن وجود الرحم والحمل أو عن اختلاف في طريقة التربية وإنما تنشأ عن سبب عميق ، هو تأثير العضوية بكاملها بالمادة الكيميائية ومفرزات الغدد التناسلية ، وإن جهل هذه الوقائع الأساسية هو الذي جعل رواد الحركة النسائية يأخذون بالرأي القائل: بأن كل من الجنسين يمكن أن يتلقوا ثقافة واحدة وإن يمارسوا أعمالاً متماثلة والحقيقة إن المرأة مختلفة اختلافاً عميقاً عن الرجل فكل خلية من جسمها تحمل طابع من جنسها وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية لا سيما الجهاز العصبي وإن القوانين العضوية كقوانين العالم الفلكي ولا سبيل إلى خرقها ومن المستحيل أن نستبدل بها الرغبات الإنسانية ونحن مضطرون لقبولها كما هي) .

ويقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي : فهذا علم الأحياء قد أثبتت بحوثه وتحقيقاته أن المرأة تختلف عن الرجل في كل شيء من الصور والسمات والأعضاء الخارجية إلى ذرات الجسم والجواهر البروتينية لخلاياه النسيجية فمن لدن حصول التكوين الجنسي للجنين يرتقي التركيب في الصنفين في صورة مختلفة فهيكل المرأة ونظام جسمها يركب تركيباً تستعد به لولادة الولد وتربيته ، ومن التكوين البدائي في الرحم إلى سن البلوغ ينمو جسم المرأة وينشأ لتكميل ذلك الاستعداد فيها وهذا هو الذي يحدد لها طريقها في أيامها المستقبلية .

وإذا تقرر هذا الاختلاف الدقيق في التكوين بين الذكر والأنثى فمن الطبيعي والبدهي أن يكون هناك اختلاف في اختصاص كل منهما في هذه الحياة بما يناسب تكوينه وخصائصه التي ركبت فيه ، وهذا ما قرره الإسلام وراعاه عندما وزع الاختصاصات على كل من الرجل والمرأة ، فجعل للرجل القوامة على الأسرة والقيام بالكسب والإنفاق والدود عن الحمى ، وجعل للمرأة البيت تدبر شؤونه وتراعي أطفاله وتوفر له السكنينة والطمأنينة .

فالرجل والمرأة شطران متساويان في النوع الإنساني مشتركان بالسوية في تعمير الكون وتأسيس الحضارة لخدمة الإنسانية كل في مجال اختصاصه ، فكل منهما قد أوتي القلب والذهن والعقل والعواطف والرغبات والحاجات الفطرية ، وكل منهما يحتاج إلى تهذيب النفس وتنقيف العقل وتربية الذهن وتنشئة الفكر لصالح المدنية .

فالإسلام رفع مكانة المرأة ، وأعطاهما حريتها المسؤولة ، وكفل لها شخصيتها المستقلة وكرامتها ، فالرجل والمرأة في الحياة يكمل كل منهما الآخر فهما متساندين لا متعاندين واختلال هذا التساند هو الذي يوجد الشقاء في المجتمع ، ويحمل المرأة فوق ما تطيق .

والرجل في حد ذاته له نواقص كبيرة لا تكملها إلا المرأة ، وفي المرأة نواقص لا يكملها إلا الرجل والنواقص المتبادلة تتكامل مع بعضها عند حدوث الاقتتان مباشرة ، وتوحي طبيعة الحال لكلا الزوجين الواجب الذي عليه للآخر، قال ﷺ : (إنما النساء شقائق الرجال) .

ففي الحياة الزوجية لا تكون النساء شقائق الرجال إلا إذا كان الرجل زوجا يقوم بمسؤوليات الزوج والقوامة والأبوة والمرأة تقوم بمسؤوليات الزوجية والأمومة ؛ فإذا أخذت المرأة بعض دور الزوج تحت شعار المساواة وجعلت القوامة لها مثلا ، فلا هي أصبحت رجلا حقيقة ولا مساوية للرجل ولا هي قامت بالدور الذي خلقت له ، فتضطرب الحياة الزوجية وتفسد ولا تعود النساء بذلك شقائق الرجال .

ويمكن ان تكون حالات القوامة المفترضة لا تعدو أن تكون إحدى ثلاث ، فالحالة الأولى اما أن يكون القيم الزوجان معا ، وهذا الافتراض يستبعد منذ البدء لان التجربة أثبتت إن وجود رئيسين في العمل الواحد ادعى إلى الإفساد من ترك الأمر فوضى بلا رئيس والقران يقول في الاستدلال على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى :

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾^{٦١٧} ، ويقول : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾^{٦١٨} ز

فإذا كان الأمر بين الآلهة هكذا فكيف هو بين البشر العاديين ؟.

٦١٧ - الانبياء ٢٢ .

٦١٨ - المؤمنون ٩١ .

واما الحالة الثانية ، أن تكون المرأة هي القيم ، فالإسلام لم يكلف المرأة بالقوامة ، وذلك لما لها من ميزات بيولوجية (حيوية) ، فهي مرهفة العاطفة قوية الانفعال ، بما يتلاءم ووظيفتها الأساسية والفطرية كزوجة وأم واخت .

واما الحالة الثالثة ، أن تكون القوامة بيد الرجل ، وهذه الفرضية الأنسب لوضع الرئاسة ، وذلك أن الرجل بناءً على ما ركب فيه من خصائص وما يتمتع به من قدرات جسمية وعقلية فقد كلف بالإنفاق على الأسرة وكلف بدفع المهر في الزواج وليس من العدالة والإنصاف أن يكلف الإنسان الإنفاق دون أن يكون له القوامة والإشراف .

فهو الأجدر بالقوامة لأنه يدبر الأمور بعيداً عن فورة الانفعال واندفاع العاطفة ويقدر العواقب ويستخلص النتائج بكل روية واتزان وهذه الصفات هي الصفات الأساسية المطلوبة لوظيفة القوامة وتحمل المسؤولية .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى هذين السببين لاختيار الإسلام الرجل للقوامة ، كما في قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^{٦١٩} .

إن خصائص المرأة فطرية نابعة من طبيعة تكوينها ، لا يمكن تغييرها أو أزالتهما بما تكسبه المرأة من تربية أو تعليم أو خبرة في مجال الحياة العلمية والعملية .

وإنما هي خصائص قائمة بما لا تنفك عنها قاهرة ، لا يد للإنسان في تحويلها ولا قدرة له على ذلك ، لان طبيعة وظيفتها التي خلقت من اجلها وهي الزوجية والأمومة تتطلب تلك الخصائص وهي لن تنفك عنها ما بقيت أنثى تحمل وتلد وتربي .

وإن أصل وظيفة المرأة في الإسلام أن تكون في البيت إلا لضرورة ، ولذا كفل الإسلام لها النفقة والرعاية واسقط عنها بعض الواجبات الدينية التي تحتاج إلى الخروج من البيت إمعاناً منه في قرارها ببيتها ، أما إذا خرجت لأجل أن تعمل كما يعمل الرجل حتى يكون لها دخل مثله ، فيعتبر ذلك خروجاً عن أوامر الدين وتمرداً على تعاليمه ، لا يقره الإسلام .

فلا يصلح أن يكون سببا في إسقاط شرعة شرعها الله ، ولو أنها شاركت بالإنفاق على الأسرة فان هذه المشاركة لا تؤهلها لأن تكون قيماً على أسرتها ، لأنها بطبيعتها لا تستطيع مواصلة القيام بأعمال القوامة في كل الأوقات لما يعترضها من موانع فطرية ، كالحمل والولادة والرضاعة تعطل قيامها جسيميا وعقليا بما تتطلبه القوامة من أعمال .

كما إن نظام الأسرة يستلزم تقرير الرئاسة عليها لواحد من الاثنين الزوج أو الزوجة ، ولا يغني عن هذه الرئاسة ولا عن تكاليفها أن نسمي الزواج شركة بين شريكين متساويين وتوفيقا بين حصتين متعادلتين .

فان الشركة لا تستغني عمن يتخصص لولايتها ويسأل عن قيامها وينوب عنها في علاقتها بغيرها ، وليس من المعقول أن تصدى الزوجة لهذه الولايات في جميع الأوقات إذ هي عاجزة غير قادرة على استئنافها متى تشاء .

وتتفق قوامة الرجل على المرأة مع العدالة ، كما تتفق مع الديمقراطية والديكتاتورية الحديثة ، فالرجل مكلف بالإنفاق على الأسرة ولا يستقيم مع العدالة في شيء أن يكلف فرد الإنفاق على هيئة ما بدون أن يكون له القيام عليها والإشراف على شؤونها .

وقيل : قوامة الرجل على المرأة قيد من قيود الرق والاستعباد وإلغاء لشخصيتها وتعطيل لقوى المجتمع وفعالياته وهدر لطاقاته؟! .

إن القوامة لا تعني الرئاسة ، والرئاسة لا تعني إلغاء شخصية المرؤوس والمراد بالقوامة هنا الرئاسة التي يتصرف فيها المرؤوس بإرادته واختياره ، وليس معناها أن يكون المرؤوس مقهورا مسلوبا الإرادة لا يعمل إلا ما يوجهه إليه رئيسه ، فان كون الشخص قيما على آخر فهو عبارة عن إرشاد ومراقبة عليه في تنفيذ ما يرشده إليه أي ملاحظته في أعماله وتربيته^{٦٢٠} .

فالقوامة في الإسلام لها مدى تقف عنده وتنتهي إليه ، فهي لا تمتد إلى حرية الدين فليس للرجل أن يكره زوجته على تغيير دينها إذا كانت كتابية ، ولا يجبرها على إتباع مذهب معين أو رأي معين في الاجتهادات الفقهية في الإسلام إذا كانت مسلمة .

٦٢٠ - مُجَدَّ عبده ، تفسير المنار ، ج ٥ ، ص ٦٨ .

مادام المذهب أو الرأي الذي تتبعه لا يخالف الحق في الشريعة ، ولا تمتد القوامة إلى حرية المرأة في أموالها الخاصة ولا في المساواة بينها وبينه في الحقوق التي أراد الله فيها المساواة ، وليس عليها طاعته في ارتكاب معصية ، وكما قال ﷺ : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^{٦٢١} .

فإذا كانت قوامة الرجل لا تمتد إلى الحقوق الأساسية فماذا يخيف المرأة في قوامة الرجل؟! .

وماذا يهرب دعاة التمرد على قوامة الرجل من تلك القوامة؟! .

وماذا يريدون للمرأة أفضل وأكرم وأقدس من تلك المكانة التي بوأها الإسلام إياها ، وتلك الرعاية والحماية والتكريم التي أحاطها الإسلام بها؟! .

إن دعاة التحرر لا ينادون بمساواة المرأة مع الرجل في القوامة فحسب ، إنما يهدفون إلى تحطيم ذلك الحصن المنيع للمرأة ، الذي جعله الإسلام لها حمىً وستراً وملأها ، يحميها من عادات الزمن وصروف الحياة ، ويكون سداً منيعاً دون دعاة التحلل والانحراف .

ولما فشلوا في تحطيم ذلك الحصن بأيديهم استخدموا في ذلك عواطف النساء ، فألبوهن وحرضوهن على تحطيم تلك القوامة وصوروها قيئاً من قيود الرق والاستعباد .

فاندفعت المرأة خلف أولئك الناعقين تصدقهم وتنفذ ما يريدون ، فتمردت المرأة على قوامة الرجل ، وخرجت عليها وأصبحت لها مطلق الحرية بعد سن الثامنة عشرة^{٦٢٢} ، في أن تنفصل عن أسرتها وان تعمل ما تشاء وتسكن أين تشاء وتعيش كيف تشاء .

وحينئذ تفردوا بها وراحوا يتفننون في وسائل إغرائها وإغوائها ، وهي تلهث خلف السراب ، وتركض وراء تلك المغريات ، ولا تعلم أن هذه حباله وشركه لها لإخراجها من حصنها الحصين ، حتى سقطت مستسلمة ، فسقطت كرامتها وهان مطلبها ، وسهل الوصول إليها ، بل وغدت تجري خلف الرجل تستجدي قلبه وحببه من بعد ما كان الرجل هو يطلب الود منها .

٦٢١- أحمد بن حنبل: مسند علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ١٠٩٥، قال الأرنوؤط : صحيح .

٦٢٢- كما تنص على ذلك أكثر القوانين الغربية والمستغربة .

– ام البنين مع الحجاج :

من ذلك حديث ام البنين زوجه الوليد بن عبد الملك الاموي حينما جادلت الحجاج الثقفي فأفحمته.

فقد روى ابن قتيبة في (عيون الأخبار) انه لما دخل الحجاج على الوليد بن عبد الملك، وعليه درع وعمامة سوداء وقوس، بعثت اليه زوجته أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان تسأله :

من هذا الاعرابي المستلثم في السلاح عندك وانت في غلاله؟ .

فأرسل اليها قائلاً: هذا الحجاج. فأعادت الرسول إليه فقال:

انها تقول لك: والله لان يخلو بك ملك الموت في اليوم احيانا احب الى من ان يخلو بك الحجاج.

فأخبر الوليد الحجاج بذلك وهو يمازحه.

فقال: يا امير المؤمنين ، دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول، فإنما المرأة ريحانة، وليست بقهرمانة ، فلا تطلعهن على شرك ولا تدخلهن في مشورتك.

فلما دخل الوليد على زوجته اخبرها وهو يمازحها بمقاله الحجاج.

فقالت: يا امير المؤمنين، حاجتي ان تأمره غدا ان يأتيني مسلماً. ففعل ذلك، فلما أتاها الحجاج حبيبته، فلم يزل قائماً حتى اذنت له.

فقالت: يا حجاج، انت الممتن على امير المؤمنين بقتلك ابن الزبير وعبد الرحمن بن الاشعث!

اما والله لولا ان الله علم انك شر خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ، ولا بقتل ابن ذات النطاقين (اي عبدالله بن الزبير الذي امه اسماء بنت أبي بكر) اول مولود في دار هجره الاسلام!

واما نهيك امير المؤمنين عن مفاكهة النساء وبلوغ لذاته واطواره، فان كن ينفرجن عن مثلك فما احقه بالاخذ منك ! وان كن ينفرجن عن مثله فهو غير قابل ذلك.. ثم أمرت جواريتها فأخرجنه^{٦٢٣}.

٦٢٣- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد طبعة مصر ، ج ١٦ ص ١٢٦. وللمزيد راجع كتاب الجامع : آثار ذوات السوار الجامعه مُجَّد على حامد حشيشو - طبع صيدا .

(ي) :- التحفظ في اطاعه النساء

ثم عقب الامام بقوله عليه السلام: (فاتقوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر ولا تطيعوهن في المعروف حتى لا يطمعن في المنكر). وهو بيان واضح من ان النساء لسن بصفه واحده، فمنهن الصالحات وهن المؤمنات، ومنهن الشريرات وهن الفاسقات والكافرات.

وعلى المؤمن ان يجتنب النساء الشريرات، ولا يستسلم للنساء الصالحات، بل يكون حذرا من الإنزلاق للحرام. واذا كن صالحات فلا يطيعهن في كل شىء، لان اطاعتهم في كل مطلب يشجعهم على التماذي في الطلب، حتى يطلبن المنكر.

فنظره الإمام علي عليه السلام هي عين نظره الاسلام ، ونفس نظرة النبي صلى الله عليه وآله فهو الذي تربى في احضانه صلى الله عليه وآله وزقه العلم زقا، حتى اصبح باب مدينه العلم.

واضافة لعلمه الرحيب، فقد تبدى ذلك العلم في اعماله وافعاله، حتى اصبح القدوة الرائدة للمسلمين، فسمى لذلك الامام عليه السلام، دون غيره من الانام. فتمثل الاسلام في شخصه عليه السلام وفكره نموذجا حيا صادقا، كما تمثل هو عليه السلام في ضمير الاسلام والمسلمين امام هادي وهو عليا عليه السلام.

ولا عجب في ذلك، فالامام عليه السلام هو القرآن الناطق في مقابل القرآن الصامت، وهو احد الثقلين مع القرآن ، اللذين لن يفترقا حتى تقوم الساعة ، مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وآله في حديث الثقلين:

(واني تارك فيكم ما ان تمسكن به لن تضلوا بعدى ابداء، الثقلين: كتاب الله وكتابه وعترتي اهل بيتي فلا تقدموهما فتهلکوا، ولا تقصروا عنهما فتزهقوا، ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم. وان اللطيف الخبير اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

ثم اخذ صلى الله عليه وآله بيد علي عليه السلام ورفعها فقال: (هذا علي عليه السلام مع القرآن، و القرآن مع علي عليه السلام، لا يفترقان حتى يردا على الحوض).

فمثلاً كون زوجتك حديثة عهد بالزواج فهي لا تزال مرتبطة مع أمها بعلاقات ما قبل الزواج؛ ولذا فهي تقدم طاعة أمها على طاعتك ورأيها على رأيك^{٦٢٤}. وهي بهذا تجهل ما ينبغي أن تكون عليه المرأة مع زوجها من طاعة بالمعروف وتقديم لحاجته ورأيه على حاجة أمها أو أبيها.

وهنا دورك أيها الزوج في مناصحتها وتعليمها حقوق الزوج على زوجته، وتوضح لها الآثار التي تترتب على تدخل أمها في كل صغيرة وكبيرة في حياتكما الأسرية .

لا سيما إذا تعارض بعض آرائها مع وضعك المادي أو المعاشي وحتى تعرف زوجتك هذه الأمور وتتأقلم معها يحتاج منك إلى صبر وروية وحسن عشرة حتى تقوى أواصر المحبة والألفة بينكما، فالحبة من أكبر دواعي الطاعة والمتابعة .

(ك) :- موقف الإسلام رجعي من المرأة

ولو قيل لك ألا توافقني أن الإسلام كان موقفه رجعي مع المرأة؟ مثل تعدد الزوجات وبقاء المرأة في البيت والحجاب والطلاق بيد الرجل والضرب والهجر في المضاجع وحكاية ما ملكت أيماكم والرجال قوامون على النساء ونصيب الرجل المضاعف في الميراث وغيرها.

وللاجابة نبدأ من قبل للإسلام وأظنك تعرف أن الإسلام جاء على جاهلية ، والبنت التي تولد نصيبها الوأد والدفن في الرمل ، والرجل يتزوج العشرة والعشرين ويكره جواريه على البغاء ويقبض هو الثمن. فكان ما جاء به الإسلام من إباحة الزواج بأربع تقييدا وليس تعديدا. وكان إنقاذ للمرأة من العار والموت والاستعباد والمذلة.

وهل المرأة الآن في أوروبا هي أسعد حالا في هذا الإنحلال الشائع هناك وتعدد العشيقات الذي أصبح واقع الأمر في أغلب الزيجات أليس أكرم للمرأة أن تكون زوجة ثابتة لمن تحب.

لها حقوق الزوجة واحترامها من أن تكون عشيقة في السر تحتلس من وراء الجدران.

ومع ذلك فالإسلام جعل من التعدد إباحة شبه معطلة وذلك بأن شرط صعب التحقيق وهو العدل بين النساء كما قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾^{٦٢٥} ، ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾^{٦٢٦} .

فنفي قدرة العدل حتى عن الحريص فلم يبق إلا من هو أكثر من حريص وقد أخصها بهم فقط. أما البقاء في البيوت فهو أمر وارد لزوجات النبي ﷺ باعتبارهن مثل عالي ليس لهن بل لمكانته هو ﷺ .

٦٢٥ - سورة البقرة

٦٢٦ - سورة البقرة ١٢٩ . .

وكرم الإسلام المرأة إنساناً حينما اعتبرها مكلفة مسئولة كاملة المسئولية والأهلية مثل الرجل، مجزئة بالثواب والعقاب مثله ، حتى إن أول تكليف إلهي صدر للإنسان كان للرجل والمرأة سوياً حيث قال الله للإنسان الأول (آدم وزوجه) :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٦٢٧ .

فإن الإسلام ليس في نصوصه الثابتة من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة نص يُحمل المرأة تبعة إخراج آدم ﷺ من الجنة، وشقاء ذريته من بعده، كما ذكروا ذلك في (أسفار العهد القديم).

بل القرآن أكد أن آدم هو المسئول الأول ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ٦٢٨ ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴾ ٦٢٩ .

ولكن بعض المسلمين ظلموا المرأة ظلم كبير وجاروا على حقوقها، وحرموها مما قرره الشرع لها، باعتبارها إنسان أو أنثى، أو ابنة أو زوجة أو أم .

ولاحظ أكثر مما وقع عليها من ظلم وقع بأسم الدين وهو منه براء. لقد نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال في شأن النساء (شاوروهن وخالفوهن) وهو حديث موضوع لا قيمة له ولا وزن من الناحية العلمية.

مع أن النبي ﷺ شاور زوجته أم سلمة عليها في أمر من أمور المسلمين، وأشارت عليه، فأخذ برأيها مختاراً، وكان فيه الخير والبركة.

ترى هل جهل هؤلاء أن القرآن أجاز سؤال أزواج النبي ﷺ من وراء حجاب، رغم التغليظ في أمرهن، حتى حرم عليهن ما لم يحرم على غيرهن وقال الله تعالى:

﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ ٦٣٠ .

٦٢٧ - سورة البقرة ٣٥ .

٦٢٨ - سورة طه ١١٥ .

٦٢٩ - سورة طه ١٢١ - ١٢٢ .

٦٣٠ - سورة الاحزاب ٥٣ .

ورأيت الفتاه ابنة الشيخ الكبير عليه السلام المذكورة في صورة القصص تقول لموسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾^{٦٣١}. وتحدثت إليه هي وأختها من قبل حين سألهما : ﴿ مَا حَظُّكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^{٦٣٢}.

وحكى القرآن ما جرى من حديث بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ، ومثله بينها وبين قومها من الرجال. فكل ما يُمنع هنا هو التكسر والتميع في الكلام، الذي يراد به إثارة الرجل وإغرائه. وقد عبر عنه القرآن باسم (الخضوع بالقول) وذلك في قوله تعالى:

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّفَقْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾^{٦٣٣}.

فالخضوع الذي يطمع الذين أمرضت قلوبهم الشهوات، وليس منعاً لجميع الكلام مع الرجال بدليل قوله تعالى تنمة للآية: (وقلن قولاً معروفاً).

ومن الأحاديث التي أساءت للمرأة ما رواه البخاري عنه عليه السلام أنه قال: (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء).

فقد توهوا وأوهوا غيرهم أن الفتنة هنا تعني أهن شر ونقمة، أو مصيبة يتلى بها الإنسان كما يتلى بالفقر والمرض والجوع والخوف، وغفلوا من أن الإنسان إنما يفتن بالنعم أكثر مما يفتن بالمصائب. وقد قال تعالى: ﴿ وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾^{٦٣٤}.

وليس أدل عليه من اعتبار القرآن الأموال والأولاد، وهما من أعظم نعم الحياة الدنيا وزينتها، فتنة ليحذر منها، كما قال تعالى :

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^{٦٣٥} ، ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^{٦٣٦}.

٦٣١ - سورة القصص ٢٥ .

٦٣٢ - سورة القصص ٢٣ .

٦٣٣ - سورة الاحزاب ٣٢ .

٦٣٤ - سورة الانبياء ٣٥ .

٦٣٥ - سورة سورة التغابن ١٥ .

٦٣٦ - سورة الانفال ٢٨ .

واما فتنتها أنها قد تلهي الفرد عن واجبه نحو ربه، وتشغله عن مصيره في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^{٦٣٧}.

وكما يخاف على الناس من أن يفتنوا بالأموال والأولاد، يخاف عليهم من أن يفتنوا بالنساء، كزوجات يثبطنهم عن البذل والجهاد، ويغريهم بالاشتغال بالمصالح الخاصة عن الواجبات العامة كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾^{٦٣٨}.

ويفتنوا بهن في حالة إذا أصبحن أدوات للإثارة، وتحريك الشهوات، وتأجيج نيران الغرائز في صدور الرجال، وهو هو الخطر الأكبر، الذي يخشى من ورائه تدمير قيم الأخلاق، وتلويث الأعراض، وتفكيك الأسر والجماعات.

وهنا التحذير من النساء مثل التحذير من نعمة المال والرخاء وبسطة العيش كما في الحديث :
والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم
فتتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم^{٦٣٩}.

فلا يعني هذا الحديث أن النبي ﷺ يعمل على نشر الفقر، وهو الذي استعاذ بالله منه، ولا أنه يكره لأئمة السعة والرخاء والغنى بالمال، وهو الذي قال ﷺ: نعم المال الصالح للمرء الصالح^{٦٤٠}.

بل هو يضيء للإشارات الحمراء للمسلم والمجتمع أمام المزالق والأخطار لكي لا تزل قدمه ويسقط في الهاوية من حيث لا يشعر، ولا يريد .

٦٣٧ - سورة المنافقون ٩ .

٦٣٨ - سورة التغابن الآية ١٤ .

٦٣٩ - متفق عليه من حديث عمرو بن عوف الأنصاري .

٦٤٠ - رواه أحمد ١٩٧/٤ و ٢٠٢ والحاكم في المستدرک ٢/٢ وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي عليه.

- (وقرن في بيوتكن)

وهي إشارة إلى أن الوضع الأمثل للمرأة هي أن تكون أما ربة بيت تفرغ لبيتها ولأولادها ويمكن أن نتصور حال أمة نساؤها في الشوارع والمكاتب وأطفالها في دور الحضانة والملاجئ .

أتكون أحسن حالا أو أمة النساء فيها أمهات وربات بيوت والأطفال فيها يتربون في حضانة أمهاتهم والأسرة فيها متكاملة الخدمات . ومع ذلك فالإسلام لم يمنع المقتضيات التي تدعو إلى خروج المرأة وعملها وقد كانت في الإسلام فقيهاً وطبيبات وكانت النساء يخرجن في الحروب ويخرجن للعلم .

إنما توجهت الآية إلى نساء النبي ﷺ كمثال عليا ، وبين المثال والممكن والواقع درجات متعددة ، وقد خرجت النساء مع النبي ﷺ في غزواته . وينسحب على هذا أن الخروج لمعونة الزوج في كفاح شريف هو أمر لا غبار عليه .

أما الحجاب فهو لصالح المرأة . وقد أباح الإسلام كشف الوجه واليدين وأمر بستر ما عدا ذلك وبحسب رأي المجتهد . وأنت ترى على الشواطئ في الصيف حينما يتراكم اللحم العاري المباح للعيون يفقد الجسم العريان جاذبيته وطرافته وفتنته ويصبح أمرا عاديا لا يثير الفضول . ولا شك أنه من صالح المرأة تكون مرغوبة أكثر وألا تتحول إلى شيء عادي لا يثير .

أما حق الرجل في الطلاق فيقابله حق المرأة أيضا على الطرف الآخر فيمكن للمرأة أن تطلب الطلاق من الحاكم الشرعي وتحصل عليه إذا أبدت المبررات الكافية .

ويمكن للمرأة أن تشتتر الاحتفاظ بعصمتها عند العقد وبذلك يكون لها حق الرجل في الطلاق .

والإسلام يعطي الزوجة حقوقا لا تحصل عليها الزوجة في الغرب^{٦٤١} فالزوجة عندنا تأخذ مهرا . وعندهم تدفع دوطه . والزوجة عندنا لها حق التصرف في أملاكها وعندهم تفقد هذا الحق بمجرد الزواج . ويصبح الزوج هو القيم على أملاكها .

٦٤١ - يقسم علم النفس هذا المسلك المرضي إلى نوعين :

المسلك الخضوعي : وهو النوع الاول وما يسمى في الإصلاح العلمي (ماسوشزم masochism) وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تضرب وتعذب وتكون الطرف الخاضع .

المسلك التحكمي : وهو النوع الثاني وما يسمى في الاصطلاح العلمي (سادزم sadism) وهو تلك الحالة المرضية التي تلتذ فيها المرأة بأن تتحكم وتسيطر وتتجبر وتسلط وتوقع الأذى بالغير . وهو يتفق مع أحدث ما وصل إليه علم النفس العصبي في فهم المسلك المرضي للمرأة .

ومثل هذه المرأة لا حل لها سوى انتزاع شوكتها وكسر سلاحها التي تتحكم به. وسلاح المرأة انوثتها وذلك بهجرها في المضجع فلا يعود لها سلاح تتحكم به.

أما المرأة الأخرى التي لا تجد لذتها إلا في الخضوع فإنه لها علاج ومن هنا كانت كلمة القرآن (واهجروهن في المضاجع واضربوهن). ولا تغفل عن قول رسول الله ﷺ : (أي رجل لطم امرأته لكمة أمر الله عز وجل خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لكمة من نار جهنم).

وتجد اليوم اعجازا علميا وتلخيصا لكل ما أتى به علم النفس في مجلدات عن المرأة الناشز وعلاجها فراجع. وأجاد أسماء بن خارجة الفزاري حيث قال لإبنته عند التزويج :

(إنك خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت إلى فراش لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أرضاً يكون لك سماءاً ، وكوني له مهاداً يكون لك عماداً ، وكوني له أمة يكون لك عبداً ، لا تلحقني به فيقلاك^{٦٤٢} ولا تباعدني عنه فينساك ، إن دنا فاقربي منه ، وإن نأى فابعدي عنه ، واحفظي أنفه وسمعه وعينه ، لا يشم منك إلا طيباً ، ولا يسمع إلا حسناً^{٦٤٣}).

– القضاء على نظام رق المرأة بالإسلام

أما حكاية (ما ملكت أيمانكم) التي أشير إليها فإنها تسحبنا إلى قضية الرق في الإسلام. واتهام المستشرقين للإسلام بأنه دعا إلى الرق والحقيقة أن الإسلام لم يدع إلى الرق بل كان الدين الوحيد الذي دعا لتصفية الرق .

ولو قرأنا الإنجيل وما قاله بولس الرسول في رسائله إلى أهل افسس وما أوصى به العبيد لوجدناه يدعو العبيد دعوة صريحة إلى طاعة سادتهم كما الرب: (أيها العبيد.. أطيعوا سادتكم بخوف ورعدة في بساطة قلوبكم كم الرب). ولم يأمر الإنجيل بتصفية الرق كنظام وإنما أقصى ما طالب به كان الأمر بالحجة وحسن المعاملة بين العبيد وسادتهم.

٦٤٢- أي ييغضك .

٦٤٣- المحجة البيضاء جزء ٣ صفحة ١٣٥ .

وفي التوراة المتداولة كان نصيب الأحرار أسوأ من نصيب العبيد. ومن وصايا التوراة أن البلد التي تستسلم بلا حرب يكون حظ أهلها أن يساقوا رقيقا وأسارى. والتي تدافع عن نفسها بالسيف ثم تستسلم يعرض أهلها على السلاح ويقتل شيوخها وشبابها ونساءها وأطفالها ويذبحوا تذييحا.

كان الاسترقاق إذا حقيقة ثابتة قبل مجئ الإسلام وكانت الأديان السابقة يوصي بولاء العبد لسيده. فنزل القرآن ليكون أول كتاب سماوي يتكلم عن فك الرقاب وعتق الرقاب. ولم يحرم القرآن الرق بالنص الصريح.

والرقيق الموجود بالفعل فتكون تصفيته بالتدرج وذلك يجعل فك الرقاب وعتق الرقاب كفارة الذنوب صغيرها وكبيرها وبهذا ينتهي الرق بالتدرج. وإلى ان تأتي تلك النهاية فماذا تكون معاملة السيد لما ملكت يمينه ..أباح له الإسلام أن يعاشرها كزوجته.

وينبغي ألا ننسى موقف الإسلام من العبد الرقيق وكيف جعل منه أخا بعد أن كان عبدا يداس بالقدم بقوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) وقوله تعالى: (هو الذي خلقكم من نفس واحدة) وقوله تعالى: (لا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله).

وقد ضرب محمد ﷺ وعلي ﷺ المثل حينما تبني عبيداً رقيقاً هما زيد بن حارثة للرسول ﷺ فأعتقه وخيره بين الذهاب والبقاء فأختار الرسول ﷺ.

والاخر للامام علي ﷺ تصرف مع عبده كما فعل الرسول ﷺ. وجعلوا من تحرير العبيد موقف يقتدى به وليقال بالفعل وبالمثال أن رسالة الرسول ﷺ عتق الرقاب. أما أن الرجال قوامون على النساء فهي حقيقة وواقع حال في كل مكان في البلاد الإسلامية . وكذلك في البلاد المسيحية . وكذلك في البلاد التي لا تعرف إلها ولا ديناً ، وتلاحظ في :

في موسكو الحكام رجال من أيام لينين وستالين وخروشوف وبولجانين إلى اليوم .

وفي فرنسا الحكام رجال الى اليوم .

وفي لندن الحكام رجال الى اليوم .

وفي كل مكان من الأرض الرجال هم الذين يحكمون ويشرعون ويخترعون^{٦٤٤}.

وجميع الأنبياء كانوا رجالا وجميع الفلاسفة كانوا رجالا ، حتى الذين صنعتهم الخيال هم رجال ، وحتى صناعة الطهي والحكاية والموضة وهي تخصصات نسائية تفوق فيها الرجال ثم انفردوا بها.

وهي ظاهر لا دخل للشريعة الإسلامية فيها فهي ظواهر عامة في كل بقاع الدنيا حيث لا تحكم شريعة إسلامية ولا يحكم قرآن إنما هي حقائق أن الرجل قوام على المرأة بحكم الطبيعة واللباقة والحاكمة التي خصه بها الخالق.

وإذا سمعت أو ظهرت أمس أو اليوم أو غداً وزيرة أو زعيمة أو حاكمة أو ملكة فإنها تكون الطرافة التي تروى أخبارها والاستثناء الذي يؤكد القاعدة (ولكل قاعدة شواذ) . والإسلام لم يفعل سوى أنه سجل هذه القاعدة. وهذا يفسر لنا بعد ذلك لماذا أعطى القرآن الرجل ضعف النصيب في الميراث.

أولاً : لأنه هو الذي ينفق. وثانياً : لأنه هو الذي يعول. وثالثاً : لأنه هو الذي يعمل.

فلقد كان موقف الإسلام من المرأة هو العدل. وكانت سيرة النبي ﷺ مع نسائه هي المحبة والحب والحنان الذي يؤثر عنه قوله ﷺ حبيب إلى من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة. فذكر النساء مع الطيب والعطر والصلاة وهذا غاية الإعزاز وكان آخر ما قاله ﷺ في آخر خطبة له لما نصب الامام علي عليه السلام خليفة على المسلمين قبل موته هو التوصية ب(النساء).

وإذا كان الله قد اختار المرأة للبيت والرجل للشارع فلأنه عهد إلى الرجل أمانة التعمير والبناء والإنشاء بينما عهد إلى المرأة أمانة أكبر وأعظم هي تنشئة الإنسان نفسه. وإنه من الأعظم لشأن المرأة أن تؤتمن على هذه الأمانة. فهل الاسلام رجعي وقد ظلم الإسلام النساء؟. والله العالم.

الفصل الرابع

التربية على ضوء القرآن والسنة

يعتبر القرآن هو كلام الله المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر بسورة منه من سورة الفاتحة إلى سورة الناس هو كلام الله تعالى المنزل بلفظه ومعناه والمنقول إلينا بالتواتر^{٦٤٥}.

فلقد أستعمل القرآن الكريم عدة وسائل لتثبيت العقيدة الصحيحة وتصحيح الانحرافات التي تصيب عقائد الناس ، ومن أهم هذه الوسائل الأساليب هي إثارة العقل.

أي أن الله تعالى في القرآن يُنبه الإنسان إلى كثير من مظاهر قدرة الله تعالى في هذا الكون أمرا إياه بأن يتدبر هذه المظاهر ليدرك بعد ذلك أن لهذا الكون خالقا ، رازقا ، مدبر لشؤون الخلق. وكذلك إثارة الوجدان فيثير القرآن الكريم عاطفة الإنسان ليتفطن لحقيقة الربوبية أي يدرك قدرة الله وعلمه الشامل ويتفاعل مع ذلك.

والتذكير بقدرة الله ومراقبته فيذكر الله تعالى في القرآن أن الله على كل شيء قدير كإحياء الموتى وإنزال الغيث وأن الله يعلم كل ما يفعله الإنسان من خير أو شرٍّ ثم يُجازيه على ذلك يوم القيامة، فيستحي الإنسان من معصية الله تعالى. وكذلك رسم الصور المحببة للمؤمنين من ذكر لصفاتهم الحسنة وما ينالون من جزاء وأجر يوم القيامة.

ويكون الإنسان في حالة طبيعية من الطمأنينة والراحة النفسية ، لا يعاني من الاضطراب والقلق وهي بما تسمى الصحة النفسية.

وكيف يحقق القرآن الصحة النفسية حتى يكون الإنسان سويا نفسيا فإن القرآن الكريم أرشد البشر إلى ما يحقق ذلك في حياتهم وأهم هذه الأشياء هي كما يلي :-

- قوة الصلة بالله تعالى: من صلاة وقراءة القرآن وذكر الله تعالى ومختلف الطاعات التي تجعل العبد قريباً من الله تعالى .
- الصبر عند الشدائد: فقد ربّى القرآن الكريم المؤمنين على الصبر عند المصائب ورتب على ذلك الأجر كما أثنى القرآن الكريم على الصابرين .
- التزكية والأخلاق: أمر القرآن الكريم بكثير من الأخلاق والمثل العليا التي تجعل الإنسان محبوباً عند الله وعند الناس وبذلك يسعد الإنسان ويعيش مطمئناً .
- التفاؤل وعدم اليأس: التفاؤل يجعل المؤمن دائماً مرتاحاً ، ولقد حرم الله تعالى في القرآن اليأس لأنه يجعل الإنسان يعيش في اضطراب وضيق ونكد. وهي أن يعيش الإنسان سليماً معافى في بدنه ، غير مريض ولا يعاني من أي عاهة من العاهات .
- وعناية القرآن بالصحة الجسمية: لقد اعتنى القرآن بالصحة الجسمية بتشريعه لتعاليم واضحة للمحافظة عليها ، وأهم هذه التعاليم هي:
- تحريم الاعتداء على جسم الإنسان كله أو بعضه: وترتيب العقوبات على ذلك .
- الإعفاء من بعض الفروض والواجبات: إذا كانت تؤثر على صحة الإنسان أو تؤخّر شفاؤه .
- الوقاية من الأمراض: بتشريع الطهارة والوضوء، النهي عن الإكثار من الأكل والشرب (الإسراف) .
- تحريم كل ما يهلك النفس البشرية: من خمر وزنا ولحم خنزير، وتحريم الانتحار .
- تنمية القوة وتوفير الصحة بمفهومها الحديث: الرياضة .

– عمل المرأة :

إن الإسلام حينما جاء رفع من مكانة المرأة مقارنة بما كانت عليه حينذاك ، وقد أعطاها حريتها، وحقق لها شخصيتها المستقلة وكرامتها .

فالرجل والمرأة في نظر الإسلام يكمل كل منهما الآخر ، وهما ليسا متعاندين ، بل متساندين متكاملين ، وإن اضطراب هذا التساند هو الذي يوجد التعب والشقاء في المجتمع ويحمل المرأة فوق ما تطيق .

وللمرأة في الحياة الإنسانية وظيفة سامية للغاية ، وهي حفظ النوع البشري واستدامته ، وهي ما لا يتأتى للرجل أن يحل محلها فيها ؛ لأن ذلك يتعلق بشكل التركيب الجسمي والخصائص الطبيعية ، وهو الأمر الذي لا يمكن التحصيل عليه بالتصنع ولا بالتقليد .

هذه الوظيفة الخاصة بالمرأة لها جملة أدوار تتعاقب عليها ، ولكل دور منها لوازم ، يجب الإلمام بها ولكي ندرك أهمية هذه الوظيفة وخطورتها ، فهي تستلزم الحمل والوضع والرضاعة والتربية ، ومن يتأمل في هذا الوجود البديع تأملاً بسيطاً يتجلى له ، أن لكل كائن فيه وظيفة يتوقف كماله الشخصي والنوعي على حسن أدائها .

ثم نظر الإسلام إلى وظيفة المرأة الطبيعية ، وقرر الفطرة التي فطرها الله عليها ، فجعل لها المقام الأول ، وجعل مكانة المرأة كزوجة وأم لا تعدلها في المجتمع أية مكانة أخرى ، وجعل لها من الحقوق ما يكفل لها القيام بهذه الوظيفة على أحسن وجه وأكمل صورة .

ومع هذا فقد سمح لها بالخروج من منزلها لطلب العلم والعبادة والعمل ، ولكن في إطار النظام الإسلامي ، وعلى وفق الآداب السامية المستمدة من انتساب الإنسان بالعبودية إلى الله ﷻ .

فالإسلام لا يمنع المرأة من مزاولة أية وظيفة من الوظائف ، أو مهنة من المهن التي تؤهلها لها استعداداتها وقدراتها ، والتي قد تضطرها إليها ظروفها الخاصة ، أو ظروف المجتمع عامة ، والمرأة التي لم تجد من يعيلها من زوج أو أقارب ، ولم يقيم بيت المال بواجبه نحوها .

يجوز لها أن تعمل لكسب قوتها ، شريطة أن تنسجم هذه المهنة مع النظام الإسلامي العام ، وإن تؤديها المرأة وهي ملتزمة بآداب الإسلام وضوابطه .

وأن لا يؤثر ذلك كله في وظيفة المرأة الأساسية ، وهي أن تكون زوجة وأما وربة أسرة ، فهذه الوظيفة الطبيعية التي لا تستقيم الحياة بدونها ولا تقوم مدنية غيرها .

ومن ذلك على المرأة أن تتخلى عن أية وظيفة أو عمل إذا تعارض مع واجبات الزوجية أو الأمومة ، فالإسلام لا يمنع أن تخرج المرأة من بيتها لكي تعمل ، لظرف من الظروف ، ولكنه يمنع أن تنقلب الآية كلها بحيث يصبح الأصل عند المرأة العمل في الخارج ، وإهمال بيتها وأولادها^{٦٤٦}.

وقد فرق العلماء بين عمل الزوجة الذي يؤدي إلى تنقيص حق الزوج والأسرة أو الإضرار بهما ، وبين العمل الذي لا ضرر فيه فمنعوا الأول وأجازوا الثاني . ومثلاً من آداب وضوابط يجب الالتزام بها عند عمل المرأة مثل :

مثل أن ينسجم العمل مع طبيعة تكوين المرأة وإمكاناتها ، فلا يصادم فطرتها ولا يلحق بها الأذى أو الضرر كالعمل في المناجم والمهاجر وغير ذلك .

ومثل أن تلتزم المرأة بأحكام الشرع في اللباس والحديث والحركة وغير ذلك من أحوال قد تعتري عملها .

ومثل أن يكون اللقاء جاداً ، متصفاً بغض البصر، واجتناب الخلوة والمزاحمة بين الرجال والنساء، والبعد عن مواطن الريبة .

– توافق العمل والبيت :

للمرأة حق العمل في أي مجال يعمل فيه الرجل ، من باب المساواة بين الجنسين ، ولا سيما إذا أنابت عنها مربية أو حاضنه لتربي أولادها ، وتدبر أمر منزلها فتستطيع المرأة أن توافق فيما بين عملها في البيت وخارجه .

كما إن ترك المرأة عملها داخل البيت لكي تعمل خارجه ، يعتبر إخلال بنواميس الحياة ، وتضييع للأمانة التي أوكلها الله إليها ، وفي قيامها بالعملين معاً (البيت والعمل خارجه) إرهاق لجسمها لا تتحمله ولا تقدر عليه ، وهو ظلم لها فالإسلام حينما أراد منها أن تتفرغ للأمومة وأعبائها ، وألزم زوجها أو وليها بالإنفاق عليها إنما صانها عن الابتذال ، وكفأها مشقة العمل .

وإن المرأة التي تنصرف إلى الأعمال خارج بيتها يخسر بيتها وزوجها وأولادها من الراحة المنزلية بقدر ما تربح من مال خارجه ، وذلك لان الزواج يخلق للمرأة واجبات لا تستطيع الخادومات مهما كنّ حاذقات سد فراغها .

ومن حق المرأة أن تعمل في ظروف خاصة ، وفي نوع معين من العمل يتفق مع طبيعتها ، ولكن العمل على إطلاقه على النحو القائم اليوم ، قد تعدى في كثير من صوره الغاية التي يشرع للمرأة العمل من أجلها ، فلا هو منتج في موازين الإنتاج .

كما لو قام بأدائه الرجل ، ولا هو أبقى على وظيفة المرأة السامية في رعاية أطفالها وأسرتها . وعمل المرأة بموارده الضئيلة^{٦٤٧} ، لا يرقى إلى درجة النفع المرجوة، مقارنة بالخسارة البالغة التي تخسرهما الأسرة والمجتمع .

ومن سنن الحياة وطبائعها التي لا تتبدل ، أن للرجل قوامةً تنظم أمور الحياة ، وقد تولت الحكمة الإلهية قسمة القوة والضعف بين الذكر والأنثى ، فجعلت الرجل أقوى بنية وأكثر احتمالاً وإقداماً ، وأكثر استعداداً لتحمل المسؤوليات الجسام ، وجعلت المرأة أكثر احتمالاً لمهمة الولادة والرضاعة والقيام على الأسرة وهما بذلك متكاملان .

٦٤٧ - التي يضيع أغلبها على الملابس ومصاريف التنقل ومجرد كماليات لا جدوى منها .

والأسرة أشبه بمملكة صغيرة ذات إدارتين ، أحدهما خارجية ، وهي إدارة الكسب من الموارد والثانية داخلية ، وهي تدبير المنزل وتنظيم الأسرة ، ولأن توزيع العمل هو تخصيص كل عامل بالعمل الذي يحسنه ، ويوجبه العقل ، لما فيه من توفير الثروة واختصار الوقت وإتقان العمل من ذلك وزع الشارع أعمال الأسرة على مؤسسيها (الرجل والمرأة) ، وأوكل إلى كل منهما ما يتقنه .

وقد خص الرجل بالوظيفة الخارجية لأنها عمل شاق ، يتطلب قوة واحتمالاً ، وصبراً على السفر والتنقل ومخالطة الناس والتعرض للأذى ، كما خص المرأة بالوظيفة الداخلية لما حباها الله به من رقة وحنان وصبر على الولد ، وقدرة على تدبير أمر منزلها .

بالصورة التي يعجز عنها الرجل ، ولما يعترئها من الأعراض الخاصة بالحمل والولادة الرضاعة ، وتقلب المزاج في أحوال عديدة ، كما يحدث لها عند مرض بعض أولادها ، أو حيضها وحملها ، أو تغير زوجها عليها .

يقول الفيلسوف الفرنسي (جون سيمون) : يجب أن تبقى المرأة امرأة ، فإنها بهذه الصفة تستطيع أن تجد سعادتها ، وإن تهبها لسواها ، فلنصلح المرأة ، ولكن لا نغيرها ، ولنحذر من قلبهن رجالاً لأنهن بذلك يفقدن خيراً كثيراً ونفقد نحن كل شيء^{٦٤٨}.

وقد رغب الشارع الرجل في معاونة زوجته فيما يغلبها من أعمال ، ويباح للمرأة أن تعاون زوجها في ما لا معصية فيه ، وكذلك يحسن بالمرأة العاملة أن تحترف حرفة لطيفة ، تناسب طاقتها ولا تؤذي أنوثتها ، لكسب ما يكفيها ويغنيها عن سؤال الناس .

أما خروج المرأة اليوم إلى مختلف ميادين الحياة العملية ، وإشغالها العديد من الوظائف وتحقيقها الكثير من النجاح فيها ، فهو حتى وإن كان في ظاهره نصراً للمرأة ، وتديلاً على كفاءتها إلا أنه عاد على الأسرة والمجتمع بالضرر ز

فعمل المرأة خارج بيتها ينتقص حتماً من قدرتها على إدارة أسرتها على أسس الاستقرار وحسن التدبير والأمن العاطفي والنفسي لجميع أفرادها ، فليس بمقدور المرأة المنهكة من أعباء العمل وإشكالات الخلطة مع الناس أن تمنح أسرتها ما تحتاجه من المرأة الأم والزوجة ومديرة المنزل .

٦٤٨ - محمد فريد وجدي ، المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة ، الطبعة الاولى ، ص ٤٥ ، مكتبة الأضواء السلف ، الرياض - السعودية ، ١٩٩٩ م .

ويقول عالم الاجتماع الأمريكي سوليفان :

(إن السبب الحقيقي في جميع مفاسد أوروبا وفي انحلالها بهذه السرعة هو إهمال النساء للشؤون العائلية المنزلية ، ومزاولتهن الوظائف والأعمال اللائقة بالرجال ، في المصانع والمعامل والمكاتب جنباً إلى جنب)ز

على أن المقابل الذي تحصل عليه المرأة من وظيفتها تنفق معظمه على المظهر والزينة ، ثم تحاول أن تخلق لبقية مرتبها أبواباً جديدة للنفقة ، بحيث لا تنتفع ميزانية الأسرة منها بشيء مُجدي ، ورغم هذا فإنها قد تستعلي على زوجها لأنها موظفة مثله !.

وكم خربت بيوت ، وتحطمت أسر ، وشرد أطفال من جراء هذا ، والإسلام من أجل ذلك يحيط الأسرة بسياسات من التشريعات التي تحفظها ، فأمر بالعفاف والتزام البيت كوظيفة أساسية للمرأة ومنع الاختلاط لتعيش في مأمن من الانحراف والمفاسد ، وهذا هو سر تماسك الأسرة المسلمة في حين أن المجتمعات الأخرى قد تفككت فيها الأسر بسبب الإباحية والاختلاط وهجر البيت^{٦٤٩}.

وأما مساواة المرأة بالرجل في كافة الأعمال والمهن ، كأن تتجشم أعمال الحدادة والنجارة والبناء ، ومختلف الأعمال الشاقة فليس من الحكمة في شيء ، وليس تحريراً لها كما يدعي البعض ، وإنما هو الأسر والاستعباد الذين يجب أن تُحمى المرأة منهما .

أما الزعم بأن المرأة يمكنها أن تشارك الرجل في أعماله الخارجية ، إذا أنابت عنها مربية أو حاضنة، لتربي لها أولادها وتدبر أمر منزلها ، فهذه دعوى مردودة لان النيابة إن أمكنت فهي غير ممكنة في بذل العاطفة ، والتفاني في الرعاية ، لأنها أغير على تربية أولادها وتدبير منزلها من المرأة الأجنبية .

كما تقول الخيرة الاجتماعية الأميركية (ايدا لين) :

إن التجارب أثبتت ضرورة لزوم الأم لبيتها وإشرافها على تربية أولادها فإن الفارق الكبير بين المستوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى إن الأم هجرت بيتها ، وأهملت طفلها وتركته إلى من لا يحسن تربيته .

٦٤٩- توفيق مُجد السبع ، نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني ، طبعة ١ ، العدد ٣٤ من سلسلة بحوث الإسلامية التي يصدرها مجمع البحوث الإسلامية .

وعمل النساء بأشغال الرجال يعد تعدياً منهن على طبيعتهن ، وخروجاً عن دائرتن المفترضة لهن ، ويكون إجبارهن على هذا التعدي أكبر مظهر من مظاهر أسر هذا الرجل القاسي للمرأة الضعيفة الرقيقة ، ومزاحمته لها بدون رحمة ولا شفقة في ميادين هذه الحياة الخطرة .

وقد احترف الكثير من نساء الغرب حرف الرجال ، واكتسبن بها دريهمات ، ولكنهن في مقابل ذلك نقضن بناء أسرهن ، وأصبح الرجل وهو في منزله كأنه على سفر ، أو كأنه ضيف في نزل مؤقت ، وإن ربح من كسب امرأته قليلاً فقد خسر كثيراً ، وقلّ ربحه بمزاحمتها إياه في عمله .

وما عمل النساء في وظائف الرجال إلا تمرد على نوااميس الطبيعة ، ومرض اجتماعي طالما تدمر منه العقلاء الغربيين وفلاسفتهم ، ومن ذلك قول عالم الاجتماع (جون فريرو) قال :

إن في أوربا كثيراً من النساء يتعاطين أشغال الرجال ، ويلتجنن في ذلك إلى التبتل ، وهؤلاء يصحّ تسميتهن بالجنس الثالث ، أي إنهن لسن بالرجال أو النساء ، وقد اعترض عالم الاجتماع (أوجست كونت) حينما قال :

يجب أن نعلم بأنه لو نال النساء هذه المساواة المادية ، التي يطلبها لهن من يزعمون الدفاع عنهن بغير رضاهن ، فإن ضماهن الاجتماعي يظل بقدر ما تفسد حالتهن الأدبية لأنهن في تلك الحالة سيكونّ خاضعات في أغلب الصنائع لمزاحمة يومية لا يستطعنها ، وتتكرر منابع المحبة المتبادلة^{٦٥٠} .

ويُجمع كلُّ من زار الغرب من الشرقيين وخاصة العرب والمسلمون ، على أن المرأة هناك أصبحت في وضع مؤلم لا تحسد عليه ، من شقاء وابتذال في سبيل لقمة العيش ، أو رغبتها في أن تكون مثل الرجل تماماً .

وقد استطاع الرجل الغربي أن يستغل ضعف المرأة في هذه الناحية فسخرها إلى أقصى الحدود في سبيل منافع المادية وشهواته الجنسية .

٦٥٠ - نديم بن محمود الملاح ، حقوق المرأة المسلمة ، ط ٢ ، ص ١٠٢ ، المطبعة الحديثة ، عمان - الأردن ، ١٩٦٩ م .

- المرأة نصف المجتمع :

قيل : ان المرأة نصف المجتمع ، وإبقاؤها في البيت بلا عمل تعطيل لهذا النصف وضرر على الأسرة والمجتمع ؟! .

ان القول بان عمل المرأة يعطل نصف المجتمع ، ويؤثر سلباً على ميزانية الأسرة والاقتصاد الوطني او القومي، فيمكن دحضه من خلال ما يلي منها :

منها : إن عمل المرأة يؤثر على الحياة الاقتصادية تأثيراً سيئاً ، باعتبار أن عملها فيه مزاحمة للرجل في ميدان نشاطه الطبيعي ، مما يؤدي إلى نشر البطالة في صفوف الرجال ، كما وقع في البلدان منذ أن أخذت المرأة طريقها إلى وظائف الدولة .

فقد أصبح عدد كبير من حملة الشهادات عاطلين عن العمل ، يملئون المقاهي ، ويقرعون أبواب الحكومة طلباً للوظائف بينما تحتل أمكنتهم فتيات ، لا يحملن غالباً مثل مؤهلاتهم وكفاءاتهم ، ومثل ذلك يقع الآن في العديد من دول العالم اليوم ، فقد أدت مزاحمة المرأة للرجل إلى بطالة متفشية في الرجال تزداد يوماً بعد يوم .

ومنها : إذا ثبت أن عمل المرأة يؤدي إلى بطالة الرجل ، كان من المحتمل أن يكون هذا الرجل الذي زاحمته زوجها أو أباه أو أخاه ، فأى ربح اقتصادي للأسرة إذا كان عمل المرأة يؤدي إلى بطالة عميدها والمكلف بالإنفاق عليها ؟.

ومنها : إن مصالح الشعوب لا تقاس دائماً بالمقياس المادي ، فلو فرضنا أن عمل المرأة يزيد في الثروة الوطنية او القومية ، فإنه من المؤكد أن الأمة تخسر بذلك خسارة معنوية واجتماعية لا تقدر يقول الفيلسوف (جون سيمون) في مجلة فرنسية : المرأة التي تشتغل خارج بيتها تؤدي عمل عامل بسيط ولكنها لا تؤدي عمل امرأة^{٦٥١}.

ومنها : إن الدين يُلحون على ضرورة عمل المرأة خارج بيتها ، لتنعش الأمة اقتصادها نتيجة عملها ، لا يبالون بما تحسره من تفكك الأسرة ، وفقدان الرقابة والرعاية على تربية أبنائها وبناتها ، ومثل هؤلاء يتبنون فلسفة مادية بحتة ، ويتناسون أن المجتمع لا تتم سعادته إذا نظر إلى القيم الأخلاقية والروحية والعائلية نظرة ثانوية .

أو نظرة ازدياء ، ومجتمعنا مجتمع متدين ، تُسَيِّرُ سلوكه المبادئ الأخلاقية ، فلا يمكن أبداً أن يُنظر إلى الأسرة بالمنظار الذي تنظر به الحضارة الغربية المادية إليها ، وإن النظر إلى كل فرد في المجتمع كآلة منتجة ، هو رجوع بالإنسانية إلى الوراء ، إلى عهود الرق والعبودية والسخرة .

على أن هذه النظرة المادية لا تنطبق على واقع حياتنا وحياة المجتمعات الأخرى ، فهناك في كل مجتمع فئات معطلة عن الإنتاج المادي ، فالجيوش والموظفون لا يزيدون في ثروة الأمة المادية ، وقد رضيت كل الأمم بأن يتفرغ الجيش لحماية البلاد ، دون أن تلزمه بالعمل والكسب .

فهل يقال أن هذا التعطيل للثروة البشرية يؤدي إلى انخفاض الثروة القومية في البلاد ؟ أم إن هؤلاء المنادين بعمل المرأة خارج بيتها يوافقون على حرمان الأمة من جهود أفراد الجيش الاقتصادية في سبيل مصلحة أعلى وأثمن من المنفعة الاقتصادية ؟.

إن حياة أي الناس ليست كلها تحسب بحساب الربح والخسارة المادية ، فالكرم والشهامة والتضحية والوفاء وبذل العون للآخرين كل ذلك خسران مادي ، لكنه ربح عظيم لا يتخلى عنه الشرفاء الذين يعتزون بكرامتهم الإنسانية . وليست صيانة الأسرة ، ورعاية الطفولة ، وتربية الأولاد أقل شأنًا في نظر الإنسان الراقى المعترف بإنسانيته من تلك القيم الأخلاقية ، التي لا تقاس بالمقياس المادي البحت .

والبنت ما دامت هي في المدرسة ، تتلقى العلم ، لا يجوز إرهاقها بالعمل معه ، وإذا انتهت من المدرسة لا تمكث في بيت أبيها وأمها إلا بمقدار ما تنهي البنت للانتقال إلى بيت الزوجية ، فهي في هذه الحالة تتلقى دروساً عملية عن أمها في إدارة البيت وأعماله وشؤونه ، فلا يجوز مع ذلك إرهاقها بالعمل والبيت معاً^{٦٥٢} .

فعمل المرأة في البيت - بنتاً كانت أم زوجة - لا يقل عن أعمالها خارج البيت مشقة وعناء وكثيراً ما يكون أكثر مشقة وإرهاقاً ، وإن انشغال المرأة بأعمال الرجال ، وإنهاكها فيها بغير قيود ولا حدود مضرّة لا شك فيها من عدة جوانب شتى منها : مضرة على المرأة نفسها ، لأنها تفقد أنوثتها وخصائصها ، وتحرم من بيتها وأولادها وقد سماهن البعض (الجنس الثالث) ، أي الذي لا هو رجل ولا هو امرأة .

٦٥٢ - السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٥٦ .

ومنها : مضرة على الزوج ، لأنه يحرم من نبع سخي ، كان يفيض عليه بالأنس والبهجة فأجذب ولم يعد يفيض عليه إلا بالجدل ، والشكوى من مشكلات العمل ، ومنافسة الزميلات والزملاء فضلاً عن أن الرجل يفقد كثيراً من سلطانه وقوامته عليها ، لشعورها بأنها مستغنية بعملها عنه وربما كان راتبها أكبر من راتبه فتشعر بالاستعلاء عليه .

ومنها : مضرة على الأولاد ، لأن حنان الأم ورعايتها ، لا يغني عنها فيه غيره ، من خادم أو مدرسة أو نحوه ، وكيف ينتفع الأبناء من أم تقضي نهارها في عملها ، فإذا عادت إلى البيت عادت متعبة منهكة ، لا تسمح لها حالتها النفسية والجسمية بحسن التربية ، وسلامة التوجيه .

ومنها : مضرة على المجتمع ، لأن كل امرأة عاملة تأخذ مكان رجل صالح للعمل ، وإن بطالة رجل واحد تعني حرمان أسرة كاملة من الدخل .

ومنها : مضرة على العمل نفسه ، لأن المرأة كثيرة الغياب عن العمل ، لكثرة العوارض الطبيعية- التي لا تملك دفعها- من حيض وحمل ووضع وإرضاع وما شابه ذلك وهذا كله على حساب العمل والإنتاج .

- العمل خارج البيت :

قيل : ليس للمرأة أن تعمل خارج البيت على الإطلاق وعليها أن تتفرغ لخدمة البيت والأبناء ؟!

إن عمل المرأة الأول والأعظم الذي لا ينافسها فيه منازع ، ولا ينافسها فيه منافس ، هو تربية الأجيال حيث هيأها الله له بدنياً ونفسياً ، ويجب ألا يشغلها عن هذه الرسالة الجليلة شاغل إذ لا يستطيع أحد أن يقوم مقام المرأة في هذا العمل الجليل ، الذي يتوقف عليه مستقبل الأمة ، وبه تتكون أعظم ثروتها ، وهي الثروة البشرية ، وكما قال أحمد شوقي عنها : (الأم مدرسة إذا أعدتها أعددت شعباً طيب الأعراق) .

وهذا لا يعني إن عمل المرأة خارج بيتها محرم شرعاً ، فهو من حيث الأصل جائز ، لعدم ورود ما يمنع منه في أدلة الشرع ، وقد يكون مطلوباً إذا احتاجت إليه ، كان تكون أرملة أو مطلقة ، أو لم توفق في الزواج أصلاً ، ولا مورد لها ولا عائل ، وهي قادرة على نوع من الكسب يكفيها ذل السؤال أو المنة .

كما إن مصلحة المرأة نفسها تدعو إلى العمل المنضبط وفق الشروط الشرعية ، فإن الانخراط المنضبط المشروع بالناس والحياة والمجتمع خارج البيت يصقل شخصيتها ، ويمدها بخبرات وتجارب ، ما كان لها أن تحصل عليها بين جدران بيتها الأربعة .

وقد تكون الأسرة هي المحتاجة إلى عملها ، كأن تعاون المرأة زوجها في أعماله ، أو تساعد أباه في شيخوخته ، كما في قصة ابنتي الرجل الصالح ، التي ذكرتها آيات القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾^{٦٥٣}.

فلما سألهما موسى عليه السلام، اتضحت له الضرورة التي دفعت بهما إلى الخروج من البيت والاختلاط بالرجال عند البئر ، فأبوهما شيخ كبير ، ولا يستطيع أن يسوق الماشية ، وهما تقومان بهذا العمل مكانه .

وتلاحظ من هذه القصة توفر بعض الضمانات ، التي يحسن وجودها عندما تضطر المرأة للخروج للعمل في بعض الأعمال ، ومنها خروج الفتاتين معا ، مع أن المتوقع أن تخرج واحدة وتبقى الثانية مع أبيها وأمها الكبيرين للقيام بشؤونهما .

وبالرغم أن الفتاتين ابتتا رجل صالح ، إلا أن ذلك لم يشفع لهما في الثقة الزائدة ، التي تفتح باب الفتنة والتعرض للأذى ، ولذلك خرجتا معا لتشد كل منهما من أزر الأخرى ، وعندما اضطرتا إلى الخروج للعمل لم تترحم الرجال ، بل وقفنا بعيدا تمنعان ماشيتهما من السقيا حتى ينصرف الرعاة^{٦٥٤} .

وقد يكون المجتمع نفسه في حاجة إلى عمل المرأة ، كما في تطبيب النساء وتمريضهن وتعليم البنات ، ونحو ذلك من كل ما يختص بالمرأة .

فالأولى أن تتعامل المرأة مع امرأة مثلها لا مع رجل ، وقبول رجل في هذه الأعمال أحيانا يكون من باب الضرورة ، التي ينبغي أن تقدّر بقدرها ، ولا تصبح قاعدة ثابتة ، ومثل ذلك إذا احتاج المجتمع إلى أيدي عاملة لضرورة التنمية وإذا أجزنا عمل المرأة فالواجب أن يكون مقيدا بعدة شروط .

٦٥٣ - القصص ٢٣ .

٦٥٤ - مُجَدِّ متولي الشعراوي ، مكانة المرأة في الإسلام ، ص ١٩٤ .

منها أن يكون العمل في ذاته مشروعاً ، اي بمعنى أن لا يكون عملها حراماً في نفسه ، أو مفضياً إلى ارتكاب حرام ، كالتى تعمل خادمه لرجل أعزب ، أو (سكرتيرته) الخاصة وتقتضي وظيفتها أن يخلو بها ، أو مضيفة في طائرة يتوجب عليها لباس ما لا يوافق الشرع ، وتقديم مالا يباح والتعرض للخطر بسبب السفر البعيد بغير محرم ، وما يتبعه من المبيت في البلاد البعيدة ، أو غير ذلك من الأعمال التي حرمها الإسلام على النساء .

ومن الشروط أن تلتزم المرأة آداب الإسلام إذا خرجت من بيتها ؛ في الزي والمشي والكلام والحركة ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾^{٦٥٥} ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾^{٦٥٦} .

ومن تلك الشروط أيضاً أن لا يكون عملها على حساب واجبات أخرى لا يجوز لها إهمالها ، كواجبها نحو زوجها وأولادها ، الذي هو واجبها الأول وعملها الأساس .

وعلى المجتمع المسلم أن يهيئ الأسباب ، بحيث تستطيع المرأة المسلمة أن تعمل إذا قضت بذلك مصلحتها ، أو مصلحة أسرتها ، أو مصلحة مجتمعها ، دون أن يחדش ذلك حيائها ، أو يتعارض مع التزامها بواجبها نحو ربها ونفسها وبيتها .

وان يكون المناخ العام مساعداً لها على أن تؤدي ما عليها وتأخذ ما لها ، ويمكن أن يُرتب لها عملاً بنصف أجر ثلاثة أيام في الأسبوع مثلاً .

كما ينبغي أن يَمُنَحها إجازات كافيه في أول الزواج ، وفي حالات الولادة والإرضاع ، ومن ذلك إنشاء مدارس وجامعات خاصة للبنات .

وان يكون لهن الحرية في التحرك وممارسة الأنشطة المختلفة ، ومن ذلك إنشاء أقسام أو أماكن مخصصة للعاملات من النساء في المؤسسات بعيدة عن مظان الخلوة والفتنة^{٦٥٧} .

٦٥٥- النور ٣١ .

٦٥٦- النور ٣١ .

٦٥٧- يوسف القرضاوي ، مركز المرأة في الحياة الإسلامية ، طبعة ١ ، ص ١٩٤ ، مكتبة وهبه للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، عام ١٩٩٦ م .

– مجارة الحضارة الغربية :

قيل : يجب تشغيل المرأة لان العمل سلاح بيدها مجارة للحضارة الغربية التي هي أكثر منا تقدماً ورُقياً؟!.

أما عمل المرأة وضوابطه وشروطه فقد تمت مناقشته في المفهوم السابق ، والاحتجاج بتقليد الغرب هو احتجاج باطل ، ذلك أن سلوك الغرب ليس حجة علينا ، فالمرأة عند الغرب خرجت إلى المصنع والمتجر مجبرة لا مختارة ، تسوقها الحاجة إلى القوت ، والاضطرار إلى لقمة العيش .

بعد أن نكّل الرجل عن إعالتها في مجتمع قاسٍ ، لا يرحم صغيراً لصغره ولا أنثى لأنوثتها ، ولقد أغنانا الله بنظام النفقات في شريعتنا الاسلامية الغراء عن مثل هذا .

واليوم الغرب يشكو من عمل المرأة ، وما جره من آثار ، وأصبحت المرأة نفسها هناك تشكو من هذا البلاء ، الذي لم يكن لها خيار فيه ، كما تقول الكاتبة (انا رود) حيث ذكرت في مقاله نشرتها في جريدة (الاسترن ميل) قالت :

لأن تشتغل بناتنا في البيوت خادمت أو كخادمت خيرٌ وأخفُ بلاء من عملهن في المعامل ، حيث تصبح البنت ملوثة بأدرانٍ تذهب برونق حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين ، فيها الحشمة والعفاف والطهر .

فالخادمت يتنعمن برغد العيش ويعاملن كما يعامل أولاد البيت ، ولا تمس الأعراض بسوء ، نعم!، إنه العار على بلاد الإنجليز أن نجعل بناتها مثلاً للردائل ، لكثرة مخالطة الرجال، فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية ، من القيام بالبيت وترك أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها^{٦٥٨}.

كما إن مصلحة المجتمع ليست في أن تدع المرأة رسالتها الأولى في البيت ، لكي تعمل مهندسة أو محامية أو نائبة أو عاملة في مصنع ، بل مصلحته أن تعمل في مجال تخصصها الذي هيأها الله له ، من زوجية وأمومة ، وهو لا يقل أهمية عن العمل في المتاجر والمؤسسات ، وقد قيل لنا بليون أي حصون فرنسا أمنع ؟ فقال : الأمهات الصالحات^{٦٥٩}.

٦٥٨- فتحي يكن، الإسلام والجنس ، ص٧٣-٧٤ طبعة ١ ، دار النور ، بيروت ، ١٩٧٢ م .

٦٥٩- القرضاوي ، مركز المرأة في الحياة الإسلامية ، ص ١٥٥ .

والذين يزعمون أن المرأة في البيت عاطلة ، يجهلون أو يتجاهلون ما تشكو منه النساء العاملات من كثرة الأعمال والأعباء المنزلية ، التي تستنفد وقتها وجهدها كله ، فان كان عند بعض النساء وقت كافٍ فلتتقضيه في ما يليق بها من أعمال لا تتعارض مع واجبها في البيت أو في خدمة مجتمعها أو بنات جنسها والإسهام في مقاومة الفقر والجهل والمرض والرزيلة .

الواقع أن كثيراً من النساء العاملات يستخدمن نساءً أخريات للعمل مرييات لأولادهن ، أو شغالات في بيوتهن ، ومعنى هذا أن البيت في حاجة دائمة إلى امرأة ترعى شؤونها ، وأولى الناس في ذلك ربه ، بدلاً من المرأة الغريبة ، والتي قد تكون غريبة الدار والخلق والدين واللغة والعادات ، كما قد شاع في بعض المجتمعات من استقدام المرييات والخادومات المستوردات .

كما أن سعادة الأسرة ليست في مجرد زيادة الدخل ، الذي يُنفق معظمه في أدوات الزينة وثياب الخروج ، وتكاليف الحياة المختلفة ، التي تقوم على التكلف والتصنع وسباق الأزياء والموضات ، وما إلى ذلك ، ويقابل هذه الزيادة في الدخل ، حرمان البيت من السكينة والأنس .

أما المرأة العاملة فهي مكدودة الجسم ، مرهقة الأعصاب ، بحاجة إلى من يروح عنها ، وفقد الشيء لا يعطيه ، فمصلحة المرأة ليست في إخراجها عن فطرتها ، وإلزامها أن تعمل عمل الذكر، وقد خلقها الله أنثى ، وقد تفقد المرأة أنوثتها بالتدريج ، وهذا ما أطلق عليه بعض الكتاب (الجنس الثالث)^{٦٦٠} ، وهذا ما اعترف به الكثير من النساء من ذوات الشجاعة الأدبية .

وأما الإدعاء بأن العمل سلاح بيد المرأة ، فإن صح في الغرب فإنه لا يصح عندنا نحن المسلمين ، لأن المرأة مكفية الحاجات ، بحكم النفقة الواجبة شرعاً على أبيها أو زوجها أو أبنائها أو غيرهم من الأقارب .

فتوظيف المرأة بدلاً من الرجل أمر لا تبرره المصلحة ، فلو كنا نشكو قلة الأكفاء من الرجال لملء وظائف الدولة لجاز توظيف المرأة ، وأما أن نخرجها من بيتها لتعمل مكان الرجل فهو قلب للأوضاع ، وإفساد للمجتمع وسير بالبلاد إلى طريق الفوضى والأزمات ز

كما يقول عالم الاجتماع (اجوست كونت) : يجب أن تكون الحياة النسائية منزلية على قدر الإمكان ، ويجب تخليصها من كل عمل خارجي لتتمكن من تحقيق وظيفتها الطبيعية^{٦٦١}.

وعلى أن لا نقلد الغرب لمجرد التقليد ، وتلميع صورة مجتمعاتنا لديه ، لأن واقع المجتمع الغربي يعاني من آثار إهمال المرأة لبيتها ، التي بدت واضحة في الجيل الجديد الذي نشأ عندهم هذا الجيل الصاحب الفوضوي الذي يلبس لباسا غريبا ويعربد في الشوارع ، ويقلق الراحة العامة ، ويحطم الحانات والمقاهي وهو الآن يشغل رجال الأمن وعلماء التربية والاجتماع .

وقد اجتمعت الآراء على أن سبب وجوده هو خلو البيت من المرأة ، وقد بدأت المرأة الغربية أو بعض النساء هناك يطالبن بالعودة إلى البيت ليتفرغن إلى أسرهن ، على أن يُجبر الزوج أو الدولة على تأمين معيشتهم ومعيشة أولادهم^{٦٦٢}.

الف : معاني وجوانب التربية في اللغة والاصطلاح

تلاحظ ان الأخلاق في قيم القرآن تتنازع جهتان :

الأولى : الفلسفة .

الثانية : الفكر الديني .

وبالنسبة إلى الجهة الأولى ، فإنه اعتبر موضوع الأخلاق علماً ، وهو متفرع عن الفلسفة ، حيث أنه أحد فروعها المتعارفة الثمانية وهي :

١ - ما بعد الطبيعة .

٢ - فلسفة الطبيعة .

٣ - علم النفس .

٤ - علم المنطق .

٥ - علم الجمال .

٦٦١- محمد فريد وجدي ، المرأة المسلمة دراسة نقدية لدعاة تحرير المرأة ، ص ٦٣ .

٦٦٢- السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ١٤٥ .

٦- علم الأخلاق .

٧- فلسفة القانون .

٨- علم الاجتماع وفلسفة التاريخ .

وقد عرّف فلسفياً علم الأخلاق بأنه : علم يوضح معنى الخير والشر ويبيّن ما ينبغي أن يكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاً.

أما موضوعه : الأعمال التي صدرت من العامل عن عمد واختيار يعلم صاحبها وقت عملها ماذا يعمل ، وهذه هي التي يصدر عليها الحكم بالخير والشر .

أما الجهة الثانية فهي الفكر الديني ، ولم نقصرها على الفكر الإسلامي لأن شرائع الأنبياء ﷺ السابقين كلها جاءت حاثّة على الأخلاق الحميدة والسلوكيات القويمة ، وإنما جاء مُجَدِّدُهَا ﷺ متمماً لها ، حيث قال ﷺ (بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

وما كان عليه العرب قبل الإسلام من أخلاق حسنة وصفات حميدة كالصدق والكرم ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف وحسن الجوار إلى غير ذلك من المنظومة الأخلاقية السامية .

فإنها كانت من بقايا دين أبيهم وأبي الأنبياء إبراهيم خليل الرحمن ﷺ ، وجاء النبي ﷺ وتكمّلها ، وفعلاً تَمّمها وهَدّبها ، فمثلاً بعد أن كان النصر للأخ ظالماً أو مظلوماً على مقتضى ظاهر اللفظ ، صار النصر له إن كان مظلوماً ، وأما إن كان ظالماً فيجب رده عن ذلك الظلم .

وبشكل عام فإن الإسلام باعتباره وريث الديانات السابقة ، ودستوره الذي هو القرآن الكريم هو المصدق لها والمهيمن عليها ، فإن هذا الكتاب ، عني عناية عظيمة وكبيرة بالأخلاق الحسنة .

ولكن الأخلاق في الجهتين ، الفلسفة أو الفكر الديني لابد من تقييدها بالخير أو الشر، فسلوك الخير أخلاق ، وكذلك سلوك الشر تعتبر أخلاق ، بيد أن الحكم على تلك السلوكيات هو الذي يحدد خيريتها وشريرتها .

وكلنا يحكم على الأعمال بأنها خير أو شر صواب أو خطأ ، حق أو باطل ، وهذا الحكم متداول بين الناس رفيعهم ووضيعهم في جليل الأعمال وحقيقتها على لسان القاضي في المسائل القانونية ، وعلى ألسنة الصناع في صنائعهم ، والأطفال في ألعابهم فما معنى الخير والشر ، وبأي مقياس أقيس العمل فأحكم عليه بأنه خير أو شر؟^{٦٦٣} .

ونسأل عن المقياس الذي يحكم به العمل ، من أنه خير أو شر ، اذاً هو من حيث التأطير الفلسفي ، أما في الفكر الإسلامي فيكون من الأدلة الإسلامية ، فهي التي تحدد ذلك العمل أو تحكم عليه بالخيرية أو الشرية ، وجميع الأدلة الأصولية مشتركة في ذلك مثل القرآن والسنة والعقل والإجماع لدى السنة والشيعة معاً .

وقد زاد اخواننا اهل السنة القياس والاستحسان والعرف ومذهب الصحابي والمصالح المرسلة وسد الذرائع واستصحاب الأصل .

والأخلاق سواء كانت فلسفية أو دينية ؛ فإنها لا بد من تقييدها بالخير أو الشر، فيحكم لها بالخير إن كانت خيراً ، وبالشر إن كانت شراً ، وهنا نركز على القيم القرآنية التي جاءت أمراً بالأخلاق الحسنة ونهاية عن الأخلاق الشريرة السيئة مثل :

مثل : عبادة الله ﷻ ، لأن عبادته ﷻ من حسن الخلق من العبد تجاه خالقه وفاء وشكراً منه لخالقه الذي خلقه ورزقه كما في قوله تعالى :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^{٦٦٤} ز

وقوله تعالى : ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾^{٦٦٥} ز

وقوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾^{٦٦٦} .

٦٦٣- أحمد أمين ، كتاب الأخلاق ، ص ١-٥ .

٦٦٤- الذاريات ٥٦ .

٦٦٥- الذاريات ٥٧ .

٦٦٦- الذاريات ٥٨ .

مثل : الإحسان إلى الوالدين ، كما في قول الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ٦٦٧ ۝ ٦٦٨ ۝ ٦٦٩ ۝ ٦٧٠ ۝ ٦٧١ ۝ ٦٧٢ ۝ ٦٧٣ ۝ ٦٧٤ ۝ ٦٧٥ ۝ ٦٧٦ ۝ ٦٧٧ ۝ ٦٧٨ ۝ ٦٧٩ ۝ ٦٨٠ ۝ ٦٨١ ۝ ٦٨٢ ۝ ٦٨٣ ۝ ٦٨٤ ۝ ٦٨٥ ۝ ٦٨٦ ۝ ٦٨٧ ۝ ٦٨٨ ۝ ٦٨٩ ۝ ٦٩٠ ۝ ٦٩١ ۝ ٦٩٢ ۝ ٦٩٣ ۝ ٦٩٤ ۝ ٦٩٥ ۝ ٦٩٦ ۝ ٦٩٧ ۝ ٦٩٨ ۝ ٦٩٩ ۝ ٧٠٠ ۝ ٧٠١ ۝ ٧٠٢ ۝ ٧٠٣ ۝ ٧٠٤ ۝ ٧٠٥ ۝ ٧٠٦ ۝ ٧٠٧ ۝ ٧٠٨ ۝ ٧٠٩ ۝ ٧١٠ ۝ ٧١١ ۝ ٧١٢ ۝ ٧١٣ ۝ ٧١٤ ۝ ٧١٥ ۝ ٧١٦ ۝ ٧١٧ ۝ ٧١٨ ۝ ٧١٩ ۝ ٧٢٠ ۝ ٧٢١ ۝ ٧٢٢ ۝ ٧٢٣ ۝ ٧٢٤ ۝ ٧٢٥ ۝ ٧٢٦ ۝ ٧٢٧ ۝ ٧٢٨ ۝ ٧٢٩ ۝ ٧٣٠ ۝ ٧٣١ ۝ ٧٣٢ ۝ ٧٣٣ ۝ ٧٣٤ ۝ ٧٣٥ ۝ ٧٣٦ ۝ ٧٣٧ ۝ ٧٣٨ ۝ ٧٣٩ ۝ ٧٤٠ ۝ ٧٤١ ۝ ٧٤٢ ۝ ٧٤٣ ۝ ٧٤٤ ۝ ٧٤٥ ۝ ٧٤٦ ۝ ٧٤٧ ۝ ٧٤٨ ۝ ٧٤٩ ۝ ٧٥٠ ۝ ٧٥١ ۝ ٧٥٢ ۝ ٧٥٣ ۝ ٧٥٤ ۝ ٧٥٥ ۝ ٧٥٦ ۝ ٧٥٧ ۝ ٧٥٨ ۝ ٧٥٩ ۝ ٧٦٠ ۝ ٧٦١ ۝ ٧٦٢ ۝ ٧٦٣ ۝ ٧٦٤ ۝ ٧٦٥ ۝ ٧٦٦ ۝ ٧٦٧ ۝ ٧٦٨ ۝ ٧٦٩ ۝ ٧٧٠ ۝ ٧٧١ ۝ ٧٧٢ ۝ ٧٧٣ ۝ ٧٧٤ ۝ ٧٧٥ ۝ ٧٧٦ ۝ ٧٧٧ ۝ ٧٧٨ ۝ ٧٧٩ ۝ ٧٨٠ ۝ ٧٨١ ۝ ٧٨٢ ۝ ٧٨٣ ۝ ٧٨٤ ۝ ٧٨٥ ۝ ٧٨٦ ۝ ٧٨٧ ۝ ٧٨٨ ۝ ٧٨٩ ۝ ٧٩٠ ۝ ٧٩١ ۝ ٧٩٢ ۝ ٧٩٣ ۝ ٧٩٤ ۝ ٧٩٥ ۝ ٧٩٦ ۝ ٧٩٧ ۝ ٧٩٨ ۝ ٧٩٩ ۝ ٨٠٠ ۝ ٨٠١ ۝ ٨٠٢ ۝ ٨٠٣ ۝ ٨٠٤ ۝ ٨٠٥ ۝ ٨٠٦ ۝ ٨٠٧ ۝ ٨٠٨ ۝ ٨٠٩ ۝ ٨١٠ ۝ ٨١١ ۝ ٨١٢ ۝ ٨١٣ ۝ ٨١٤ ۝ ٨١٥ ۝ ٨١٦ ۝ ٨١٧ ۝ ٨١٨ ۝ ٨١٩ ۝ ٨٢٠ ۝ ٨٢١ ۝ ٨٢٢ ۝ ٨٢٣ ۝ ٨٢٤ ۝ ٨٢٥ ۝ ٨٢٦ ۝ ٨٢٧ ۝ ٨٢٨ ۝ ٨٢٩ ۝ ٨٣٠ ۝ ٨٣١ ۝ ٨٣٢ ۝ ٨٣٣ ۝ ٨٣٤ ۝ ٨٣٥ ۝ ٨٣٦ ۝ ٨٣٧ ۝ ٨٣٨ ۝ ٨٣٩ ۝ ٨٤٠ ۝ ٨٤١ ۝ ٨٤٢ ۝ ٨٤٣ ۝ ٨٤٤ ۝ ٨٤٥ ۝ ٨٤٦ ۝ ٨٤٧ ۝ ٨٤٨ ۝ ٨٤٩ ۝ ٨٥٠ ۝ ٨٥١ ۝ ٨٥٢ ۝ ٨٥٣ ۝ ٨٥٤ ۝ ٨٥٥ ۝ ٨٥٦ ۝ ٨٥٧ ۝ ٨٥٨ ۝ ٨٥٩ ۝ ٨٦٠ ۝ ٨٦١ ۝ ٨٦٢ ۝ ٨٦٣ ۝ ٨٦٤ ۝ ٨٦٥ ۝ ٨٦٦ ۝ ٨٦٧ ۝ ٨٦٨ ۝ ٨٦٩ ۝ ٨٧٠ ۝ ٨٧١ ۝ ٨٧٢ ۝ ٨٧٣ ۝ ٨٧٤ ۝ ٨٧٥ ۝ ٨٧٦ ۝ ٨٧٧ ۝ ٨٧٨ ۝ ٨٧٩ ۝ ٨٨٠ ۝ ٨٨١ ۝ ٨٨٢ ۝ ٨٨٣ ۝ ٨٨٤ ۝ ٨٨٥ ۝ ٨٨٦ ۝ ٨٨٧ ۝ ٨٨٨ ۝ ٨٨٩ ۝ ٨٩٠ ۝ ٨٩١ ۝ ٨٩٢ ۝ ٨٩٣ ۝ ٨٩٤ ۝ ٨٩٥ ۝ ٨٩٦ ۝ ٨٩٧ ۝ ٨٩٨ ۝ ٨٩٩ ۝ ٩٠٠ ۝ ٩٠١ ۝ ٩٠٢ ۝ ٩٠٣ ۝ ٩٠٤ ۝ ٩٠٥ ۝ ٩٠٦ ۝ ٩٠٧ ۝ ٩٠٨ ۝ ٩٠٩ ۝ ٩١٠ ۝ ٩١١ ۝ ٩١٢ ۝ ٩١٣ ۝ ٩١٤ ۝ ٩١٥ ۝ ٩١٦ ۝ ٩١٧ ۝ ٩١٨ ۝ ٩١٩ ۝ ٩٢٠ ۝ ٩٢١ ۝ ٩٢٢ ۝ ٩٢٣ ۝ ٩٢٤ ۝ ٩٢٥ ۝ ٩٢٦ ۝ ٩٢٧ ۝ ٩٢٨ ۝ ٩٢٩ ۝ ٩٣٠ ۝ ٩٣١ ۝ ٩٣٢ ۝ ٩٣٣ ۝ ٩٣٤ ۝ ٩٣٥ ۝ ٩٣٦ ۝ ٩٣٧ ۝ ٩٣٨ ۝ ٩٣٩ ۝ ٩٤٠ ۝ ٩٤١ ۝ ٩٤٢ ۝ ٩٤٣ ۝ ٩٤٤ ۝ ٩٤٥ ۝ ٩٤٦ ۝ ٩٤٧ ۝ ٩٤٨ ۝ ٩٤٩ ۝ ٩٥٠ ۝ ٩٥١ ۝ ٩٥٢ ۝ ٩٥٣ ۝ ٩٥٤ ۝ ٩٥٥ ۝ ٩٥٦ ۝ ٩٥٧ ۝ ٩٥٨ ۝ ٩٥٩ ۝ ٩٦٠ ۝ ٩٦١ ۝ ٩٦٢ ۝ ٩٦٣ ۝ ٩٦٤ ۝ ٩٦٥ ۝ ٩٦٦ ۝ ٩٦٧ ۝ ٩٦٨ ۝ ٩٦٩ ۝ ٩٧٠ ۝ ٩٧١ ۝ ٩٧٢ ۝ ٩٧٣ ۝ ٩٧٤ ۝ ٩٧٥ ۝ ٩٧٦ ۝ ٩٧٧ ۝ ٩٧٨ ۝ ٩٧٩ ۝ ٩٨٠ ۝ ٩٨١ ۝ ٩٨٢ ۝ ٩٨٣ ۝ ٩٨٤ ۝ ٩٨٥ ۝ ٩٨٦ ۝ ٩٨٧ ۝ ٩٨٨ ۝ ٩٨٩ ۝ ٩٩٠ ۝ ٩٩١ ۝ ٩٩٢ ۝ ٩٩٣ ۝ ٩٩٤ ۝ ٩٩٥ ۝ ٩٩٦ ۝ ٩٩٧ ۝ ٩٩٨ ۝ ٩٩٩ ۝ ١٠٠٠ ۝ ١٠٠١ ۝ ١٠٠٢ ۝ ١٠٠٣ ۝ ١٠٠٤ ۝ ١٠٠٥ ۝ ١٠٠٦ ۝ ١٠٠٧ ۝ ١٠٠٨ ۝ ١٠٠٩ ۝ ١٠١٠ ۝ ١٠١١ ۝ ١٠١٢ ۝ ١٠١٣ ۝ ١٠١٤ ۝ ١٠١٥ ۝ ١٠١٦ ۝ ١٠١٧ ۝ ١٠١٨ ۝ ١٠١٩ ۝ ١٠٢٠ ۝ ١٠٢١ ۝ ١٠٢٢ ۝ ١٠٢٣ ۝ ١٠٢٤ ۝ ١٠٢٥ ۝ ١٠٢٦ ۝ ١٠٢٧ ۝ ١٠٢٨ ۝ ١٠٢٩ ۝ ١٠٣٠ ۝ ١٠٣١ ۝ ١٠٣٢ ۝ ١٠٣٣ ۝ ١٠٣٤ ۝ ١٠٣٥ ۝ ١٠٣٦ ۝ ١٠٣٧ ۝ ١٠٣٨ ۝ ١٠٣٩ ۝ ١٠٤٠ ۝ ١٠٤١ ۝ ١٠٤٢ ۝ ١٠٤٣ ۝ ١٠٤٤ ۝ ١٠٤٥ ۝ ١٠٤٦ ۝ ١٠٤٧ ۝ ١٠٤٨ ۝ ١٠٤٩ ۝ ١٠٥٠ ۝ ١٠٥١ ۝ ١٠٥٢ ۝ ١٠٥٣ ۝ ١٠

وقوله تعالى : ﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾^{٦٦٨} ، والآيات في ذلك كثيرة نظراً لعظم حق الوالدين .

مثل : الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى (القريب في النسب) والجار الجنب (الأجنبي نسباً) والصاحب بالجنب (الرفيق في السفر) وابن السبيل (المنقطع عن أهله وبلده) والمماليك ، كما في قول الله ﷻ :

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ ٦٦٩.

مثل : معاملة جميع الناس بالإحسان كما في قوله تعالى : ﴿ وَفُؤُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ ^{٦٧٠} .

مثل: العدل^{٦٧١} للجميع كما في قوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^{٦٧٢}.

مثل : الوفاء ، وهو مع الله ﷻ كالوفاء بالنذر ومع الخلق كالوفاء بالعقود والعهود كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوفُوا بِالْعُقُودِ ﴾^{٦٧٣} ، والوفاء يكون للجميع من إنسان وحيوان وشجر وحجر ومدر .

٦٦٧ - الاسماء ٢٣ .

٧٦٨ - الاسماء ٢٤ .

٦٦٩ - النساء ٣٦ .

٦٧٠ - البقرة ٨٣ .

٦٧١- والعدل عند الإباضية من أمور العقيدة ، ويقصدون به العدل الإلهي ، وفلسفتهم في ذلك (من ظاهر كلامهم) أنهم طالما وصفوا الخالق بالعدل وجعلوه من بنود العقيدة ، أوجبوا العدل على الإنسان ، ولا شك أن العدل الإلهي عدل مطلق ، بينما يبقى العدل الإنساني عدلاً نسبياً ، والعدل قيمة اجتماعية كبيرة .

٦٧٢ - المائدة ٨ .

٦٧٣ - المائدة ١ .

مثل : الرحمة ، وهي صفة لله ﷻ فهو الرحمن الرحيم ، وصفة لرسول الله ﷺ ، فيجب أن يتصف بها الإنسان فيرحم بها الصغير والضعيف .

مثل : احترام الصغير للكبير .

مثل : أدب المجالس بالفسح فيها كما في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا ﴾^{٦٧٤}.

مثل : آداب الطريق بالفسح للمارة ، وغض البصر وإرشاد الضال ورفع الأذى .

فالأخلاق المقصود منها الأخلاق الحسنة الخيرة واسعة الدائرة .

لتشمل جميع المخلوقات والموجودات في هذا الوجود ، وإذا ما تعامل بها الناس ارتفعت أفكارهم وتهدبت سلوكياتهم واستقرت حياتهم ، وتحققت لهم السعادة ، وعمهم الخير .

والأخلاق إلى جانب كونها مما كرسه بقوة القيم القرآنية فإنها تواضع عليها العقلاء ، وعمل بها الحكماء ، وقالوها أدبيات إنسانية رائعة ، وحفلت بها كثيراً المكتبة الإنسانية ، وتعانق في ميدانها الخطاب الديني والخطاب الفلسفي والخطاب الأدبي الإنساني ، وشكلت تلك الخطابات قيمة اجتماعية سامية رفيعة .

١ - تعريف التربية في اللغة :

تعددت دلالات كلمة التربية في معاجم اللغة العربية وتنوعت، إلا أنها تشير في معظمها إلى عدة أصول لغوية يمكن بالإطلاع عليها تحديد المعنى اللغوي للتربية، ويمكن إجمالها في خمسة تعاريف وهي:

التعريف الأول : ربا يربو بمعنى زاد ونما ، ومنه قوله تعالى :

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّيَرْبُو فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾^{٦٧٥}.

التعريف الثاني : هو أن تكون بمعنى نشأ وترعرع^{٦٧٦} .

التعريف الثالث : هو أن تكون بمعنى حفظ ورعى^{٦٧٧} .

التعريف الرابع : أن تكون بمعنى أصلح وأسس ، ومنه ربيت القوم أي أسستهم والعرب تقول : لأن يربيني فلان أحب إلي من أن يربيني فلان ، بمعنى أن يكون فوقي وسيدا يملكني .

التعريف الخامس : هو الرسوخ في العلم ومنه العالم الرباني أي الراسخ في العلم^{٦٧٨} .

ويتضح مما سبق أن التعريفات اللغوية تدور حول الرعاية والحفاظة والسياسة والعلم والتنمية والزيادة والنشأة والترعرع .

٦٧٥- سورة الروم ٣٠ / ٣٩ .

٦٧٦- ابن منظور ، لسان العرب ٥ / ٩٦ .

٦٧٧- كتاب لسان العرب لابن منظور ج ٥ / ٩٦ .

٦٧٨- أ.د سعيد إسماعيل ، أ.د محمد بن محجب ، أ.د عبد الراضي إبراهيم التربية الإسلامية المفاهيم والتطبيقات - مكتبة الرشد الطبعة الثالثة ص ١٧ .

٢ - التربية في الاصطلاح :

وردت تعاريف متنوعة للإعراب عن معنى التربية ، ومن الملاحظ أن سبب الاختلاف في التعاريف راجع لتركيز صاحب كل تعريف على جانب من الجوانب الداخلة تحت المفهوم العام للتربية.

فنجد من يعرفها على أساس النمو الجسدي ، أو العقلي ، أو النفسي^{٦٧٩} .

ومنهم من يعرفها على أساس النتائج المتوقعة من العملية التربوية .

ومنهم من يعرفها بربطها بالفلسفة فيسميها فلسفة التربية أو علم النفس التربوي^{٦٨٠} .

ومنهم من يركز على التطور الفكري فيعرفها على أنها الفكر التربوي^{٦٨١} .

نشجع هنا على تصحيح بعض المفاهيم المغلوطة عن المرأة من وجهة نظر إسلامية ، وذلك من خلال عرض بعض المفاهيم المغلوطة تجاه المرأة وتحليلها ومناقشتها والتعرف على الأسباب الكامنة وراء انتشار المفاهيم المغلوطة عنها .

مع محاولة ترشيد وتصويب النظرة تجاه المرأة وقضاياها فيما ينسجم مع النظرة التي قدمها الإسلام لها ، وعرض نماذج من الواقع النسائي الإسلامي لغرض توضيح الصورة الإيجابية عن المرأة في الإسلام وللتدليل على النظرة الصحيحة لها .

٦٧٩- وهم المعنيون بالتربية الجسدية والنفسية والروحية ، وهو علم تطور مع تتابع الحضارات حتى بات في القرن السابع عشر علماً ذا أسس واضحة تدعو إلى ضرورة تكوين عادات جديدة في الطفل تتفق وعابر الجماعة والعمل وقمع نوازع الطفل الطبيعية والتي لا تتماشى وتلك العادات. ثم في القرن الثامن عشر دعت إلى إعطاء الطفل الحرية المطلقة وفي القرن العشرين تركز على أهمية العمل والنشاط في حياة الطفل خلال جميع مراحل نموه... كتاب الأسس النفسية من الطفولة إلى الشيخوخة للدكتور فؤاد البهي السيد.

٦٨٠- وهو علم يدرس مدى فائدة تطبيق النظريات النفسية في مجال التربية والتعليم . مُجد أمين منصور ، المقال الفلسفي في قراءة جديدة لمفردات علم النفس ص ١٤ .

٦٨١- ومن أظهر ما ألف في هذا المجال المؤلفات التي عنيت بتطور التربية في الحقب الزمنية المتتابعة مثل كتاب تطور الفكر التربوي للدكتور سعد مرسي ، أو كتاب تطور الفكر التربوي عبر القرون للدكتور عماد مُجد عطية ، أو العناية بالفكر التربوي عند شخصية محددة كالفكر التربوي عند أرسطو ، أو الفكر التربوي عند ابن خلدون.

ولتحقيق أهداف هذه المفاهيم يمكن استخدام بشكل مجمل المنهج الوصفي ، وذلك من خلال تحليل مضامين الكتب والدراسات الفقهية والاجتماعية لدراسة الظاهرة والإحاطة بها من جميع جوانبها وإخضاعها للدراسة التحليلية الناقدة والمستفيضة .

٣ - تعريف التربية باعتبار النمو :

ومن معاني التربية من جوانب متعددة هي تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية حتى تبلغ كمالها عن طريق التدريب والتثقيف^{٦٨٢} .

وتجدر الإشارة هنا الى ان النتائج المتعلقة بالأسباب الكامنة وراء انتشار المفاهيم المغلوطة عن المرأة كما أفادت بعض الدراسات أن هنالك بعض المفاهيم المغلوطة حول قضايا المرأة المختلفة ، والتي تنسب أحياناً إلى الإسلام من دون تحقق ودراية كافية بأحكام الشرع .

حيث التبست بعض العادات الموروثة بفهم بعض الناس للإسلام ، فنسبت إليه ، وتتفق هذه النتيجة من الدراسات مع نتائج دراسة (كيال ، عام ١٩٨١م) في بعض جوانبها .

فقد يحدث أحياناً الخلط بين العادات والتقاليد الشعبية الموروثة وبين موقف الإسلام من المرأة ، ويجري تطبيقها في الواقع بقوة الأحكام الشرعية ونفاذها ، وذلك نتيجة للجهل بالإسلام والقرآن الكريم الذي حارب التقليد الأعمى ودعا إلى التفكير وإعمال العقل والبصيرة .

يخلط بعض الذين كتبوا وتكلموا عن موقف الإسلام من قضايا المرأة بين أحكام الإسلام ونصوصه وبين المواقف الخاطئة التي يتخذها بعض المسلمين ، ويعممون ذلك على النظرة الدينية الإسلامية في خصوص المرأة وقضاياها المختلفة .

وتتفق نتيجة هذه الدراسات مع ما قرره دراسة (القرضاوي ، عام ١٩٩٦م) التي فرقت بين ما تقرر في الشرع الإسلامي للمرأة من مكانة وحقوق ، وبين ما يمارسه بعض المسلمين تجاه المرأة متجاوزين في ذلك أحكام الإسلام وأن الحجية تكمن في نصوص الشرع لا في التطبيق الخاطئ له .

٦٨٢ - فاخر عاقل قاموس التربية - دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٣ ص ٢٧ .

إن جهل كثير من النساء المسلمات بالحقوق التي منحها الإسلام لهن ، جعلهن يفقدن الكثير من هذه الحقوق ، وأصبح هذا الجهل سبباً في الانبهار بدعوات التحرر والانفتاح وتقليد النموذج الغربي على علاقته من دون المعالجة العقلية الناقدة لهذه الدعوات .

وهذا أيضاً ما قرره دراسة (برمسيكة ، عام ١٩٩٢ م) ، التي ذهبت إلى أن الإسلام منح المرأة كافة الحقوق في جميع مجالات الحياة الإنسانية ، وخلصت فيها إلى أن الاتجاهات الوضعية من صكوك ومواثيق واتفاقيات غير ثابتة ومتأثرة بأهواء واضعيتها .

كما إن معظم المفاهيم المغلوطة حول المرأة في داخل المجتمع المسلم نتجت عن الفهم الخاطئ للإسلام ، أو التأثير بموجة التغريب التي تكتسح العالم اليوم ، وأحياناً كان سببها بعض الكتابات التي تعمدت الإساءة للإسلام من خلال تشويه حقائقه ، والتلاعب بالألفاظ واجتزاء النصوص الشرعية .

٤ - تعريف التربية لدى علماء التربية الحديثة :

ومن معاني التربية من جوانب متعددة هي نمو الكائن البشري من خلال الخبرة المكتسبة من مواقف الحياة المتنوعة .

ويقصد بالنمو اكتساب خبرات جديدة متصلة ومرتبطة ارتباطاً معيناً لتكون نغماً خاصاً بشخصية الفرد وتوجهه إلى المزيد من النمو ليتحقق بذلك أفضل توافق بين الفرد وبيئته^{٦٨٣} .

ويمكن تعريفها من خلال ربطها بالفكر:

ومن معاني التربية من جوانب متعددة من أها المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في إطار فكري واحد يستند إلى المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام.

والتي ترسم عدداً من الإجراءات والطرائق العملية يؤدي تنفيذها إلى أن يسلك الفرد سلوكاً يتفق مع عقيدة الإسلام^{٦٨٤} .

٦٨٣ - مُجَدِّ النجيجي مقدمة في فلسفة التربية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧م - ص ١١٧ .

٦٨٤ - علي سعيد ومُجَدِّ الحامد وعبد الراضي مُجَدِّ ، التربية الإسلامية المفاهيم والتطبيقات ، ص ٦ ، منشورات مكتبة الرشد ، الرياض .

وتلاحظ ان النتائج المتعلقة بمحاولة ترشيد وتصويب النظرة تجاه المرأة وقضاياها فيما ينسجم مع النظرة التي قدمها الإسلام لها أعلى من شأن المرأة وكفل لها حقوقها ، وجعل لها مكانة محترمة ومعتبرة في المجتمع المسلم .

وفي نفس الوقت حمى الإسلام الأسرة والمجتمع من خلال وضعه للضوابط والأحكام ، التي تستهدف الرجال والنساء على السواء ، وراعى في ذلك خصوصية كل منهما ، وقد اتفقت هذه النتيجة مع ما خلصت إليه معظم الدراسات التي عالجت الموضوع ، مثل دراسات (النحوي ، عام ١٩٩٩ م ؛ ودراسة أبو فارس ، ودراسة داود) .

واوضحت هذه الدراسات نظرة الإسلام إلى مفاهيم مهمة ، مثل الحرية والمساواة ، فبينت أن الإسلام لا يؤمن بالحرية المطلقة ، التي هي رديف للفوضى والانفلات ، وإنما شرع الحرية المسؤولة التي تراعي المجتمع والأسرة والقيم والمبادئ السامية .

ولم يقر الإسلام المساواة بالمفهوم الراجح اليوم ، وإنما أقر مبدأ العدالة ، حيث أن المساواة تكون هي العدالة بعينها أحيانا ، وتكون هي الظلم والقهر في أحيان أخرى كما في دراسة (رضا ، عام ١٩٣٢ م ؛ ودراسة السباعي ، عام ٢٠٠١ م ؛ ودراسة نواب الدين ، ١٩٨٦ م) .

٥ - تعريف التربية من خلال ربطها بالفلسفة :

ومن معاني التربية من جوانب متعددة ما أبدعته عقول الفلاسفة والمربين عبر التاريخ فيما يخص مجال التعليم الإنساني، وتنمية الشخصية وشحذ قدرتها ويتضمن النظريات والمفاهيم والقيم والآراء التي وجهت عملية تربية الإنسان^{٦٨٥} .

ومن الواضح أن الاختلاف في تعريف التربية اصطلاحاً إنما هو نابع من اختلاف الثقافات والمجتمعات، كما يختلف معنى التربية ومفهومها باختلاف ميادين الدراسة النفسية والاجتماعية والحضارية في نظرتها للفرد والمجتمع .

فأحياناً تفهم على أنها التعليم، ولكنها في الواقع تعني أكثر من ذلك ، أنها الوسيلة التي يحدث من خلالها التغير في السلوك .

٦٨٥ - مصطفى زياد الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره ، ص ٢٤ ، مكتبة الرشد ، الرياض .

وأحياناً تفهم على أنها نقل التراث رغم أن هذا المفهوم لا يعبر عن دور التربية الأساسي ، فدورها الفعال يتمثل في إثراء الخبرة كأساس لنمو نظم اجتماعية جديدة تتلاءم مع تغير النظم الثقافية^{٦٨٦}.

٦ - تعريفها وربطها بالمفهوم الإسلامي:

وختاماً لا بد للمطلع من تعريفها ومن ثم ربطها بالمنظور الإسلامي؛ لأنه هو الأهم في مجال البحث ولا يمكن أن تحقق التربية غايتها إلا وفق قيم الإسلام ومفاهيمه البناءة .

ومن معاني التربية من جوانب متعددة يمكن تعريفها من خلال الربط بين مفهوم التربية ومفهوم الإسلام بأنها إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه من وجهة نظر الإسلام^{٦٨٧}.

ولا ننسى ان خلق الله ﷻ الإنسان وشرع له ما يصلح لفطرته وقدراته ، ولم يكلفه فوق طاقته ، وجعل أحكام الدين المنظمة لحياته سبباً لسعادته ، وصيانتة وحماية مصالحه .

وقد جاءت تشريعات الإسلام الخاصة بالمرأة متنسقة مع هذه النظرة ، وما حصل من خطأ في تطبيق منهج التعامل مع المرأة في المجتمع المسلم إنما هو ناشئ عن سوء الفهم ، وتراجع الوازع الإيماني ، وانتشار الأهواء ، وليس الإسلام مسؤولاً عن ذلك .

بل قد أعطى الإسلام المرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ، في الوقت الذي شاع فيه ظلم المرأة وقهرها ، وسلب حقوقها ، فأعاد لها كرامتها ، ورفع قدرها بنتاً وزوجةً وأماً .

ومنحها الأهلية المالية والحقوقية الكاملة ، وأباح لها التعلم والعمل والجهاد ، والمشاركة السياسية والاجتماعية ومنح الإسلام المرأة الحرية المسؤولة المنضبطة ، التي ليس فيها اعتداء على إنسانيتها وسلامة مجتمعها وأمنه ، وراعى في معاملتها العدالة الكاملة ، القائمة على منح الحقوق والاحتياجات .

أما المناداة بقضية المرأة في المجتمعات المسلمة اليوم ، فليست أكثر من ترجيع لأصداة الدعوات الوافدة ، والتي تطلق في أرجاء العالم لأهداف مدروسة ، وإنه من الجدير توضيحه أنه ليس في الإسلام قضية خاصة بالمرأة .

٦٨٦ - الدكتور عماد مُجَّد عطية ، تطور الفكر التربوي عبر القرون ص ٢٠ ، الطبعة الثانية دار الرشد .

٦٨٧ - أمين أبولوي أصول التربية الإسلامية ، ص ١٨ ، دار ابن الجوزي - الدمام .

وذلك لأنه كفل لها جميع الحقوق التي قد تطالب بها أية عاقلة في أي شعب ومن أية ملة ، وإن الظلم الواقع اليوم على الإنسان - وليس على المرأة فحسب - إنما هو بسبب إقصاء الإسلام عن توجيه دفة الحياة ، وتوكيل قيادتها إلى أصحاب النظريات التي لا تفتأ تتغير ، ولا يكاد يعرف لها قرار .

إن المنظمات والجمعيات والجهات التي تردد شعارات قضية المرأة تنسى أو تتناسى أن مصدر هذه الشعارات الوافدة هو الغرب ، الذي عانت المرأة في قرونها الوسطى أسوأ حالات القهر والاستبداد وهو الأمر الذي جعل لها قضية تناضل من أجلها ، إلى أن جاءت الثورة الصناعية بما تحمله من استغلال للأيدي العاملة النسوية ، وسلب لحقوقها .

فصار للمرأة سبب للمناداة بالمساواة والحرية ، إلى أن ثارت المرأة الغربية على كل القيود التي رزحت تحتها ، ولم تقف دعوات التحرر عند هذا الحد بل تعدته إلى الانقلاب على الفضيلة والأخلاق والقيم الأسرية .

فتلقت بشغف أصداء هذه الدعوات آذان جوفاء في الشرق المسلم ، تعاني من الهزيمة النفسية أمام التقدم التقني الغربي ، فقبلت هذه الدعوات على علاقتها ورددتها دون أن تشعر بالتفوق القيمي والخلقي للإنسان المسلم .

٧ - تعريف جامع شامل:

ويمكن أن نأخذ تعريف لعله يكون جامع لكثير من المفاهيم التي جاءت في التعاريف السابقة وكذلك متضمن لمفاهيم أخرى هي مكمل لمصطلح التربية لمعاني التربية ومن جوانب متعددة. فالتربية هي:

العملية المقصودة أو غير المقصودة التي اصطنعها المجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة بطريقة تسمح بتنمية طاقاتهم وإمكانياتهم إلى أقصى درجة ممكنة.

في إطار ثقافي معين قوامه المناهج والاتجاهات والأفكار والنظم التي يحددها المجتمع الذي تنشأ فيه ، بما يجعلهم على وعي بوظائفهم في هذه المجتمع.

ودور كل منها في خدمته ، ونمط الشخصية التي يختارها، ونوع السلوك الذي يجب عليه أن يسلكه^{٦٨٨}.

٦٨٨ - مُجد سيف الدين فهمي ، سليمان نسيم مبادئ التربية الصناعية ص ٤ ، المكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة .

باء : الفطرة التربوية في تكوين الفرد

هناك ضرورة للتربية في الحياة البشرية لوجود قاعدة وهي ضرورة فطرية عندما خلق الله تعالى البشر ثم استخلفهم في الأرض نجد أنه قد سهل لهم سبل الاكتشاف ووسائل التطوير ، وسخر لهم في سبيل ذلك ما في الأرض جميعا منه منحة وهبة وحجة.

ولو لاحظنا طبيعة التكوين البشري نجد أنه مجزأ إلى قسمين قسم مادي يتطلع إلى إشباع رغباته المادية، وقسم يسمو بالإنسان إلى التسامي والترفع عن مشتتهيات الجسم.

وقد خلق الله تعالى للإنسان ميزان لضبط هذا النزاع وهو ميزان العقل ، وبه تميز عن بقية المخلوقات و تفوق عليها.

وعن طريق الوعي بإمكانيات هذا العقل والذي أوجده الله تعالى داخل الإنسان عمل على ملاحظة الظواهر الطبيعية المحيطة به، وقام بتفسيرها للإفادة منها .

ونتيجة لذلك دخل في خبرات وتجارب مختلفة تفاعل معها وأحدثت تغير في سلوكه ومعتقداته، ومن ثم قام بنقل نتائجها إلى غيره ، ويسمي هذا التفاعل المستمر والنشط بين الإنسان وبيئته بالتربية بغض النظر عن كون هذه النتائج صحيحة أو خاطئة.

ومن المسلم به أن الاعتماد على ذات الإنسان كمصدر لتحديد القيم والمفاهيم اعتماد غير منضبط يحتاج إلى تدخل إلهي يعيد تقويم الميزان كلما انحنى أو مال عن الاتجاه المرسوم له.

١ - فطرة التربية في تكوين المجتمع :

خلق الله في فطرة الإنسان التواجد في مجتمعات ، وعدم الاكتفاء بالذات المنفردة ، بل العيش وسط مجموعة يتفاعل معها وتتفاعل معه.

وفي كل مجتمع من هذه المجتمعات كان لابد من وضع أهداف عليا يسعى إليها الجميع - وهي ما تستهدف الخير للفرد والمجتمع - وأهداف سفلى - وهي ما تؤذي الفرد أو المجتمع - لابد من الابتعاد عنها وفرض العقوبة لمن يقتربها .

وقد وجد التفاوت في نسبية الخير والشر على اختلاف الحضارات ، وفي مسميات العقوبات، والجوائز، ولكن اتفق في جميع المراحل على وجود نصاب من الخير يسعى إليه الجميع ، وتذلل في سبيله العقبات ، ويكافيء من يصل إليه بأعلى الدرجات الاجتماعية، و نصاب من الشر لا بد لمن يصيبه العقاب.

ونشير إلى أمثلة مقتبسة من تاريخ البشرية توضح العمق البين بين الحضارات البشرية في اهتماماتها التربوية، والتي نشأت من الاختلاف في القيم التي أرادت أنشاء شعوبها عليها فمثلاً :

ينقل لنا التاريخ وقد اهتمت اسبرطة - وهي مدينة إغريقية كان لها شأن في الماضي البعيد- بتأكيد فضائل النفس والطاعة والتضحية والتحمل والشجاعة. وكل ذلك مغلف في رداء عسكري صارم أرادته ساستها وفرضوه على مواطني اسبرطة .

في حين نجد في مجتمع آخر تنحسر النزعة الدينية وتخلى المجال للعناصر الخلقية والفنية كما كان الحال في بلاد العرب القديمة، وفي غيرها من بعض المجتمعات الآسيوية.

نجد أن الصين القديمة سلطت الأضواء على المحتوى الإنساني في الثقافة، كما أن الهند الإبراهيمية مجدت القيم الدينية والفلسفية ، وفي مصر الفرعونية صار الإهتمام إلى القيم الدينية والمهنية^{٦٨٩}.

إذا في كل مجتمع توجد مجموعة من الآراء والأفكار والنظريات الصائبة من وجهة نظر فلاسفة وعلماء وأصحاب الرأي لذلك المجتمع ، ويقوم هؤلاء بتقعيدها وحث الناس على التمسك بها أو الابتعاد عنها، وهذا هو ما يعرف بتربية المجتمع .

فالتربية توجد في مجتمع معين له ثقافته وفكره الذي يوجه حياته، هذه الحياة التي نحكمها بمجموعة من القواعد والمعايير التي هي جزء من ثقافة المجتمع التي يعبر عنها.

والفكر التربوي يتأثر بدرجة كبيرة بأبعاد المجتمع الديني ، والثقافي ، والحضاري ، والاقتصادي ، ولهذا فإن أي فكر تربوي إنما يعبر عن وجهة نظر اجتماعية أو عبارة أخرى يكون هذا الفكر انعكاسا لفكر المجتمع .

٢ - ملازمة الفطرة للفرد والمجتمع:

أنبته البشر بعد مراحل من التاريخ أن من المهم أولاً تربية الفرد ومن ثم تربية المجتمع كما قال به لينتون^{٦٩٠}:

إن فهم الدور المزدوج للفرد كفرد وكوحدة في مجتمع ،سوف يعطينا مفتاح الحل لمشكلة السلوك البشري^{٦٩١}.

إذاً التربية ضرورة فطرية للفرد والمجتمع على حد سواء ، فكل مجتمع يحتاج إلى حث النفوس وشحذ العقول نحو أهداف محددة كما أسلفنا لدفع المجتمع لاعتناق هذه الأفكار ومن ثم العمل على تحقيقها لبناء الأرض التي قد استخلف فيها.

ومما لا شك فيه أن هذه الآراء والأفكار والأهداف كلما كانت مستقاة من الكتب الإلهية الصحيحة الغير محرفة على مدار التاريخ البشري تكون التربية لذلك المجتمع أقوم.

وبالتالي الوصول إلى بناء مجتمع متوازن ،بحقق الاستقرار لأفراده كان أكثر تأكيد وأقرب ولو نظرنا حولنا لوجدنا أن أفضل مجتمع حقق التقدم في جميع الميادين ووفر للنفوس البشرية المساعدة المرجوة هو الاسرة والمجتمع الذي بناه النبي ﷺ .

ثم المجتمع الذي تلاه وهو خلط بين مفاهيم الرسول ﷺ وأخرى مغايرة له. ثم الذي تلاه وهكذا إلى ادنى مستوى الذي لايعرف من قيم النبي ﷺ سوى انه نبي ﷺ . ثم إلى مستوى ينتهي به إلى نار جهنم (اعاذنا الله منها جميعاً).

٦٩٠- جاء في موسوعة الجياش ، لينتون رالف عالم أمريكي متخصص في علم الإنسان طوّر مفهوم المرتبة ومفهوم الوظيفة ، وهما من المفاهيم التي يستعملها كثير من علماء الاجتماع . ولد لينتون في فيلادلفيا، وفي أثناء دراسته للدكتوراه في جامعة هارفارد ، قام بأبحاث في آثار بولينيزيا . وفي الفترة بين عامي ١٩٢٥م و١٩٢٧م ، عاش في مدغشقر ودرس ثقافة المنطقة. ثم التحق فيما بعد بهيئة التدريس بجامعة وسكنسن ،وجامعتي كولومبيا، وييل .

٦٩١- تطور الفكر التربوي ص٣٣ .

وليست الأفضلية في مجال الدين فقط بل تعددت أوجه الخيرية، فكل علوم اليوم انبثقت من تلك القرون التي حفظت لنا القرآن الكريم والسنة المطهرة. إنه أفضل مجتمع بناه النبي ﷺ لكي يحقق التوازن الديني والعلمي والسياسي.

وفي وقت خيم فيه ظلام العصور الوسطى على الغرب، فإن النهضة الأوربية التي بدأت في النصف الثاني من القرون الوسطى اعتمدت في غذائها الثقافي والفكري على نتاج الثقافة الإسلامية إبان عصرها الذهبي.

ويمكن إثبات ذلك بسهولة من خلال النظر في التربية التي توافرت في المجتمعات القديمة والحديثة على مدار التاريخ البشري والتي سعت جاهدة لتحقيق الأفضلية في تربية الفرد والمجتمع .

جيم : التربية القرآنية العقلية والایمانية والنفسية

إن الإسلام هو دين الفطرة ، وقد جاء لينظم حياة البشر ، بما يعينهم على إقامة العبودية لله ﷻ من جانب ، والاستخلاف في الأرض وعمارتها من الجانب الآخر ، وهو مع ذلك دين واقعي قابل للتطبيق في كل الظروف والأحوال ، وليس في الإسلام ما يمكن اعتباره كبتا لمشاعر الإنسان ، وقضاءً على غرائزه وطاقاته .

بل إن الإسلام جاء بما يوجه المشاعر نحو السمو والرفعة والكرامة والاستقامة ، وبما ينظم غرائز الإنسان وطاقاته ، ولم يدعها تضطرب وتنحط وتفلت من زمام النفع ، فأباح الزواج وأمر بتناول طيب الطعام والزينة في اللباس ، والتنعم بما أكرم الله ﷻ به الإنسان .

والإنسان مدني بالطبع ، لا يمكن إن ينفرد عن بني جنسه ، فهو محتاج إليهم وهم في حاجة إليه، واختلاط الإنسان بالإنسان أمر طبيعي ، غريزي ، ضروري ، لا فرار منه ولا مناص عنه وإلا لم تستقم الحياة على وجه الأرض ولم يتحقق منهج الاستخلاف في الأرض وعمارتها كما أمر الله ﷻ.

والمرأة شقيقة الرجل ، تحتاج ما يحتاج من أمور ، لا تتحقق إلا باختلاطها بغيرها من نساء ورجال وهي مكلفة بإقامة شعار الدين ، كما إن الرجل مكلف بها ، فلا بد لها من شهود الصلوات العامة ، وحضور الجماعات وطلب العلم ، ولا بد لها من طلب حاجاتها بالبيع والشراء والعمل المباح ، وكل ذلك لا يخلو من اجتماع المرأة بغيرها من نساء ورجال .

فكيف ينظر الإسلام إلى مسألة اختلاط المرأة بمجتمع الرجال ؟ أولا وقبل كل شيء لا بد من تقرير واقع النظرة إلى هذه المسألة في المجتمع المسلم .

فقد ذهب بعض المسلمين إلى التشدد في هذه المسألة ، إلى درجة كبح المرأة وإهدار طاقاتها وتقيدتها في بيتها ، بحجة منع الاختلاط وتساهل قوم في ذلك ، فأطلقوا العنان للمرأة فانطلقت بلا ضابط ولا نظام ، فتواجدت مع الرجل في كل ميدان وكل سبيل وأذيت الحواجز والجدر بين الرجال والنساء بحجة الحرية والثقة .

والإسلام لا يقر أحدا من الطرفين بل هو منهج وسط راعى حاجات المرأة والرجل وأمن المجتمع وحفظ الفضيلة وحراسة القيم .

وباستقراء النصوص الشرعية يتضح لنا إن الإسلام لم يمنع الاختلاط مطلقا ، كما انه لم يبيحه مطلقا ، بل قيده بشروط وضوابط ، ممكنة التطبيق وتحفظ على المجتمع المسلم نظافته وطهره وعفاف ، وتحفظ للمرأة فطرتها وكرامتها وتحقيق مصالحها وحاجاتها .

فالاختلاط المباح المنضبط قد عرف في عهد النبوة ، ولم يחדش المجتمع ولم يخرق الأدب والفضيلة ، كما يخشى المتشددون ، فليس أحد من الناس أغير على أمته من النبي ﷺ ، ولم ينقل عنه انه منع النساء من ممارسة الحياة اليومية والعمل والعبادة ، بل نُقل عنه العكس من ذلك فقال ﷺ : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) .

وقد شاركت المرأة مع النبي ﷺ في القتال جنبا إلى جنب، فقد روي عنه ﷺ انه قال : (ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا ورأيت أم عمارة تقاتل دوني) .

وعن الرُّبَيْع بنت معوذ قالت : (كنا نغزو مع النبي ﷺ نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة) .

وقد شاركت النساء في البيعة في ذات الوقت الذي بايع فيه طلائع الرجال وحاورت المرأة رسول الله ﷺ فقالت : غلبنا عليك الرجال فاجعل لنا يوما من نفسك فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن .

كما إن المرأة كانت تصلي في المسجد مع النبي ﷺ والمسلمين ، ونقل أنهم جعلوا حاجزا من خشب أو قماش أو نحوه بين الرجال والنساء ، وقد شاركت المرأة في مناسك الحج مع الرجال وما زالت تصلي في المسجد الحرام حتى يومنا هذا .

١ - التربية العقلية

لا يمكننا الحديث عن أساليب التربية القرآنية قبل الحديث عن محاور هذه التربية ومن ثم إثبات شمولية المنهج القرآني التربوي وإحاطته بجميع الجوانب التكوينية للإنسان.

والمنهج التربوي القرآني منهج فريد لا يوازيه منهج ومصدر تفرد أنه راعي الحاجات الفطرية لدى الإنسان، ويهدف لبنائه، ويأخذ بيده ليحقق الهدف الأسمى الذي خلق من أجله، وهو الإقرار بوحداية الله، والعمل بمقتضيات هذا الإقرار، والقيام بمهام الاستخلاف الذي وكل به ، وأداء الأمانة التي تحملها.

فالتربية القرآنية راعت خصائص الإنسان من حيث كونه إنسان، فهي تنظر إليه بمنظار الواقعية فلا تطالبه بالمثالية التي لا يمكن تحقيقها ،إما إطلاقاً لأنها فوق إمكانيات البشر ، أو عموماً حيث يستطيعها فئة محددة من الناس .

وهي في واقعيتها شاملة لكل الخصائص الإنسانية من نواحي العقلية والجسمية والنفسية ويمكننا إجمالاً الاكتفاء بثلاثة محاور قد تكون هي الأهم من بين كثير من محاور تكوين الإنسان.

وقد تطرق لدراساتها والاهتمام بها الكثير من المختصين ، مثل التربية الجسمية والنفسية ، والغذائية ، والانفعالية ، والعقلية ، والإيمانية ، والنفسية ، ونأخذ الثلاثة الأخيرة هي إن شاء الله وهي : التربية العقلية والتربية الإيمانية والتربية النفسية .

وقبل ذلك ، تجدر الإشارة هنا الى ان تحرير المرأة يؤدي إلى إطلاق الطاقات والمواهب النافعة للمجتمع ، والتي كانت تغيبها القيود التي رزحت تحتها المرأة .

وللد على مثل هذه المزاعم ، ينبغي تحقيق مصطلح (حرية المرأة) ومعرفة المقصود به فإذا كان تحرير المرأة يعني إزالة الظلم الواقع عليها نتيجة لتجاهل أحكام الإسلام التي حرمت ظلم المرأة واضطهادها وكتبها ، وبالتالي إعطاءها جميع الحقوق التي اقراها الإسلام ، فهذا معنى صحيح ولا اعتراض عليه .

وان كان يراد لشعار (تحرير المرأة) أن يكون ثورة على القيم والأخلاق والضوابط فهو أمر مرفوض حتى لدى العقلاء من غير المسلمين ، والواقع الذي يمكن معاينته لشعارات حرية المرأة وتحريرها ، التي تحتاج العالم اليوم .

هو من هذا النوع حيث يراد للمرأة أن تخلع رداء الحياء والعفة والفضيلة ، وتنساق أو بمعنى آخر تنساق نحو السقوط كما حصل للمرأة الأوروبية في أعقاب الثورة الصناعية ، لتصبح رمزاً للشهوات ، وأداة لتسويق السلع والبضائع .

وإذا كان للمرأة في أوروبا أوائل الثورة الصناعية قضية تناضل من أجلها ، وتطالب فيها بالمساواة والتحرر فهذا أمر يمكن تفهمه ، إذ إنها كانت تعامل أسوأ معاملة ، فكانت المرأة في المصانع تعمل نفس ساعات العمل التي يعملها الرجل، وتنجز نفس الإنجاز وتعطى نصف الأجر .

فطالبت بالمساواة ولتحصل على حقوقها طالبت بحق الانتخاب لتختار من يطالب بحقوقها في مجالس الشعب ، ثم طالبت بعد ذلك بحق الترشيح لتحصل من خلال ذلك على حقوقها بنفسها وهكذا بدا الأمر^{٦٩٢} .

إلا أن المرأة المسلمة ليست لها مثل هذه القضية ، لأن الإسلام كفل حقوقها ، ومنحها الأهلية الحقوقية والمالية الكاملة ، بخلاف أوروبا القرون الوسطى ، التي كانت تمثل لها أدنى درجات التخلف والانحطاط الحضاري ، خلافاً للحضارة الإسلامية التي مثلت لها القرون الوسطى أعلى درجات الرقي والازدهار الحضاري .

وقد ينبهر السطحيون أحيانا بجمال اللفظ وينخدعون بالشعارات اللامعة ، ولربما يشاهدون بعض المنافع والفوائد التي تعود على المجتمع من إطلاق مبدأ تحرير المرأة - بالمعنى الثاني - فيعممون النتيجة على هذا المبدأ ، فيقعون في أغلوطة التعميم المتسرع .

ولكن بالنظر الدقيق والدراسة المتجردة يمكن أن نلاحظ بعض النفع الذي قد يعود على المجتمع من (تحرير المرأة المطلق) ، إلا أن المفسدة الواقعة على الحياة اليومية لهذا المجتمع ستكون جسيمة فالمسالة نسبية فمتى كانت المضرة اكبر من المنفعة ، حُكم على الأمر بضرره .

وهذا أمر قرره القرآن الكريم بأسلوبه حيث يقول الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾^{٦٩٣} ، ويمكن ان نسمي هذا النوع من المنافع المصالح الملغاة وحقيقة الحرية في الحياة الدنيا أنها حرية نسبية مقيدة .

وليس ثمة حرية مطلقة ، سواء للرجل أو للمرأة ، ولربما يظن البعض أنهم يطبقون الحرية المطلقة في حياتهم وخاصة في دول العالم المتمدن ، وواقع الأمر أنهم يرزحون تحت تأثير وسائل الإعلام ، وتأثير الشهوات الآسرة ، التي تدفعهم دائما باتجاه معين ليس لهم يد في تحويله ، وكأنما أصبحوا قشة في مهب الريح ، وكما قيل إن الإنسان عابد بطبعه ، فإذا لم يكن عابداً لله ﷻ فهو بالضرورة عابد لما سواه، من نفس أو شيطان أو إنسان أو شهوة أو عادة أو غير ذلك .

ثم إن انفلات الرجل أو المرأة على السواء من القيود الأخلاقية والاجتماعية التي وضعها الخالق ، الذي هو أعلم بخلقهم من أنفسهم ، يؤدي إلى إفساد المجتمع وضياع الأسرة وتدهور الاقتصاد وغياب الأمن وضعف الدولة وفي ذلك يقول ﷻ : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾^{٦٩٤} .

والناظر في واقع حياة الشعوب التي تنادي بالتححر المطلق يمكنه ملاحظة حجم الجريمة وارتفاع نسبة البغاء وملاجئ اللقطاء والميزانيات الضخمة التي ترصد للحد من آثار انفلات الرجال والنساء ومعالجة آثار الإدمان والانحرافات النفسية ز

نتيجة لحالات الاغتصاب والإرهاب المجتمعي والعزوف عن الزواج وانحيار الأسر وتشردها ، كما يمكن ملاحظة رجوع ظواهر ظن البشر انقراضها كظاهرة تجارة الرقيق - وان كان ابيضاً - والشذوذ الجنسي وغير ذلك .

٦٩٣ - البقرة ٢١٩ .

٦٩٤ - الروم ٤١ .

(أ) - أهمية التربية العقلية بالقرآن

أهمية العقل : تكمن أهمية العقل في كونه الأداة التي يستطيع الفرد عن طريقها سلوك الطريق المرجو منه في قضيتي الإيمان والأعمار للأرض .

ولا شك أن العقول تتفاوت بين الناس وهذا أمر مسلم به ، مع الانتباه إلى أن العقول قابلة للتطوير والارتقاء على حسب ما يتم تدريبها على ممارسة العمليات العقلية .

من تفكر وتدبر وتأمل ، لذلك نجد أن الكثير من الآيات القرآنية تحتم بكلمة (..يتدبرون..) (..يعقلون..) (..يتفكرون..).

وعقول الأفراد مجتمعة تكون عقل المجتمع أو الأمة ، لذلك كان الاهتمام بالقدرات العقلية ومحاولة تطويرها على النطاق الفردي أو الجماعي عمل في غاية الأهمية.

فلوا تأملنا على سبيل المثال ارتقاء الأمة الإسلامية لوجدنا أن سر التأخر في زماننا يكمن في إهمال التربية العقلية وتهميشها ، واعتقاد أفرادها بعدم قدرتهم على التقدم والاختراع.

وهو مرض استشرى حتى أصبح قضية مسلم بها ، نشأ عنها تبني قضية هي بعيدة كل البعد عن الإسلام وهي قضية الحرب المعلنة بين العلم والدين .

ولو يقصد بالدين غير دين الإسلام لأمكن ذلك ولكن لما اتهم الإسلام بذلك كان الأمر بجانب للصواب كله ، لأن الإسلام دين حث على العلم ودعا إليه ووصى به قال تعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^{٦٩٥} ، وقال تعالى :
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^{٦٩٦} .

ودين الإسلام وضع العقل في ميزانه الصحيح بعيدا عن عظم العقل وبجمله وجعله إله مشرعا حاكما ، ومن خذل العقل وأماته بأمراض الخرافة والخيال .

فالقرآن الكريم نصب للعقل خيمة التفكير والتأمل والتدبر وأتاح له ممارسة المقارنة والموازنة بين الأشياء ، ومهد له الطريق بالإشارات الدلالية إلى الأسرار الكامنة حوله في الكون والمخلوقات وهو طريق يفتح له آفاق علمية وإبداعية تعينه على الوصول إلى الحق.

٦٩٥ - سورة الزمر ٣٩ .

٦٩٦ - سورة فاطر ٢٨ .

ولو أننا تأملنا منهج القرآن الكريم في التربية العقلية ثم حاولنا تطبيق هذا المنهج الرباني في حياتنا الواقعية والاستفادة منه في تربية لنشأ على المنهج القرآني الصحيح ،لاستطعنا بحول الله العوده بالناشئة المسلمة إلى جادة الحق.

(ب) - اهمية العقل بالقرآن

قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^{٦٩٧}.

وقال ﷺ (إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبك وأعمالكم)^{٦٩٨}.

كثر الجدل والكلام في التفريق بين العقل والقلب وأيهما هو المناط والمعول عليه في التكليف، فقليل أن العقل موجود في مركز القلب، وهو الذي يقوم بتوجيه الدماغ لأداء مهامه.

فالقلب هنا وحدة الفهم والإدراك والفقه والسيطرة ، واتخاذ القرار في الإنسان وهو مناط التكليف في الإنسان ،ومن ثم فإنه محل النظر والاعتبار من الله تعالى^{٦٩٩}.

وقد قال النبي ﷺ في حديث النعمان ابن بشير قال: الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .

ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

إلا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذ صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب^{٧٠٠}.

وقيل : العقل عقلان عقل في الرأس وعقل في الصدر .

٦٩٧- سورة الحج ٤٦ .

٦٩٨- صحيح مسلم كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم ظلم المسلم وخذه ٤ / ١٩٦٨ .

٦٩٩- د. إبراهيم الديب ، البرنامج العلمي لبناء المسلم القرآني المعاصر ص١٠٩ - المجموعة العربية للبحوث والدراسات والتطوير الدوحة - القاهرة .

٧٠٠- صحيح البخاري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه وأمانته ١ / ٢٨-٢٥ .

وقيل : بل الذي في الصدر هو البصيرة وقوله تعالى: ﴿ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا وَ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾^{٧٠١} ، أي ليس العمى عمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة .

وهذا الخلاف قديم ، ولا يحتمل الإطالة ولكن يمكننا إيراد قول واحد للجمع بين مفهومي القلب والعقل في القرآن الكريم وهو أن معناه الكني عنده تعالى .

وأما ما جاء في معنى الآية فقد فسرت كما جاء في اللغة العربية بأنها مقدمة أعلى الشيء في الإنسان ، وهو الجزء الأمامي للمخ وهو المسئول عن اتخاذ القرار عند الإنسان^{٧٠٢} .

(ج) - أهمية القرآن بالعقل

ينظر القرآن الكريم للعقل البشري بالنظرة الواقعية، دون افراط أو تفريط .

فالقرآن الكريم يشير بوضوح إلى أن الله جل وعلى قد جعل للإنسان عقل وجبله على التفكير والتدبر والموازنة بين الخير والشر واختيار الطريق الصحيح والتأثر بما يمكن أن يصل إليه من نتائج.

كما أن القرآن الكريم قد قدر العقل واعتبره مناط المسؤولية وركز على أهميته في بناء عقيدة المسلم وتصحيح مفهوم التوحيد والعبودية والتفكير في آيات الله ﷻ .

حث القرآن على استخدام العقل ودعاه للتأمل في ملكوت الكون وتدبر آيات الله للتعرف على قدرته المعجزة، وتدبر أحكام التشريع الإسلامي وحكمته للاقتناع.

واشترط العقل في كثير من الأمور كالأمانة والقضاء ، وإقامة الحد والشهادة واعتبار العقل مناط المسؤولية والتكليف.

رتب القرآن الكريم العمليات التي يمارسها العقل الإنساني للتوصل إلى حقيقة الأشياء ودعاه إليها في مواضع كثيرة من الآيات القرآنية.

٧٠١ - سورة الحج ٤٦ .

٧٠٢ - صحيح البخاري ص ١٠٩ .

وهي عمليات التفكير ، التدبر ، التذكر ، وهي عمليات تقود إلى تطوير العقل وبناء العقل المسلم المرتب المنظم المنهج عمليا بطريقة صحيحة ، والقادر على بلوغ درجات النظر والتدبر والاجتهاد وبلوغ أعلى درجات الفكر الإنساني^{٧٠٣}.

(د) : منهاج القرآن وتربية العقل

سار القرآن الكريم على طريق واضح في تربية العقل، وبني طريقه على خطوات عملية تكفل تحقيق المقصود من وجود العقل في الإنسان، واستطاع بمنهجه الواضح ، أن يضع العقل البشري في مساره الصحيح .

ولكن الخلط في تناول موقف الإسلام من قضايا المرأة نتج عن عدد من الأسباب ، فمن أهمها الجهل بالإسلام : سواء كان هذا الجهل من بعض المسلمين أو من الدارسين والكتاب غير المسلمين .

وينشأ الجهل بين المسلمين بحقائق دينهم نتيجة الإقبال على العلوم المادية وإهمال العلم الشرعي الذي هو واجب على كل مسلم ، ورواج فكرة أن علم الدين خاص بالعلماء فقط ، ويأتي جهل غير المسلمين بالإسلام نتيجة استقائهم نظرتهم عن الإسلام من غير مظانها الموثوقة .

وكذلك التأثير بالفكر الغربي : حيث عانى كثير من المسلمين في هذا العصر من آثار الانحزام النفسي ، الذي سببته الفجوة الحضارية بين العالم الغربي والعالم الإسلامي اليوم ، فتقبلوا الفكر والثقافة الغربية دون تردد ، وبدأت بعض العقول المنهزمة أمام الفكر الغربي تتلقف رؤية هذا الفكر لمواقف الإسلام من المرأة ، فأساءوا فهم الإسلام تبعاً لإساءة الغرب فهمه له .

وكذلك الغلو في الدين : قد يظن بعض المسلمين الغيورين على دينهم ، أن المبالغة في التورع ، والتشدد في الدين ، سبب للتقرب من الله ، والفوز برضوانه ، فيفهمون مواقف الإسلام من المرأة تبعاً لمواقفهم المتشددة ، ويسقطون هذا الفهم على النصوص الشرعية .

٧٠٣ - د. إبراهيم الديب، البرنامج العلمي لبناء المسلم القرآني المعاصر ص ١٢٤ .

وكذلك أثر الدراسات الاستشراقية : أن موقف الاستشراق من المرأة المسلمة تابع من وقوعه تحت تأثير وضع المرأة الغربية أنها أنموذج يجب أن يحتذى به وأن ما حققته من مساواة - في نظرهم - وحقوق يجب أن يتسع ليشمل المرأة المسلمة والمرأة الشرقية عامة ز

ويضيف خليفة بأن الاستشراق يسعى إلى تقويض وضع المرأة المسلمة داخل الأسرة ، ويحثها على التمرد على النظام ، والخروج باسم الحرية، ويسعى إلى تصوير وضع المرأة المسلمة تصويراً مزيفاً لا يعكس الحقيقة^{٧٠٤} .

ويقوم الاستشراق الإعلامي بدور بارز في ترويج الفكر الغربي في مجال المرأة ، ومن ذلك الصحافة الغربية والإذاعات الموجهة ، ومن الكتب التي قدمت عروضاً كثيرة لها كتاب (ثمن الشرف) ، للكاتبة البريطانية الأصل جان جودون .

التي تناولت فيه دراسة أوضاع المرأة في خمس دول إسلامية ؛ هي الباكستان وأفغانستان والكويت ومصر والمملكة العربية السعودية ، وقد خلطت الكاتبة فيه بين موقف الإسلام من المرأة وبين بعض التطبيقات الخاطئة في هذه الدول ، ومن المعروف أن الإسلام حجة على أهله ، وليس سلوك المسلمين حجة على الإسلام .

وقد حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي فبعد أن كان القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهما جيداً منارة يسترشد بها المسلمون في فهمهم للحياة .

وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة ، أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة ، سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقهاء والعلوم الشرعية الأخرى ، أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في مجالات الفكرية الأخرى؛ كالتاريخ وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيره من العلوم .

٧٠٤- محمد خليفة حسن ، آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية ، ص ٦٤ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٩٧ .

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي في العالم الإسلامي ، فقد أنشأ الغرب العديد من المدارس في العالم الإسلامي ، كما أن العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية .

ولما كانت بعض البلاد العربية والإسلامية خاضعة للاحتلال الأجنبي فقد مُكِّن هؤلاء الذين تعلموا في مدارسهم ، و تبوأوا أعلى المناصب القيادية في مجالات الحياة المختلفة .

ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة ، من الصحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة ، فقد أنشئت الصحف والمجلات التي تولّى رئاسة تحريرها ، أو الكتابة فيها كثير من الذين تشبعوا بالثقافة الغربية .

وكان للاستشراق دوره في مجال الأدب شعرا ونثرا وقصة ، فقد استغلت هذه الوسائل في نشر الفكر الغربي العلماني وبخاصة عن طريق ما سمي (الحداثة) التي تدعو إلى تحطيم السائد والموروث ، وتفجير اللغة وتجاوز المقدس ، ونقد النصوص المقدسة .

وقد استولى هؤلاء على العديد من المنابر العامة، ولم يتيحوا لأحد سواهم أن يقدم وجهة نظر تخالفهم وإلا نعتوه بالتخلف والرجعية والتقليدية وغير ذلك من النعوت الجاهزة .

ونسوا ان المرأة لقيت عبر التاريخ وفي مختلف العصور أنواعاً شتى من المعاملة ، تراوحت بين قيادة الأمم والشعوب ، وبين الاضطهاد والظلم والكبت ، وإن كان الغالب هو استغلال المرأة وسلب حقوقها.

وقد كان الإسلام سباقاً في إعطاء المرأة حقوقها ، ورفع مكانتها وإعلاء شأنها ، ومع ذلك فلم يسلم من الافتراءات ، وتشويه الحقائق والطعن المباشر وغير المباشر، إلا أن الحق يعلو ولا يعلى عليه ، وقد شهد بفضله المنصفون من كل الملل .

كما قالت (بيزنت) زعيمة التصوفية العالمية في كتابها (الأديان المنتشرة في الهند) :

ما أكبر خطأ العالم في تقدير نظريات النبي ﷺ فيما يتعلق بالنساء ، فقد قيل إنه قرر بأن المرأة لا روح لها!! فلماذا هذا التجني على رسول الله ﷺ؟ أعبروني أسماعكم أحدثكم عن حقيقة تعاليمه في هذا الشأن^{٧٠٥}.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾^{٧٠٦}، وبعد أن سردت كثيراً من الآيات القرآنية التي تحت على رعاية المرأة وإكرامها قالت :

ولا تقف تعاليم النبي ﷺ عند حدود العموميات ، فقد وضع قانوناً لميراث النساء ، وهو قانون أكثر عدلاً وأوسع حرية من ناحية الاستقلال الذي يمنحه إياه من القانون المسيحي الإنجليزي ، الذي كان معمولاً به إلى ما قبل نحو عشرين سنة .

فما وضعه الإسلام للمرأة يعتبر قانوناً نموذجياً فقد تكفل بحمايتهن في كل ما يمكنه وضمن لهن عدم العدوان على أية حصة مما يرثه عن أقاربهن وإخوانهن وأزواجهن .

ويقول (بول تيتو) : (ولا تنس أن القرآن أصلح حال المرأة في الحياة الاجتماعية إصلاحاً عظيماً)^{٧٠٧} .

ونحن نحتاج إلى منهج القرآن الكريم لضبط مكانة العقل بين الإفراط والتفريط وبمكننا اقتباس عدة مقتطفات تربوية من المنهج القرآني وهي منها :

٧٠٥- راجع : كتاب : الهلال والصليب .

٧٠٦- النساء ١٢٤ .

٧٠٧- الإسلام روح المدنية ، ص ٢١٧ .

منها : التربية القرآنية للعقل بالتحريير

ربى القرآن الكريم العقل الإنساني بتحريره من جميع المعوقات التي تحول بينه وبين القيام بعمله التفكيرى والتدبري ولاقتناعي، وهو تحرر شامل من كل القيود التي أوجدها الإنسان بنفسه .

فقامت بطمس الفطرة وأحدثت انتكاس جرف العقول إلى سلوك الطريق البعيد عن الخالق العظيم ومن هذه القيود ،الخرافة والتبعية ، والجمود .

التحرر من الخرافة : سعى القرآن الكريم من الوهلة الأولى عند بداية نزوله بمكة ، لتحرير العقول من جميع أنواع الخرافات والمعتقدات التي لا تتناسب مع التكريم الذي خص به الإنسان ، وقدم الإجابات الواضحة اليه عن الكون ومفرداته وفلسفته، وحقيقة خلقه، وكيف تتم إدارته وحركة القوة فيه.

■ حقيقة خلق الإنسان ومآله فيما بعد الموت.

■ آلية صناعة الأرزاق وكيفية توزيعها.

■ فلسفة خلق الإنسان ورسالته في الأرض.

■ تصحيح الخرافات والتشوهات والتحريف الذي تعرضت له الكتب السابقة^{٧٠٨}.

التحرر من التبعية : حث القرآن على أتباع التقليد بجميع أنواعه مع مقياس كل مسألة بمعيار العقل، بما يوافق معتقداتك لا باعتبار ما اعتقده الآخرون . ولا بد للإنسان المفرد من الاستعانة بالعقل من خلال الدليل والفكر في تحديد موقفه من القضايا المختلفة لا ما قاله أو فعله أو إعتقده غيره من الناس.

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾^{٧٠٩}.

وإذا قيل لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما أنزل الله على رسوله واتركوا ما أنتم عليه من الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك بل نتبع ما ألفينا أي ما وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام والأنداد .

٧٠٨- المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

٧٠٩- سورة البقرة ١٧٠ .

قال الله تعالى منكرا عليهم ﴿ آبَاءَنَا أَوْلَوْكَ كَانَ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ﴿ لَا يَغْقُلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ أي ليس لهم فهم ولا هداية .

التحرر من الجمود : الجمود مرض مميت لجميع أنواع القلوب ومدمر للعقول، وعلاجه يكمن في المعرفة، والتعلم. ويؤكد القرآن الكريم على أهمية إعمال العقل في التأمل والبحث والتفكير للحصول على المعرفة والحقائق ، وهذا التأكيد جعل المسلمين يتفوقون في كثير من المجالات العلمية ويرعون في غير فن من الفنون المعرفية .

بل هم من وضع الأساس لغالب العلوم التي يتفاخر بها الغربيون اليوم ، ولو أردنا مثال على منهج الإسلام في ترك الجمود وإعمال العقل والمقارنة بين الدلالات للوصول إلى نتائج مثمرة لكان ميدان الفقه الإسلامي أفضل مثال .

التحرر من اتباع الهوى : يدعو القرآن إلى التحرر من عبادة غير الله تعالى فكل الخلق في ميزان العبودية سواء فإذا تمكنت عبوديته لله من قلبه ، وتحرر من عبودية غير الله .

كان أهلاً لأن يأمنه الناس على كل شيء، لأنه لا يستجيب لرغبة، ولا يخضع لرهبة ، ولا يقوده إغراء ولا شهوة ، ولا يتبع هوى، وإنما يستجيب لأمر الله ، وأمر الله لا يوجد فيه إلا عمل الخير الذي فيه غاية الأمن لكل البشر^{٧١٠}.

منها : تربية القرآن تحفظ وتحمي العقل

عقل الإنسان جزء من بدنه ،والقرآن الكريم قد حرم على الإنسان إتلاف نفسه لأنها مملوكة لله لا للإنسان. ومن أساسيات الإسلام حفظ الضرورات الخمس وهي الدين ،والنفس ، والعرض ،والمال ،والعقل.

وقد بنى القرآن الكريم تربية العقل على ضرورة ترك كل ما يمكن ان يتلفه أو يضره فحرم الخمر وجميع المذنبات للعقل قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^{٧١١}.

٧١٠- أثر التربية القرآنية في آمن المجتمع ، عبد الله قادري الأهمل ص ٨٥ .

٧١١- سورة المائدة ٩٠ .

وتجد بعض المفاهيم المغلوطة حول مسألة الميراث ، مثل يعتبر إعطاء الأنثى نصف نصيب الذكر من الميراث انتقاص من إنسانيتها وكرامتها ويكرس مبدأ التمييز ضد المرأة ويلحق بها الجور والضرر؟.

هنا : يجب أن نقرر أولاً أن إطلاق هذا القول ليس دقيقاً ، فليست قاعدة النصف منطبقة في كل الأحيان ، ففي بعض الصور تأخذ المرأة مثل الرجل ، وفي صور أخرى تأخذ أكثر من الرجل وعلى كل فقد كانت المرأة قبل الإسلام محرومة من الميراث حرماناً كاملاً، لا بل كانت هي نفسها تورث كما يورث سائر المتاع .

حتى جاء الإسلام فصارت حرة في نفسها ، وفرض لها نصيباً من الميراث حيث قال الله ﷻ :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴾^{٧١٢} ، وفرض لها حقاً في الميراث بعد أن كانت مسلوقة منه .

أما قول الله ﷻ ﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾^{٧١٣} ، فذلك لأن الرجل مكلف بالإنفاق ، ولا يطلب من المرأة أن تنفق شيئاً من مالها على غير نفسها ، فأين الظلم الذي يزعمه دعاة المساواة المطلقة؟ وإذا كانت هناك حالات شاذة لرجال ينفقون كل ثرواتهم على أنفسهم ولا يتزوجون ولا يبنون أسرة فتلك أمثلة لا يعتد بها .

وإنما الأمر الطبيعي أن ينفق الرجل على أسرته لا تطوعاً منه بل تكليفاً ، وعليه أن ينفق عليها كأنها لا تملك شيئاً ، وهذه القسمة تكون في المال الموروث ، فهي قسم وفق أعدل قانون وصلت إليه البشرية وإعطاء كل إنسان حسب حاجته ومقياس القسمة هو التكاليف المنوطة بمن يحملها ؛ أما المال المكتسب فلا تفرقة فيه بين الرجل والمرأة لأنه يتبع مقياساً آخر هو المساواة بين الجهد والجزاء .

فإذن لا ظلم ولا شبهة ظلم ، ولا يجب أن تفهم المسألة أن قيمة المرأة هي نصف قيمة الرجل، فالإسلام أقر لها الأهلية وحرية التملك وصان كرامتها وأعلى من شأنها ، وهي تأخذ المهر ولا تساهم بشيء من نفقات البيت على نفسها ولا على أولادها ولو كانت غنية .

٧١٢- النساء ٧ .

٧١٣- النساء ١١ .

ومن هنا كان من العدالة أن يكون نصيبها في الميراث أقل من نصيب الرجل ، وقد كان الإسلام معها كريماً متسامحاً حين طرح عنها كل تلك الأعباء وألقاها على عاتق الرجل ثم أعطاها نصف ما يأخذ أحياناً أو أكثر أو أقل من ذلك أحياناً أخرى .

إن هذه القاعدة لا تنطبق على المال الموهوب ، إذ للبنت أن تتساوى مع أخيها في الهبة أي في العطاء الأبوي الممنوح وهو على قيد الحياة ، بل يحظر تفضيل الابن على البنت لقول الرسول ﷺ : (سوا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء) ^{٧٤}.

كذلك الأمر في الوصية التي هي تملك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق الشرع ، فيجوز للموصي أن يطبق قاعدة المساواة في الوصية بين الذكور والإناث أو أن يراعي قاعدة التنصيف إن أراد ذلك ، وإنفاق الرجل على الأسرة إلزاماً وشرعاً بلا منة هو الذي حدا بالشرع الإسلامي إلى أن يحكم للمرأة بنصف نصيب الرجل في الإرث .

وبالنظر إلى أوجه الإنفاق المكلف بها الرجل شرعاً مقابل هذا السهم الزائد من الميراث أحياناً ، ندرك في نهاية المطاف أن المرأة هي الراجعة مادياً ، فنصيب المرأة في الميراث يختلف في أحكامه وفقاً للحالات التالية :

١- لقد جعلت الشريعة الإسلامية نصيب المرأة كنصيب الرجل في الميراث أحياناً ، ومن ذلك أن الأخوات لأم والأخوة لأم تتساوى أنصبتهم الإرثية حيث يأخذ الواحد منهم إذا انفرد السدس ويشترك الاثنان فأكثر في الثلث لا فرق بين الذكر والأنثى ؛ وهذا يدفع الزعم القائل بأن المرأة على النصف من الرجل في الميراث .

ب- وقد يكون نصيب المرأة مماثلاً لنصيب الرجل أحياناً كما في الأم مع الأب إذا كان للميت أولاد من الذكور أو الذكور والإناث ، وفي هذه الحالة يكون نصيب كل منهما السدس .

ج- وقد يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل من الميراث أحياناً ، ولكنه ليس لنقص في إنسانيتها أو أهليتها أو كرامتها أو عدم مساواتها للرجل ، وإنما اقتضت ذلك قواعد العدل في توزيع الأعباء والواجبات على قاعدة الغرم بالغنم .

فلما كلف الرجل بالإنفاق على الأولاد وبدفع المهر والإنفاق على الأنثى زوجة أو أماً أو بنتاً أو أختاً أو عمة ، ولم تكلف المرأة بشيء من ذلك بالإنفاق على نفسها أو أولادها ، لما كان الأمر كذلك اقتضت قاعدة العدل أن يكون نصيب الرجل من الميراث أكثر من المرأة لكثرة الأعباء والواجبات المالية التي كلف بها دونها .

ونستطيع القول باطمئنان تام أن الإسلام أنصف المرأة في هذا المجال حيث يبقى ما ترثه من مال مدخراً لوقت الحاجة ولا بأس في هذا بل إن قاعدة العدل تقتضيه ، فالرجل أقدر على الكسب ببدنه من المرأة ، كما إن وظيفة الأمومة من حمل ورضاع وحضانة قد تحول دون قدرتها على الاكتساب ، فكان ما ترثه من مال مدخراً لها عند العوز والحاجة^{٧١٥} .

وإن الشرائع التي تعطي المرأة من الميراث نصيب الرجل ألزمها بأعباء مثل أعبائه وواجبات مالية مثل واجباته فإن إعطاءها مثل نصيبه في الميراث في هذه الحالة أمراً منطقياً ومعقولاً أما أن تعفى المرأة من كل الأعباء المالية ومن السعي للإنفاق على نفسها وعلى أولادها ويلزم الرجل وحده بذلك ثم نعطيها مثل نصيبه فهذا ليس أمراً منطقياً ومعقولاً في الشريعة العادلة .

فلا مجال للمطالبة بمساواة المرأة بالرجل في الميراث إلا بعد مطالبتها بمساواتها في الأعباء والواجبات ، وإن البلاد الإسكندنافية لا يزال بعضها حتى الآن يميز الذكر عن الأنثى في الميراث فتعطيها أكثر منها رغم تساويهما في الواجبات والأعباء المالية^{٧١٦} .

والشرع الإسلامي هو أول شرع قرر للمرأة حقها في الإرث منذ أربعة عشر قرناً ونيف ، وقد خطى خطوة كبيرة في مجال القضاء على أشكال التمييز ضد المرأة ، إذ منحها من الحقوق المالية أكثر بكثير مما تطمح إليه المرأة في العالم اليوم لتحقيق ما تصبوا إليه ، في مجال المساواة في الحقوق الاقتصادية والأسرية كما ورد.

٧١٥- السرطاوي ، فقه الأحوال الشخصية ، ١٨ .

٧١٦- زهدي يكن ، الزواج ، ص ٩٣ .

منها : التربية العقلية بالدلالات وبالبرهان والحجة

القرآن الكريم يبنى تربيته للعقل البشري على الاحترام لا لإجبار والإكراه ، وهو يدعو إلى الحوار والإقناع ، ويورد الأدلة بمختلف أنواعها ، ويناقش الآراء المختلفة .

ليتوصل الإنسان بنفسه إلى الحقيقة وإلا فإنه يعلنها صراحة ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^{٧١٧}.

فإذا كان الدين لا إكراه فيه ، فلا إكراه فيما سواه وهي دعوة صريحة في غالب آيات القرآن الكريم تدعو إلى التفكير والتأمل في كل ما يعرض ، وعدم الاغترار بالظواهر ، فالحقيقة أهم من المظهر وعليها المعول ، والحساب .

كما إن الإسلام أعلى من شأن المرأة وكفل لها حقوقها ، وجعل لها مكانة محترمة ومعتبرة في المجتمع المسلم ، وفي ذات الوقت حمى الإسلام الأسرة والمجتمع من خلال وضعه للضوابط والأحكام ، التي تستهدف الرجال والنساء على السواء وراعى في ذلك خصوصية كل منهما .

ولكن هنالك بعض المفاهيم المغلوطة حول قضايا المرأة المختلفة ، والتي تنسب أحياناً إلى الإسلام دون تحقق ودراية كافية بأحكام الشرع ، ويحدث أحياناً الخلط بين العادات والتقاليد الشعبية الموروثة وبين موقف الإسلام من المرأة ، ويجري تطبيقها في الواقع بقوة الأحكام الشرعية ونفاذها ، وذلك نتيجة للجهل بالإسلام والقرآن الكريم الذي حارب التقليد الأعمى ودعا إلى التفكير وإعمال العقل والبصيرة.

ويخلط بعض الذين كتبوا وتكلموا عن موقف الإسلام من قضايا المرأة بين أحكام الإسلام ونصوصه وبين المواقف الخاطئة التي يتخذها بعض المسلمين ، ويعممون ذلك على النظرة الدينية الإسلامية في خصوص المرأة وقضاياها المختلفة .

كما إن جهل كثير من النساء المسلمات بالحقوق التي منحها الإسلام لهن جعلهن يفقدن الكثير من هذه الحقوق ، وأصبح هذا الجهل سبباً في الانبهار بدعوات التحرر والانفتاح وتقليد النموذج الغربي .

وإن معظم المفاهيم المغلوطة حول المرأة في داخل المجتمع المسلم نتجت عن الفهم الخاطئ للإسلام ، أو التأثير بموجة التغريب التي تكتسح العالم اليوم .

وأحيانا كان سببها بعض الكتابات التي تعمدت الإساءة للإسلام من خلال تشويه حقائقه ، والتلاعب بالألفاظ واجتزاء النصوص الشرعية.

فينبغي علينا زيادة العناية بتعليم المرأة وثقافتها ، لأن العلم والثقافة حصانة لها من الانسياق وراء الشعارات الزائفة ، وحماية لها من غوائل السوء .

وعلى العلماء الاضطلاع بواجبهم الكبير، المتمثل بتجلية وتوضيح المفاهيم المغلوطة عن المرأة ، وإيلاء ذلك العناية القصوى مع تعالي صيحات إفساد المرأة.

وعلى المنظمات والجمعيات النسوية ، التريث قبل رفع الشعارات المستوردة ودراستها جيداً ، ومعرفة أغراضها وأهدافها طويلة الأمد .

ويجب على وسائل الإعلام التوقف عن استخدام المرأة سلعة ووسيلة ترويج إعلانية تمتهن إنسانيتها .

وعلى الأسرة أن تقوم بدورها في التوعية والتوجيه ، ونشر الفضيلة . وعلى المجتمع أن ينصف المرأة، بأن يطبق أحكام الإسلام التي منحتها حقوقها في جميع المجالات ، كالإرث والمهر وحقوق الزواج والتعليم وغير ذلك ، وعدم الانجراف وراء التقاليد والعادات الظالمة للمرأة .

وعلى المرأة المسلمة أن تأخذ دورها المشرف في صناعة الحياة ، وأن تقيم حياتها على أسس راسخة من القيم والمبادئ ، وأن تتلمس خطاها بعيداً عن مزالق التقليد الأعمى والانسياق وراء الصيحات والدعوات المختلفة .

٢ - التربية الإيمانية

الحاجة إلى الإيمان فطرة للإنسان : لو ترك الإنسان لفطرته لعاد من غير استثناء إلى العبودية المطلقة لله تعالى وحده ، فالإنسان بفطرته يحتاج إلى الالتجاء والاعتصام بعظيم .

كما يحتاج في أزمته الاضطرابات والمخاوف وعدم الاطمئنان إلى الملجأ ، ويحتاج في غربته وضياعه وتيهانه أن يشعر بأن هناك من يحبه ويرحمه .

فقد روي عن رسول الله ﷺ قال: ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ومجسانه ، كم تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحس فيها من جدعاء. بقوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٧١٨}.

وهذه الحاجة تُولد بالإتباع الصحيح والصريح للرسول ﷺ والإيمان بالله تبارك وتعالى. فالإيمان نور يتغلغل إلى داخل المسلم، ويتسلل إلى خلاياه حتى يكون جزء من تكوينه يستمد منه القوة فلا يخاف إلا الله ولا تأخذه في الله لومة لائم وصدق الشاعر^{٧١٩}:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً* على أي الجنين يكون في الله مصرعي

وعن طريق الإيمان بالله تعالى تتحقق الطمأنينة في النفوس، فلا اطمئنان بعيد عن الإيمان.

والإيمان بالله شرط للهداية التي تفتح للنفس البشرية آفاقاً واسعة للخير، والسعادة والسعي في مصالح الناس وحاجاتهم^{٧٢٠}.

٧١٨- سورة الروم ٣٠ .

٧١٩- قاله خبيب ابن عدي لما أراد المشركون قتله بعد أن أسروه وذهبوا به إلى مكة ، وهو يدري ، أنصاري من قبيلة الأوس ، لازم النبي ﷺ منذ أن وصل إلى المدينة .

٧٢٠- أصول التربية الإسلامية ، د. محمد شحات ، د. مصطفى متولي ، د. نور الدين عبد الجواد ، د. محروس إبراهيم ، د. فتحية محمد ، ص ٢٢٤ ، الطبعة الثالثة دار الخريجي للنشر والتوزيع .

والإيمان سد منيع ، يحمي صاحبه من الانزلاق وراء الشهوات والغرق في مستنقع الرذيلة.

كما أن الإيمان يحقق للمؤمن تصورات واضحة عن الحياة، وعن الوجود، وعن نفسه، فالحياة محنة وابتلاء واختبارات^{٧٢١}.

قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾^{٧٢٢}.

نحن نحتاج إلى الإيمان حتى نجابه أمراض العصر من القلق، والخوف من الفشل، والشعور بالضيق، وعدم الانتماء وغيرها.

لأن الإيمان هو الذي يعيد التوازن للنفوس ، والإيمان هو المعيار الثابت في وجه جميع المتغيرات قال تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^{٧٢٣}.

ومفهوم التربية الإيمانية هو عملية متدرجة ومقصودة ، وغاية لكل فرد من المجتمع لتوجيه الإنسان نحو خالقه من خلال مجموعة من المبادئ ، والقيم المستمدة من الكتاب والسنة .

والتي تعمل على النمو السليم المتوازن بالروح والعقل والنفس والجسم وتحديث التكيف الاجتماعي^{٧٢٤}.

٧٢١- أهمية الإيمان في تربية المجتمع ١١٠ .

٧٢٢- سورة الكهف ٧ .

٧٢٣- سورة الرعد ١٣ .

٧٢٤- خالد عبد الكريم فياض ، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في الوقت الحاضر ص ٢٣ ، الطبعة الأولى ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ.ق - ١٩٩١م.

(أ) - منهاج القرآن في التربية الإيمانية

من أهم سمات التربية القرآنية التدرج في اكتساب القيمة ، حتى تتمكن في النفس المؤمنة وتصبح جزءاً أساسياً من مكوناتها الثقافية ، والسلوكي^{٧٢٥}.

ويمكننا الاستفادة من تدرج القرآن الكريم في أسلوبه التربوي لأن التدرج في ترسيخ الإيمان ينير القلوب ، ويوضح أمامها المطلوب ، كما أنه يسهل الاعتناق والعمل ، أو الاعتناق والترك .

ومن تدرج القرآن في التربية الإيمانية فقد أثمرت تربية الرعيل الأول بالإيمان في وقت نزول القرآن الكريم بمراحل يمكن استنباطها بمدرسة تدرجات القرآن الكريم في الكثير من الأمور التشريعية في المرحلتين المكينة، والمدنية كفرضية الصلاة، والصيام، وتحريم الخمر ، والأمر بالحجاب وغيرها .

فالتدرج في التشريع أسلوب حكيم استخدمه القرآن الكريم ؛ ليتوافق مع فطرة الإنسان المجبول على التدرج في القبول والاعتناق . ولكن تبقى بعض المفاهيم المغلوطة حول مسألة حرية المرأة كالإسلام يقمع حرية المرأة ، ويكبت طاقاتها ، ويعطل إمكاناتها ومواهبها .

الحقيقة أن الإسلام ليس من قمع المرأة وحجّمها وألغى وجودها الاعتباري ، بل هو الذي حررها ، وأقام لوجودها الاعتبار ، في الوقت الذي كاد العالم فيه يلتقي على قمع المرأة، وإلغاء كينونتها .

فقد كانت المرأة في المجتمع الجاهلي تعيش منبوذة مكروهة في معظم الأوساط العربية نظراً لاهتمام الرجل العربي بالأبناء الذكور^{٧٢٦}، فليس لها حق الإرث وليس لها على زوجها أي حق وليس للطلاق عدد محدود ، ولا لتعدد الزوجات حد معين ، ولم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاح بها كما لم يكن لها حق في اختيار زوجها .

وكانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى وكانت بعض قبائلهم تندها خشية العار ، وبعضهم كان يئدها ويئد أولاده عامة خشية الفقر ، حتى جاء الإسلام يضع الميزان الحق لكرامة المرأة ويعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة ويرفع عن كاهلها وزر الإهانات التي لحقت بها عبر التاريخ والتي صنعتها أهواء الأمم، يعلن إنسانيتها الكاملة وأهليتها الحقوقية التامة .

٧٢٥- الدكتور إبراهيم الديب ، البرنامج العملي لبناء المسلم القرآني المعاصر ، ص ٢٧ .

٧٢٦- المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر ، ص ١١٧ .

فمن الناحية الإنسانية : اعترف بإنسانيتها كاملة وهذا ما كان محل شك وإنكار عند أكثر الأمم المتقدمة سابقا ، ومن الطريف ذكره أن بعض الفلاسفة في القرن السابع عشر في أوروبا كانوا يتساءلون :

هل للمرأة روح أم ليس لها روح ؟ وإذا كان لها روح فهل هي روح إنسانية أم روح حيوانية ؟ وإذا كانت روحاً إنسانية فهل هي من جنس روح الرجل أم من درجة أدنى ؟^{٧٢٧}.

ومن الناحية الاجتماعية فقد فتح أمامها مجالا للتعلم وأسبغ عليها مكانة اجتماعية كريمة في مختلف مراحل حياتها ، منذ طفولتها حتى نهاية حياتها ، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر من طفلة إلى زوجة إلى أم وجدة ، حيث تكون في سن الشيخوخة التي تحتاج معها مزيداً من الحب والحنو والإكرام .

ومن الناحية الحقوقية فقد أعطاهم الأهلوية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد ، ولم يجعل لأحد عليها في ذلك ولاية من أب ولا زوج ولا غيره^{٧٢٨} .

وما كانت الحرية الخالصة من الشوائب إلا حرية بناء لا تهديم ، وحرية تقدم حقيقي لا رجوع إلى الوراء آلاف السنين ، حين كان الإنسان ينطلق وراء شهواته ، لا يبالي بمجتمع ولا يتقيد بنظام .

إن كل ما يقال حول قضية المرأة و " تحريرها " كلام فيه كثير من الحق وكثير من الباطل والتضليل ، فليس في بلادنا قضية باسم " تحرير المرأة " بعد أن حررها الإسلام ، وإنما هي مشكلة كانت عند الغربيين وما تزال .

وليس طلب الإسلام حشمة المرأة وتفرغها لأداء رسالتها الاجتماعية الكبرى كبتاً للطاقة ، بل تنظيم لها ، والتنظيم غير الكبت ، ووضع كل شيء في موضعه ومنعه من تجاوز حده أمر غير الفوضى والانفلات ، وكلنا يعلم الفرق بين " الكبت " وبين " التنظيم " كما يعلم الفرق بين " التخريب " وبين " البناء " وبين " القانون " وبين " الفوضى " .

وتربية القرآن للنفوس بالإيمان اندرجت تحت هذا الأسلوب الإلهي المتكامل مع احتياجات الإنسان ، فراعته في فرضيتها الفرد والمجتمع ، وما كان مقررًا وسائدًا ، مع ما هو جديد وواجب . ويمكن تحديد المراحل التي مرت بها التربية الإيمانية بالمراحل التالية :

٧٢٧- فطب ، مُجَّد ، مذاهب فكرية معاصرة ، ط ٤ ، ص ١٢٣ ، دار الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

٧٢٨- السباعي ، مصطفى ، المرأة بين الفقه والقانون ص ٢٧ .

مرحلة : تفكير المسلم والتربية الإيمانية

باعتبار أن الإسلام دين دعا الى عقيدة لم تكن معروفة فيما بين العرب بالجزيرة ، أو كانت معروفة ولكن متروكة كما كانت عند أهل الكتاب .

فلقد ركز القرآن الكريم في بداية العلاج على العلاج من الداخل إي علاج القلب من الشرك وذلك بالدعوة إلى وحدانية الله تبارك وتعالى ، ومعرفة ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته.

ومن عقائد الغيبة الإيمان بالرسول ﷺ والكتب والملائكة واليوم الآخر وغيرها من العقائد التي تعيد صياغة القلب من الداخل فيثبت ولا يمكن أن تؤثر فيه المتغيرات من الأحداث.

ودلل القرآن الكريم على أهمية هذه البداية ببيان من أنها كانت بوابة لكل دعوات الرسل ﷺ .

قال تعالى في قصة نوح ﷺ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٧٢٩ ﴾ .

وقصة إبراهيم ﷺ كما في قوله تعالى :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنفَعُونَكُم أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ٧٣٠ ﴾ .

وبتكامل القرآن ركز على هذا العلاج الداخلي طوال فترة الدعوة في مكة، واستطاع أن يغسل القلوب المؤمنة من كل معتقد فاسد، ويرسخ كليات العقيدة الإسلامية فيها.

وهذا العلاج قد استغرق كل فترة الدعوة في مكة وهي تقريباً ثلاثة عشر عام بين الجهر واليسار ولم يتجاوز القرآن المكي هذه القضية الأساسية إلى شيء مما يقوم عليها من التفرعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها استوفت ما استحققتها من بيان وإنها استقرت استقرار مكتوبا وثباتا في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان^{٧٣١} .

٧٢٩- سورة الاعراف ٥٩ .

٧٣٠- سورة الشعراء الآيات ٧٩ - ٦٩ .

٧٣١- مُجَدِّد أحمد العدوي ، دعوة الرسل إلى عبادة الله ص٢ ، طبعة: دار المعرفة بيروت سنة ١٤١٤هـ.ق- ١٩٩٣م.

مرحلة : أمر العبادات والتربية الإيمانية

بعد البناء الداخلي أي بمعنى بناء قلوب الأفراد من الداخل انتقل إلى وضع السياج الثاني الذي يعتبر كالوقود الذي يشحن طاقة القلب .

فبعد أن كانت الأمة هي الرسول ﷺ ثم خديجة عليها السلام ثم علي عليه السلام ازدادوا ليصبحوا أمة كل فرد فيها يملك الإيمان السليم في قلبه ، ولكن هذا الإيمان يحتاج إلى طاقة ليثبت ، ويزهو ، ثم يثمر فيدعو غيره ليتشارك معه في الجزاء .

وفي سبيل ذلك قرر القرآن العلاج الثاني ؛ وهو إقرار عدد من التشريعات التي تعتبر كالحرك الذي يزيد الإيمان ويقويه :

ففرضت الصلاة والزكاة والحج قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾^{٧٣٢} .

والصيام قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^{٧٣٣} .

والحج والعمرة قال تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾^{٧٣٤} .

وغيرها من الفرائض والنوافل .

٧٣٢ - سورة البينة ٩٨ .

٧٣٣ - سورة القرة ١٨٣ .

٧٣٤ - سورة البقرة ١٩٦ .

مرحلة : الاخلاق والتربية الإيمانية

سلك القرآن في التربية الإيمانية مسلك التصحيح بالأخلاق فالإسلام كما أنه دين عقيدة وعبادة ، فهو دين أخلاق ومثل ، وتمثل الأخلاق في منهج التربية الإسلامية ركيزة أساسية في تربية النفس^{٧٣٥}.

والأخلاق هي مجموعة تصرفات السلوك الحميدة التي تنبعث ذاتا من الفرد المسلم بقصد نيل الأجر من الله تعالى دون سواه^{٧٣٦}.

ولبيان أهمية التربية بالأخلاق في تحقيق التربية الإيمانية نجد أن القرآن الكريم ربطها بالتوحيد الذي هو أساس البناء وأن إسقاطها يؤدي إلى هلاك الأمم. قال تعالى في قصة نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَنَا تُؤْمِنُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^{٧٣٧}.

فوجد أن لوطا عَلَيْهِ السَّلَام جعل من أساس دعوته الدعوة إلى الأخلاق ، وجعلها من أركان الاستجابة الإيمانية السليمة ، وعندما خالفها قومه جاء أمر الله بأن أهلكتهم جميعا إلا من آمن وأصلح قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِنْ سَجِيلٍ مَنْضُودٍ﴾^{٧٣٨}.

كما إن الإسلام قد أعاد للمرأة آدميتها وكرامتها وحريتها المفقودة على مر العصور التي سبقت الإسلام ، فحافظ على إنسانيتها ورفع شأنها بعد أن كانت مهانة في الجاهلية^{٧٣٩}.

ومنحها حقوقا إنسانية ومدنية واقتصادية واجتماعية ، لم تمنح لها قبل الإسلام وبهذا فإن المرأة المسلمة قد أعطيت من الحقوق ما لم تأخذ غيرها قديما ولا حديثا .

٧٣٥- الدكتور صالح إيشان عبد الرحيم ، منهج التربية الإسلامية في تربية النفس ، طبعة : مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١٣٤ ص ٤٥٩.

٧٣٦- رسائل فتاوى الدعوة ص ٦٣ ، ط: اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ١٤١٤ هـ. ق - ١٩٩٤ م.

٧٣٧- سورة العنكبوت ٢٨ .

٧٣٨- سورة هود ٨٢ .

٧٣٩- شحاتة ، عبد الله ، المرأة في الإسلام بين الماضي والحاضر ، ص ١١٧ .

وقد كانت حقوق المرأة تداس تحت الأقدام ، بل لم يكن لتلك الحقوق اسم ولا رسم في الوجود مع أن جملة النساء تشكل الأكثرية في المجتمع الإنساني وهن الأصل البشري ووسيلة البقاء للنوع الآدمي ، وهن أمهات أهل الفضل والعلم والكمال .

والإسلام منذ أن شَعَّ نوره رفع مقام المرأة ، وخصها بالرعاية والتكريم ، وافر لها حقوقاً ورتب عليها واجباتٍ فصارت بذلك عضواً مشاركاً وفاعلاً في المجتمع الإسلامي ، فكان تحرير المرأة قد ولد مع بزوغ فجر الإسلام^{٧٤٠} .

وقد ظلت الأمم الأوربية تنكر على المرأة حقوقها حتى جاء القرن التاسع عشر الميلادي حيث تغيرت نظرتها إلى المرأة ، وبدأت بذلك المرأة تخرج من قيودها ، وتنطلق إلى الحياة ، إلى أن تم تحريرها ليس من القيود التي كانت مفروضة عليها فحسب .

بل تم تحريرها حتى من قيمها وأخلاقها وإنسانيتها وأمومتها ودورها الأصيل في الحياة ، فأصبحت رمزاً للجنس والشهوة ووسيلة دعائية مبتذلة لترويج أبخس السلع وأحقرها .

والحرية التي قدمها الإسلام للمرأة تختلف عن الحرية التي يتباكى عليها دعاة تحرير المرأة في الشرق والغرب اليوم ، فحرية الإنسان في نظر الإسلام هي حرية مسؤولة نسبية ، لها حدود تنسجم مع إنسانية الإنسان وقدراته ومصلحته .

وأما الحرية التي يُنادى بها اليوم فهي إطلاق المرأة من كل قيد، حتى القيود المتعلقة بالإمكانات الخاصة بالمرأة ، ومصلحة المجتمع وأخلاقيات الحياة ، والمعنى فإن المراد هو إفساد المرأة وتحويلها من إنسان له كرامته إلى آلة جنسية شهوانية ، تقضي أوطار الرجال ، ثم يلقي بها على قارعة الطريق.

٧٤٠ - الحسيني ، مبشر الطرازي ، المرأة وحقوقها في الإسلام ، ص ١٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٤ م .

مرحلة : بناء الدولة والتربية الإيمانية

فبعد الهجرة ،وببناء الدولة استقرت النفوس ، وزادت الثقة في النصر، وتحقق الفوز ، واتجه القرآن الكريم إلى تربية الأمة بعد أن ربي الأفراد ، وقد طبق القرآن الكريم هذه التربية بأسلوب لا يصدر إلا من العليم الخبير الذي يدرك مكن الداء وحقيقة الدواء .

فوضع القرآن الكريم أساسيات للدولة كفيلة لتربية المجتمع تربية إيمانية خالصة ، واستخدم في سبيل ذلك وسائل منوعة مثل :

(تربية المجتمع بالتكافل الاجتماعي - تربية اقتصادية تؤمن الملكية الفردية وتحمي الموارد الاقتصادية - حماية روح الأمة بإيجاب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر -إشاعة العدل والمساواة بين الأفراد) .

فقد قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^{٧٤١}.

والإسلام ينظر إلى المجتمع، أو الحياة على أنها متكاملة ، فلا ينفصل الاقتصاد عن الأخلاق ، ولا ينفصل العمل عن الإيمان، ولا تنفصل الأمة عن الفرد ، فكلها تنبع من مشكاة واحدة ، وكلها تصب في نفس الكأس ، فإذا تمت تربية الفرد، فقد تم بناء المجتمع .

مرحلة : الجهاد والتربية الإيمانية

هناك جهاد الأكبر وهو جهاد النفس فقد اتجه القرآن في نهاية سلم التربية الإيمانية إلى التربية بالجهاد، وهو وسيلة جامعته لكل أنواع التربية السابقة ، ويضاف إليها أنها وسيلة ينقل خلالها الأفراد الذين ربوا بالتربية الإيمانية .

ثم اشتد عودهم ما تعلموه إلى غيرهم ، وليس المقصود بالجهاد هو القهر على اعتناق الإسلام ، لأنه لا إكراه في الدين ، ولكن المقصود هو إطلاق الأفراد ليصبحوا أحراراً .

في اختيار العقيدة التي يريدونها بمحض اختيارهم بعد رفع الضغط السياسي عنهم ، وبعد البيان المنير لأرواحهم وعقولهم . وأعطى الإسلام للعلم مكانة لم تكن قد أعطيت له من دين قط ، فلم تعرف البشرية ديناً مثل الإسلام عني بالعلم وحث على طلبه للذكر والأنثى ، فتعددت آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ في الحث على العلم وبيان فضله .

ففي القرآن الكريم ورد لفظ العلم بمشتقاته فيما يقرب من ثمانمائة وخمسين موضعاً ، هذا بخلاف الألفاظ الأخرى التي تعطي المعنى نفسه ، كالتدبر والتفكير والتعقل وكلها تحث على العلم ، واما في السنة المطهرة نجد جميع كتب الحديث النبوي المصنفة حسب الموضوعات والأبواب تجد فصلاً خاصاً للعلم.

ولما كانت المرأة أحد ركني الأسرة والمدرسة الأولى لأولادها ، كانت الحاجة إلى تعليمها كمثال الحاجة إلى تعلم الرجل ، ولهذا كانت دعوة الإسلام إلى العلم والحكمة دعوة عامة ، تشمل الرجل والمرأة ، فقول النبي ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ، يشمل الذكر والأنثى وتجد وصف لفظ (مسلم) يندرج تحته كل من الرجل والمرأة .

وكذلك قول الله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^{٧٤٢} ، يتناول فيه الاسم الموصول كلاً من الذكر والأنثى أيضاً . وتلاحظ من أبلغ الأدلة في تقرير حق التعليم للمرأة المسلمة ، ما كان يفعله ﷺ حين كان يعد النساء يوماً يلقاهن فيه ، فيعظهن ويأمرهن .

وقد اشتهر بالعلم الكثير من النساء المؤمنات في عهد النبوة وبعده ، فبرز منهن المفسرات والفقيهات وراويات الشعر والأخبار والعالمات بالأنساب ، كما أسهمت المرأة في نقل الأحكام إلينا عن طريق الإسناد .

ولا سيما فيما يخص أحكام النساء والبيوت مثل السيدة زينب بنت علي بن ابي طالب عليها السلام ، وكان أجلاء الصحابة يرجعون إلى أمهات المؤمنين - ولا سيما أم سلمة عليها السلام - يستفتونهن عما خفي عليهم من أحكام الشرع .

قليل : يكفي المرأة من المعرفة ما تدبر به شؤون بيتها ، وتعبد به ربها ، وليس لها أن تبالغ في طلب العلم ، وتتعلم ما يزيد على ذلك ؟!

إن تقسيم العلوم بين الرجال والنساء على هذا النحو ليس له مستند من كتاب ولا سنة ، بل هو يخالف مقاصد الشرع ، ونصوصه الواضحة . وإن كانت قد جاءت الغالبية العظمى من التكليف والتوجيهات في القرآن الكريم والسنة الشريفة بصيغة الخطاب للمذكر .

ولكنها تشمل الرجال والنساء معاً ، ويشهد لذلك ما روي أن أم المؤمنين أم سلمة عليها السلام أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر وهي تمشط : أيها الناس ! فقالت لماشطتها : لفي رأسي . فقالت : فديتك ، إنما يقول أيها الناس .

قلت : ويحك أولسنا من الناس؟ فلفت رأسها ، وقامت في حجرها^{٧٤٣} .

وخاطب النبي صلى الله عليه وسلم جمهور المسلمين فقال : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ، فالخطاب هنا موجه للذكور والإناث ، كما إن تنكير كلمة مسلم هنا يفهم منه الاستغراق كما يقول علماء البلاغة ، بمعنى أنه يستغرق كل المسلمين والمسلمات ، وقد الحق بعض المصنفين بآخر هذا الحديث كلمة (ومسلمة) وفي هذا يقول الحافظ السخاوي : ليس لها ذكر في شيء من طرقه وإن كان معناها صحيحاً^{٧٤٤} .

٧٤٣- رواه الإمام احمد ، حديث رقم ٢٦٥٨٨ ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

٧٤٤- السخاوي ، مُجَدِّد عبد الرحمن ، المقاصد الحسنة ، ص ٢٧٧ ، بغداد - العراق ، ١٩٥٦ م .

والقران الكريم حث النساء على العلم والحكمة فقال تعالى : ﴿ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾^{٧٤٥} ، فالآية الكريمة تأمر نساء النبي ﷺ أن يحفظن ولا يغفلن عما يسمعهن من النبي ﷺ من آيات الله تعالى .

واهتماما بتعليم النساء كان الرسول ﷺ يزوج المرأة على تعليمها شيئا من القران ، فقد جاء رجل إلى الرسول ﷺ ليزوجه إحدى النساء فسأله عما عنده ، فلم يجد عنده سوى إزاره الذي يلبسه ، فسأله ﷺ : ما تحفظ من القران ؟ قال : سورة البقرة والتي تليها ، فقال ﷺ : قم فعلمها عشرين أية وهي امرأتك^{٧٤٦} .

وأباح الإسلام للمرأة أن تخرج للسؤال عن دينها ، وأمر زوجها ألا يمنعها إذا أرادت الخروج إلى المسجد ، لقول النبي ﷺ : (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله)^{٧٤٧} ، وروي أن الزبير تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل وكانت تخرج إلى المساجد فيقول لها : لو صليت في بيتك ، فتقول لا أزال اخرج أو تمنعني ، فكره منعها لهذا الخبر^{٧٤٨} .

وقد قارب عدد النساء اللواتي كن يقرآن ويكتبن في صدر الإسلام من نصف عدد الذين كانوا يكتبون من الرجال عند ظهور الإسلام^{٧٤٩} .

ولم تتوقف الحقوق التعليمية للمرأة في الإسلام على حد القراءة والكتابة فقط ، حيث إن الأصل في الأشياء الإباحة فيما لم يرد فيه نص ، وبناءً على ذلك يمكن الاستنتاج أن المرأة المسلمة لها أن تتعلم كافة فروع العلم ما لم يرد نص يحرم فروعاً معينه من العلم في القران والسنة المطهرة أو ما لا يتعارض مع مقصد من مقاصد التشريع .

٧٤٥- الاحزاب ٣٤ .

٧٤٦- رواه أبو داود : كتاب النكاح - باب في التزويج على العمل يعمل ، كنز العمال ، ج ١٦ ص ٣٢٠ .

٧٤٧- صحيح البخاري : كتاب الصلاة باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة وإنها لا تخرج متطيبة .

٧٤٨- موفق الدين ابن قدامة، المغني، ج ٨ ، ص ١٢٨-١٣٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت- لبنان ، ١٩٧٢م.

٧٤٩- مُجَدَّ عطية الإبراشي ، التربية الإسلامية وفلاسفتها ، ط ٣ ، ص ١٢٣ ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ،

سنة ١٩٧٦م.

قيل : ليس للمرأة الحق في التعلم على أيدي الرجال أو تعليمهم ؟! .

إن التعليم ومبدأ المساواة فيه بين الرجال والنساء هو مبدأ اقره الشرع وحث على تلقيه لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{٧٥٠}.

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^{٧٥١}.

والمخاطب يشمل الرجل والمرأة على السواء .

وللبنت حق التعلم بعد حق التربية والتأديب بل هو واجب على ذويها لها ومن هنا يقول النبي محمد ﷺ : (طلب العلم فريضة على كل مسلم) ، وعلى هذا الأساس يسوي الإسلام بين الاثنين في حق التعليم والتثقيف ، حيث أعطى المرأة الحق نفسه الذي منحه للرجل .

فحقها في تحصيل العلوم والفنون والأدب بمختلف فروعها ، ولا يعني طلب العلم البقاء في البيت ، وإنما يتعدى ذلك للسعي والبحث عن موارده ، حيث تلقت المرأة المسلمة العلم من الرسول ﷺ مباشرة .

والإسلام يحث على العلم ويرغب فيه الرجال والنساء على السواء ، وليس فيه ما يحرم على المرأة أن تتعلم ، وفي التاريخ الإسلامي مئات النماذج من العالمات والأديبات والمحدثات ممن اشتهرن في ذلك ، ودونت سيرتهن في كتب التراجم .

وللمرأة حق تعلم العلوم النافعة بالطريق المناسب لطبيعتها ، وبشرط الالتزام بالآداب الإسلامية اللازمة لها ، بحيث لا يؤثر ذلك على قيامها بواجباتها المطلوبة كزوجة ، فلا تقصر في حقه ، ولا تحمل تربية الأبناء .

٧٥٠ - الزمر ٩ .

٧٥١ - فاطر ٢٨ .

(ب) - الفوائد الإيمانية للتربية

تظهر فوائد التربية الإيمانية على الفرد والمجتمع من جوانب متعددة فمن الناحية السلوكية سلوك الفرد بينه وبين نفسه .

فالإيمان يربي الفرد من داخله ويمنحه الاستقرار النفسي، والانضباط السلوكي، فيعصمه من الزلات والأهواء وينجيه من المهلكات، فالإيمان يرتقي سلوكيا بالمؤمن وبه يستحق ما خص به من تكريم.

واما سلوك الفرد بينه وبين غيره بالتربية القرآنية ينضبط المجتمع بأكمله، فكل فرد من المجتمع يراعي حق غيره قبل حق نفسه، فيبادر إلى المساعدة.

تجده يساعد في البناء، يدعو إلى الخير، يدافع عن الدين واصفاً السلوك في المجتمع المسلم قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^{٧٥٢}.

وبانضباط سلوك الفرد ينضبط سلوك المجتمع كله وبالتالي الأمة كُله من الناحية الاقتصادية والتربية الإيمانية تهتم بالبناء الاقتصادي للفرد . فالإيمان يؤثر في الرؤية الامتلاكية للأشياء، والمؤمن يضبط نفسه دائما بالسؤال ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ؟ .

لذلك هو يرتفع بالإيمان عن السرقة، والنهب، وعن أكل مال الغير إلا بالحق، وعن الربا، والرشوة، كما أنه يسارع على تطهير ماله بالزكاة وزيادتها بالصدقة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^{٧٥٣}.

٧٥٢- سورة الحشر ٥٩ .

٧٥٣- سورة البقرة ١٨٨ .

واما البناء الاقتصادي للمجتمع والتربية الإيمانية خير ضابط لحفظ الاقتصاد في المجتمع لأن مجتمع الإيمان يُربي على التكافل الاجتماعي وعلى الأسس السليمة لحفظ الاقتصاد العام ، فالتاجر المسلم يأبى الاحتكار والغش ، كما يُربي على حفظ الثروات العامة .

ومن الناحية السياسية التربية القرآنية وضعت أسس الدولة الإسلامية وساد المسلمون الناس فملكوا الأرض ، ومن الجيش الإسلامي في عصر الرسول ﷺ نستمد نُظم الحرب والسلام .

واما من الناحية العلمية التربية القرآنية الإيمانية تفتح آفاق الفكر، وتشحذ الذهن ، وتنمي القدرة على الربط والتحليل ، والوصول إلى العلم الذي لم يعلمه الإنسان .

إلا من خلال تعليم الله تعالى له ، وهو العلم الذي يقود إلى المعرفة الحق لا إلى الجحود ، والكفر قالت سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾^{٧٥٤} . ومن ذلك يعلم إن التربية الإيمانية تهبي الفرد ليكون هو الإنسان المثالي .

٣ - التربية النفسية

لن تكتمل النظرة الباحثة لمميزات التربية القرآنية إلا من خلال التربية الشاملة ومنها التربية النفسية في القرآن الكريم، لأن التوقف عند التربية العقلية، والتربية الإيمانية يعتبر قصور وإنقاص. من قدرة التربية القرآنية على إنشاء الإنسان الصالح^{٧٥٥} فالمنهاج الرباني في التربية القرآنية يجعلها شاملة لكل محاور التكوين البشري من عقل وقلب وروح ومشاعر وبدن وغيرها.

واهتمام القرآن الكريم بالنفس من خلال التفصيل بالنواحي النفسية للنفس البشرية، واهتمامه بالتربية النفسية ، أو تربية الضمير لكي يحث المسلم على إيقاظ حس الحسبة الداخلية للإنسان من خلال ضميره المتيقظ ، وتحديد موقفه من الحلال، والحرام، والخير، والشر .

والتربية القرآنية حريصة على أن يكون الإنسان رقيب على نفسه فلا يسمح لنفسه بممارسة أشياء يعلم داخل نفسه خطئها، أو اختلافها مع القيم الشرعية .

٧٥٤- سورة فطر ٢٨ .

٧٥٥- اقتبسنا مصطلح (الإنسان الصالح) من مُجدِّ قطب والذي استخدمه بكثرة في كتابه مناهج التربية الإسلامية.

وأهمية التربية النفسية ناشئة من أهمية تربية النفس بالضبط لأن النفس منبع كل خير شر قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾^{٧٥٦}.

ووضعت التربية القرآنية أسس دقيقة لمعالجة النفوس ؛ فقد شخصت أولا العلل التي يمكن أن تصيب النفوس فتعيد بها عن طريق الفطرة القويمة التي فطرت عليها^{٧٥٧}.

وقد قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{٧٥٨}.

وقال تعالى : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^{٧٥٩}. وبين القرآن الكريم أن هناك ميزان دقيق خلقه الله تعالى لموازنة النفوس وإعادتها إلى جادة الصواب ، كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^{٧٦٠}.

وقام القرآن الكريم ببيان أنواع النفوس لتكون كل نفس على بينة في طريقه الذي يختاره للسير عليه قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأَذِّنُ اللَّهُ لَكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^{٧٦١}.

٧٥٦- سورة الحجرات الآية ٤٩ .

٧٥٧- حادثة قصة جميله جداً... جاء رجل بريطاني إلى رجل دين وسألها: لماذا لا يجوز في الإسلام للمرأة أن تصافح الرجل الاجنبي ؟

قال رجل الدين : هل يمكنك أن تصافح الملكة إليزابيث ؟ .

قال الرجل البريطاني : بالطبع لا ، هناك أشخاص فقط الذين يمكن أن يصافحوا الملكة إليزابيث .

فأجاب رجل الدين : المرأة لدينا هي الملكة والملكات لا تصافح الرجال الغرباء .

ثم سأل الرجل البريطاني رجل الدين : لماذا الفتيات تستر الجسم والشعر ؟.

تبسم رجل الدين واخذ اثنين من الحلوى ، وفتح واحدة وأبقى الاخرى مغلقه . ألقى الاثنين على الأرض المترتبة

، وقال رجل الدين للبريطاني : إذا طلبت منك أن تأخذ واحدة من الحلوى أي واحده سوف تختار ؟.

رد البريطاني : سأخذ المغلقة .

قال : هذه هي الطريقة التي نعامل بها المرأة لدينا .

٧٥٨- سورة البقرة ٧٤ .

٧٥٩- سورة الشمس الآيات ٧-٨ .

٧٦٠- سورة القيامة ٢ .

وإجمالاً إن النفس لم يعرف كنها بالضبط ، بل لم يعرف موقعها من الإنسان ، وكل ما يعرف عنها هو ما يلاحظ عن المرء من سكنات، وحركات، ونشاط حيوي سواء كان ذلك خاصاً باحتكاكه بغيره من الكائنات أم خاصاً به وحده .

فالنفس السليمة يرى صاحبها وقد سار في الحياة في طريق سوي طبيعي ليس به شذوذ ، والنفس السقيمة يرى صاحبها قد سار سيرا شاذاً معوجاً من شأنه أن يظهره في مظهر غير مألوف^{٧٦٢}.

ومن فوائد التربية النفسية في القرآن للمؤمن ، فوائد قصوى لا يستطع أي منهج تربوي آخر توفيرها ، وإن اردنا إحصائها لن نستوفيها في أسطر.

فمنها الثقة والطمأنينة : التربية القرآنية لنفسية المسلم تجعله يتحلى بالثقة بالله جل وعلى أولاً، وهذه الثقة تنعكس على كل أمور الحياة، فهو راض بكل ما يأتيه الله تعالى إياه.

وواقع منه خيراً لأنه من عند الله ، مرتبط بمحركاته وسكناته وخطراته مع الله جل وعلا حتى يكون الله تعالى كما جاء في ان يكون له سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها.

وهذا الرضا والاستسلام لله تعالى مقرون بالحبّة لله تعالى ولرسوله ﷺ ولاهل بيته عليهم السلام والثقة تورث الطمأنينة التي هي استقرار القلب ومنعه من الاضطراب.

واما السعادة : هي المطمع الذي يجري خلفه كل طالب ، والمسعى التي يسعى إليها كل ساعي سواء أصاب معناه الحقيقي أم لم يصيب. فقد قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾^{٧٦٣}.

والتححرر من عبودية غير الله في تربيته للنفوس البشرية إلى عتقها من العبوديات المتسلطة على الرقاب البشرية وتحريرها من عبودية غير الله تعالى ، ولذلك نجد أن التربية الإيمانية أن تحققت كاملة وكان المعبود الأوحد هو الله جل وعلا ستتحرر النفوس من كثير من أمراضها المستعصية ، وتحلق في محيط عبادة الله وحده.

٧٦١- سورة فاطر ٣٢ .

٧٦٢- عارف جمعة ، مذكرة في علم النفس ، ص ٣٢-٣١ .

٧٦٣- سورة طه ١٢٤ .

والاتزان والنظر للحياة بالنظرة المعتدلة فقد قال تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^{٧٦٤}.

آيات كثيرة من هذا القبيل تشير إلى أن الاعتدال والتوازن من سنن الله تعالى في الكون، وميز الله هذه الأمة المحمدية بقوله ﴿وَكَذَلِكَ﴾ :

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^{٧٦٥}.

فالنظرة المعتدلة والموازنة بين الأمور من متطلبات النفس السوية والتي تعمل التربية القرآنية على تحقيقها قال تعالى :

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾^{٧٦٦}.

والنظرة المعتدلة تقي الإنسان من الوقوع في العجلة ، كما أنها توطن النفس على النظرة المتأمللة للأمر وهو ما يوفر الحكم الصحيح ، لأن أصل الضلال اتباع الهوى والظن قال تعالى :

﴿ إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾^{٧٦٧}.

واما السعي إلى الكمال في شؤون الدنيا والآخرة تجدد المؤمن المطمئن النفس لا يرضى بالدونية ، أو القليل من الأشياء بل هو يعلم أن خلقه في هذه الدنيا ليس عبثاً بل هو مخلوق لغاية وهدف، ومطلوب منه اعمار حيات هـ.

فهو محاسب على وقته وصحته وعمره وعمله ، ومن كان هذا فكره يسعى إلى الكمال البشري الممكن له فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

٧٦٤- سورة يس ٤٠ .

٧٦٥- سورة البقرة ١٤٣ .

٧٦٦- سورة القصص ٧٧ .

٧٦٧- سورة النجم ٢٣ .

قال الغزالي: وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية بالغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم^{٧٦٨}.

والسلامة من كثير من الأمراض النفسية فأغلبها منشؤها قلة الإدراك التي تؤرق عقول الحائرين في فهم معاني الحياة، والموت والمصير وسبب الخلق والوجود ، وعدم الإدراك هذا يؤدي إلى وجود فجوات نفسية، وثقوب في اتصاف الرؤية، ومن ثم تنشأ الأمراض النفسية من قلق، وخوف، وعدم استقرار.

وكذلك الأمراض الاجتماعية من حسد أو تباغض وتنافر، لكن المؤمن كامل الإيمان المعتمد والمتوكل على الله، يعلم يقيناً أنه لم يخلق عبثاً، وأن الحياة لا تنتهي عند الموت بل هناك دار تحني فيها الثمار وفيها يكون الخلود الحقيقي .

يعلم أن ما أصابه من خير أو شر هو مكتوب عليه من عند الله ، يعلم أن كل كلمة أو قول ، أو فعل هو عمل يؤجر عليه ، وهذه المعرفة تحقق الاستقرار ثم السكينة ثم الطمأنينة.

ومنشأ هذه المعرفة هو الإيمان بالله الحق الذي يسير بالمؤمن في طريق الله للوصول إلى حب الله والفوز بالقرب منه تعالى ، فالمؤمن يسير في طريق الله آمناً مطمئناً، لأن إيمانه الصادق يمدّه دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته .

ومن هنا يعلم أن التربية القرآنية للنفس البشرية تربية خاصة ، تضع الخطوط العريضة على الأمراض التي تصيب النفوس وتعطب الأرواح ، وتميت القلوب.

ثم ترسم الطريق الواضح نحو العلاج الرباني لجميع تلك الأمراض ، وهي لا تتوقف عند تشخيص الداء ووصف الدواء بل تتعدد الصفات لتناسب مع جميع أنواع النفوس البشرية وتعالج كل العلل المرضية التي يمكن أن تصيب الإنسان.

دال : اسلوب تربية القرآن

يؤكد علماء النفس على أثر الإيمان في علاج الأمراض النفسية ويرون أن في الإيمان بالله قوة خارقة تمد الإنسان المتدين بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة. وتجنبه القلق الذي يتعرض له كثير من الناس في العصر الحديث الذي يسيطر عليه الاهتمام بالمادة ويفتقر إلى الغذاء الروحي^{٧٦٩}.

ولذا أشار المؤرخ أرنولد توينبي إلى أن الأزمة التي يعاني منها الأوروبيون في العصر الحديث إنما ترجع في أساسها إلى الفقر الروحي وأن العلاج الوحيد لهذا التمزق الذي يعانون منه الرجوع إلى الدين^{٧٧٠}.

وقال وليام جيمس أحد علماء النفس والفلاسفة الأمريكيين إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان. وقال أيضاً الإيمان من القوى التي لا بد من توافرها لمعاونة المرء على العيش وفقده نذير بالعجز عن معاناة الحياة. وقال أيضاً إن بيننا وبين الله ﷻ رابطة لا تنفصم فإذا نحن أخضعنا أنفسنا لإشرافه وعتيق تحققت كل آمياتنا وآمالنا .

وقال : إن أمواج المحيط المصطحبة المتقلبة لا تعكر قط هدوء القاع العميق ولا تقلق أمنه وكذلك المرء الذي عمق إيمانه بالله خليف بأن لا تعكر طمأنينة التقلبات السطحية المؤقتة فالرجل المتدين حقاً عصي على القلق^{٧٧١}.

وقيل ان الأنثى لا تستحق نصيباً من الميراث لأنها غير ملزمة بالنفقة ولأن ذويها الذكور ملزمون بالنفقة عليها وفق مراحل حياتها المختلفة؟.

فقد أعطى الإسلام الأنثى نصيباً من الميراث حفاظاً على كرامتها وتحسباً للظروف والأحوال التي قد تمر بها ، كأن تبقى عانساً دون معيل ، أو أرملة دون إرث من زوجها ، فعند ذلك يكون لها ما تنفق به على نفسها مما ورثته من أبيها أو غيره .

وهذا التقدير هو الأسمى والأكثر منطقية بلا إفراط ، فالإسلام قدر الأحوال ووضع الاحتمالات تلافياً للضرر إذا وقع فوضع نظاماً مفصلاً لأحكام الميراث .

٧٦٩- القرآن وعلم النفس عثمان نجاتي ص ٢٤٧ .

٧٧٠- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام : أنور الجندي ص ١٩٥ .

٧٧١- دع القلق وأبدأ الحياة : ديل كارينجي ترجمة: عبد المنعم الزيايدي الصفحات: ٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠١ .

وأقر الإسلام القوامه للرجل وألزمه بالنفقة على المرأة وحمايتها ورعايتها ، والمرأة أضعف من الرجل في الكسب لما لها من شواغل الزوجية ، وما يتصل بها من حمل وولادة وحضانة الأمر الذي يصرفها عن الكسب الذي يقدر عليه الرجل في الغالب .

فلم يكن فرض النفقة على الرجل ظلماً له ، وتفضيلاً للمرأة عليه في المعيشة ، ووجه إعطاء المرأة من الميراث أن يكون لها مال تنفق منه على نفسها إذا لم يتح لها الزواج أو مات زوجها ، ولم يترك لها ما يسد احتياجاتها فهو من قبيل المال الاحتياطي لها وللأسرة .

١ - خطاب الوجدان أو النفس للتربية

الخطاب الوجداني هو الخطاب الذي يستهدف العواطف، ويدعوها لتكوين موقف محدد تجاه قضية مقصودة. وتعرف العواطف بأنها استعداد وجداني للشعور بتجربة وجدانية خاصة للقيام بسلوك معين إزاء شيء، أو شخص معين، أو جماعة معينة، أو فكر مجرد^{٧٧٢}.

ويمكننا أن نقول إثارة الانفعال تجاه موضوع محدد يحدث تأثير في النفس يدعو لاعتناق فكرة الموضوع أو تركه ، وأن تكرر الانفعال يجعل التوجه ثابت وقطعي.

والإعجاز التربوي الخطابي في القرآن خصيصة لم توجد في غيره من الكتب قال تعالى :

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشُّعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^{٧٧٣}.

وقد خاض الباحثون في الحديث عن جوانب الإعجاز القرآني من أوجه متعددة، فأطنبوا في بيان إعجازه البلاغي والبياني، واللغوي، والفقهية، والتشريعية، والتاريخية، والجغرافية، والعلمية وغيره.

ومن الأساليب التربوية في الخطاب القرآني فقد تنوعت الأساليب التربوية في الخطاب القرآني للتناسب مع تنوع دافعية الاستجابة لدى جميع المستمعين لآيات القرآن.

٧٧٢- مُجَدِّد السيد الزعبلوي ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، طبعة: ١

١٤١٤هـ.ق - ١٩٨٨م ، ص ٣١٧ .

٧٧٣- سورة الزمر ٢٣ .

فالقرآن الكريم هو في بداية الأمر كتاب من عند الله الخالق جل شأنه، فهو يراعي فطرة الإنسان ويلبي احتياجاته، ومتطلباته الخاصة على أنه فرد واحتياجاته ومتطلباته العامة للطبيعة الإنسانية.

فمن الدوافع الأساسية للإنسان فيمكنك تقسيم الدوافع للسلوك الإنساني إلى ثلاثة أنواع هي :

(دوافع فطرية عضوية كالدافع لحب الذات، واتقاء الألم) .

و (دوافع اجتماعية كالدافع للتقليد) .

و (دوافع مثالية كالدافع لإعلاء كلمة الله تعالى وبذل النفس في سبيل ذلك)^{٧٧٤}.

وأما اشتغال الخطاب القرآني على الدوافع المتنوعة نلاحظ أن الآيات التي تخاطب الوجدان البشري تتنوع بين أنواع الدوافع ، للتناسب مع جميع مذاهب النفوس فهي تارة تخاطب الوجدان بإثارة الدوافع الفطرية ، فالإنسان يميل إلى حب ذاته.

والبعد عما يسبب له الهلاك أو الألم فيكون من المناسب استخدام الأساليب التي تحرك هذه العاطفة وتدفعه للعمل والإيمان والسير نحو طريق الله تعالى، والبعد عن طريق الشيطان كاستخدام أسلوب الترغيب والترهيب.

فالصبي الذي يخلي طبعه إذا أردنا نحب إليه غائب، أو حاضر حيا، أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالإطنا ب في وصفه بالشجاعة، والكرم، والعلم ، وسائر الخصال الحميدة^{٧٧٥}.

والفوائد التربوية من أسلوب الخطاب الوجداني هي لتحديد نقطة التأثير، ونوع الانفعال قبل اختيار الأسلوب التربوي .

فعلى من أراد أن يحتذي بأسلوب القرآن الكريم في التربية التأمل والتوقف مطولا للبحث في الصفة الانفعالية في الشخص.

٧٧٤- مُجَّد أمين منصور، المقال الفلسفي في قراءة جديدة لعلم النفس دار العصماء سوريا دمشق، ط: ١، ص ٣٢.

٧٧٥- مُجَّد السيد الزعبلوي ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ، ص ٣٢٤ .

٢ - الترغيب والترهيب في التربية

الترغيب والترهيب من الأساليب القرآنية المتقابلة كما قال تعالى :

﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾^{٧٧٦}.

والمثاني هي تشية القصص والأحكام، والوعد والوعيد، وصفات أهل الخير وصفات أهل الشر^{٧٧٧}. ويكون الترغيب والترهيب في التربية القرآنية بالوعد والإطماع بما سيتحقق في الحاضر أو المستقبل القريب أو البعيد .

ولا شك أن الوعد الذي سيتحقق لا محالة وعد الله جل شأنه قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾^{٧٧٨}.

أما وعد غير الله فيمكن أن يتحقق ويمكن أن لا يتحقق، قال تعالى :

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^{٧٧٩}.

وأما الترهيب يكون بالوعد والتخويف بآثار مترتبة على عمل منهي عنه ، سواء كان هذا الوعد بالشيء القريب أو البعيد قال تعالى :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾^{٧٨٠}.

٧٧٦- سورة الزمر ٣٩ / ٢٣ .

٧٧٧- الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان طبعة : مكتبة الخانجي عام ١٤٠٨هـ.ق - ١٩٨٨م ، ج ٤ ص ٣١٨ .

٧٧٨- سورة ال عمران ٩ .

٧٧٩- سورة البقرة ٢٦٨ .

٧٨٠- سورة النساء ٩٣ .

والأصل في الترغيب والترهيب أن يكون في سبيل رضى الله ، ورحمته ، وجزيل ثوابه في الآخرة،
والأصل في الترهيب أن يكون التخويف من غضب الله ﷻ وعذابه الأليم في الآخرة مع توافق أسلوب
التربية بالترغيب والترهيب مع الفطرة البشرية.

وهناك دوافع موجهة لحفظ الذات ودوافع موجهة لحفظ النوع ومن الدوافع الموجهة لحفظ الذات
، دافع اتقاء الألم الذي يمكن إثارته بالترهيب لأن الإنسان يبذل جهده ليتجنب ما يسبب له الألم سواء
كان نفسي، أو جسدي .

وفي سبيل ذلك يتجاوب مع المؤثرات التي تثير في داخله دافع الخوف من الإصابة بالألم ، وهو
يظهر على شكل اضطراب يدعو العقل للتأمل والتفكير ، ثم اتخاذ موقف للنجاة والفرار .

كما في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾^{٧٨١}.

والخوف من الألم يولد نوع من الاستجابة يختلف باختلاف العقيدة فالمؤمن إن خاف الله يفر
إليه، ويُقبل عليه، ويبدل حاله إلى ما يحب الله فينجيه الخوف من عذاب جهنم ويؤمنه من المخاوف
الأخرى^{٧٨٢}.

والترغيب يعتمد على إثارة انفعال الرجاء وهو من فطرة الله تعالى في الإنسان ،والقرآن الكريم لا
ينكر هذا الدافع للعمل ، أقصد دافع الرجاء أو العمل لحصول محبوب للنفس.

بل نجد أن القرآن الكريم يهتم بإشباع هذا الميل الفطري ولكن وفق الطريق الصحيح ، وخير دليل
على ذلك آيات القرآن الكريم التي لا تنكر على الفطرة البشرية الرجاء والطمع في النعيم والطيبات؛ قال
تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^{٧٨٣}.

٧٨١- سورة الاحزاب ١٠ .

٧٨٢- الدكتور محمد السيد الزعبلوي تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس ص ١٩٤ .

٧٨٣- سورة ال عمران ١٣٣ .

٣ - ضرب المثل في التربية القرآنية

توافق أسلوب التربية بضرب المثل مع الفطرة التكوينية للإنسان يميله في غالب أمره إلى تغليب عقله قبل أن يقر، ويؤمن بما يعرض له ، وهو في سبيل ذلك يميل إلى تجسيد التصورات وإحالة الخيال إلى مرئيات مقاربه لما يعرفه ويُدرّكه .

وهو منذ الصغير يبدأ عقله في اختزان الصور، والأشكال، ويقوم بربطها بمسميات ، ويمكن أن نعبر عنها بالمستودع إن جاز التعبير ، ثم هو عند تعرضه لأمر جديد يحاول ربطه بما لديه من معلومات في عقله.

وهو عند الربط يقوم بالتجسيد للحدث حتى يقتنع به ، فهو يحاول إيجاد شبه بين القديم المختزن في داخله، وبين الجديد، ولذلك قيل سمي المثل مثلاً لأنه مائل بخاطر الإنسان أبداً^{٧٨٤}.

فالمثل يقوم بتحويل الكلمة المتلدة إلى صورة مجسدة يمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة ، وإذا الحالة النفسية لوحة، أو مشهد ، وإذا الأنموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية^{٧٨٥}.

وأسلوب ضرب المثل من أقوى الأساليب تأثير على النفس البشرية لذلك نجد أنه عرف على مدار التاريخ، ويقال المثل صوت الشعب، والاختلاف الوحيد بين الشعوب في الأمثال هو في المسميات المستخدمة في الأسلوب.

لأن كل قوم استخدم ضرب الأمثال بما هو متعارف عليه في بيئته، وقد شاع الكثير منها، وانتشر وما ذلك إلا لأنها وسائل إيضاح الكثير من الأمور الدقيقة والأفكار العميقة.

إذ جسدت للناس الحق والباطل ، والهدى، والضلال فإذا بها من أجدى وسائل الهداية ، وأقوى ما عولجت به النفوس^{٧٨٦} والأنبياء ﷺ قد مارسوه لما لهذا الأسلوب من فوائد جمة في تربية النفوس وإصلاحها.

٧٨٤ - الدكتور مُجَدَّ فياض الأمثال في القرآن الكريم صفحة ٨٧ .

٧٨٥ - سيد قطب التصوير الفني للقرآن ، دار الشروق ، ط: ٨ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، ص ٣٦٠ .

٧٨٦ - سعيد بن علي القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص ٥٠٧ .

٤ - تأثير القصة القرآنية في التربية

ان من الآثار التي تلاحظ في إعجاز القصص القرآني للتربية^{٧٨٧} مثل وحدة أهدافها لتحقيق غايات ثلاث: إثبات الوحي والنبوة، والموعظة والاعتبار، وبيان وحدة الرسالات السماوية.

ومثل بلاغة الاختصار على سرد التفاصيل التي تخدم هذه الأهداف.

ومثل تكرير سرد القصة في سور مختلفة بصورة مغايرة في كل مرة، بحيث يتكامل موضوع القصة رغم سردها في مشاهد ومواضع مختلفة.

ومثل إقحام النصائح والعظات في ثنايا القصة. وكذلك العرض التصويري الحي مع تنوع في استهلال رواية القصة والدخول إليها.

ثم العرض التمثيلي للقطات والمشاهد المترابطة ، وحذف ما لا يلزم من المشاهد ؛ مما يعني إذكاء للتصور والخيال لغرض التأثير في التربية.

فمثلاً مجيء كلمة (ثعبان) تارة وكلمة (حية) تارة أخرى وذلك في سياق قصة سيدنا موسى ﷺ. وقد يظن بعضهم أن المعنى واحد، وأن هذا الأمر من باب التنويع وشد انتباه القارئ فقط.

لكن هناك حكمة بيانية من خلال تأثير القصة في التربية لتثبت أن كل كلمة في القرآن إنما تأتي في الموضع المناسب، ولا يمكن أبداً إبدالها كلمة أخرى، وهذا من الإعجاز القصة في القرآن الكريم.

ولتوضيح تعدد الكلمات نبحت عن قصة موسى ﷺ مع فرعون لتجد أنها تكررت في مناسبات كثيرة، ولكن العصا ذكرت في ثلاثة مراحل من هذه القصة:

١ - عندما كان موسى ﷺ سائراً بأهله ليلاً فأبصر ناراً وجاء لكي يستأنس بها فناداه الله أن يلقي عصاه.

٢ - عندما ذهب موسى ﷺ إلى فرعون فطلب منه فرعون الدليل على صدق رسالته منه تعالى فألقى موسى عصاه.

٣ - عندما اجتمع السحرة وألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس، فألقى موسى ﷺ عصاه.

٧٨٧- أنظر : الحية والثعبان. إعجاز بياني في قصة موسى ﷺ تأليف : فضيلة الاستاذ عبد الدائم الكحيل .

فهذه المواطن الثلاثة حيث يلقي فيها موسى ﷺ العصا في قصته مع فرعون. ولكن كيف تناول بيان تربية القصة الإلهية لها وكيف عبّر عنها، وهل هنالك أي تناقض أو اختلاف أو عشوائية في استخدام الكلمة القرآنية.

ففي الموقف الأول : نجد عودة موسى ﷺ إلى مصر بعد أن خرج منها ، وفي طريق العودة ليلاً أبصر ناراً فأراد أن يقترب منها ليستأنس فناداه الله تعالى ، وأمره أن يلقي عصاه.

فإذا هي تتحول إلى حية حقيقية تهتز وتتحرك وتسعى ، فخاف ﷺ منها ، فأمره الله ألا يخاف وأن هذه المعجزة هي وسيلة لإثبات صدق رسالته أمام فرعون.

ولو بحثنا عن الآيات التي تحدثت عن هذا الموقف، نجد العديد من الآيات وفي آية واحدة منها ذكرت الحية، يقول تعالى :

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأُشْفِي بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى * قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾^{٧٨٨}.

وأما الموقف الآخر فيتمثل بقدوم موسى ﷺ إلى فرعون ومحاولة إقناعه بوجود الله تعالى، وعندما طلب فرعون الدليل المادي على صدق موسى ﷺ ألقى عصاه فإذا بها تتحول إلى ثعبان مبین.

ولو بحثنا عن الآيات التي تناولت هذا الموقف نجد عدة آيات، ولكن الثعبان ذكر مرتين فقط في قوله تعالى :

١ - قوله تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جئتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِنَّ كُنتَ جئتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنَّ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾^{٧٨٩}.

٧٨٨ - سورة طه الآيات ١٧ - ٢١ .

٧٨٩ - سورة الاعراف الآيات ١٠٤ - ١٠٩ .

٢- قوله تعالى :

﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ مُوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنُتُمْ تَعْقِلُونَ * قَالَ لَئِنْ اتَّخَذَتِ إلهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ * قَالَ أَوْلُو جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ۖ﴾^{٧٩٠}.

واما الموقف الثالث بعدما جمع فرعون السحرة وألقوا الحبال والعصي وسحروا أعين الناس وحِيل للناس ولموسى عليه السلام أن هذه الحبال تتحرك وتهتز وتسعى . حينها ألقى موسى عليه السلام عصاه فابتلعت كل الحبال والعصي ، وعندها أيقن السحرة أن ما جاء به موسى عليه السلام حق وليس بسحر، فسجدوا لله أمام هذه المعجزة .

وتحدث القرآن عن هذا الموقف في العديد من سوره، ولكننا لا نجد أي حديث في هذا الموقف عن ثعبان أو حية. بل إننا نجد قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۖ﴾^{٧٩١}.

فلو تأملت المواضع الثلاثة تجد أن الأول عندما أمر الله موسى عليه السلام أن يلقي عصاه وهو في الوادي المقدس، تحولت العصا إلى (حية) صغيرة.

وهذا مناسب لموسى عليه السلام لأن المطلوب أن يرى معجزة، وليس المطلوب أن يخاف منها، لذا تحولت العصا إلى حية.

أما في الموقف الثاني أمام فرعون فالمطلوب إخافة فرعون لعله يؤمن ويستيقن بصدق موسى عليه السلام لذلك فقد تحولت العصا إلى ثعبان.

والثعبان في اللغة هو الحية الكبيرة^{٧٩٢}، وهكذا نجد أن الآيات التي ذكرت فيها كلمة (ثعبان) تختص بهذا الموقف أمام فرعون.

٧٩٠- سورة الشعراء الآيات ٢٣ - ٣٤ .

٧٩١- سورة الاعراف ١١٧ .

٧٩٢- راجع : الفيروز آبادي، المعجم المحيط ، معنى كلمة (ثعبان) ، دار المعرفة ، بيروت.

ولكن في الموقف الثالث أمام السحرة نجد أن القرآن لا يتحدث أبداً عن عملية تحول العصا إلى ثعبان أو حية ، بل نجد أن العصا تبتلع ما يأفكون ، فما السبب؟ .

إذا تأملت الآيات تجد أن السحرة أوهمو الناس بأن الحبال تتحرك وتسعى، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جِبَاهُهُمْ وَعَصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾^{٧٩٣}.

وهنا ليس المطلوب أن يخاف الناس بالثعبان، وليس المطلوب أن تتحول العصا إلى حية، بل المطلوب أن تتحرك العصا وتلتهم جميع الحبال والعصي بشكل حقيقي ، لإقناع السحرة والناس بأن حبالهم تمثل السحر والباطل ، وعصا موسى ﷺ تمثل الحق والصدق، ولذا يقول تعالى:

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ * وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾^{٧٩٤}.

ولاحظ إن كلمة (حية) لم تذكر في القرآن إلا مرة واحدة عندما أمر الله موسى ﷺ أن يلقي العصا وهو في الوادي المقدس، فتحولت إلى حية تسعى. وجاءت هذه الكلمة مناسبة للموقف.

أما كلمة (ثعبان) فقد تكررت في القرآن كله مرتين فقط، وفي كلتا المرتين كان الحديث عندما ألقى موسى عصاه أمام فرعون، وكانت هذه الكلمة هي المناسبة في هذا الموقف لأن الثعبان أكبر من الحية وأكثر إخافة لفرعون.

ونستطيع القول أن الله سبحانه وتعالى دقيق في الكلمات لتأتي في مكانها المناسب ، ولا يمكن إبدال كلمة مكان أخرى لأن ذلك سيخل بالجانب البلاغي والبياني للقرآن الذي قال الله ﷻ عنه : ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^{٧٩٥}.

٧٩٣- سورة طه الاية ٦٦ .

٧٩٤- سورة الاعراف الآيات ١١٥ - ١٢٢ .

٧٩٥- سورة فصلت الاية ٤٢ .

الفصل الخامس

الإسلام دين الرجال وليس للمرأة نصيب

جاء في كتابه الكريم قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾^{٧٩٦} .

فتجد هنا السيد المسيح عيسى بن السيدة مريم عليها السلام هو من أبناء إبراهيم عليه السلام مع أنه كان ابناً من جهة البنت وهي السيدة مريم عليها السلام .

وكذلك الروايات الواردة من الشيعة والسنة بشأن الامامين الحسن والحسين عليهما السلام تشير ان كلّ منهم انه «ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» مراراً وتكراراً.

وكذلك الآيات الواردة التي تحرم الزواج ببعض النساء كما تقرأ قوله تعالى : (وحلائل أبنائكم) .

وكذلك آية المباحلة خاطبت النساء والرجال وهي ليست دعوة عامة لجميع المسلمين للمباحلة، فالخطاب موجّه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده .

ولكن لا يمنع من أن تكون المباحلة مع المعارضين كحكم عام وأنّ الأتقياء من المؤمنين الذين يخشون الله، لهم أن يطلبوا من الذين لم ينفع فيهم المنطق والاستدلال التقدّم للمباحلة^{٧٩٧} .

ويتّضح أيضاً من هذه الآية الكريمة أنّه - خلافاً للحملات التي يشنّها الزاعمون أنّ الإسلام دين الرجال وليس للمرأة فيه أيّ حساب - قد ساهمت المرأة المسلمة مع الرجل خلال اللحظات الحسّاسة في تحقيق الأهداف الإسلامية ووقفت مع الجميع ضدّ الأعداء .

٧٩٦- سورة الانعام ٨٥ - ٨٤ .

٧٩٧- تظهر عمومية هذا الحكم في بعض الروايات الإسلامية ، فقد جاء في تفسير نور الثقلين ، ج ١ ص ٣٥١ عن الإمام الصادق عليه السلام . (تفسير الامثل) .

ويقولون إن الإسلام قد ظلم المرأة في إعطائها حقوقها ، والإسلام يفضل الرجل على المرأة كقوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^{٧٩٨} ، فهل معنى هذه الآية تفضيل الرجال على النساء ، وكذلك قضية المرأة وحقوقها ومكانتها في الإسلام ؟.

القائلون أن الإسلام ظلم المرأة قد أخطأوا كثيراً وغلطوا غلطاً كبيراً ؛ فإن الإسلام هو الذي أنصفها ، ورفع مكانتها ، وكانت مظلومة في الجاهلية بين العرب ، وفي اليهودية ، والنصرانية وغير ذلك من سائر الأديان الباطلة .

والإسلام هو الذي رفعها ، وعظم شأنها ، وأنصفها وأعطاها حقوقها ، فجعلها أمّاً كريمة ، وزوجة كريمة ، وبنّتاً مرحومة معطوف عليها ينفق عليها ويحسن إليها حتى تستقل بنفسها ، أو تتزوج ، وأمر بالإنفاق عليها ، وألزم والدها بالإنفاق عليها ، وزوجها بالإنفاق عليها ، وإحسان عشتها ، وأمر الدولة الإسلامية أن تنصفها وأن تعطيها حقوقها .

وأن تمنع من العدوان عليها ، وجعل لها قيمة متى قتلت قتل بها الرجل ، ومتى أصيب منها شيء أعطيت حقها في ذلك سواء كان المصاب عضواً أو غير ذلك ، أما قول الله ﷻ : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^{٧٩٩} .

فالأمر فيها واضح ، والله ﷻ فضل الرجال على النساء؛ لأن جنس الرجال أقوى في الجملة على أداء الحقوق، وعلى جهاد الأعداء وعلى رفع الظلم، وعلى الإحسان إلى الأولاد والنساء وحمايتهم من الأذى والظلم إلى غير هذا مما هو معروف شرعاً ، وفطرة ، وحساً أن الرجال أقوى وأقدر على ما ينفع المجتمع من النساء في الجملة .

ثم إن الرجال ينفقون أموالهم في الزواج بإعطاء المهور ، وبالإنفاق على الزوجات ، وبحمايتهم مما يؤذيهم ، والعطف عليهم ، فالرجال لهم حق كبير من الجهتين من جهة تفضيل الله لهم على النساء مما هو معلوم من كون الرجال أكمل وأقدر على كل شيء في الجملة، وأكمل عقولاً، وأتم نظراً في العواقب والمصالح في الجملة؛ ولأنهم أنفقوا أموالهم في تحصيل الزوجات من مهر وغيره .

٧٩٨ - النساء ٣٤ .

٧٩٩ - النساء ٣٤ .

ولهذا قال ﷺ ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾^{٨٠٠}، ولا يلزم من هذا أن يكون كل رجل أفضل من كل امرأة ، وإنما هذا تفضيل في الجملة .

أما بالتفصيل فقد تكون المرأة أفضل من رجل ، وهذا أمر واقع ومعلوم ، ولكن في الجملة جنس الرجال مفضل على جنس النساء ، وهذا يعرف بالشرع ، وبالعقل ، وبالفطرة ، وبمعرفة الواقع والتجارب .

ولكن كم من امرأة أفضل من رجل بسبب علمها ، ودينها ، وبصيرتها ، واستقامتها ، ومن نظر في صفات الصحابيات ، والتابعيات ، وعلماء هذه الأمة من النساء عرف أن هناك نساء طبيبات يفضلن على كثير من الرجال ، وقال ﷺ :

(كان من الرجال كثير ولم يكن من النساء إلا آسية بنت مزاحم زوجة فرعون ، ومريم بنت عمران) .

وجاء في فضل السيدة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ، وفضل ام المؤمنين خديجة عليها السلام ، ما يدل على اختصاصهن بالفضل أيضاً ، فهؤلاء هن أفضل النساء ، وأمّهات المؤمنين ، وفاطمة بنت النبي ﷺ ، ومريم بنت عمران أم المسيح عيسى عليه السلام ، وآسية بنت مزاحم عليها السلام زوج فرعون .

هؤلاء النسوة هن خير النساء ، وهناك نساء كثيرات لهن فضل ، ولهن علم ، ولهن تفضيل على كثير من الرجال ، لكن حكمة الله اقتضت تفضيل الرجل على المرأة في أشياء معينة أيضاً .

كالإرث مثلاً فإن البنت تعطى نصف ما يعطى الذكر من الأولاد ، والأخت من الأبوين أو الأب تعطى نصف ما يعطى للأخ الشقيق أو الأخ لأب ، والزوجة تعطى النصف مما يأخذه الزوج فإذا أخذ الزوج النصف صار لها الربع ، وإذا أخذ الزوج الربع صار لها الثمن .

وهذه لحكمة بالغة ومعاني إذا تدبرها أهل البصيرة عرف وجاهتها ، وحكمة الله ﷻ فيها ، وأنه ﷻ هو الحكيم العليم ، فكل موضع فضل فيه الرجل على المرأة فله وجاهته ، وله أسبابه ، وله حكمته لمن تدبر وتعقل ، والله المستعان .

إنّ الصفحات المشرقة التي تمثّل سيرة سيّدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام وابنتها السيّدة زينب الكبرى عليها السلام وغيرهما من نساء الإسلام اللّاتي سرن على طريقهما دليل على هذه الحقيقة^{٨٠١}.

وهناك مجموعة من الأحاديث اشارت الى الفاجعة التي احدثها عمر وأبو بكر بحق فاطمة الزهراء عليها السلام وآدّت الى وفاتها عليها السلام هذا الذي كان يحشاه ويحذر منه الرسول ﷺ أن يحدث ليقول في حقّها عليها السلام « فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها أغضبني »^{٨٠٢}.

وكان يقول ﷺ بأبي وأميّ إني يوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي ، كتاب الله جبلٌ ممدودٌ من السّماء الى الأرض وعترتي أهل بيتي ، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما^{٨٠٣}.

وكذلك خص القرآن المرأة بذهاب الرّجس كما هو مراده في الآية هي (الرّجس) الأعمال القبيحة عرفاً أو شرعاً، ويدل عليه قوله سبحانه بعد تلك اللفظة: (ويطهّركم تطهيراً).

فليس المراد من هذا التطهير إلّا تطهيرهم من الرّجس المعنوي الذي لا تقبله النفوس السليمة^{٨٠٤}.

وقد ورد نظير قوله: (ويطهركم تطهيراً) في حق السيدة مريم عليها السلام قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)^{٨٠٥}.

فلا تجد حصر بالرجال فقط إلّا ما ندر فمن الناحية الفقهيّة هناك نقاش بين العلماء حول جواز تقليد المرأة أم لا، ونحن لدينا شيء يسمى المرجع وهو الذي يقلد وكل الفقهاء في مقام الاستقلال والنقاش.

٨٠١- تفسير الأمل ج ٢ ص ٥٣٣ .

٨٠٢- السيدة زينب عليها السلام عقيلة بني هاشم ، بنت الشاطي : ص ٣٦ . صحيح البخاري : ج ٥ ص ٢٦ . وفي صحيح مسلم : ج ٤ ص ١٩٠٣ اضاف يربيني ما أراهما ويؤذيني ما آذاها.

٨٠٣- راجع المصادر : صحيح مسلم : ج ٢ ص ٢٣٨ وسنن الترمذي : ج ٢ ص ٣٠٧ ، مسند احمد بن حنبل : ج ٣ ص ١٤ ، ١٧ ، ٥٩ ومسترك الصحيحين : ج ٣ ص ١٠٩ كيف نقرأ القرآن ص ١٦-١٧ .

٨٠٤- راجع : كتابنا فاطمة عليها السلام بلسان اهل السنة الطبعة الاولى للمؤلف ، طبعة : النجف الاشرف .

٨٠٥- سورة الانعام ٤٢ . راجع : مفاهيم القرآن المؤلّف: الاستاذ العلامة جعفر السبحاني المحقق: جعفر الهادي.

يقال انه ليس هناك مانع من الناحية الشرعية لتقليد المرأة ، وذلك لأن العمومات الواردة كقوله ﷺ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ليس فيها تقييد بشرط أن أهل الذكر من الرجال^{٨٠٦}.

إذاً : هذه مغالطة في الكلام من أن الاسلام منحصر بالرجال فقط دون النساء إلا بشيء يسير والقران كل خطابه للرجل وليس للمرأة .

فالروايات والنصوص الواردة بالرجوع إلى العلماء وتقدير العلماء والعلم ليست خاصة بالرجال دون النساء فيقول القرآن الكريم : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، وهنا ميز القرآن العالم على الجاهل سواء كان رجلاً أو امرأة .

وفي تاريخنا كان للمرأة دور قيادي سياسي وعلمي ديني أيضا ، ونحن حينما نتحدث عن مظلومية كربلاء وعاشوراء نذكر أن الإمام الحسين ﷺ أوصى إلى أخته السيدة زينب عليها السلام .

وكانت بعد استشهاد الامام الحسين ﷺ هي مرجع للشيعة لأن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﷺ كان مريضاً أيضاً . فكان الشيعة يرجعون إلى السيدة زينب عليها السلام .

وتجد العديد من القضايا أيضاً في تاريخ أئمتنا كانوا يأمرهم بالرجوع إلى النساء في بعض المسائل مما يدل على أن أخذ المرأة لموقع أن تكون مرجعاً للتقليد أو مصدراً للفتوى الشرعية لا مانع فيه .

فالمرأة والسياسة لها الدور السياسي الواضح منذ العهد الإسلامي الأول بدءاً بموقف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي كانت صاحبة رأي سياسي بعد وفاة الرسول ﷺ .

وكذلك السيدة عائشة لها رأي سياسي يخالف رأي الخليفة الإمام علي عليه السلام وانتهاء بالكثير من الأحداث التي كان للمرأة فيها دور ومشاركة سياسية . فالحالة الموجودة من التفاوت فيما بين موقع الرجل والمرأة بحيث تكون المرأة محصورة بأعمال البيت فقط هذه حالة ليست نابعة من الإسلام وإنما هي نابعة من العرف والتقاليد في المجتمعات الحديثة .

٨٠٦ - راجع : أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع ، الاستاذ الشيخ حسن الصفار .

ومن باب المثال الآن في إيران هناك انتخابات لمجلس الخبراء وهو المجلس الذي ينتخب القيادة. فتجد كلام من أنه ينبغي أن تترشح المرأة ويكون لها الحق في الترشيح لمجلس الخبراء .

وفي دستور الجمهورية الإسلامية في إيران ليس هناك ما يمنع أن تترشح المرأة في هذا المجلس وهو أعلى هيئة تنتخب القيادة في إيران وتشرف على سير القيادة^{٨٧}.

وجاء في مستدرك سفينة البحار الجزء الثالث قال في تفسير فرات بن إبراهيم : عن أبي مسلم الخولاني، عن النبي ﷺ قال: يا عائشة ، أو ما علمت أنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران وعليّاً والحسن والحسين وحمة وجعفرّاً وفاطمة وخديجة على العالمين^{٨٨}.

وهذا الإسلام الذي قيل هو دين الرجال وليس للمرأة فيه أيّ حساب فهذه السيدة خديجة عليها السلام كانت أول زوجة للنبي ﷺ فقد قضى معها زهرة شبابه ، وعنفوان رجولته ، ولما ماتت ظل ﷺ طول عمره يذكرها ، ويكرم صديقتها ومعارفها .

وذكرت كتب التاريخ والسيرة أن عجوزاً زارت النبي ﷺ في بيت عائشة ، فأكرم مثواها ، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه . فلما انصرفت سألتها السيدة عائشة عنها لتعلم سبب إكرامه لها ، فأخبرها أنها كانت تزور خديجة عليها السلام .

وروى الشيخان البخاري ومسلم في صحيحهما عن السيدة عائشة أنها قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة ، وما رأيته قط . ولكن المشهور كان النبي ﷺ يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ، ثم يقطعها أعضاء ، ثم يبيعها في صدائق خديجة.

قلت له : لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ؟! فيقول ﷺ إنها كانت وكانت ، وكان لي منها ولد ، وإني لأحب حبيبها.

وبكاء رسول الله ﷺ على السيدة خديجة حين سمع ذكرها، وقوله ﷺ: خديجة وأين مثل خديجة صدقتني حين كذّبتني الناس، وواظرتني على دين الله ، وأعانتني عليه بما لها . إنّ الله يحبّ امرئ أن أبشّر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب . الخير^{٨٩}.

٨٧- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع من محاضرات ثقافية عامة ألقاها الأخ الأستاذ العلامة الخطيب الشيخ حسن الصفار ، ويشمل تقديم الشيخ عبدالحادي الفضلي .

٨٨- ط الجديد ج ٣٧/٦٣ ، وطبعة كمباني ج ٩/١٨٧ .

٨٩- ط : جديد ج ٤٣/١٣١ ، ط : كمباني ج ١٠/٣٨ .

وفي مناقب ابن شهر آشوب : أتى الحسين عليه السلام قبر خديجة عليها السلام فبكى فوقف في الصلاة فنادى الله تعالى فقال: يا ربّ يا ربّ أنت مولاه فارحم عبيداً إليك ملجاء^{٨١٠}.

وقد ورد في أثر التاريخ أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تُبَيِّن الكثير من المسائل الشرعية لبعض النساء في المدينة المنورة . وكذلك السيدة زينب عليها السلام بنت أمير المؤمنين عليه السلام كانت تُدرِّس تفسير القرآن لنساء في الكوفة وتحيب على الاسئلة.

أولاً : من وجهة نظر عقائدية :

رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »^{٨١١} ، فكما أن الصلاة والصيام والزكاة وواجبات والحج بشرائطها كذلك طلب العلم ، وذلك لان من العلوم الإسلامية: أصول الدين ، وفروع الدين ، والأخلاق والآداب ، وتعتبر هذه الثلاثة في الصدر الاول من حيث لزوم تعلّمها .

لغرض تحسين وضع المجتمع البشري ، وإصلاح شؤون حياة جميع البشر ، فقد اعتبر الإسلام المرأة الصالحة أساس المدنية ، وذلك من أجل أن يكون للمجتمع البشري أبناء صلحاء ، يقع على عاتقهم بناء المستقبل المشرق ، والغد القريب .

فقد وجه الإسلام الأنظار إلى الأم الطيبة واعتبرها ، المسؤولة عن هذا البناء الإنساني العظيم ، الطيب الشامخ ، وأوصى كثيراً بانتخابها ، كما قال رسول الله ﷺ:

(من رزقه الله امرأة صالحة ، فقد أعانه على شطر دينه ، فليثق الله في الشطر الباقي)^{٨١٢}.

وقد أولى الإسلام للمرأة مرتبة عالية وسامية ، في حين منزلتها كانت في الماضي ، قبل ظهور الإسلام باهتة الألوان ، فتجد الرجل يسودّ وجهه^{٨١٣} ، حينما يرزق ببنت ، فهذه المنزلة التي أولاها واعطاها الإسلام للمرأة كبيرة وعظيمة .

٨١٠- جديد ج ٤٤/١٩٣، وطبعة كمباني ج ١٠ / ١٤٤٠ .

٨١١- مستدرک الوسائل: ج ١٧، باب ٤، وكذلك: صفحة ٢٤٩، ح ١٧. وبحار الأنوار: ج ٤٤، باب ٣٧، ص ٣٧٠.

٨١٢- انظر : نهج الفصاحة المترجم .

٨١٣- يمتليء وجهه ويصبح لون اسود .

إلى درجة أنها ليست بحاجة إلى الظهور في الأزقة والشوارع ، لكي تكسب قلوب الناس ، وإننا إذا وقفنا على الوصايا التي أوصاها الإسلام بالمرأة ، يتضح لنا معالم هذه المنزلة العظيمة ، وقد أوصى الرسول الأكرم ﷺ بها في أخبار وروايات عديدة ، حتى في آخر لحظات حياته الشريفة ، وهو يودع الدنيا الفانية ، ونجدها في القرآن الكريم متمثلة في أمنا السيدة حواء عليها السلام ، والسيدة مريم عليها السلام ، والسيدة أم موسى عليها السلام .. وغيرها .

وإن أردنا مقايضة منزلة الرجل والمرأة ، نجد أن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة ، بل رجح كفتها في كثير من الأحيان ، كما قال رسول الله ﷺ : ساووا بين أولادكم في العطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء^{٨٤} .

وتتضح لنا صورة المساواة بين الرجل والمرأة في الواجبات العبادية ، فما على الرجل من صلاة وصوم ، وما شابه ذلك ، فهو على المرأة كذلك ، وتستطيع المرأة الطيبة الطاهرة ، مثل الرجل الطيب الطاهر أن تكون عزيزة كريمة عند رباها ، وأجرها لا يقل عن أجر الرجل .

كما إن المرأة الصالحة الطاهرة أفضل ، وترجح على آلاف الرجال غير صالحين ، والمرأة التي تعني بزوجها ، وتدير بيتها وعائلتها ، فإن الله ﷻ ، في يوم الجزاء يغلق سبعة أبواب من أبواب النار في وجهها، ويفتح لها ثمانية أبواب من أبواب الجنة .

بالإضافة إلى ما ورد ، ان المرأة في الإسلام هي سيدة بيتها ، كما جاء في الحديث الشريف : كل نفس من بني آدم سيد ، فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها^{٨٥} ، ومن ذلك نود أن نقول : إننا حينما كنا نحاول تعلم هذا النوع من الممارسة رجعنا أيضاً إلى تراثنا .

وحاولنا أن نرى كيف كان رسول الله ﷺ يُفسّر ما يشعر بالحاجة إلى تفسيره لأصحابه ، فإذا به ﷺ لا يستخدم في تفسير آيات القرآن إلا القرآن ذاته .

٨٤- نفس المصدر .

٨٥- نفس المصدر .

فمثلاً حينما يُهرع إليه الصحابة ونسائهم خائفين بعد أن نزل قوله تعالى : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^{٨١٦}.

وقالوا : يا رسول الله ، والله ما نزلت آية أشد علينا من هذه الآية ، إنَّ أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه ، وأنَّ له الدنيا وما فيها ، وإنَّا لمؤاخذون بما نحدث به أنفسنا هلكننا والله ، فقال النبي ﷺ : هكذا أنزلت .

فقالوا : هلكننا وكلفنا من العمل ما لا نطيق ، قال ﷺ : فلعلكم تقولون كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : ﴿.. قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ..﴾^{٨١٧}.

قولوا : سمعنا وأطعنا.. ومن ثم أنزل الله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{٨١٨}، قال النبي ﷺ : إنَّ الله قد تجاوز لأمتي ما حدثوا به أنفسهم ما لم يعملوا أو يتكلموا به^{٨١٩} ، فردَّهم ﷺ إلى آية أخرى من آيات الكتاب الكريم يُجيئهم .

وسئل رسول الله ﷺ ذات يوم : مَنْ مِنَّا يا رسول الله يستطيع أن يتقي الله حق تقاته ، بعد أن نزل قوله ﷻ في سورة آل عمران :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^{٨٢٠}، فأخذ رسول الله ﷺ بأيديهم إلى آية سورة التغابن : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^{٨٢١}، إذًا هناك مناط مبدئي ومنهجي .

٨١٦- البقرة ٢٨٤ .

٨١٧- البقرة ٩٣ .

٨١٨- البقرة ٢٨٦ .

٨١٩- أسباب النزول ، الواحدي ، ص ٦١ .

٨٢٠- آل عمران ١٠٢ .

٨٢١- التغابن ١٥ .

ألا وهو استطاعة الإنسان قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^{٨٢٢}.

وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾^{٨٢٣}.

وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^{٨٢٤}.

وما إلى ذلك من آيات الذكر الحكيم ، ويعتبر هذا من « تفسير القرآن بالقرآن » ، وكان في مقدور رسول الله ﷺ أن يقول شيئاً من عنده أو بألفاظه ، ولكن أراد أن يسنّ لهم هذه السنّة ، سنّة « تفسير القرآن بالقرآن ».

وحينما يأتي إلى رسول الله ﷺ مَنْ يشعر بشيء من شبهة ، وهو يسمع آية سورة الزمر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^{٨٢٥}، وهنا لفظ ﴿جَمِيعًا﴾ للتأكيد ، وقد أفادت الشمول قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾.

ونأتي إلى آية في سورة النساء إذا بها تقول :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^{٨٢٦}.

استثنى الشرك هنا من الذنوب القابلة للغفران ، وكأنّ الشرك في هذه الآية الكريمة مما لا يغتفر، أو من الذنوب التي لا تغتفر.

وذلك مفهوم كذلك ؛ لأنّ الشرك ظلم عظيم ، وهو ظلم لذات الإنسان ونفسه قبل أن يكون ظلمًا لشيء آخر ، فهو ظلم لخالق الإنسان والكون والحياة ونقض للعهد الذي أبرم بين الله تعالى وبين عباده وهم في «عالم الدّر» ، ويعتبر الشرك انقلاب على رسالات النبيين كافة الذين جاءوا بالتوحيد.

٨٢٢- البقرة ٢٨٦ .

٨٢٣- الطلاق ٧ .

٨٢٤- التغابن ١٦ .

٨٢٥- الزمر ٥٣ .

٨٢٦- النساء ٤٨ .

وتأتي آية الثالثة في سورة طه وتقول : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾^{٨٢٧}، فنحن أمام آيات ثلاثة : واحدة أطلقت تمامًا وهي قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾^{٨٢٨} ولم تستثن.

والآية الأخرى استثنت الشرك ، وآية الثالثة بيّنت لنا شروط التوبة ، وهي تنسجم مع قوله تعالى في سورة النساء :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^{٨٢٨}.

وهنا تبين هذه الآيات بوضوح أنّ قبول التوبة حق للعبد على ربه ﷻ ، ولكن بشروط ، ومن هذه الشروط : أن يكون الذنب قد وقع بجهالة ، إذا كان قد وقع عن علم ومعرفة وتعمّد - مثل معصية إبليس - فالأمر مختلف ، فالله ﷻ قد طرد إبليس من رحمته ، لا لمجرد أنّه عصي ولم يلقنه التوبة كما لقّن آدم عليه السلام .

ولكن على العكس ، طرده من رحمته بشكل أبدي لأنّه كان عالمًا بقضيّة الطاعة والمعصية ، وعالمًا بأنّه لا ينبغي أن يعصي عبد حقيقي الله تعالى لأيّ سبب من الأسباب .

ولكن كبره وغروره حملاه على أن يعصي الله تعالى ، وهو ينكر حكمته ﷻ في أمره له بالسجود لآدم عليه السلام ، وفي اصطفاؤه فبقية الملائكة سلّمت لله ﷻ بعد أن علّم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة .

وسلّمت أنّه هو المؤهل لأن يكون خليفة في هذه الأرض ، وأمسكت عن التساؤل ، وسجد الملائكة كلهم أجمعون حينما أمروا ، مع أنّهم كانوا قد أبدوا اعتراضًا - وإن لم يزد - ففيه تفاصيل أنّهم عليه السلام قالوا :

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ ﴾^{٨٢٩}، فتمّ تسليمهم .

٨٢٧ - طه ٨٢ .

٨٢٨ - النساء ١٧ - ١٨ .

٨٢٩ - البقرة ٣٠ .

أما إبليس قال : ﴿ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾^{٨٣٠}، فكان عنده نوع من الشعور بالغرور والاستعلاء والاستكبار حتى على ربه ﷻ، ونفى عن الله تعالى الحكمة في الأمر وفي الاصطفاء ، كأنه تعالى جلّ شأنه ، حينما أمره بالسجود ، لم ينظر إلى أصله الذي خلقه منه ، والذي يراه أشرف من أصل آدم ﷺ .

فكان كبره وغروره واغتراره بأصله سبب في تدميره ، ووقوعه في تلك الجريمة النكراء الشاملة النافية لكل معاني الربوبية الإلهية ، النافية لحكمة الإلهية والربوبية ، المتغترسة المتكبرة المغرورة ، لم يكن لها علاج إلا حالة الطرد .

وإلا لو كان هناك مجال قد تركه إبليس في معصيته كمجال آدم ﷺ، بأن يكون قد عصى عن (ترك الاولى) ، لربما لقّنه الله ﷻ التوبة ، كما لقّن آدم ﷺ بقوله تعالى :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^{٨٣١}، ولكن جريمته لم تكن تتقبّل أو تحتمل بأيّ شكل من الأشكال أن يُلَقّن التوبة ، كما أنه لم يُفكّر فيها بنفسه .

بل على العكس كان يحاول أن يحصل على فسحة من الأجل والعمر يعبر بها عن غروره وطغيانه وتمرده، قال : ﴿ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالِ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾^{٨٣٢}، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُعَوِّدَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^{٨٣٣} .

إذاً هناك معاندة مع سبق الإصرار دون أي تردد ، مع وضوح كامل لطبيعة الجريمة التي يرتكبها ، ولكنّه يرتكبها عنادًا وصلفًا وغرورًا واستكبارًا واستعلاءً على أوامر الله ﷻ .

٨٣٠- الاسراء ٦١ .

٨٣١- البقرة ٣٧ .

٨٣٢- الحجر ٣٦-٣٧ .

٨٣٣- الحجر ٣٩ .

ونرجع إلى الآيات الثلاثة السابقة ، نجد أنَّ آيات سورة الزمر سيقَّت لاستئصال القنوت من نفس الإنسان ؛ فقد رأينا ماذا حدث حين قنط إبليس ، حدث أن صمَّم على الاستمرار في المعصية والتمرُّد وعمل السوء إلى يوم الدين .

فالقنوت حالة نفسيَّة خطيرة ، قد تدفع الإنسان إلى ارتكاب الشرور والإغراق فيها ، فإذا كان الإنسان قد وقع في شر ، فقد يقع بعد القنوت في عشرة أنواع منه .

وإذا كان قد وقع في معصية فقد يمارس بعد القنوت مائة ، وهكذا ، فاقتضى السياق أن يُزال القنوت من نفس الإنسان بقوله : ﴿ لَا تَقْنُطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾^{٨٣٤} ، إِنََّّ لَهُ جَلَّالَةَ الْقُدْرَةِ عَلَى غفران الذنوب جميعًا ، إذاً : لا تقنطوا ولا تيأسوا .

فإذا عرفتم كيف تتوبون وكيف تمارسون التوبة ، كما أمرك الله ﷻ فهناك أمل أن يتوب الله ﷻ عليكم ويغفر لكم لا ذنب له ، فالسياق إذاً متَّجه إلى قضية القنوت ، وليس لقضية بيان أنواع الذنوب ومحاربتها ، وما يغفر منها وما لا يغفر .

أمَّا آية سورة النساء ، فهي تتحدث في جوِّ فيه أناس قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا ثُمَّ يُكْنِ اللَّهُ لِيَعْفَرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾^{٨٣٥} ، أولئك لن تقبل توبتهم ؛ لأنَّ الله ﷻ لا يقبل أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

فكل ذنوبهم عدا الشرك ، وهو الذنب الأساسي الَّذِي أَصْرُوا عليه وكرَّروه ومارسوه عدة مرات ؛ يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يؤمنون ثم يكفرون ، ثم يزدادون كفرًا ، هؤلاء لن تُقبل توبتهم بعد ذلك ، وبعد تكرار هذا الذنب مع وعي وسبق إصرار وإدراك لمعنى ما يقومون به :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾^{٨٣٦} .

٨٣٤ - الزمر ٥٣ .

٨٣٥ - النساء ١٣٧ .

٨٣٦ - النساء ٤٨ .

وعلى الإنسان أن يكون حذرًا من الوقوع في الشرك ؛ لأنَّ الشرك ظلم عظيم ، وعلى الإنسان^{٨٣٧} عليه ألا يخرج منها مرة أخرى ؛ لأنَّه يخشى أن يقع في الشرك مرة أخرى ، فلا يستطيع أن يخرج منه ، وبالتالي لن تُقبل له توبة بعد الاستغراق في الشرك ، وتكراره مرة بعد مرة ، والاستهانة به كذنب عظيم.

أَمَّا الْآيَةُ الثَّالِثَةُ ، فَهِيَ آيَةُ سُورَةِ طه قَوْلُهُ : ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ٨٣٨ .

أراد أن يُبين لنا التوبة من حيث الشروط التي لا بد من توافرها في التائب لكي تُقبل توبته ، فهي مَبِينَةٌ ومنسجمة مع قوله ﷺ في سورة النساء قوله :

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ^{٨٣٩}.

فحينما يقول الله ﷻ في سورة طه : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^{٨٤٠} ،
فالكلام هنا عن التائب ، والشروط التي لا بد أن يوفِّرها في نفسه ، والأمور التي لا بد أن يلتزمها من
أجل أن تُقبل توبته قوله : ﴿ وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾^{٨٤١} ، إذًا : تاب
ورجع إلى الله وأتاب ، ولتكون التوبة نصوح لمن تاب وآمن .

لا شك أنَّ الَّذِي يتوب لا بد أن يكون له إيمان ، فكأنَّ إعادة ذكر الإيمان بعد التوبة للتنبيه على أنَّ هذه التوبة تقتضي إيمانًا لا يشوبه ولا يُخالطه شرك ولا انحراف في المعتقد لمن تاب وآمن وعمل صالحًا واستقام .

أَمَّا مَنْ أَنَابَ فَقَطْ وَلَمْ تَحْصُلْ لَهُ التَّوْبَةُ الْعَقْدِيَّةُ أَوْ التَّصْحِيحُ الْعَقْدِيّ فَلَا تُقْبَلُ التَّوْبَةُ ، وَإِنَّمَا لَا بَدَ مِنْ تَصْحِيحِ عَقْدِيّ قَوْلِهِ : ﴿لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^{٨٤٢} .

١٣٧- حينما يؤفِّقه الله ﷻ ويكشف له عن مضار الشرك وينتقل إلى صفوف الإيمان .

٨٣٨ - طه ٨٢ .

٨٣٩ - النساء ١٧ .

. ۸۲ ط - ۸۴ .

١٤١ - ط ١٢ .

. ۸۲ ط - ۸۴۲

لا بد أن يصدق الاعتقاد والإيمان ، ويُبرهن على صدق التوبة وكونها توبة نصوحًا بالعمل الصالح والاستقامة عليه والاستمرار فيه وعدم الرجوع عنه بعد التوبة ؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى نوع من العبث واللعب الَّذي لا يقبله الله تعالى :

﴿لَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^{٨٤٣}.

وهذا كله من «تفسير القرآن الكريم بالقرآن» ، وهو أرقى أنواع التفسير كما ذكرنا مسبقاً .
وأنت ترى أنَّك حينما تمارس هذا ، ترفع عن نفسك سائر الشبهات وتزيل سائر الاعتراضات إن كان ثمة ما يستحق الاعتراض ، كأن يكون مشتبهاً لم أطلق هنا ، ولما قُيد هناك ، وإلى غير ذلك .
هذا لا يمكن أن يرد ولا يمكن أن يوجد ؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم شفاء لما في الصدور، فحينما نفسر القرآن بالقرآن ، أو حينما يُفسر القرآن نفسه ، إنما يشفى بذلك صدور الناس ، وليس كمثله ذلك أي تفسير آخر، أو الاعتماد على أيِّ تأويل آخر .

والأمثلة السابقة في مقارنة رسول الله ﷺ للقرآن ، توضح أن تفسير القرآن بالقرآن ، أمر سار وأصله رسول الله ﷺ وبدأ به وعلمه الناس ، كما توضح أهمية اعتبار مبدأ الوحدة البنائية ، والتي تقوم على مبدأ أنَّ في القرآن مداخل لا بد أن تستعمل للولوج إلى رحابه والوصول إلى دقائقه .

فهو - أقصد القرآن - ميسر للذكر، ومستوعب مكنون ، يقوم مقام النبوات كلها ومقام النبيين كافة، وهو في البشرية الآن بمثابة النبي المقيم بين ظهري الناس، يستطيعون العودة إليه والرجوع إليه في كل حين .

إذاً : لابد من الالتفات إلى أنَّ هذا التفسير يقوم على مبدأ أنَّ القرآن الكريم مبين ، وأعلى درجات بيانه هي بيانه لنفسه ، والقرآن تبيان لكل شيء ؛ بما في ذلك السنَّة النبويَّة المطهرة ، وكما قلنا فقد مارس رسول الله ﷺ هذا ، وعلمه لأهل بيته  ولأصحابه ، ووصفت آياته بأنها بينات ومبينات .

الف : احترام المرأة الأم :

إن احترام المرأة في الإسلام ، لا من أجل جنسها كونها امرأة ، بل من أجل أمومتها ، والمرأة لا تعني تلك التي تحمل ابنها بين أحشائها قرابة تسعة أشهر وتنجب ، بل إنها تلك التي تعمل ضمن واجباتها التي حددها لها الشرع والعقل في تربية أولادها تربية إسلامية والاعتناء بهم ، ضمن اطار وجهة نظر الإسلام .

إن تلك الأم المنجبة والطائشة والشريرة ، التي لا تعتني بتربية أولادها ، لا يليق بها تسمية الأمومة والاحترام ، مثلها مثل أي رجل شرير ، الذي لا يهتم بأولاده لا يليق به تسمية الأبوة .

يتضح مقام المرأة في الإسلام تحت ظل احترامها القانون الطبيعي والشعري ، الذي يؤكد على تقبلها مسؤولية تربية أولادها ، فهي مسؤولة عن زرع القواعد الإيمانية والأخلاقية عند طفلها شرعاً وأمام الله ﷻ.

وبلا شك هي مسؤولة أن تتعلم وسائل التربية الإسلامية الصحيحة ، كي تستطيع إدارة دفة تربية أولادها ، وإذا استطاعت المرأة الأم ، الوصول إلى كافة المواصفات التي ذكرناها قبل قليل في الأم الطيبة فهي أشبه بالملاك؟! .

تستطيع الأم الطيبة والطاهرة ، أن تبني مجتمع مثالي ، وذلك لأنها بالحقيقة هي المسؤولة عن بناء اجيال المستقبل ، وقد أوصى الرسول الأكرم ﷺ كثيراً في انتخابها ، وقد أكد ﷺ على المرأة الصالحة ، فقد قال ﷺ : من سعادة المرأة الزوجة الصالحة^{٨٤٤}.

كما نقل عن رسول الله ﷺ انه : أتى رجل للنبي ﷺ يستأمره في النكاح . فقال الرسول ﷺ : (انكح وعليك بذات الدين تربت يداك) .

وفي الإسلام تأكيدات كثيرة على الزواج من المرأة الطيبة ، ويكفي أن نشير إلى زواج عبد الله ﷺ ، والد الرسول الأكرم ﷺ .

فأكد عبد المطلب ﷺ جد الرسول ﷺ على وصايا الرسل السابقين في انتخاب المرأة ، وأن زواج علي بن أبي طالب ﷺ من فاطمة الزهراء ﷺ ، جاء لطيبتها ومكانتها السامية ، وغير ذلك .

وأكد الإسلام على أن المرأة سيدة بيتها ، وعملها من الأمومة وتربية الأولاد ورعايتها ، لكي تتمكن من إدارة بيتها وأولادها ، ويجب أن تكون مرتاحة البال من الناحية المالية ، من هنا أكد الإسلام أن المسؤولية المالية تقع على عاتق الأب (الرجل) ، في حين تكون المسؤولية عن تربية الأطفال وصناعة رجال المستقبل .

وقد أكد الإسلام أن المرأة إن أرادت أجراً على رضاعة أبنائها فإن هذا هو أمر طبيعي ومن حقها ، وعلى الزوج أن يدفع لقاء ذلك . وقد نقل عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل مات وترك امرأة ، ومعها منه ولد ، فألقته على خادم لها ، فأرضعته ثم جاءت تطلب رضاع الغلام من الوصي فقال: لها أجر مثلها ، وليس للوصي أن يخرجها من حجرها حتى يدرك ويدفع إليها ماله^{٨٤٥}.

والأم الطيبة الطاهرة هي أساس الخير والهدوء والوقار ، فهي التي توجد القلوب الرؤوفة المحبة الصادقة ، وذلك لأنها ، هي التي تنقل خصائصها الإنسانية السامية الى طفلها ، وبالتالي للمجتمع ، فالجنة تحت أقدامها ، وذلك لأنها السبب في سعادة البشرية والنتيجة : تليق بها الجنة .

وقد رسم الإسلام بأفكاره لوحة زاهية ، جميلة للأمم ، لوحة تلاحظ فيها ألواناً تزهر بالحب والحنان والعطف ، ولوحة تجدد فيها الجميع يحيطون الأم ويعظمونها باحترام بالغ ، فهي سيدة المنزل ، لا تفكر في أمر معاشها ومعاش بيتها وأطفالها ، ولا تفكر بالأمور التي تحدث خارج المنزل ولا تقلق نفسها من أجل ذلك ، وهي لصيقة بثمرة كبدها وعزيزها، والزوج مكلف باحترامها والوقوف إلى جانبها .

ولا يطالبها الزوج بشيء سوى المشاركة الجنسية ، وهي أيضاً لها شروطها وقواعدها ، كما لا يستطيع أن يجبرها على القيام بشيء ترفضه الزوجة ، حتى أنه لا يستطيع إجبارها على رضاعة طفلها.

فلها احترامها الخاص أمام أولادها ، وقد أكد الإسلام العزيز على ذلك ، وقد نزلت آيات كثيرة بحقها، منها قوله تعالى : ﴿وبالوالدين إحساناً﴾^{٨٤٦}، وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وبالوالدين إحساناً﴾، ما هذا الإحسان ؟ فقال عليه السلام : الإحسان أن تحسن صحبتها ، وأن لا تكلفهما أن يسألك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين^{٨٤٧}.

٨٤٥- نفس المصدر : ج ١٥، ص ١٧٩ ، المترجم .

٨٤٦- البقرة الآية ٨٣ ، وسورة النساء الآية ٣٦ ، وسورة الأنعام الآية ١٥١ ، سورة الإسراء الآية ٢٣ .

٨٤٧- وسائل الشيعة ، جزء ١٤ ص ٣٠٤ .

فالأمر احترامها مقابل أبنائها ، وهذا الاحترام أكدت عليه العقيدة الإسلامية ، وإن احترامها أرفع من احترام الأب نفسه ، كما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله من أبر ؟ قال ﷺ : أمك ، قال ثم من ؟ ، قال ﷺ : أمك ، قال : ثم من ؟ قال ﷺ : أمك ، قال : ثم من ؟ قال ﷺ : أباك ..

لأن الأجر الأخروي للأُم كبير وعظيم ، وقد ملئت صفحات كتب الأخلاق والعقائد بذلك ، وقد جاء في الأحاديث والروايات ، أن أجر المرأة الحامل مثل أجر الشهيد ، فيما إذا توفيت أثناء الولادة ، كما عن الرسول الأعظم ﷺ ، قال : حاملاتٌ والداتٌ مرضعاتٌ رحيماتٌ بأولادهنّ لولا ما يأتين إلى أزواجهن دخل مصلياتهنّ الجنة^{٨٤٨}.

وقد سئل الرسول الأكرم ﷺ عن جهاد المرأة ، فأجاب ، قال ﷺ : الحج جهاد كل ضعيف وجهاد المرأة حسن التبعل^{٨٤٩}. كما أن المرأة الصابرة في بيت زوجها كالمجاهدة في سبيل الله ﷻ.

باء : نهج طرق الحياة :

ونأخذ البعض من نهج طرق حياة المسلمة ، وهو ما يجوز كشفه وما لا يجوز في المسائل المهمة لك كمسلمة فانتبهي :

١ - ما الذي يجوز للمرأة كشفه من بدنك (جسمك) أمام النساء ؟ .

وجوابه يحق لك كشف كل البدن ما عدا العورة ولكن من الاحتياط لا يليق للمرأة أن تتكشف هكذا للمرأة الأخرى إلا لضرورة.

٢ - ما الذي يجوز للمرأة كشفه من بدنك (جسمك) لمحامرك ؟ .

جوابه لا يجوز كشف ما فوق الركبة على الأحوط وجوباً^{٨٥٠}.

٣ - ما الذي يجوز للمرأة أن تنظر فيه للرجل ؟ .

٨٤٨- نهج الفصاحة ، ص ٢٨٣ .

٨٤٩- نفس المصدر : الصفحة ٢٩٥ .

٨٥٠- أما السيد السيستاني فيقتصر على العورة، ولكن إذا خافت أن ينظر إليها بريبة وشهوة فيحرم أن تُكشَفَ حتى باقي بدنّها فينبغي أن تحتشم المرأة أمام محارمها حتى لا يدخل الشيطان فيركس رحمه ويهدم كل صلاح.

جوابه إن كان الرجل أجنبي فلا يجوز لها النظر لبدنه (جسمه) إلا لوجهه ورأسه وكفيه وقدميه فقط فيحرم عليها مثلاً أن تنظر إلى ساقه أو عضده أو ظهره أو بطنه على الأحوط.

وما تشاهده المرأة في التلفاز جار كذلك بنفس الحكم فيحرم عليها أن ترى المصارعة مثلاً أو أن ترى رجلاً كاشفاً ساعده أو ساقه^{٨٥١} على الأحوط في النظر اللامباشر كالتلفاز مثلاً.

وأما نظرها للأجنبي بريئة وتلذذ فحرام حتى النظر في وجهه.

وأما إذا كان من محارمها مثل أبيها وأخيها مثلاً فينبغي لها أن لا تنظر إلى جسد محارمها إلا إلى ما كان متعارفاً.

وإن جاز نظرها إليه ماعدا العورة وأما إذا خيف عليها بالنظر إلى المحارم الوقوع في النظر المحرم فيحرم عليها ذلك.

٤ - ما حكم كشف وجه المرأة للرجل الأجنبي ؟

جوابه على قسمين : القسم الاول : قد أوجب ستر وجه المرأة^{٨٥٢} على الأحوط.

والقسم الثاني : قال إن كشف الوجه إن كان به فتنة للرجال و وقوع في المحذور فحرام عليها كشفه وإن لم يكن في كشف الوجه فتنة فالأفضل هو الستر لوجهها^{٨٥٣}.

وستر الوجه له ثمار عديدة فمنها :

- إبعاد المرأة عن الرجال مما يقلل من دواعي الانحراف والمشاكل وصفاء التفكير.

- ستر محاسنها ومساوئها فلا تسمع ولا يقال هذه جميلة أو قبيحة أو شكلها هكذا أو هكذا أو لوئها هذا الشكل أو غيرها.

- عند جميع العلماء أن المرأة إن وضعت مكياج وزينة غير ما استثنى على قول^{٨٥٤} لا يجوز لها كشف وجهها وأغلب الاحيان تخرج النساء متزينات فستر وجهها يرفع عنها حرج التزين .

٨٥١- هذا على رأي سماحة السيد علي السيستاني .

٨٥٢- مثل السيد ابو القاسم الخوئي .

٨٥٣- مثل السيد علي السيستاني .

٨٥٤- وهو لا يرتضيه السيد ابو القاسم الخوئي .

— بعد كل هذا تذكري كلام الصديقة الكبرى فاطمة عليها السلام في قولها إرشاداً (خير للمرأة ألا ترى الرجال ولا الرجال يرونها).

٥ - وأما حكم كشف قدم رجل المرأة ؟ .

جوابه يحرم على المرأة كشف أقدامها للرجال الأجانب كأن تخرج من دون جواريب مثلاً أو تمشي بجوار أخي زوجها غير لابسة للجواريب .

فلا بد على المرأة وجوباً شرعياً أختي المؤمنة المتمثلة بالزهراء عليها السلام أن لا تكشف قدميك أمام الأجانب وأن لا تلبسي الجواريب الخفيفة أو التي تشد الانتباه وأن تنبهي كل امرأة على ذلك فلك بذلك الأجر والخير الكثير .

ونذكر شروط الجواريب منها ألا يكون شفافاً . وألا يكون من الزينة . وألا يكون مثيراً .

وأما حكم ستر الكفين (اليدين) ؟

جوابه على قسمين : فالقسم الاول : يجب مطلقاً على الأحوط^{٨٥٥} . والقسم الثاني : يجوز كشف الكفين إذا لم يكن يثرن الرجال^{٨٥٦} .

وأما إذا وضعت المرأة الحناء في يدها فلا يجوز لها إظهار يدها للأجنبي للاحتياط^{٨٥٧} .

وأما وضع الخاتم باليد وإظهاره للشخص الاجنبي عن المرأة إذا كان إظهار اليدين مثيراً حرم عليها كشف يديها وهو على قسمين :

القسم الاول : لا يجوز إذا كان يراه الناظر^{٨٥٨} . وأما القسم الثاني : يجوز إلا بالحكم الثانوي^{٨٥٩} .

٧ - وما هي شروط الحجاب ؟

٨٥٥ - على رأي السيد أبو القاسم الخوئي .

٨٥٦ - على رأي السيد علي السيستاني .

٨٥٧ - على رأي السيدين أبو القاسم الخوئي ، والسيد علي السيستاني .

٨٥٨ - على رأي زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي .

٨٥٩ - على رأي السيد علي السيستاني .

جوابه يشترط في حجاب النساء شروط وإلا لم يكن حجاباً حقيقة وإن لبست المرأة العباءة والخمار الساتر لوجهها مثلاً والشروط هي:

- أن لا يكون الساتر شفافاً لترى منه بشرة ومعالم واضحة للمرأة .
- أن لا يكون الحجاب ضيق جداً بحيث يوضح مفاتن المرأة من صدرها وعجيزتها مثلاً .
- وكذا أن لا تمس عباؤها جسدها لكي يفتتن الناظرون بها . فهناك ملابس تسبب إلتصاق واضح بالبدن ك(الصوف والحرير) إذا اجتمعا معاً بالقماش .
- أن لا يعتبر هذا الحجاب من الزينة في عرف البلدة والمنطقة كأن تضع المرأة في عبائتها كرسطالاً أو فصوصاً لماعة بحيث تشد بذلك من أعين الناظرين.
- واما في نظر الصبي المميز للمرأة لا يجوز لها أن تتكشف إذا تسبب نظره إليها تحرك شهوته على الأحوط وجوباً^{٨٦٠}.
- وهناك فتوى تقول إن كانت لا تترتب مفسدة من نظر المميز فالأحوط الأولى هو التستر^{٨٦١}.
- واما حجاب المرأة مع محارمها فينبغي للنساء أن تكبح لجام الشيطان وأن لا تجعل له تدخلاً في حياتها ومن ضمن طرق لجم الشيطان هو لبسها (الزي الذي ترتديه) .
- فالأولى لها أن تلبس كل لباس محتشم لا يثير محارمها من النظر إلى ملابسها وكذلك لا تلبس ملابس ضيقة التي تفصل وتقطع الجسد فهنا ثلاثة أمور:
- منها لبس الملابس المحتشمة. والآخر لا تلبس الملابس الضيقة. والآخر لا تلبس الملابس القصيرة.
- وهذا كله لأجل مراعاة نفسها ومراعاة الطرف المقابل سواء كان محرماً أم أباً أم ابنها وغيرهم.

٨٦٠- على رأي سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني .

٨٦١- على رأي السيد ابو القاسم الخوئي .

وإن كانت لا تأمن للنظر من محارمها إليها بالملابس التي لا تتوفر فيها هذه الشروط بالوقوع في المحرم أو النظر المحرم على قول آخر فحرام عليها ذلك.

والمسألة هذه مهمة جداً نرجوا ان تفكري فيها واسعي سعيًا حثيثاً لنيل مرضاة الله واجتناب كل ما يحتمل بسببه الوقوع في ما يسخطه تعالى.

فلقد قال رسول الله ﷺ : من أطاع امرأته أكبه الله على منخريه في النار. قيل: وما تلك الطاعة؟ فقال ﷺ : تدعوه إلى النياحات والعرسات والحمامات والثياب الرقيقة فيعينها.

وأما بكاراة المرأة هي علامة من العلامات التي يعرف بها عفاف المرأة غالباً فلا بد لها أن تحافظ عليها بعدم تعريضها للتلف كالقفز أو ما يؤدي إتلافها والنساء أخبر في هذا الجانب.

وأما حكم المساحقة والاستمئاء للمرأة فهو من الأمور التي تقوم بفعلها المجتمعات المنحطة والساقطة التي لا تلتزم بدين ولا خلق متين .

وارتكاب المساحقة إثمها عظيم ومن أقيمت عليها البيئة كانت تستحق الحد^{٨٦٢}.

وأما استمئاء المرأة فكذلك لا يجوز فعله لها وفيه إثم عظيم على الأحوط وجوباً^{٨٦٣}.

أجارنا الله وإياكن من مكائد الشيطان وقبوره وإليك هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: لما دخلت امرأة مع مولاة لها عليه السلام وسألت ما تقول في اللواتي مع اللواتي؟ .

قال عليه السلام : هن في النار إذا كان يوم القيامة أتي بهن فالبسن جلباباً من نار وخفين من نار وقناعاً من نار .

فالأحرى لك أن تفتخري بحجابك؟

وتباهي بسيرك على منهاج محمد وآل محمد عليهم السلام؟

فحاولي نشر الهدى الذي حصلت عليه؟

٨٦٢- وهو مائة جلدة ولو تكرر منها ذلك مع جلدها ثلاث مرات قتلت . وأما المحصنة فترجم .

٨٦٣- على رأي سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني .

فالسافرات والغير الملتزمات يتباهين بمعاصي الله تعالى وهي بذلك تسقط نفسها في الوحل ولا تخاف من كلام الناس عليها.

فهي استخدمت أسلوب السفور في نشر الرذيلة والعري والفساد؟

وانت المؤمنة أستخدمي نشر تعاليم محمد وآله عليه السلام.

لكي تحصلي على الخير الكثير بالكلمة والفعل والهدية والنصيحة لتكوني عاملة من عمال الله تعالى في الارض وعامل الله لا يخيب.

وأما حكم الكلام مع الرجل الأجنبي فلقد قال تعالى :

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾^{٨٦٤}.

وكلام المرأة مع الرجل الأجنبي سواء كان أخا زوجها أم زوج أختها أم غيرها فله ثلاث حالات فتارة يكون حراماً وتارة الأحوط تركه وإن جاز وتارة يكون جائزاً. وتفصيل الرواية هو:

الاول - حرمة الكلام : إن كان فيه إبداء مودة ومحبة وأنس وريبه فتتكلم مع الأجنبي بكلام لطيف وبسمة وغيرها من الأساليب التي بها ود ومحبة وإثارة الطرف المقابل وكذا إسماع الأجنبي الصوت الذي فيه تهيج للسامع بتحسينه وترقيقه.

الثاني - كراهة الكلام : إذا كان الكلام لا حاجة ولكن بشروط مقررة ثلاثة وهي : (الكلام بحشمة ووقار - الكلام من دون ترقيق الصوت - الكلام من دون إبداء المودة المستلزم للوقوع في الحرام).

الثالث - جواز الكلام : إذا كان حاجة ولكن بقدر الحاجة وبالشروط الثلاثة السابق. والله العالم.

ثانياً : من صور تكريم الإسلام للمرأة :

لقد رفع الإسلام مكانة المرأة، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه؛ فالنساء في الإسلام شقائق الرجال ، وخير الناس خیرهم لأهله ؛ فالمسلمة في طفولتها لها حق الرضاع ، والرعاية ، وإحسان التربية ، وهي في ذلك الوقت قرة العين ، وثمره الفؤاد لوالديها وإخوانها .

وإذا كبرت فهي المعززة المكرمة ، التي يغار عليها وليها ، ويحوطها برعايته ، فلا يرضى أن تمتد إليها أيد بسوء ، ولا ألسنة بأذى ، ولا أعين بخيانة .

وإذا تزوجت كان ذلك بكلمة الله ﷻ ، وميثاقه الغليظ ؛ فتكون في بيت الزوج بأعز جوار ، وأمنع ذمار ، وواجب على زوجها إكرامها ، والإحسان إليها ، وكف الأذى عنها .

وإذا كانت أمّاً كان برّها مقروناً بحق الله ﷻ وعقوقها والإساءة إليها مقروناً بالشرك بالله ﷻ ، والفساد في الأرض . وإذا كانت أختاً فهي التي أمر المسلم بصلتها ، وإكرامها ، والغيرة عليها .

وإذا كانت خالة كانت بمنزلة الأم في البر والصلة . وإذا كانت جدة ، أو كبيرة في السن زادت قيمتها لدى أولادها ، وأحفادها ، وجميع أقاربها ؛ فلا يكاد يرد لها طلب ، ولا يُسَفَّه لها رأي . وإذا كانت بعيدة عن الإنسان لا يدينها قرابة أو جوار كان له حق الإسلام العام من كف الأذى ، وغض البصر ونحو ذلك .

وما زالت مجتمعات المسلمين ترعى هذه الحقوق حق الرعاية ، مما جعل للمرأة قيمة واعتباراً لا يوجد لها عند المجتمعات غير المسلمة . ثم إن للمرأة في الإسلام حق التملك ، والإجارة ، والبيع ، والشراء ، وسائر العقود ، ولها حق التعلم ، والتعليم ، بما لا يخالف دينها ، بل إن من العلم ما هو فرض عين يأثم تاركه ذكراً أم أنثى .

بل إن لها ما للرجال إلا بما تختص به من دون الرجال ، أو بما يختصون به دونها من الحقوق والأحكام التي تلائم كلاً منهما على نحو ما هو مفصل في موضعه .

ومن إكرام الإسلام للمرأة أن أمرها بما يصونها ، ويحفظ كرامتها ، ويحميها من الألسنة البذيئة ، والأعين الغادرة ، والأيدي الباطشة ؛ فأمرها بالحجاب والستر ، والبعد عن التبرج ، وعن الاختلاط بالرجال الأجانب ، وعن كل ما يؤدي إلى فتنها .

ومن إكرام الإسلام لها : أن أمر الزوج بالإفراق عليها، وإحسان معاشرتها، والحذر من ظلمها، والإساءة إليها . بل ومن المحاسن كذلك أن أباح للزوجين أن يفترقا إذا لم يكن بينهما وفاق ، ولم يستطيعا أن يعيشا عيشة سعيدة ؛ فأباح للزوج طلاقها بعد أن تحقق جميع محاولات الإصلاح ، وحين تصبح حياتهما جحيماً لا يطاق .

وأباح للزوجة أن تفارق الزوج إذا كان ظالماً لها ، سيئاً في معاشرتها ، فلها أن تفارقه على عوض تتفق مع الزوج فيه ، فتدفع له شيئاً من المال ، أو تصطلح معه على شيء معين ثم تفارقه.

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن نهى الزوج أن يضرب زوجته بلا مسوغ ، وجعل لها الحق الكامل في أن تشكو حالها إلى أوليائها ، أو أن ترفع للحاكم أمرها ؛ لأنها إنسان مكرم كما في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾^{٨٦٥}.

وليس حسن المعاشرة أمراً اختيارياً متروكاً للزوج إن شاء فعله وإن شاء تركه ، بل هو تكليف واجب ، كما قال النبي ﷺ : (لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يضاجعها) رواه البخاري ومسلم.

فهذا الحديث من أبلغ ما يمكن أن يقال في تشنيع ضرب النساء ؛ إذ كيف يليق بالإنسان أن يجعل امرأته - وهي كنفه - مهينة كمهانة عبده بحيث يضربها بسوطه ، مع أنه يعلم أنه لا بد له من الاجتماع والاتصال الخاص بها .

ولا يفهم مما مضى الاعتراض على مشروعية ضرب الزوجة بضوابطه ، ولا يعني أن الضرب مذموم في كل أي حال . لا ؟ ، ليس الأمر كذلك ؛ فلا يطعن في مشروعية الضرب إلا من جهل هداية الدين، وحكمة تشريعاته من أعداء الإسلام ومطايهاهم ممن نبتوا من حقل الغرب ، ورضعوا من لبنه ، ونشأوا في ظله .

هؤلاء الذين يتظاهرون بتقديس النساء والدفاع عن حقوقهن ؛ فهم يطعنون في هذا الحكم ، ويتأففون منه ، ويعدون إهانة للمرأة .

وما ندري من الذي أهان المرأة ؟ أهو ربّها الرحيم الكريم الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟.

أم هؤلاء الذين يريدونها سلعة تمتهن وتحان ، فإذا انتهت مدة صلاحيتها ضربوا بها وجه الثرى؟.

إن هؤلاء القوم يستنكفون من مشروعية تأديب المرأة الناشز ، ولا يستنكفون أن تنشز المرأة ، وتترفع على زوجها ، فتجعله - وهو رأس البيت - مرؤوساً ، وتصر على نشوزها ، وتمشي في غلوائها ، فلا تلين لوعظه ، ولا تستجيب لنصحه ، ولا تبالي بإعراضه وهجره .

يا ترى كيف يعالجون هذا النشوز؟ وبماذا يشيرون على الأزواج أن يعاملوا به الزوجات إذا تمرَّدن ؟، لعل الجواب تضمنه قول الشنفرى الشاعر الجاهلي حين قال مخاطباً زوجته حينما أنشد :

إذا ما جئتِ ما أنْهَكِ عنه * فلم أنكر عليك فطلقيني

فأنتِ البعلُ يومئذٍ فقومي * بسوطك - لا أبا لك - فاضربيني

نعم ، لقد وجد من النساء - وفي الغرب خاصة - من تضرب زوجها مرة إثر مرة ، والزوج يكتُم أمره ، فلما لم يعد يطيق ذلك طَلَّقها ، حينئذٍ ندمت المرأة ، وقالت : أنا السبب ؛ فلقد كنت أضربه ، وكان يستحيي من الإخبار بذلك ، ولما نفذ صبره طَلَّقني !؟.

وقالت تلك المرأة القوامه : أنا نادمة على ما فعلت ، وأوجه النصيحة بألا تضرب الزوجات أزواجهن!؟ ، فقد أذن الإسلام بضرب الزوجة كما في قوله تعالى :

﴿وَاللَّاتِي يَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ^{٨٦٦}﴾ .

وكما في قوله ﷺ في حجة الوداع : (ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مُبرَّح) .

ولكن الإسلام حين أذن بضرب الزوجة لم يأذن بالضرب المبرح الذي يقصد به الشفي ، والانتقام ، والتعذيب ، وإهانة المرأة وإرغامها على معيشة لا ترضى بها .

وإنما هو ضرب للحاجة وللتأديب ، تصحبه عاطفة المربي والمؤدب ؛ فليس للزوج أن يضرب زوجته بهواه ، وليس له إن ضربها أن يقسو عليها ؛ فالإسلام أذن بالضرب بشروط منها :

أ- أن تصر الزوجة على العصيان حتى بعد التدرج معها .

ب- أن يتناسب ذلك العقاب مع نوع التقصير ؛ فلا يبادر إلى الهجر في المضجع في أمر لا يستحق إلا الوعظ والإرشاد ، ولا يبادر إلى الضرب ، وهو لم يجرب الهجر ؛ ذلك أن العقاب بأكثر من حجم الذنب ظلم .

ج- أن يستحضر أن المقصود من الضرب العلاج والتأديب والزجر لا غير ؛ فيراعي التخفيف فيه على أحسن الوجوه ؛ فالضرب يتحقق باللكزة (أي الدفع البسيط) ، أو بالمسواك ونحوه .

د- أن يتجنب الأماكن المخوفة كالرأس والبطن والوجه .

هـ- ألا يكسر عظماً ، ولا يشين عضواً ، وألا يدميها ، ولا يكرر الضربة في الموضع الواحد.

و- ألا يتمادى في العقوبة قولاً أو فعلاً إذا هي ارتدعت وتركت النشوز .

فالضرب - إذاً - للمصلحة لا للإهانة ، ولو ماتت الزوجة بسبب ضرب الزوج وجبت الدية والكفارة ، إذا كان الضرب لغير التأديب المأذون فيه .

أما إذا كان التلف مع التأديب المشروع فلا ضمان عليه ، هذا مذهب أحمد ومالك وتفردا به . أما الشافعي وأبو حنيفة فيرون الضمان في ذلك ، ووافقهم القرطبي - وهو مالكي .

وقال النووي في شرح حديث حجة الوداع السابق :

(وفي هذا الحديث إباحة ضرب الرجل امرأته للتأديب ، فإن ضربها الضرب المأذون فيه فماتت وجبت ديته على عاقلة الضارب ، ووجبت الكفارة في ماله).

ومن هنا : يتبين أن الضرب يلبسون به الحق بالباطل ؟! .

ثم إن التأديب بالضرب ليس كل ما شرعه الإسلام من العلاج ، بل هو آخر العلاجات مع ما فيه من الكراهة ؛ فإذا وجدت امرأة ناشز أساءت عشرة زوجها ، وركبت رأسها ، واتبعت خطوات الشيطان ، ولم ينجع معها وعظ ولا هجران ، فماذا يصنع الرجل في مثل هذه الحال ؟ .

هل من كرامته أن يهرع إلى مطالبة زوجته كل ما نشزت ؟ ، وهل تقبل المرأة ذلك ، فينتشر خبرها، فتكون غرضاً للذم ، وعرضة للوم ؟ .

ثم إن الضرب بالمسواك أو التدافع بين الزوجين وغيرها ، يعتبر أقل ضرراً على المرأة نفسها من تطليقها وتفكيك العائلة الذي هو نتيجة غالبية لاسترسالها في نشوزها ، فإذا طُلِّقت تصدع بنيان الأسرة ، وتفرق شملها ، وتناثرت أجزاؤها.

وإذا قيس الضرر الأخف بالضرر الأعظم كان ارتكاب الأخف حسناً جميلاً ، كما قيل: (وعند ذكر العمى يستحسن العوز). فالضرب طريق من طرق العلاج يجدي مع بعض النفوس الشاردة التي لا تفهم بالحسنى ، ولا ينفع معها الجميل ، ولا تفقه الحجة ، ولا تقاد بزمام الإقناع .

ثم إذا أخطأ أحد من المسلمين سبيل الحكمة ، فضرب زوجته وهي لا تستحق ، أو ضربها ضرباً مبرحاً فالدين براء من تبعة هذه النقائص ، وإنما تبتعها على أصحابها .

هذا وقد أثبتت دراسات علم النفس أن بعض النساء لا ترتاح أنفسهن إلا إذا تعرضن إلى قسوة وضرب شديد مبرح ، بل قد يعجبها من الرجل قسوته ، وشدته ، وعنفه ؛ فإذا كانت امرأة من هذا النوع فإنه لا يستقيم أمرها إلا بالضرب .

وشواهد الواقع والملاحظات النفسية على بعض أنواع الانحراف تقول :

إن هذه الوسيلة قد تكون أنسب الوسائل لإشباع انحراف نفسي معين ، وإصلاح سلوك صاحبه ، وإرضائه في الوقت ذاته ؛ فربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل الذي تحب أن يكون قوماً عليها إلا حين يقهرها عضلياً .

وليست هذه طبيعة كل امرأة ، ولكن هذه الصنف من النساء موجود ، وهو الذي يحتاج إلى هذه المرحلة الأخيرة ؛ ليستقيم على الطريقة .

والذين يولعون بالغرب ، ويولون وجوههم شطره يوحون إلينا أن نساء الغرب ينعمن بالسعادة العظمى مع أزواجهن ، ولكن الحقيقة الماثلة للعيان تقول غير ذلك ؛ فتعالوا نطالع الإحصاءات التي تدل على وحشية الآخرين الذين يرمون المسلمين بالوحشية.

أ- نشرت مجلة التايم الأمريكية أن ستة ملايين زوجة في أمريكا يتعرضن لحوادث من جانب الزوج كل عام ، وأنه من ألفين إلى أربعة آلاف امرأة يتعرض لضرب يؤدي إلى الموت ، وأن رجال الشرطة يقضون ثلث وقتهم للرد على مكالمات حوادث العنف المنزلي^{٨٦٧}.

ب- ونشر مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٧٩م أن ٤٠% من حوادث قتل النساء تحدث بسبب المشكلات الأسرية ، وأن ٢٥% من محاولات الانتحار التي تُقدم عليها الزوجات يسبقها نزاع عائلي^{٨٦٨}.

ج- دراسة أمريكية جرت في عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ، أشارت إلى ٧٩% يقومون بضرب النساء وبخاصة إذا كانوا متزوجين بهن .

وكانت الدراسة قد اعتمدت على استفتاء أجراه د.جون بيرير الأستاذ المساعد لعلم النفس في جامعة كارولينا الجنوبية بين عدد من طلبته .

وقد أشارت الدراسة إلى أن استعداد الرجال لضرب زوجاتهم عالٍ جداً ، فإذا كان هذا بين طلبة الجامعة فكيف بمن هو دونهم تعليماً ؟ .

د- وفي دراسة أعدها المكتب الوطني الأمريكي للصحة النفسية جاء أن ١٧% من النساء اللواتي يدخلن غرف الإسعاف ضحايا ضرب الأزواج أو الأصدقاء ، وأن ٨٣% دخلن المستشفيات سابقاً مرة على الأقل للعلاج من جروح وكدمات أصيبن بها كان دخولهن نتيجة الضرب .

وقال إфан ستارك معد هذه الدراسة التي فحصت (١٣٦٠) سجلاً للنساء : إن ضرب النساء في أمريكا ربما كان أكثر الأسباب شيوعاً للجروح التي تصاب بها النساء ، وأنها تفوق ما يلحق بهن من أذى نتيجة حوادث السيارات ، والسرقه ، والاغتصاب مجتمعة .

٨٦٧- دور المرأة المسلمة في المجتمع إعداد لجنة المؤتمر النسائي الأول ص ٤٥.

٨٦٨- نفس المصدر ص ٤٦ .

وقالت جانيس مور وهي منسقة في منظمة الائتلاف الوطني ضد العنف المنزلي ومقرها واشنطن: إن هذه المأساة المرعبة وصلت إلى حد هائل ؛ فالأزواج يضربون نساءهم في سائر أنحاء الولايات المتحدة، مما يؤدي إلى دخول عشرات منهن إلى المستشفيات للعلاج .

وأضافت بأن نوعية الإصابات تتراوح ما بين كدمات سوداء حول العينين، وكسور في العظام ، وحروق وجروح ، وطعن بالسكين ، وجروح الطلقات النارية ، وما بين ضربات أخرى بالكراسي، والسكاكين ، والقضبان المحمأة .

وأشارت إلى أن الأمر المرعب هو أن هناك نساء أكثر يُصن بجروح وأذى على أيدي أزواجهن ولكنهن لا يذهبن إلى المستشفى طلباً للعلاج، بل يُضمدن جراحهن في المنزل .

وقالت جانيس مور : إننا نقدر بأن عدد النساء اللواتي يُضربن في بيوتهن كل عام يصل إلى ستة ملايين امرأة ، وقد جمعنا معلومات من ملفات مكتب التحقيقات الفيدرالية ، ومن مئات الملاجئ التي توفر المأوى للنساء الهاربات من عنف وضرب أزواجهن^{٨٦٩} .

هـ - وجاء في كتاب ماذا يريدون من المرأة^{٨٧٠} ما يلي :

- ضرب الزوجات في اليابان هو السبب الثاني من أسباب الطلاق .

- ٧٧٢ امرأة قتلهن أزواجهن في مدينة ساو باولو البرازيلية وحدها عام ١٩٨٠ م .

- يتعرض ما بين ثلاثة إلى أربعة ملايين من الأمريكيات للإهانة المختلفة من أزواجهن وعشاقهن سنوياً.

- أشارت دراسة كندية اجتماعية إلى أن ربع النساء هناك-أي أكثر من ثمانية ملايين امرأة- يتعرضن لسوء المعاملة كل عام .

- في بريطانيا تستقبل شرطة لندن وحدها مائة ألف مكالمة سنوياً من نساء يضربهن أزواجهن على مدار السنين الخمس عشرة الماضية .

- تتعرض امرأة لسوء المعاملة في أمريكا كل ثمان ثوان .

٨٦٩- من أجل تحرير حقيقي ص١٦-٢١ . وانظر : المجتمع العاري بالوثائق والأرقام ص٥٦-٥٧ .

٨٧٠- ماذا يريدون من المرأة ، عبدالسلام البسيوني ص٣٦-٦٦ .

- مائة ألف ألمانية يضربهن أزواجهن سنوياً، ومليوناً فرنسية .

- ٦٠% من الدعوات الهاتفية التي تتلقاها شرطة النجدة في باريس أثناء الليل هي نداءات استغاثة من نساء تُساء معاملتهن .

وبعد فإننا في غنى عن ذكر تلك الإحصاءات ؛ لعلنا بأنه ليس بعد الكفر ذنب. ولكن نفرأ من بني جلدتنا غير قليل لا يقع منهم الدليل موقعه إلا إذا نسب إلى الغرب وما جرى مجراه ؛ فهذا هو الغرب تتعالى صيحاته من ظلم المرأة ؛ فهل من مذكر ؟

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة * فلا غرو أن يرتاب والصبح مسفر

ومن صور تكريم الإسلام للمرأة أن أنقذها من أيدي الذين يزدرون مكانها ، وتأخذهم الجفوة في معاشرتها ؛ فقرر لها من الحقوق ما يكفل راحتها ، وينبه على رفعة منزلتها ، ثم جعل للرجل حق رعايتها ، وإقامة سياج بينها وبين ما يחדش كرامتها .

ومن الشاهد على هذا قوله تعالى:

﴿وَكُنْ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^{٨٧١}.

فجعلت الآية للمرأة من الحقوق مثل ما للرجل ؛ وإذا كان أمر الأسرة لا يستقيم إلا برئيس يدبره فأحقهم بالرياسة هو الرجل الذي شأنه الإنفاق عليها ، والقدرة على دفاع الأذى عنها .

وهذا ما استحق به الدرجة المشار إليها كما في قوله تعالى : ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾^{٨٧٢}، وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾^{٨٧٣}.

بل إن الله ﷻ قد اختص الرجل بخصائص عديدة تؤهله للقيام بهذه المهمة الجليلة .

ومن تلك الخصائص ما يلي :

٨٧١- البقرة ٢٢٨ .

٨٧٢- البقرة ٢٢٨ .

٨٧٣- النساء ٣٤ .

أ- أنه جُعل أصلها، وجعلت المرأة فرعه ، كما قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾^{٨٧٤} .

ب- أنها خلقت ، كما جاء في قوله ﷺ : (استوصوا بالنساء) .

ج- أن المرأة عقل ودين، كما قال ﷺ : (ما رأيت... أذهب للرجل الحازم منكن).

د- ضعف قوّتها ، فلا تقا تل .

هـ- ما يعتري المرأة من العوارض الطبيعية من حمل وولادة، وحيض ونفاس، فيشغلها عن مهمة القوامة الشاقة .

و- أنها على النصف في الدية ، والميراث ، والعقيقة ، والعق .

وما ذكر لبعض ما قاله بعض الغربيين من الكتاب وغيرهم في شأن القوامة ؛ وذلك من باب الاستئناس ؛ لأن نفراً من بني جلدتنا لا يقع الدليل موقعه عندهم إلا إذا صدر من مشكاة الغرب مثل :

أ- تقول جليندا جاكسون حاملة الأوسكار التي منحتها ملكة بريطانيا وساماً من أعلى أوسمة الدولة ، والتي حصلت على جائزة الأكاديمية البريطانية ، وجائزة مهرجان مونتريال العالمي تقول :

(إن الفطرة جعلت الرجل هو الأقوى والمسيطر بناءً على ما يتمتع به من أسباب القوة تجعله في المقام الأول بما خصه الله به من قوة في تحريك الحياة، واستخراج خيراتها، إنه مقام الذاتية عند الرجل التي تؤهله تلقائياً لمواجهة أعباء الحياة وإنمائها، واطراد ذلك في المجالات الحياتية).

ب- الزعيمة النسائية الأمريكية (فليس شلافي) دعت المرأة إلى وجوب الاهتمام بالزوج والأولاد قبل الاهتمام بالوظيفة ، وبوجوب أن يكون الزوج هو رب الأسرة وقائد دفتها .

ج- وفي كتاب صدر أخيراً عن حياة الكاتبة الإنجليزية المشهورة (أجاثا كريستي) ورد فيه قولها:

(إن المرأة الحديثة مُعَقَّلَةٌ ؛ لأن مركزها في المجتمع يزداد سوءاً يوماً بعد يوم ؛ فنحن النساء نتصرف تصرفاً أحمق ؛ لأننا بذلنا الجهد خلال السنين الماضية ؛ للحصول على حق العمل والمساواة في العمل مع الرجل. والرجال ليسوا أغبياء ؛ فقد شجعونا على ذلك معلنين أنه لا مانع مطلقاً من أن تعمل الزوجة وتضاعف دخل الزوج . ومن المحزن أن نجد بعد أن أثبتنا نحن النساء أننا الجنس اللطيف الضعيف أننا نعود اليوم لنساوى في الجهد والعرق الذي كان من نصيب الرجل وحده).

د- وتقول طبيبة نفسية أمريكية : (أيما امرأة قالت : أنا واثقة بنفسي ، وخرجت دون رقيب أو حسيب فهي تقتل نفسها وعفتها) .

هذا ما يقول العقلاء من أولئك القوم ، فماذا يقول العلم الحديث في ذلك الشأن ؟.

لقد أثبت العلم الحديث أخيراً وَهَمَّ محاولات المساواة بين الرجل والمرأة ، وأن المرأة لا يمكن أن تقوم بالدور الذي يقوم به الرجل؛ فقد أثبت الطبيب (د. روجرز سيراى) الحائز على جائزة نوبل في الطب وجود اختلافات بين مخ الرجل ومخ المرأة ، الأمر الذي لا يمكن معه إحداث مساواة في المشاعر وردود الأفعال ، والقيام بنفس الأدوار .

وقد أجرى طبيب الأعصاب في جامعة (بيل) الأمريكية بحثاً طريفاً رصد خلاله حركة المخ في الرجال والنساء عند كتابة موضوع معين أو حل مشكلة معينة ، فوجد أن الرجال بصفة عامة يستعملون الجانب الأيسر من المخ ، أما المرأة فتستعمل الجانبين معاً .

وفي هذا دليل- كما يقول أستاذ جامعة بيل - أن نصفَ مُخِّ الرجل يقوم بعمل لا يقدر عليه مُخُّ المرأة إلا بشطريه ، وهذا يؤكد أن قدرات الرجل أكبر من قدرات المرأة في التفكير ، وحل المشكلات .

وهذا ما اكتشفه البروفيسور ريتشارد لين من القسم السيكيولوجي في جامعة ألستر البريطانية حيث يقول :

(إن عدداً من الدراسات أظهرت أن وزن دماغ الرجل يفوق مثيله النسائي بحوالي أربع أوقيات).

وأضاف لين : (أنه يجب الإقرار بالواقع ، وهو أن دماغ الذكور أكبر حجماً من دماغ الإناث ، وأن هذا الحجم مرتبط بالذكاء) .

وقال : (إن أفضلية الذكاء عند الذكور تشرح أسباب حصول الرجال في بريطانيا على ضعفي ما تحصل عليه النساء من علامات الدرجة الأولى) .

وسواء صح ما قالوه أم لم يصح فإن الله ﷻ أخبرنا في كتابه بالاختلاف بين الجنسين على وجه العموم فقال ﷻ : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾^{٨٧٥}.

فكل ميسر لما خلق له ، وكل يعمل على شاكلته ، ولا يفهم من خلال ما مضى أن ضعف المرأة ونقصها الخُلقي يعد من مساوئها بل هو من أعظم محاسنها .

ألا ترى أن الضعف الخُلقي والعجز عن الإبانة في الخصام عيب ناقص في الرجال مع أنه يعد من جملة محاسن النساء التي تجذب إليها القلوب. وقال جرير الشاعر في المرأة :

إن العيون التي في طرفها حور * قتلننا ثم لم يحين قتلانا

يَصْرَعْنَ ذا اللب حتى لا حراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وقال الشاعر ابن الدمينه في المرأة :

بنفسي وأهلي من إذا عرضوا له * ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

فلم يعتذر عُذْرَ البريء ولم تزل * به سكتة حتى يقال مريب

فالأول تشبيب بالمرأة بضعف أركانها ، واما الثاني بعجز المرأة عن الإبانة في الخصام كما في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾^{٨٧٦} . ولهذا التباين في الكمال والقوة بين النوعين وعن النبي ﷺ (اللعن على من تشبه منهما بالآخر) .

وإذا عرفت أن الأنوثة نقص خلقي ، وضعف طبيعي فالعقل الصحيح الذي يدرك الحكم والأسرار يقضي من أن الناقص الضعيف بخلقته وطبيعته يلزم أن يكون تحت نظر الكامل في خلقته ، القوي بطبيعته ؛ لكي يجلب له ما لا يقدر على جلبه من النفع ، ويدفع عنه ما لا يقدر على دفعه من الضر .

٨٧٥- آل عمران : ٣٦ .

٨٧٦- الزخرف : ١٨ .

هذا وإن في تعدد الزوجات حكماً عظيمة ، ومصالح كثيرة لا يدركها الذين يطعنون في الإسلام ، ويجهلون الحكمة من تشريعات الله ﷻ ، ومما يبرهن على الحكمة من مشروعية التعدد ما يلي :

١- أن الإسلام حرم الزنا ، وشدّد في تحريمه ؛ لما فيه من المفساد العظيمة التي تفوق الحصر والعد ، والتي منها : اختلاط الأنساب ، وقتل الحياء ، والذهاب بالشرف وكرامة الفتاة ؛ إذ الزنا يكسوها عاراً لا يقف حده عندها ، بل يتعداه إلى أهلها وأقاربها .

ومن أضرار الزنا أن فيه جناية على الجنين الذي يأتي من الزنا ؛ حيث يعيش مقطوع النسب ، محتقراً ذليلاً .

ومن أضراره ما ينتج عنه من أمراض نفسية وجسدية يصعب علاجها ، بل ربما أودت بحياة الزاني كالسيلان ، والزهري ، والهريس ، والإيدز ، وغيرها اعوذ بالله منها .

والإسلام حينما حرّم الزنا وشدّد في تحريمه فتح باباً مشروعاً يجد فيه الإنسان الراحة ، والسكن ، والطمأنينة ألا وهو الزواج ، حيث شرع الزواج ، وأباح التعدد فيه كما مضى .

ولا ريب أن منع التعدد ظلم للرجل وللمرأة ؛ فمنعه قد يدفع إلى الزنا ؛ لأن عدد النساء يفوق عدد الرجال في كل زمان ومكان ، ويتجلى ذلك في أيام الحروب ؛ فقُصّر الزواج على واحدة يؤدي إلى بقاء عدد كبير من النساء دون زواج ، وذلك يسبب لهن الحرج ، والضيق ، والتشتت ، وربما أدى بهن إلى بيع العرض ، وانتشار الزنا ، وضياع النسل .

٢- أن الزواج ليس متعة جسدية فحسب ؛ بل فيه الراحة ، والسكن ، وفيه-أيضاً-نعمة الولد ، وهذا الولد في الإسلام ليس كغيره في النظم الأرضية ؛ إذ لوالديه أعظم الحق عليه ؛ فإذا رزقت المرأة أولاداً ، وقامت على تربيتهم كانوا قرة عين لها ؛ فأيهما أحسن للمرأة : أن تنعم في ظل رجل يحميها ، ويحوطها ، ويرعاها ، وترزق بسببه الأولاد الذين إذا أحسنت تربيتهم وصلحوا كانوا قرة عين لها ؟ أو أن تعيش وحيدة طريدة ترتمي هنا وهناك ؟ ! .

٣- أن نظرة الإسلام عادلة متوازنة : فالإسلام ينظر إلى النساء جميعهن بعدل ، والنظرة العادلة تقول بأنه لا بد من النظر إلى جميع النساء بعين العدل .

إذا كان الأمر كذلك ؛ فما ذنب العوانس اللاتي لا أزواج لهن ؟ ، ولماذا لا يُنظر بعين العطف والشفقة إلى من مات زوجها وهي في مقتبل عمرها ؟ ، ولماذا لا ينظر إلى النساء الكثيرات اللواتي قعدن بدون زواج ؟ .

أيهما أفضل للمرأة : أن تنعم في ظل زوج معه زوجة أخرى ، فتطمئن نفسها ، ويهدأ بالها ، وتجد من يربعاها ، وترزق بسببه الأولاد ، أو أن تقعد بلا زواج البتة ؟ .

وأيهما أفضل للمجتمعات : أن يعدد بعض الرجال فيسلم المجتمع من تبعات العنوسة ؟ ، أو ألا يعدد أحد ، فتصطلي المجتمعات بنيران الفساد ؟ .

وأيهما أفضل : أن يكون للرجل زوجتان أو ثلاث أو أربع ؟ ، أو أن يكون له زوجة واحدة وعشر عشيقات ، أو أكثر أو أقل ؟ .

٤- أن التعدد ليس واجباً : فكثير من الأزواج المسلمين لا يعددون ؛ فطالما أن المرأة تكفيه ، أو أنه غير قادر على العدل فلا حاجة له في التعدد .

٥- أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل : وذلك من حيث استعدادها للمعاشرة ؛ فهي غير مستعدة للمعاشرة في كل وقت ، ففي الدورة الشهرية مانع قد يصل إلى عشرة أيام ، أو أسبوعين كل شهر .

وفي النفاس مانع -أيضاً- وبعض مذاهب الاسلام الغالب فيه أنه أربعون يوماً ، والمعاشرة في هاتين الفترتين محظورة شرعاً ، لما فيها من الأضرار التي لا تخفى . وفي حال الحمل قد يضعف استعداد المرأة في معاشرة الزوج ، وهكذا .

أما الرجل فاستعداده واحد طيلة الشهر ، والعام ؛ فبعض الرجال إذا منع من التعدد قد يؤول به الأمر إلى سلوك غير مشروع .

٦- قد تكون الزوجة عقيماً لا تلد : فيُحَرِّمُ الزوج من نعمة الولد ، فبدلاً من تطليقها يقي عليها، ويتزوج بأخرى ولود . وقد يقال : وإذا كان الزوج عقيماً والزوجة ولوداً ؛ فهل للمرأة الحق في الفراق (الطلاق) ؟ . والجواب : نعم فلها ذلك إن أرادت .

٧- قد تمرض الزوجة مرضاً مزمناً : كالشلل وغيره ، فلا تستطيع القيام على خدمة الزوج ؛ فبدلاً من تطليقها يبقى عليها ، ويتزوج بأخرى .

٨- قد يكون سلوك الزوجة سيئاً : فقد تكون شرسة ، سيئة الخلق لا ترعى حق زوجها ؛ فبدلاً من تطليقها يبقى الزوج عليها ، ويتزوج بأخرى ؛ وفاء للزوجة ، وحفظاً لحق أهلها ، وحرصاً على مصلحة الأولاد من الضياع إن كان له أولاد منها .

٩- أن قدرة الرجل على الإنجاب أوسع بكثير من قدرة المرأة : فالرجل يستطيع الإنجاب إلى ما بعد الستين ، بل ربما تعدى المائة ، وهو في نشاطه وقدرته على الإنجاب . أما المرأة فالغالب أنها تقف عن الإنجاب في حدود الأربعين ، أو تزيد عليها قليلاً ؛ فمنع التعدد حرمان للأمة من النسل .

١٠- أن في الزواج من ثانية راحة للأولى : فالزوجة الأولى ترتاح قليلاً أو كثيراً من أعباء الزوجية ؛ إذ يوجد من يعينها ويأخذ عنها نصيباً من أعباء الزوج . ولهذا ، فإن بعض العاقلات إذا كبرت في السن وعجزت عن القيام بحق الزوج أشارت عليه بالتعدد .

١١- التماس الأجر : فقد يتزوج الإنسان بامرأة مسكينة لا عائل لها ، ولا راع ، فيتزوجها بنية إعفافها ، ورعايتها ، فينال الأجر من الله ﷻ بذلك .

١٢- أن الذي أباح التعدد هو الله ﷻ : فهو أعلم بمصالح عباده ، وأرحم بهم من أنفسهم .

وهكذا يتبين لنا حكمة الإسلام ، وشمول نظريته في إباحة التعدد ، ويتبين لنا جهل من يطعنون في تشريعات. ومن إكرام الإسلام للمرأة أن جعل لها نصيباً من الميراث ؛ فللأم نصيب معين ، وللزوجة نصيب معين ، وللبنات وللأخت ونحوها نصيب على نحو ما هو مُقَصَّل في مواضعه .

ومن تمام العدل أن جعل الإسلام للمرأة من الميراث نصف ما للرجل ، وقد يظن بعض الجهلة أن هذا من الظلم ؛ فيقولون : كيف يكون للرجل مثل حظ الأنثيين من الميراث ؟ ، ولماذا يكون نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ؟ .

والجواب أن يقال : إن الذي شرع هذا هو الله الحكيم العلم بمصالح عباده .

ثم أي ظلم في هذا ؟ ، لأن نظام الإسلام متكامل مترابط ؛ فليس من العدل أن يؤخذ نظام ، أو تشريع ومن ثم ينظر إليه من زاوية واحدة فقط دون ربطه بغيره ، بل ينظر إليه من جميع جوانبه ؛ فتتضح الصورة ، ويستقيم الحكم .

ومما يتبين به عدل الإسلام في هذه المسألة : أن الإسلام جعل نفقة الزوجة واجبة على الزوج ، وجعل مهر الزوجة واجباً على الزوج كذلك .

وعلى فرض أن رجلاً مات ، وخلف ابناً ، وبناتاً ، وكان للابن ضعف نصيب أخته ، ثم أخذ كل منهما نصيبه ، ثم تزوج كل منهما ؛ فالابن إذا تزوج مطالب بالمهر ، والسكن ، والنفقة على زوجته وأولاده طيلة حياته .

أما أخته فسوف تأخذ المهر من زوجها ، وليست مطالبة بشيء من نصيبها لتصرفه على زوجها ، أو على نفقة بيتها أو على أولادها ؛ فيجتمع لها ما ورثته من أبيها ، مع مهرها من زوجها ، مع أنها لا تُطالب بالنفقة على نفسها وأولادها .

أليس إعطاء الرجل ضعف ما للمرأة هو العدل بعينه إذاً ؟ .

هذه هي منزلة المرأة في الإسلام ؛ فأين النظم الأرضية من نظم الإسلام العادلة السماوية ، فالنظم الأرضية لا ترعى للمرأة كرامتها ، حيث يتبرأ الأب من ابنته حين تبلغ سن الثامنة عشرة أو أقل ؛ لتخرج هائمة على وجهها تبحث عن مأوى يسترها ، ولقمة تسد جوعتها ، وربما كان ذلك على حساب الشرف ، ونبيل الأخلاق .

وأين إكرام الإسلام للمرأة ، وجعلها إنساناً مكرماً من الأنظمة التي تعدها مصدر الخطيئة ، وتسلبها حقها في الملكية والمسؤولية ، وتجعلها تعيش في إذلال واحتقار ، وتعدّها مخلوقاً نجساً ؟ .

وأين إكرام الإسلام للمرأة ممن يجعلون المرأة سلعة يتاجرون بجسدها في الدعايات والإعلانات ؟ .

وأين إكرام الإسلام لها من الأنظمة التي تعد الزواج صفقة مباحة تنتقل فيه الزوجة ؛ لتكون إحدى ممتلكات الزوج ؟ ، حتى إن بعض مجامعهم انعقدت ؛ لتنظر في حقيقة المرأة وروحها هل هي من البشر أو لا ؟ ! .

وهكذا نرى أن المرأة المسلمة تراها تسعد في دنياها مع أسرقتها ، وفي كنف والديها ، ورعاية زوجها، وبر أبنائها سواء في حال طفولتها ، أو شبابها ، أو هرمها ، وفي حال فقرها أو غناها ، أو صحتها أو مرضها.

وإن كان هناك من تقصير في حق المرأة في بعض بلاد المسلمين أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام، فإنما هو بسبب القصور والجهل ، والبعد عن تطبيق شرائع الدين ، والوزير في ذلك على من أخطأ والدين براء من تبعة تلك النقائص .

وعلاج ذلك الخطأ إنما يكون بالرجوع إلى هداية الإسلام وتعاليمه ؛ لعلاج الخطأ . فهذه هي منزلة المرأة في الإسلام على سبيل الإجمال : عفة ، وصيانة ، ومودة ، ورحمة ، ورعاية ، وتذمم إلى غير ذلك من المعاني الجميلة السامية .

أما الحضارة المعاصرة فلا تكاد تعرف شيئاً من تلك المعاني ، وإنما تنظر للمرأة نظرة مادية بحتة ، فتري أن حجابها وعفتها تخلف ورجعية ، وأنها لا بد أن تكون دمية يعبث بها كل ساقط ؛ فذلك سر السعادة عندهم .

وما علموا أن تبرج المرأة وتهتكها هو سبب شقائها وعذابها . وإلا فما علاقة التطور والتعليم بالتبرج والاختلاط وإظهار المفاتن ، وإبداء الزينة ، وكشف الصدور ، والأفخاذ ، وما هو أشد ؟!

وهل من وسائل التعليم والثقافة ارتداء الملابس الضيقة والشفافة والقصيرة ؟!

ثم أي كرامة حين توضع صور الحسنات في الإعلانات والدعايات ؟!

ولماذا لا تروج عندهم إلا الحسناء الجميلة ، فإذا استنفذت السنوات جمالها وزينتها أهملت ورميت كأبي آلة انتهت مدة صلاحيتها ؟!

وما نصيب قليلة الجمال من هذه الحضارة ؟ .

وما نصيب الأم المسنة ، والجددة ، والعجوز ؟، إن نصيبها في أحسن الأحوال يكون في الملاجيء، ودور العجزة والمسنين؛ حيث لا تُزار ولا يُسأل عنها. وقد يكون لها نصيب من راتب تقاعد ، أو نحوه ، فتأكل منه حتى تموت ؛ فلا رحم هناك ، ولا صلة، ولا ولي حميم .

أما المرأة في الإسلام فكلما تقدم السن بها زاد احترامها ، وعظم حقها ، وتنافس أولادها وأقاربها على برها - كما سبق - لأنها أدّت ما عليها ، وبقي الذي لها عند أبنائها ، وأحفادها ، وأهلها ، ومجتمعها .

أما الزعم بأن العفاف والستر تخلف ورجعية فهذا زعم باطل ، بل إن التبرج والسفور هو الشقاء والعذاب ، والتخلف بعينه ، وإذا أردت الدليل على أن التبرج هو التخلف فانظر إلى انحطاط خصائص الجنس البشري في الهمج العراة الذين يعيشون في المتاهات والأدغال على حال تقرب من البهيمية ؛ فإنهم لا يأخذون طريقهم في مدارج الحضارة إلا بعد أن يكتسوا .

ويستطيع المراقب لحالهم في تطورهم أن يلاحظ أنهم كلما تقدموا في الحضارة زادت نسبة المساحة الكاسية من أجسادهم .

كما يلاحظ أن الحضارة الغربية في انتكاسها تعود في هذا الطريق القهقري درجة واخرى ، حتى تنتهي إلى العري الكامل في مدن العراة التي أخذت في الانتشار بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم استفحل داؤها في السنوات الأخيرة .

وهكذا تبين لنا عظم منزلة المرأة في الإسلام ، ومدى ضياعها وتشردا إذا هي ابتعدت عن الإسلام ؟! .

ثالثاً : مساواة الذكر والأنثى

تلاحظ ان أهمية دور المرأة في الإسلام في التواصل الحضاري بين الشعوب ، فإن الرؤية ، كما في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾^{٨٧٧}.

وتلاحظ شعارنا ، كما قال رسول الله ﷺ : (ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانن إلا لئيم)^{٨٧٨}.

تجد في الآية الكريمة من سورة الحجرات تأسيس رباني في الحياة وصلة قوية في ان للأنثى دور كبير في تنوع وانتشار الشعوب و وهمزة وصل بين اصناف البشر على اختلاف الواهم والسنتهم بل ومعتقداتهم ، فهذه من اسس الخلقة بل من اسس الفطرة التي فطر الناس عليها ورسم بها نواحي الحياة ، وقد لخص الحياة في ثلاث نقاط اساسية وهي :

وتلاحظ الخلقة من ذكر وانثى وهي اساس البناء ، والغاية هي التعارف والتآلف ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾^{٨٧٩}. وهي اداة البناء ، والهدف منها التقوى ﴿ أَتْقَاكُمْ ﴾ وهي روح البناء ، والمرأة من حيث : هويتها ومكانتها وإمكانياتها ودورها وحققها .

واما هويتها جسديا فهي مغايرة (مختلفة) للرجل واما روحيا فهي مثل الرجل وعلميا فهي انفع من الرجل وتأثيرا فهي اشد من الرجل وعددا فهي اكثر من الرجل ونفسيا فهي اصفى من الرجل وفكريا فهي اعمق من الرجل وعاطفيا فهي اوسع من الرجل .

فسبحان من وهب الانثى تلك الصفات وارقى المواصفات لذلك التعامل معها حساس ومراعاتها ذوق واحساس فمن الظلم للمرأة معاملتها جسديا واهمال بقيتها ، فالإسلام رفع هويتها العاطفية والروحية والفكرية والعلمية والتربوية .

٨٧٧- الحجرات ١٣ .

٨٧٨- اخرج ابن عساكر عن الامام علي عليه السلام .

٨٧٩- الحجرات ١٣ .

واما مكانتها فهي كالأساس والتأسيس والجوهر النفيس ، كونها أساس ، فهي :

أما الأساس : فهي اساس السعادة ، واساس في التربية ، واساس في العلم والا لماذا كان دور المرأة الاصيلي هو التعامل مع الجنس البشري كترية الأولاد ، وانتاج للأفكار والعلوم في ذهن ابناؤها وبناتها ، ولو لم تكن مؤهلة الى تلك الوظيفة لما جعل القوامه على الرجل حتى يوفر لها المناخ المناسب فتكون كالمملكة في قصرها .

يقول طبيب مسلم مقيم في فرنسا سألتني زميلتي في العمل وهي طبيبة فرنسية سألته قائلة : ماذا تعمل زوجتك ؟ فقال : ربة بيت اي تقوم بتربية اولادي واعداد طعامهم وتعليمهم .

فقال الطبيبة : ومن يشتري لها حاجاتها ؟ فقال : انا فقالت : ومن يوفر لها مطالبها فقال : انا فقالت : حتى الذهب ؟! فقال : نعم فقالت : اذن زوجتك ملكة ؟! .

واما التأسيس : فهو بمعنى انه لا يستغنى عنها لا ذاتا ولا صفاتا ولا فكرا ولا تربية ، فالمرأة اذا دخلت في تأسيس عمل او حضارة او ثقافة انتجت واثمرت لان المرأة من جبلتها اخلاصها وحبها في القيام بما تقوم به على احسن وجه فالإسلام وثق بها فسلم لها عقول وقلوب بشر وهم اولادها بل واجيال منهم .

واما الجوهر النفيس : فهي في نظر الاسلام مثل العقد في العنق ينبغي المحافظة عليه والدفاع عنه وحتى لو تطلب الدفاع بالروح ، (ومن قتل دون عرضه فهو شهيد) ، فالإسلام جعل الدفاع عن المرأة بمثابة الجهاد المقدس .

فأي شيء اعظم من هذا فجعل كون الدفاع عن المرأة دينا بل رتبة من اعظم الرتب في القرب من الله ﷻ انه الاسلام ، وهذا الجوهر يحتاج الى مراعاة واهتمام ، وذلك لأن المرأة كائن حساس واحساس فأي الكلمة تؤثر فيها سلبا او ايجابا ومن ذلك قال الحبيب المصطفى ﷺ :

رويدك .. رفقا بالقوارير وشبهها بالقوارير وهي الزجاج لأنه يتأثر بسرعة ويخدش صفاءه ..
فالإسلام قسم مكانة المرأة الى اقسام منها المرأة كام ، وكأخت ، وكزوجة ، وكابنة ، واجنبية ، ولكل لها
حقوق وواجبات ولها امكانيات منها :

١ - امكانيات تربوية : مثل الام في تربية ابناءها وكما قيل : ان الانبياء ربهن نساء .

٢ - امكانيات فكرية واستشارية : مثل أم المؤمنين السيدة خديجة عليها السلام كانت ذات فكر خارق
وعميق ، والا لما اختارها النبي صلى الله عليه وسلم اول زوجة له .

ومستشارة مثل أم المؤمنين ام سلمة عليها السلام التي اشارت على النبي صلى الله عليه وسلم في موقف من اصعب
المواقف التي مرت على المسلمين في صلح الحديبية ، وهي مشاركتها له بالتحلل من احرامه امام صحابته .

٣ - امكانيات جهادية : فقد ضربت المرأة المسلمة اروع الصفحات في تاريخ الاسلام خاصة وفي
تاريخ المرأة عامة ، فلاحظ صمود وثبات سمية ام عمار امام بطش ابي جهل الذي قتلها وهي حبلى
وتلك ام عمار التي جعلت صدرها درعا للرسول صلى الله عليه وسلم .

٤ - امكانيات علمية : وكم انتفع الصحابة من علم وروايات نساء اهل البيت مثل السيدة
فاطمة عليها السلام والسيدة زينب عليها السلام وغيرها ، ومن اسباب اختيار الحسين بن علي عليهما السلام أخته السيدة
زينب عليها السلام ، صبورة وحكيمة وعالمة غير معلمة وكونها ذكية وحافظة وواعية للعلم وفعلا قد روت احاديث
خاصة ولولا احاديثها لما عرفت الامة عن احوال بيته ومع اهله وما جرى يوم الطف .

وتلاحظ ان أي مرأة دورها مخطوبة ، وهذا اكرام للمرأة ، كونها مخطوبة والرجل خاطب ، وكونها
مطلوبة والرجل طالب لها ، وهي التي يبحث عنها الرجل لكي يخطبها ، لا تبحث هي عنه .

واما حقها ، فهذه نقطة مهمة وحولها يدندن الكثير وينادي بحقوق المرأة ، وهنا لا بد ان نعلم
شيئين احدهما صنف من لا يعرف للمرأة حقا .

والآخر صنف يعلم حقوق المرأة الا انه حرّمها منها وكلاهما عظيم .

ومن ذلك الكثير من المنظمات والمؤسسات التي تطالب بحقوق المرأة هم نظروا الى المرأة كعامله او كسلعة فالذين طالبوا بإعطاء المرأة حقها في خلع الحجاب انما هم يطالبون بإعطاء انفسهم شهواتها .

والذين يطالبون بإعطاء المرأة حقها من العمل والخروج من بيتها ، انما هم يطالبون بترويج سلعهم عن طريق المرأة ، فهم في الحقيقة لم يطالبوا بحقوق المرأة بل طالبوا بشهواتهم ورغباتهم في قلب المرأة .

ولكن الاسلام دعا الى حق المرأة من جهتين احدهما هي معرفة حقها واعطاءها اياه ، ومن ذلك نظر الاسلام الى المرأة ذاتا وصفاتا ، وهنا من نظر اليها ذاتا وصفاتا فقد عرف المرأة ، ومن عرفها اعطاها حقها .

والجهة الأخرى من لم يعرف من المرأة الا جسدها فأنى له ان يعطيها حقها ، بل هذا هو عين الظلم فلم تعرف المرأة منزلتها ولا كرامتها ، الا في ظلال الاسلام ونهج القرآن ورسول السلام محمد ﷺ ، واخوانه من الانبياء عليهم السلام .

فالإسلام جعل للمرأة حقوقا عامة وفصل الحقوق بتفصيل حال المرأة فجعل حقها كأم من اعظم الحقوق ، وجعل التقصير في حقها عقوقا ، بل من اكبر الكبائر بعد الشرك به ﷻ ، وجعل للمرأة كزوجة حقوقا كثيرة ، بل حتى وصل الحال في طلاقها .

فمن اراد ان يطلق زوجته فليطلقها بإحسان وليس بامتهان ، بل امر الاسلام الزوج إن احب زوجته ان يكرمها ، واذا لم يحبها لا يظلمها فضلا من ان يطلقها بل قال الاسلام اذا لم تحب زوجتك فاصبر عليها فلعل الله يرزقك منها ابنا او بنتا يملأ الارض علما .

وجعل للإخت والبنت حقوق بل حتى الطفلة ، بل حتى في الميراث اعطاها مالا خاصا في يدها ، واعطى الذكر الضعف فله احدهما والاخر ينفق به عليها ، فهي اكثر منه مالا يكفي المرأة في الاسلام انما اول من آمن بالرسول ﷺ هي امرأة وهي خديجة عليها السلام .

واول شهيدة في الاسلام هي امرأة ، وهي السيدة سمية ، ويكفي المرأة في الاسلام ان في خدمتها دين (أم) ، والزواج منها سكن وسعادة ، والدفاع عنها جهاد ، والموت دونها شهادة .

الف : المساواة بين الأنثى والذكر :

المرأة في الإسلام مساوية للرجل تماماً في نقاط كثيرة منها المرأة من حيث هي إنسان مساوية للرجل تماماً ، فلها مشاعرها ، ولها أحوالها ، ولها خصائصها ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾^{٨٨٠}.

وهذه الآية الكريمة تعني الرجال والنساء ، فالمشاعر التي يشعر بها الرجل تشعر بها المرأة ، والقيم التي يسمو إليها الرجل تسمو إليها المرأة ، والبطولة التي يحققها الرجل تحققها المرأة ، فالرجل والمرأة من نفس واحدة ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^{٨٨١}.

والمرأة من حيث هي إنسان مشابهة للرجل تماماً ، كما في قول النبي ﷺ : إنما النساء شقائق الرجال ، وكذلك قول النبي ﷺ : كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجِجُ الْبَهِيمَةَ ، هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ ؟^{٨٨٢}.

والمولود كان ذكراً كان أو أنثى ، أية نظرة إلى المرأة على أنها من طبيعة أخرى دون الرجل من حيث أنه إنسان هي نظرة جاهلية ، لا يقرها الإسلام ولا يقبلها بل جاء ليحاربها ، وهي تعتبر أحد أشكال العنصرية .

وكما أن الرجل يستقيم كذلك المرأة تستقيم ، وكما أن الرجل ينحرف ، كذلك تنحرف المرأة ، يؤمن وتؤمن ، يكفر وتكفر ، يعصي وتعصي ، يطيع وتطيع ، يسمو وتسمو ، ويرقى الرجل ، وكذلك المرأة ترقى .

٨٨٠ - النساء ١ .

٨٨١ - النساء ١ .

٨٨٢ - أخرجه الامام البخاري والامام مسلم والترمذي والنسائي وأبو داود وأحمد ومالك .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^{٨٨٣} ، والنفس ذكراً كان أو أنثى ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾^{٨٨٤} .

أي مركب في فطرة الإنسان ذكراً كان أو أنثى ، أنها تعرف طريق فجورها ، وطريق تقواها ، وأنها إذا اتقت أو إذا فجرت تعلم بفطرتها أنها اتقت أو فجرت .

هذا هو الإسلام من منابعه ، وهذا هو الإسلام من مصادره ، والعبرة لا بالواقع الذي يعيشه المسلمون ، ولكن بالمبادئ السامية التي جاء بها الكتاب والسنة .

ثم إن الله ﷻ يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾^{٨٨٥} ، وهذه الآية تعني الرجال والنساء معاً . ومن أحیی نفساً فكأنما أحیی الناس جميعاً ، ومن قتل نفساً فكأنما قتل الناس جميعاً . فإنها مساوية للرجل من حيث إنسانيتها ، ومساوية للرجل تماماً من حيث إمكانها أن ترقى ، وأن تسموا ، وأن تتفوق ، وأن تكون من اللاتي يشار إليهن بالبنان .

والمرأة مساوية للرجل في التشريف والكرامة ؛ فمثلاً قانون حمورابي الذي يدرسونه في كليات الحقوق إحدى بنود هذا القانون أنه من قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يسلم بنته لذاك الرجل ليقتلها ، فما ذنبها ؟! ، ما ذنب ابنة القاتل لتقتل مكان المقتولة ؟!

وسئل ﷺ : أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ؟ قَالَ ﷺ : أَنْ يَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلْقُكَ ، قُلْتُ : إِنَّ ذَلِكَ لَعَظِيمٌ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ ﷺ : وَأَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ تَخَافُ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ ، قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ ؟ قَالَ ﷺ : أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ .

وقال الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^{٨٨٦} .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^{٨٨٧} .

٨٨٣ - الشمس ٧- ٨ .

٨٨٤ - الشمس ٨ .

٨٨٥ - الشمس ٩- ١٠ .

٨٨٦ - التكوين ٨- ٩ .

٨٨٧ - البقرة ١٧٩ .

وفقهاء الشريعة الإسلامية يقررون أن الرجل يُقتل ، اذا قتل المرأة ، فكرامتها مثل كرامة الرجل ، وكرامته من كرامة المرأة .

فالمرأة مساوية للرجل في إنسانيتها ، مساوية له في سموه وسموها ، مساوية له في كرامته وكرامتها ، وفي التشريف ، بل إن الإسلام العظيم جعل الذين يرمون المحصنات الغافلات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء جعل قصاصهم أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، وألا تُقبل لهم شهادة أبداً ، حتى لو تابوا لابد من أن يُجلدوا ثمانين جلدة ، عقاب الدنيا لا يسقط بالتوبة ، كما ورد في الأثر: قذف محصنة يهدم عمل مئة سنة.

كما ان المرأة مساوية للرجل بكل التكاليف الشرعية ، كما في مساواتها في إنسانيتها ، ومساواتها في سموه ، ومساواتها في كرامته ، بل إن المرأة مساوية للرجل في أنها مكلفة بأركان الإيمان ، ومكلفة بكل التكاليف الشرعية التي كلف الله ﷻ بها الرجل ، في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾^{٨٨٨}.

لو أن الله ﷻ قال : إن المسلمين ، والمؤمنين والقانتين والصادقين والصابرين والخاشعين إلى آخر الآية لكانت هذه الآية تشمل الرجال والنساء ، ولكن الله ﷻ أراد أن يؤكد ، وأن يبين ، وأن يزيل اللبس من أن المرأة كالرجل مساوية له تماماً في التكاليف الشرعية ، وفي أركان الإيمان ، وفي أركان الإسلام .

ونأتي بدليل آخر قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّه حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^{٨٨٩}.

ودليل ثالث كما في قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾^{٨٩٠}.

٨٨٨ - سورة الأحزاب ٣٥ .

٨٨٩ - النحل ٩٧ .

٨٩٠ - آل عمران ١٩٥ .

ولكن المرأة مستقلة عن الرجل من حيث مسؤوليتها عن عملها ، وهي مكلفة استقلالاً عن الرجل بتكاليف الشرعية ، مكلفة بشكل مستقل عن الرجل بتكاليف الشريعة خاصة بالمرأة فقط ، كما في حديث رسول الله ﷺ : (والمرأة راعية في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيتها) .

ومعنى ذلك أن المرأة مستقلة استقلال تام في أنها مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، والتكاليف الشرعية الأخرى ، وتُحاسب وحدها عن تقصيرها ، وأية امرأة تقول : إن زوجي يريد ذلك ، هذه حجة عند الله غير مقبولة ، لأن لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾^{٨٩١} .

كما ان المرأة مساوية للرجل في التربية والتهديب ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^{٨٩٢} ، وجملة قوا أنفسكم وأهليكم ، هنا الأهل في القرآن الكريم هي الزوجة والأولاد الذكر منهم والإناث .

وقال النبي ﷺ : ما نحل والد ولده من نحلة أفضل من أدب حسن والولد : ذكر كان أو أنثى . وقال ﷺ : ما من مسلم له بنتان فيحسن إليهما ما صحبتاه ، أو صحبهما إلا أدخلناه الجنة . وهذه بشارة لنا جميعاً ، أي رجل له بنتان إذا أحسن إليهما ورباهما التربية الإسلامية الصحيحة ، واعتنى بهما ، وأحسن إليهما فله الجنة .

وفي حديث آخر : من كانت له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات ، وهذا شيء دقيق ، من كانت أخته عنده ، وأحسن إليها وأكرمها ودلها على الله ﷻ فله الجنة ، وقد تبقى البنت بلا زواج ، تصبح عانساً مصيرها عند أخيها .

فهذا الحديث الشريف يبين أن الذي يرضى أخته ويحسن إليها ويربيها التربية الصحيحة ويدلها على الله ﷻ فله الجنة ، كما قال رسول الله ﷺ : مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ ، أَوْ ابْنَتَانِ ، أَوْ أُخْتَانِ ، فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ ، وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ فَلَهُ الْجَنَّةُ^{٨٩٣} .

٨٩١ - الزلزلة ٧-٨ .

٨٩٢ - التحريم ٦ .

٨٩٣ - أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه .

والمرأة مساوية للرجل تماماً في العلم والواجب العيني ، وفي الكفائي ، فإذا كانت مكلفة بأركان الإيمان ، وأركان الإسلام ، وبأحكام الشريعة ، ولا يكون هذا إلا بالعلم ، كما قال تعالى : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً ﴾^{٨٩٤} ، وتقرأ هذه الآية الفتاة ويقرأها الفتى ، وتقرأ هذه الآية المرأة ويقرأها الرجل ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ، أي بمعنى على كل شخص مسلم ذكراً كان أو أنثى .

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَيُّمَا رَجُلٍ كَانَتْ عِنْدَهُ وَلِيدَةٌ فَعَلَّمَهَا ، فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا ، وَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا ، فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ ، وَآمَنَ بِي فَلَهُ أَجْرَانِ ، وَأَيُّمَا مَمْلُوكٍ أَدَّى حَقَّ مَوْلَاهُ ، وَحَقَّ رَبِّهِ فَلَهُ أَجْرَانِ .

والمرأة مساوية للرجل في وجوب تمسكها بالأخلاق الباطنة والظاهرة ، والباطنة من طهارة القلب ، وسلامة القصد ، والظاهرة أخلاق اللسان وأخلاق الجوارح ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾^{٨٩٥} ، ذكراً كان أو أنثى .

وقد قيل : (في كل مشكلة فتش عن المرأة) ، ولكن الإسلام يقول :

في كل مشكلة فتش عن المعصية ؛ لأنه ما من مشكلة على وجه الأرض ، إلا بسبب الخروج عن منهج الله ﷻ ، وما من خروج عن منهج الله ﷻ ، إلا بسبب الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان .

وورد انه إحدى زوجات رسول الله ﷺ ، أدركتها الغيرة ، فقالت لرسول الله ﷺ : حسبك من صفيه أنها قصيرة ، فقال ﷺ :

٨٩٤ - طه ١١٤ .

٨٩٥ - الكهف ١١٠ .

لقد قلت كلمة لو مُزجت بمياه البحر لأنتنته^{٨٩٦} ، كم هي كرامة المرأة غالية في الإسلام ، وصفت بأنها قصيرة ، فقال ﷺ لمن قالت هذه الكلمة : لقد قلت كلمة لو مُزجت بمياه البحر لأنتنته .

فالمرأة مسؤولة عن قلبها من حيث الإيمان أو النفاق ، والإخلاص والرياء ، مسؤولة عن لسانها من حيث الصدق والكذب ، ومسؤولة عن أعضائها من حيث الطاعة والمعصية ، مساوية للرجل في وجوب طهارة القلب وسلامة القصد ، وفي وجوب ضبط اللسان وضبط الجوارح .

فالشريعة كما تعلمون مصلحة كلها ، ورحمة كلها ، وعدل كلها ، وأية قضية خرجت من العدل إلى الجور ، ومن المصلحة إلى المفسدة ، ومن الرحمة إلى القسوة ، فليست من الشريعة ولو أدخلت عليها بألف تأويل وتأويل .

ان (الدين) ، و (النفس) ، و (العقل) ، و (العرض) ، و (المال) ، و (الأمن) ، فمن اعتدى على إحدى هذه الكليات فله جزاء مقرر في كتاب الله ﷻ ، وواضح في سنة رسوله الكريم ﷺ ، ذكرًا كان أم أنثى .

هذا الحد يصيب الذكور كما يصيب الإناث ، وكما قال الله تعالى :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^{٨٩٧} .

ومثله شارب الخمر ينبغي أن يُجلد ثمانين جلدة سواء ذكرًا كان أم أنثى ، ومثله العرض ؛ من اعتدى على أعراض الآخرين ، سواء ذكرًا كان أم أنثى ، فعقوبته الجلد أو الرجم ، كما قال الله تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾^{٨٩٨} .

وكذلك العدوان على النفس ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾^{٨٩٩} ، والقصاص يصيب الرجال كما يصيب النساء ، وأما من يحارب الله ورسوله ﷺ ، ويسعى في الأرض فساداً ، إما أن يقتل ، وإما أن تقطع أيديه وأرجله من خلاف .

٨٩٦- أخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد .

٨٩٧- المائدة ٣٨ .

٨٩٨- النور ٢ .

٨٩٩- البقرة ١٩٩ .

وحتى إن الإسلام ساوى بين الرجل والمرأة في الدعوة إلى الله ﷻ ، ينبغي أن تنقل ما تعلمته إلى أخواتها ، وعليها أن تنشر هذا الدين ، كما في قول الله تعالى :

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴾^{٩٠٠}.

وتلاحظ المرأة مساوية للرجل في الميراث، كما قال الله تعالى :

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾^{٩٠١}، مساوية له في الميراث ، وأما أن للذكر مثل حظ الأنثيين ففيه تفصيل .

ثم إن المرأة مساوية للرجل تماماً في الأقارير (أي جمع إقرار) ، والعقود والتصرفات ، يعني بإمكانها أن تشتري ، وأن تباع ، وأن تقرّ بيعاً أو شراءً ، فالتبرع ، والصدقة ، والدين ، والوقف ، والبيع ، والشراء والكفالة ، والوكالة ، هذه كلها المرأة مساوية للرجل .

ساوته في الأقارير والعقود والتصرفات ، وساوته في الميراث ، وساوته في وجوب الدعوة إلى الله ﷻ ، وساوته في وجوب طلب العلم ، لأنها مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة ، ومساوية له في وجوب تطهير قلبها وقصدها ولسانها وجوارحها .

ومساوية له في العلم والواجب العيني والكفائي ، ومساوية له في التربية والتهذيب ، ومساوية له في الإيمان بالله والتكاليف الشرعية ، ومساوية له في الكرامة ، ومساوية له في الخلقة ، والمساواة الكاملة في الإنسانية .

٩٠٠ - سورة العصر ١ - ٣ .

٩٠١ - النساء ٧ .

باء : ليس الذكر كالأنثى :

المرأة كالرجل تماماً من حيث إنسانيتها ، ومن حيث خلقها ، ومن حيث كرامتها ، ومن حيث أنها مكلفة بالتكاليف الشرعية ، كما هو الرجل مكلف ، ومن حيث وجود تربيتها ، وتعليمها ، وتحليلها بالأخلاق الفاضلة ، ومن حيث العقوبات والمسؤوليات ، ومن حيث العقود والتصرفات ، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾^{٩٠٢}.

واختلاف المرأة عن الرجل اختلاف تكامل لا اختلاف نقص ، فهي مساوية للرجل ، لكن بنيتها الجسمية والعقلية ، والانفعالية تختلف عن بنية الرجل ، لا اختلاف نقص ، ولكن اختلاف تكامل ، هي تكمله وهو يكملها .

وهذا الاختلاف الذي بين الزوجين يجعل كل منهما سكناً للآخر ، وهذا الاختلاف الذي بين الزوجين يجعل كلاً منهما يكمل نقصه في الآخر ، هذا الاختلاف الذي بين الزوجين هو سرُّ المودة والرحمة التي جعلها الله بين الزوجين .

وأما الفروقات بين الجنسين لا بين الفردين ، فقد سبق ان إن تحدثنا عن الفروق بين الذكر والأنثى انطلاقاً ، أو بين الرجل والمرأة مآلاً ، فإن تحدثنا عن هذه الفروق فإنما أبين الفرق بين الجنسين لا بين الفردين ، وربما فاقت امرأة الرجل لحكمة أرادها الله ﷻ ، وربما فاق الرجل المرأة في اختصاصها .

وحيثما نذكر الفروق بين المرأة والرجل لا نقصد الفرق بين رجل بذاته ، وامرأة بذاتها ، فقد تجد امرأة قلبها مثل الصخر ، وقد تجد رجلاً عاطفته متأججة جياشة .

وهناك فروقات مرتبطة بالوظائف ، ومن الثابت أن هناك فروقاً جسمية واضحة بارزة بين المرأة والرجل ، وهذه الفروق خلقت لكي تتناسب مع الوظيفة التي أناطها الله ﷻ بالرجل ، والتي أناطها الله ﷻ بالمرأة ، فلو ربطت بين تلك الفروق ، وبين الوظيفة التي أرادها الله للرجل أو الفروق التي تتميز بها المرأة ، والتي أراد الله ﷻ لها أن تكون لوجدت الحكمة التي ما بعدها حكمة .

والاستثناء من أجل أن تعرف قيمة الأصل ، فإذا كانت لهذه القاعدة استثناءات ، وهذه من حكمة الله ﷻ البالغة ، وهذا الاستثناء من أجل أن تعرف قيمة الأصل ، لأن الشيء المألوف قد لا يلتفت إليه ، واما الشيء الذي ليس له استثناءات قد لا ننتبه إليه .

وقال العلماء ان هناك فروق جسمية في المرأة تتناسب مع وظيفتها التي أعدها الله ﷻ لها ، فيها غدد ليست موجودة عن الرجل ، مثل هذه الغدد تُعدها لخصائص الأنوثة ، فمن نعومة الملمس ، إلى غدوبة الحديث ، إلى غلبة الحياء ، إلى كثرة الخجل ، إلى ضعف التحمل .

وقامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل ، بل إن معدل الفرق عند تمام النمو عشرة سنتيمترات ، كذلك الوزن ؛ هيكل المرأة العظمي ، أخف من هيكل الرجل العظمي وتركيب هيكلها يجعلها أقل قدرة على الحركة والانتقال ، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثلث ، لكنها تفضله بنسيجها الخلوي الذي يحوي كثيراً من الأوعية الدموية والأعصاب الحساسة، ونسيجها الخلوي يسمح لها باختزان طبقة دهنية، وبفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة الشكل .

ومخ الرجل يزيد عن مخ المرأة بمائة غرام ، ونسبة مخ الرجل إلى جسمه واحد من أربعين ، ونسبة مخ المرأة إلى جسمها واحد من أربع وأربعين ، مخها اقل ثنيات ، وتلافيفها أقل نظاماً ، أما القسم السنجابي القسم الإدراكي في المخ فهو أقل مساحة .

لكن مراكز الإحساس والإثارة والتهيج أشد فاعلية بكثير من مراكز الرجل ، وتنفس المرأة ، صدرها ورئتيها أقل سعة من صدر الرجل ورئتيه ، لكن تنفسها أسرع من تنفسه ، وقلبها أصغر من قلبه ، لكن نبضها أسرع من نبضه .

كما جاء في كتابه العزيز قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْتَكَرُونَ ﴾ ٩٠٣ .

وهذا الضعف ، وهذه الصفاة التي تجذب الرجل هي التي تجعلها سكناً لها ، إذاً الخصائص الجسمية التي خصها الله ﷻ بها كمال في حقها ، وجذب للرجل لكي يسكن إليها ، والحديث عن الفروق الجسمية كثيرة جداً .

ومن الفروقات النفسية للمرأة محبتها للزينة ، والتجمل أيضاً من خصائص المرأة التي فطرت عليها ، ثم إنه أيها الإخوة هناك فروق نفسية بين المرأة وبين الرجل مثل :

١ . العاطفة : فعاطفة المرأة أقوى من عاطفة الرجل بكثير ، ومن هنا كان حنانها على أولادها ، وعلى أبويها وإخوتها أكثر من حنان الرجل ، وأكثر ظهوراً ووضوحاً وإثارة عاطفتها أسرع من إثارة عاطفة الرجل ، ودرجة تأثيرها العاطفي أشد من تأثير الرجل ، وهذا متفق مع وظيفتها الأولى في تربية الأولاد والحنان عليهم وتغذيتهم بالعواطف الفاضلة مع اللبن .

ألم تأت امرأة إلى النبي ﷺ وقالت له : يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل وجمال ومال ، فلما كبرت سني ، ونفر بطني ، وتفرق أهلي ، وذهب مالي قال : أنت علي كظهر أمي ، ولي منه أولاد إن تركتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم إلي جاعوا .

٢ . الإرادة : إن إرادة المرأة أقل تماسكاً من إرادة الرجل ، تلاحظها ما أكثر ما تريد المرأة ، وما أكثر ما تنسى ما تريد ، وما أكثر مما تعرض عما تريد ، والمرأة ما أسرع ما يتغير مرادها ، وما أسرع ما تتراجع عن مرادها .

إذاً إرادة المرأة أقل تماسكاً ، وتصميماً ، وثبوتاً من إرادة الرجل ، ما الحكمة في ذلك ؟ ، الحكمة في هذه الإرادة غير المتماسكة تتناسب مع وظيفتها في الحياة ، ولو كانت لها إرادة الرجل الثابتة الحازمة التي لا تبدل ولا تتغير ولا تتراجع لتصادم الزوجان وأدى هذا إلى فراقهما ، وهناك فرق في إرادة المرأة وفرق في عاطفتها ، وهذان الفرقان يتوافقان مع مهمتها في الحياة كزوجة وأم ، ومربية أولاد .

ولعل ضعف تماسك إرادتها من أجل أن تكون صلتها بأولادها صلة العطف والحب والرفق ، فالأولاد تغلب على عقولهم العواطف ، والأطفال تغلب عليهم نزواتهم ، فلو أن للمرأة إرادة صلبة لا تتزحزح لا تستطيع أن تواجه أولادها بعاطفة ضعيفة وإرادة حازمة ، لذلك تجد المرأة أقرب إلى أولادها من الأب ، لأنها سريعة الاستجابة ، كثيرة القلب ، تميل مع أولادها حيث يميلون ، لذلك تجد العطف ، والانسجام ، والصلة بين الأولاد وأمههم أشد من الصلة بين الأولاد وآبائهم .

٣. الشجاعة : شجاعة المرأة أقل من شجاعة الرجل ، فعادة المرأة أن ترود الطريق الذي طُرِق سابقاً ، وأن تسير في الطريق وراء الرجل ، وأن تأتي من الأعمال ما تعرف ، وما سُبقت إليه ، والحكمة ظاهرة في هذا ، فهي بنت أو زوجة ، والتشريع أن تكون القوامة للرجل ، كما في قوله تعالى : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾^{٩٠٤} .

فمن أجل أن تكون القوامة للرجل لذلك جعل إقدام المرأة أقل من إقدام الرجل ، فهو الذي يقتحم ، فهو الذي يرود الطرق ، فهو الذي يبحث عن المجهول ، فهو الذي يبتكر ، وهي معه تعينه ، لكنها تسير وراءه ، وهي أكبر داعم له من دون أن تملك قدرته على الاقتحام .

٤. الفروق الدينية : هناك فروق دينية بين المرأة والرجل ، تحدثنا عن الفروق الجسمية بإيجاز شديد لأنها واضحة صارخة لا تحتاج إلى معالجة ، وتحدثنا عن الفروق النفسية من حيث العاطفة ، ومن حيث الإرادة ، ومن حيث اقتحام الأخطار ، وبينت الفرق بين الجنسين ، بقيت الفروق الدينية ، منها :

منها : المسؤولية الأدبية الأخلاقية : فالله ﷻ أناط بالرجل المسؤولية الأدبية الأخلاقية عن أسرته ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^{٩٠٥} .

وقوله تعالى : ﴿ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ ، ذكر أحد المفسرين ان معناها احملوهم على ترك المعاصي وفعل الطاعات ، إن حملت زوجتك على ترك المعصية ، وفعل الطاعة فقد وقيتها النار .

وقيل (الأهلين) تشمل الزوجة ، والولد والأولاد ، يعني مجمل الأسرة زوجة وأولاداً تنطوي تحت كلمة قوا أنفسكم وأهليكم ، وسئل رسول الله ﷺ عن معنى هذه الآية الكريمة فقال ﷺ : أن تنهاهن عن ما نهي الله ، وأن تأمرهن بما أمر الله ، فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار هذا معنى الآية ، وكل مؤمن مأمور بنص هذه الآية أن يقي أهله وأولاده النار ، بحملهم على الطاعات ، ونهيهم عن فعل المعاصي والمنكرات .

٩٠٤ - النساء ٣٤ .

٩٠٥ - التحريم ٦ .

ومن ذلك قال الإمام علي عليه السلام : علموا أنفسكم وأهلكم الخير وأدبواهم قص بأنفسكم أولادكم ، لأن الولد بضعة من الوالد ، ومن هذا استنبط الفقهاء أن على الرجل أن يطلب العلم ، وأن يتعلم ما ينبغي أن يُعلم بالضرورة من أجل أن يعلم أهله وأولاده .

فكيف يعلمهم ؟ . وكيف يقي زوجته وأولاده النار ؟ ، إن لم يأمرهم بأمر الله ورسوله ، وينهاهم عما نهى الله ورسوله عنه ، ومن ذلك ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض ، ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، وما لا تتم السنة إلا به فهو سنة ، فإذا أمرك الله عز وجل ، أن تقي أهلك النار بأن تعرفهم أمره ونهيه ورسوله ، وأن تحملهم على طاعة الله ورسوله وترك معصيته .

ومعنى هذا يقتضي أن تعرف الأمر والنهي أنت الرجل ، ويقتضي أن تطبقه أنت ، ففي هذا الأمر الذي أمرنا الله عز وجل به من وقاية أهلنا النار أمر ضمني مستنبط أن تطلب العلم أنت أيها الرجل ، أيها الزوج ، أن تعرف أمر الله عز وجل ونهيه ، وأن تحمل أهلك على طاعة الله عز وجل وعلى ترك معصيته ورسوله ، من أجل أن تحقق هذه الآية الكريمة .

وورد في الحديث الشريف انه رحم الله رجلاً قال : يا أهلاه صلاتكم - منصوب على الإغراء ، يعني الزموا صلاتكم - يا أهلاه صلاتكم ، صيامكم ، زكاتكم ، مساكنكم ، أيتامكم ، جيرانكم ، لعل الله عز وجل يجمعكم معه في الجنة لعل الله عز وجل يجمع الأهل مع الرجل في الجنة ، إذا أمرهم فأتمروا ، وإذا نهاهم فانتهوا ، وهو معنى هذه الآية الكريمة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾^{٩٠٦} .

فمسؤولية الآباء كبيرة جداً ، بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَفُوتُ^{٩٠٧} . في هذا الحديث أثبت للرجل أنه يقوت أبناءه ، يطعمهم ، يكسب لهم المال ليشتري لهم الرزق فيأكلوا ، لكنه ضيعهم ، لأنه ما عرفهم برهم ، ولا عرفهم بأمر رهم ، ولا بنهيه ، ولا حملهم على طاعة رهم ، وعلى ترك معصيته .

منها : مسؤولية الإنفاق : في الأمور الدينية أناط الله عز وجل بالرجل المسؤولية الأدبية والأخلاقية والدينية عن أسرته ، ولكن هناك فرق آخر هو أن الله عز وجل أناط بالرجل مسؤولية الإنفاق على الزوجة والأولاد ، ذلك قالوا : طلب الرزق فريضة بعد الفريضة .

٩٠٦ - التحريم ٦ .

٩٠٧ - أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد .

يعني من بعد أن تؤدي الفرائض ، الفريضة الثانية بعد أداء الفرائض أن تطلب الرزق ، وأن تكسب رزقك ، لأن النبي ﷺ أمسك يد ابن مسعود مرة فرآها خشنة من عمله الشاق ، فرفعها وقال لأصحابه ﷺ ، إن هذه اليد يجبها الله ورسوله ، فمسؤولية الإنفاق على الزوجة والأولاد من طعام وشراب وكساء ومأوى على قدر السعة ، مسؤولية أساسية ، ومن ذلك يمكن أن يكون طلب الرزق عبادة من أكبر العبادات .

إذا كانت لك حرفة مشروعة في الأصل ، وسلكت بها الطرق المشروعة ، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك ، وابتغيت منها الإنفاق على الفقراء ، وابتغيت منها خدمة المسلمين ، ولم تشغلك عن فريضة ، أو عن واجب ، انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة ، بل يقولون :

إن المباحات إذا رافقتها النوايا الصالحات انقلبت إلى عبادات كما يقول الله ﷻ : ﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾^{٩٠٨} ، وفي آية أخرى قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^{٩٠٩} .

وهذا هو الفرق الديني بين المرأة والرجل ، أناط الله ﷻ في ضمن نطاق الأسرة بالرجل المسؤولية الأدبية والدينية والأخلاقية ، وأناط به الإنفاق على الزوجة والولد ، إذا كسب الرزق من أجل أن تنفق على أهلك هذا من العبادة .

٥ . الاختلاف كمال : وهو أنه ما زاد في قوة عاطفتها ، ونقص من قدراتها النفسية ، والعقلية ، إنه كمال بحقها ، بل منتهى الكمال ، وما زاد في قوة إدراك الرجل ، وإرادته ، وشجاعته ونقص من قوة عاطفته هو كمال فيه .

ونذكر مثال لكي تتوضح الامور : سيارتان ؛ إحداها معدة لنقل الركاب ، والثانية معدة لنقل البضائع ، فالمساحة التي تزيد في السيارة المعدة لنقل البضائع والمساحة التي تقل من أجل الركاب كمال في هذه المركبة ، أما التي أعدت من لنقل الركاب ، فالمساحة التي توضع للركاب أكثر بكثير من المساحة التي توضع للبضاعة ، وهذا في هذه المركبة كمال فيها .

٩٠٨ - الطلاق ٧ .

٩٠٩ - البقرة ٢٣٣ .

فالنقص نقص كمال لا نقص ضعف ، ومن ذلك كلمة نقص إذا عزيت إلى المرأة فهو الكمال بعينه ، وما زاد من قوة عاطفتها ، وانفعالها ، واهتمامها بأولادها ، وحنوها عليهم ، وما نقص من اهتمامها بالقضايا العامة ، وعدم تماسك إرادتها، وعدم اقتحامها الأخطار كالرجل .

وهذا كمال في حقها ، وهذا كمال ، وذاك كمال ، وهذا التفاوت فيما بين الرجل والمرأة هو الذي يسبب السكنى ، ويسبب الميل ، وذلك لأن كل طرف من الرجل والمرأة يجد في الطرف الآخر كمالاً وسداً لنقصه .

كما ان الفروقات بينهما (الرجل والمرأة) تخدم الحياة الزوجية ، فالموضوع طويل ، لكن أخذ القليل خير من تكره الكثير ، كما أن المرأة مساوية للرجل في التكليف ، وفي التشريف ، وفي المسؤولية ، وقد جعلها الله راعيةً في بيت زوجها ، وهي مسؤولة عن رعيته .

كذلك هناك فرق بين المرأة والرجل ينبغي أن لا نتجاهله ، إن هذا الفرق هو من الحكمة بمكان ، إن هذا الفرق هو الذي يؤكد الوظيفة المقدسة التي أنيطت بالمرأة ، إن هذا الفرق هو الذي يجعل الرجل ينجذب إلى المرأة هو الذي يجعلها سكناً له ، هو الذي يوفق بينهما ، هو الذي يجعل كل طرف من الزوجين يكمل نقصه في الطرف الآخر، فالشيئان المفترقان يتطابقان ، لكن الشيئين المتشابهين لا ينطبقان .

ألصق شيء بحياة الرجل هو عمله وزوجته ، فإذا أحسن أحدكم أن يختار أو لم يحسن ، إصلاح الزوجة مفتوح بابه طوال العمر ، فإذا أصلحت نفسك ، وطلبت من الله عز وجل أن يصلح لك زوجك ، فالله جل جلاله في الأعم الأغلب يستجيب لهذا الدعاء المخلص ، فيجعل من زوجتك قرّة عين لك ، بل إن الله جل جلاله يبين أن الإنسان إذا أحسن اختيار زوجته .

وإذا عرفها برها ، وحملها على طاعة الله ورسوله ﷺ يكافئه في الدنيا قبل الآخرة ، فما هي هذه المكافأة ؟ ، تصبح الزوجة، والأولاد قرّة عين للزوج ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ ﴾ ٩١٠ .

وهذا الكلام ، وتلك النصوص ، وهذه الحقائق هي مقتبسة من منهج الله ﷻ ، من الخالق ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾^{٩١١}.

فمن هي الجهة الخبيرة بطبيعة الحياة الزوجية ، ومن هي الجهة التي صممت ، والتي ربت ، والتي أعطت كل جنس خصائصه الجسمية والعقلية ، والنفسية ، والاجتماعية ، ومن جعل كل جنس يكمل الجنس الآخر ؟ إنه الله ﷻ ! .

ومن ذلك مهما تاهت البشرية ومهما بحثت ، ومهما تخبطت ، لا بد لها من أن ترجع إلى كتاب الله ﷻ ، إلى المنهج القويم ، وإلى الصراط المستقيم ، لا بد من أن تعود إلى تعليمات الصانع ، لا بد من أن تعود إلى خبرة الخبير ، إلى العليم ، إلى الذي خلق فسوى ﷻ .

وهذه الفروق الدقيقة من حيث ، القلب ، والتنفس ، ومراكز الإحساس والدماغ ، ومن حيث الهيكل العظمي ، ومن حيث القامة ، ومن حيث الوزن ، هناك تصميم من عند حكيم عليم ، وهذا التصميم هو الذي يجعل المرأة كما قلت محبة إلى الرجل ، وقد جعلها الله ﷻ سكناً للرجل .

كما في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾^{٩١٢}.

وأريد أن أذكر هذه الآيات الكريمات الثلاث قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾^{٩١٣}.

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾^{٩١٤}.

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^{٩١٥}.

٩١١- فاطر ١٤ .

٩١٢- الروم ٢١ .

٩١٣- الشورى الآية ٢٩ .

٩١٤- فصلت الآية ٣٧ .

٩١٥- سورة الروم الآية ٢٣ .

فهذه المودة والرحمة بين الزوجين هي من خلق الله ﷻ ، وهي الأصل في العلاقة الزوجية ، فإذا فقدت تجد هناك خلل خطير ، وهناك خروج عن تصميم الله ﷻ ، وهناك خروج عن سنة الله ﷻ في خلقه ، فمادام في العمر بقية ، ومادام هناك فسحة أمام الإنسان فعليه أن يصلح ذاته ، وعليه أن يصلح أقرب الناس إليه ألا وهي زوجته ، وعليه أن يقي أولاده من النار بتربيتهم ، ونصحهم ، وتوجيههم وحثهم على طلب العلم .

وأما بخصوص طلب العلم ، أكاد أقول ، وأنا واثق مما أقول : أنه ما من مشكلة على وجه الأرض صغيرة أو كبيرة ، ضيقة أو واسعة ، فردية أو جماعية ، في شتى بقاع الأرض ، ما من مشكلة إلا بسبب خروج عن منهج الله ﷻ ، وما من خروج عن منهج الله ﷻ ، إلا بسبب الجهل .

وقد أمر الإسلام أن تُعامل المرأة ، كما قال النبي ﷺ : **خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**^{٩١٦} . وقال أيضاً ﷺ : **وما أكرم النساء إلا كريم ، ولا أهانن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً**^{٩١٧} .

وقال ﷺ موجهً الخطاب إلى النساء ، قال لإحداهن : اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله ﷻ^{٩١٨} . وكان ﷺ إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً ، وقد وصف النساء فقال ﷺ : **إنهن المؤمنات الغاليات** .

ولكن يبقى الجهل أعدى أعداء الحقيقة ، هذا هو الدين ، هذا هو الشرع الحنيف الذي جاء به النبي ﷺ ، فالإسلام ينبغي أن نعرفه من أصوله ، لا ينبغي أن نعرفه من خلال واقع المسلمين الذي ربما لم يكن وفق منهج الله ﷻ ، والإسلام ينبغي أن نعرفه من ينابيعه ، لا من روافده التي رفته من الثقافات الغربية التي شوّهت معالمه ، كما قال الله تعالى :

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾^{٩١٩} .

٩١٦ - أخرجه الترمذي وابن ماجه والدارمي .

٩١٧ - ابن عساكر عن علي بن عيسى انظر الجامع الصغير .

٩١٨ - أخرجه الامام البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية .

٩١٩ - سورة المائدة الآية ٣ .

والإكمال نوعي ، والإتمام عددي ، فكل القضايا التي نحن بأمس الحاجة إليها، عاجلها معالجة كاملة وأدرجها في منهجه القويم ، وفي كتابه الكريم ، ما علينا إلا أن ندرس ، وأن نتعلم ، وأن نطلب العلم .

ومن سذاجة الإنسان أن يتهم شيئاً من دون أن يعرفه ، ودون أن يتعمق في فهمه ، ودون أن يسلك السبيل القويم في معرفته ودون أن يأخذه من ينابيعه الأصيلة ، فإذا أردت أن تعرف الإسلام فهذا هو القرآن امامك ، وهذه هي سنة النبي العدنان ﷺ .

وإذا أردت أن تعرف الإسلام فاعرفه من خلال أهل بيت النبي ﷺ وأصحابه ﷺ الذين اتبعوه بإحسان ووعي وفهم، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^{٩٢٠}.

فلا ينبغي أن تحكم على الإسلام قبل أن تفهمه ، ولا ينبغي أن تتهمه قبل أن تتعمق في دراسته ، واطلب العلم ، فطلب العلم فريضة على كل مسلم ، وما من شيء يسمو بك إلا العلم ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم .

وهناك علم ممتع ، وأي علم ممتع ، وهناك علم ممتع نافع ، لكن العلم بالله ﷻ، وعلم أمره ونهيه علم ممتع نافع مسعد في الدنيا والآخرة ، وهناك علوم تنتهي عند الموت ، أما علوم الدين تبدأ منذ طلب العلم ، وتستمر معك إلى أبد الآبدين (الخلود) ، العلم الديني هو العلم الحقيقي ، ما كل ذكي عاقل الذي يعرف الله ﷻ، ويعرف سر وجوده ، وغاية وجوده هو العاقل^{٩٢١} .

وقد دخل النبي ﷺ إلى المسجد ، رأى نسابة ، سألهم سؤال العارف : قال من هذا ؟ ، قالوا: هذا نَسَابَة ، قال ﷺ : وما نسابه ؟، قالوا : يعرف أنساب العرف .

فقال النبي ﷺ : ذاك علم لا ينفع من تعلمه ، ولا يضر من جهله لذلك كان ﷺ يدعو ويقول : اللهم إني أعوذ بك علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن عين لا تدمع ، ومن أذن لا تسمع ومن نفس لا تشبع ، وأعوذ بك من هؤلاء الأربع .

فالذي يؤكد في الإنسان إنسانيته هو : طلب العلم ؟.

٩٢٠- يوسف ١٠٨ .

٩٢١- أنظر : الخطبة ٥٣٩ ، والخطبة ٥٤٠ ، عنوانها : المرأة في الإسلام ، فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي في :

١٩٩٥-٩-٠٨ ، وكذلك : ١٩٩٥-٩-١٥ .

رابعاً : مشاركة المرأة سياسياً

تلاحظ ان المشاركات السياسية للمرأة وموقف الشريعة الإسلامية ، فإنه ليس هناك قضية أعقد وأوضح من قضية مشاركة المرأة في مجالس الأمة والبرلمانات .

فهي تعتبر من القضايا لما حام حولها من آراء ونظريات مؤيدة ومعارضة لها ، بين محلل ومحرم ، حتى إن البعض من الدول الإسلامية مازالت متوقفة الى اليوم في هذا الموضوع حارمة المرأة حقاً طبيعياً من حقوقها المشروعة .

وفي نفس الوقت ليس هناك قضية إسلامية أوضح من هذه القضية لكثرة الأدلة ، ووضوح دلالتها على السماح للمرأة بممارسة هذا الدور من خلال حق الاقتراع والترشيح . وهنا نحاول التوصل إلى موقف الشريعة الإسلامية من هذا الأمر الخطير ، وفيما يلي نناقش الأدلة المؤيدة والتي تنقض هذا الحق^{٩٢٢} .

كما إن حياة المجتمع المسلم لا يمكن أن تستقيم دون حاكم شرعي ، يقيم بين المسلمين معالم الدين وأحكام الشريعة ، وينصر المظلوم ، ويأخذ على يد الظالم ، ويتولى إدارة التنمية الشاملة لمجالات الحياة ، ولهذا أمر الإسلام بالالتفاف حول الحاكم وطاعته وتنفيذ أمره ما لم يأمر بمعصية .

وتعتبر الولاية العامة هي رئاسة أمور الدنيا والدين ، فالإمامة من قواعد الإسلام ، وعنصر من عناصره ، وقد اتفق المسلمون على ضرورتها ، وحتميتها لأن الشريعة الإسلامية مجموعة من الأحكام والقواعد ؛ ففيها الحدود والقصاص والتعزير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد ، وغير ذلك من الأحكام التي لا يمكن للفرد أن يقيمها دون هيئة حاكمية تتولى تنفيذها والقيام بها .

ومن صفات الإمام الحاكم أن يكون ذا بصيرة بأمر الحرب ، وتدريب الجيوش والسرايا وسد الثغور وحماية البيضة وحفظ الأمة والاقتصاص من ظالمها لمظلومها ، وان يكون ممن لا تلحقه رقة ولا هودة في إقامة الحدود^{٩٢٣} .

٩٢٢- انر : المشاركة السياسية للمرأة وموقف الشريعة الإسلامية ، د. ساعد الجابري ط: ٢٠٠٣ م .

٩٢٣- الباقلاني ، التمهيد ، ص ١٨١-١٨٢ .

فليس رئيس الدولة في الإسلام صورة رمزية ، لتنفيذ المراسم وحفلات التوقيع والطقوس الملكية والرئاسية ، وإنما هو قائد المجتمع ورأسه المفكر ووجهه البارز ولسانه الناطق وله صلاحيات واسعة ، خطيرة الآثار والنتائج فهو الذي يعلن الحرب ، ويقود الجيوش ويتولى خطبة الجمعة ، وإمامة الناس في الصلوات الخمس ، ويولي القضاة بينهم^{٩٢٤}.

والإسلام دين عقيدة وشريعة ، وليس ديناً روحياً وأخلاقياً فحسب ، بل هو دين كيان وسياسة ونظام عمل ، فهو زاخر بالمبادئ الإنسانية والقواعد الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتشريعية اللازمة لبناء مجتمع فاضل ، يقوم فيه كل أبنائه بدورٍ فاعل في بناء نهضته وحفظ كيانه وحراسة أخلاقه ونشر دعوته .

ولا يستثنى من ذلك اي قطاع من المجتمع ؛ رجالاً كانوا أم نساءً صغاراً أم كباراً ، لهذا انطلقت المرأة المسلمة ، منذ بزوغ فجر الإسلام ، أي منذ نيف وأربعة عشر قرناً ، لكي تأخذ دورها في جوانب الحياة الإسلامية ، ومنها السياسية ، التي لم تصل لمثلها المرأة غير المسلمة إلا في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي ، بعد صراع مرير .

فقد بايعت المرأة المسلمة الرسول ﷺ كما بايعه الرجل ، واستشارها النبي ﷺ في كثير من الأمور ، وهاجرت معه كما هاجر الرجل ومارست حقها في اللجوء السياسي ، وفي إجارة المستجير ، وفك العاني ، وفي الجهاد في سبيل الله فضلاً عن أن أول من أعتنق الإسلام كان امرأة وهي أم المؤمنين السيدة خديجة زوجة النبي ﷺ .

ومعنى الولاية لغةً : الولاية بفتح الواو وكسرها ، تأتي بمعنى النصرة ، والسلطة ، وتولي الأمر أي الإمارة ، والخطبة ، والقرب والدنو ، والفوارق بين هذه المعاني تستفاد من سياق الكلام ، والولاية بالكسر تأتي بمعنى القرابة ، وربما أطلقت الولاية على المنطقة التي يليها الإنسان كالمقاطعة وكل ما يتولاه الإنسان من أعمال ومنها تقسيم البلاد في الإدارة إلى ولايات لان كل ولاية أي منطقة يتولى إدارتها وال يكون فيها أميراً^{٩٢٥}.

٩٢٤ - مصطفى السباعي ، المرأة بين الفقه والقانون ، ص ٣٩ .

٩٢٥ - ابن منظور ، لسان العرب ، تحت كلمة ولي ، والمعجم الوسيط .

وأما شرعاً ، فهي امتلاك الشخص سلطة تخوله إدارة شأنٍ ما وتديره ، وتنفيذ إدارته فيه على الغير من فرد أو جماعة في نطاق ضيق أو واسع ، وهي سلطة شرعية لشخص في إدارة شأن ما وتنفيذ إرادته فيه على الغير^{٩٢٦} .

وتقسم الولاية إلى قسمين منها الولاية العامة : وهي السلطة الملزمة في شأن من شؤون الجماعة ، كولاية سنّ القوانين والفصل في الخصومات ، وتنفيذ الأحكام والهيمنة على القائمين بذلك ، وهي ما تشتمل سلطة متقلدها على أمور الدين إلى جانب أمور الدنيا للجماعة ، كالخلافة ووزارة التفويض وولاية المظالم والإمارة على الجند والإمارة العامة على الأقاليم والحسبة والقضاء^{٩٢٧} .

والولاية الخاصة ، وهي السلطة التي يملك بها صاحبها التصرف في شأن من الشؤون الخاصة بغيره كالوصاية على الصغار ، والولاية على المال ، والنظارة على الأوقاف ، وهي التي تكون بتسليط من الشارع ابتداء من ولاية الأب والجد على الصغير أو بتسليط من الأصيل كالوصاية ومتولي الوقف^{٩٢٨} .

وأما موقف الإسلام من ولاية المرأة الأمور العامة ، كالولاية العظمى ، فإن الإسلام لا يجيز للمرأة تولي رئاسة الدولة وتوجيه دفة الحكم ، وعدم جواز تقلدها للولاية العظمى لأنه تصدي لاجتهاد والمرأة غير مشمولة بالمرجعية والتصدي لها .

وكذلك يعود لان النساء أمرن بالقرار في البيوت فكان مبنى حالهن على الستر، ويعود أيضاً لحاجتها إذا مكنت من الولاية للاختلاط بالرجال والتشاور معهم في الأمور، والمرأة ممنوعة من ذلك لما في الاختلاط من المفسدة^{٩٢٩} .

٩٢٦- مصطفى الزرقاء ، مشافهة ، الولاية العامة للمرأة في الشريعة الإسلامية وفقهها - رسالة جامعية : للباحث محمد طعمة القضاة ، ص٦ .

٩٢٧- الشيشاني ، حقوق الإنسان وحياته الأساسية ، ص٦٨٩ .

٩٢٨- نفس المصدر .

٩٢٩- القلقشندي ، مآثر الأناقة في معالم الخلافة ، ص٣٢ .

واجمع فقهاء الأمة الاسلامية على ان المرأة لا يجوز لها أن تكون إماماً ، ولكن اختلفوا في جواز كونها قاضية فيما تجوز به شهادتها^{٩٣٠} ، كما في قوله تعالى :

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^{٩٣١}.

وهناك من أباح أن تتولى المرأة منصب القضاء في جميع الأمور^{٩٣٢} ، ومنهم من أجاز إنفاذ قضائها في غير الحدود والقصاص لأنه لا شهادة لها في ذلك .

ومنهم قال ان المرأة تصلح للقضاء بين الأحداث ؛ لأنها اصبر على أخلاق الصبيان ، واشد رافة من الرجال ، كما أنها تصلح للتحكيم^{٩٣٣} ، وقد تدعو الحاجة إلى تخصيص قاضية للنساء ، للنظر في المشاكل النسائية كمسائل النكاح ، وما يتعلق بها .

ومثل هذا التخصيص للمرأة أمر جائز ، حيث إن القضاء يتخصص بالموضوع ، كما يتخصص بالمكان والزمان ، كما ويمكن تخصيص دوائر نسائية خاصة بقضايا النساء ، بل إن ذلك يحقق الغرض من عدم الاختلاط إذا وجدت شرطة ومحاكم وسجون نسائية ، وقد يكون تخصيص دوائر قضائية نسائية لكي تنظر في قضايا النساء أمراً مانعاً للفتنة^{٩٣٤} .

واما تولي المرأة الوزارة ، فقد قسموا الوزارة عند البحث في أحكامها إلى قسمين احدهما وزارة التفويض: وهي التي ينيب فيها الحاكم شخصاً ما بالقيام باتخاذ القرارات وإصدار الأوامر والإشراف على تنفيذها بصلاحيات واسعة ، كما لو كانت من قبل الوالي أو الخليفة أو الحاكم نفسه .

والآخر وزارة التنفيذ ، حيث تنحصر صلاحيات صاحبها في تنفيذ الأوامر وتبليغها أو الإشراف على تطبيقها ، فهو أشبه ما يكون بالوسيط بين الحاكم والرعية (سلطة تنفيذية) ، وليس له صلاحيات اتخاذ القرارات على وجه الاستقلال .

٩٣٠- الجويني ، إرشاد الإمام ، ص ٤٢٦ .

٩٣١- النساء ٣٤ .

٩٣٢- القضاة ،الولاية العامة للمرأة ، ص ١٧٢ .

٩٣٣- فؤاد عبد المنعم ، مبدأ المساواة في الإسلام ، ص ٢٤٤ .

٩٣٤- موسوعة القضاء والفقهاء للدول العربية ، ج ٥٦ ، ص ١٦٣ .

١ - أدلة المعارضين للمرأة :

وهي أدلة النقص ، فهم يستدلون (المعارضون لمشاركة المرأة) في مجالس الأمة بآيات القرآن وبالسنة النبوية المطهرة . فأما القرآن الكريم فيستدلون منه بالآيات الكريمة التالية:

يستدلون بآية قوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^{٩٣٥} ، كما جاء في تفسير الآية القوام : اسم لمن يكون مبالغاً في القيام بالأمر، يُقال هذا قيم المرأة ، وقوامها للذي يقوم بأمرها ويهتم بحفظها .

وقد قال ابن عباس : (نزلت هذه الآية في بنت مُجَدِّ بن سلمة وزوجها سعد بن الربيع أحد نقباء الأنصار، فإنه لطمها لطمَةً فنشزت عن فراشه ، وذهبت إلى الرسول ﷺ ، واقتضى منه ثم قال لها : اصبري حتى أنظر ، فنزلت هذه الآية الكريمة: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ...﴾^{٩٣٦} ، أي مسطون على أدبهن ، والأخذ فوق أيديهن ، فكأنه تعالى جعله أميراً عليها ونافذ الحكم في حقها)^{٩٣٧} .

ويمكن مناقشة رأي الرازي وهو أنه :

أنه : لا بد أن يكون فعل سعد بن الربيع عن حق ، وإلا فإن لطمه لزوجته من دون حق هو ظلم سافر لا يمكن أن يسكت عليه رسول الله ﷺ ، فلربما كانت الزوجة مستحقة لهذا الضرب من باب التأديب وإلا لزم الزوج القصاص منه .

أنه : حادثة سعد بن الربيع واقعة محدودة ، لا يمكن تعميمها ، وبالتالي لا يمكن الاستدلال بها في حرمة ترشيح المرأة لمجالس الأمة .

ولاحظ رأي السيد الطباطبائي قال :

والذين يستدلون بالآية يقولون بإطلاق لفظ (الرجال) ولفظ (النساء) ، أي الحكم مجعول لقبيل الرجال على قبيل النساء في الجهات العامة ؛ كجهتي الحكومة والقضاء - مثلاً - اللتين تتوقف عليهما حياة المجتمع^{٩٣٨} .

٩٣٥- النساء: ٣٤ .

٩٣٦- النساء: ٣٤ .

٩٣٧- الرازي ، التفسير الكبير ، ١ / ٨٨ .

٩٣٨- الطباطبائي ، تفسير الميزان: ٣٤٣/٤ .

ولكن السيد الشيرازي في قوامه الرجل يقول : ودرجة القوامه هذه ليست نقصاً في المرأة مطلقاً بل القوامه أو (القيادة أو الإمارة) شيء لا بدّ منه لتسيير الحياة بصورة منتظمة^{٩٣٩}.

وقد رد منتظري على السيد الطباطبائي قال :

شأن النزول وكذا السياق شاهدان على كون المراد قيمومة الرجال بالنسبة إلى أزواجهم ؛ إذ لا يمكن الالتزام بأن كل رجل بمقتضى عقله الذاتي ، وبمقتضى إنفاقه على خصوص زوجته ، له قيمومة على جميع النساء حتى الأجنبية ، ولو سلم الشك أيضاً فصرف الاحتمال لكفى في عدم صحة الاستدلال^{٩٤٠}.

وعلى فرض صحة رأي السيد الطباطبائي ، فإن الآية الكريمة تشير إلى قيمومة الرجال في الحكم والقضاء ، وهي لا تشمل الأمور الأخرى من قبيل العضوية في مجلس الشورى . وكذلك يستدل المعارضين بالآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾^{٩٤١}.

وقد استدلل بها قحطان الدوري في كتاب (الشورى بين النظرية والتطبيق)^{٩٤٢} . وهذه الآية الكريمة لا تمنع من خروج المرأة لقضاء بعض الأمور المهمة التي فيها مصلحة المسلمين ومصلحتها ، كما نقل لنا عبر حركة التاريخ عن نساء قد اشتركن في حروب الرسول ﷺ مثل مداواة الجرحى .

هذا ، وإذا لم نقول من أنّ المراد بالآية الكريمة نساء النبي ﷺ لوضع خاص بهن ، وهذا ما قاله الشيخ منتظري : (ففعل هن ، لانتسابهن إلى النبي ﷺ ، خصوصية ، وقال الله تعالى :

﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾^{٩٤٣} ، فيكون التستر والتحجب فيهن أكد)^{٩٤٤}.

٩٣٩ - المرأة في ظل الإسلام: ص ٢٠ .

٩٤٠ - منتظري ، ولاية الفقيه: ٣٥٠/١ .

٩٤١ - الأحزاب ٣٣ .

٩٤٢ - قحطان الدوري ، الشورى بين النظرية والتطبيق: ص ٢٠٥ .

٩٤٣ - الأحزاب: ٣٢ .

٩٤٤ - منتظري ، ولاية الفقيه: ٣٥٣/١ .

ولكن هناك من اعترض على مشاركة المرأة في مجلس البرلمان أو الشورى وغيره ، وذكروا في أسباب المنع اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي ، وهذا يؤدي إلى كشفها عن جسدها ، غير الوجه واليدين وسفرها وحدها خارج بلدها^{٩٤٥}.

وما ذكر هنا (اختلاط المرأة بالرجل) ليس بقاعدة عامة ؛ فمع تقيّد المرأة في مكان عملها بحجابها ، بحيث أن مشاركتها في العمل ليس مدعاة لارتكاب المحرمات ، وكشف زينتها ، أو إثارة شهوة الآخرين ، ينتفي المحذور الذي ذكره المانعون ، فبمجرد وجود المرأة في العمل ليس أمراً محرماً شرط أن يكون هذا العمل مشروعاً .

وأما رأي العلماء في عمل المرأة ، فلا يرى العلماء بأساً في عمل المرأة خارج منزلها إذا تقيدت بالقيود الشرعية ؛ كما نقل عن قولهم انه : (على النساء اللاتي يمتلكن الوقت الكافي، أن يشتغلن في الأعمال الاجتماعية العامة التي هي عادة خارج المنزل ، ولكن مع حفظ الموازين الشرعية).

وقد ضربوا مثلاً على ذلك مثل عمل التدريس في المدارس والتمريض في المستشفيات ثم ان : (المرأة نصف المجتمع فعليها أن تدير بعض الدوائر الاجتماعية أيضاً)^{٩٤٦}.

وتجد من أسباب المنع التي ذكرها البعض منهم ان (ما تستلزمه الحياة النيابية من جرأة وشجاعة في الدفاع عن مصالح البلاد ، وهي غير متوفرة عند المرأة) ، مستنداً إلى نظرية القيمومة^{٩٤٧}.

وهذا رأي مردود كذلك ؛ إذ ليس ما ذكر مسبقاً ، يعتبر قاعدة عامة في كل النساء ؛ والتأريخ شاهد انه نقل في التاريخ نساء عُرفن بالشجاعة والجرأة والدفاع عن مصالح البلاد بما لم يُعرف بها الكثير من الرجال .

وقد استدلل المعارضين بالسنة النبوية من خلال الأحاديث التالية نذكر منها :

منها : قال رسول الله ﷺ : (لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة)^{٩٤٨}.

٩٤٥ - قحطان الدوري ، الشورى بين النظرية والتطبيق: ص ٢٠٥ .

٩٤٦ - السيد الشيرازي ، المرأة في ظل الإسلام: ص ٣٩ .

٩٤٧ - سامي حسين البدوي ، عضوية النساء بمجلس النواب ، مجلة الإسلام، القاهرة ١٩٣٥ م .

٩٤٨ - رواه البخاري : كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، ٩٠/٣ ورواه النسائي عن أبي بكر ٢٢٧/٨، ورواه الحراني في تحف العقول ص ٢٥ .

وقد استدلل البعض منهم : (بأن المناصب الرئيسية في الدولة ، رئاسة كانت أو وزارة أو عضوية مجلس الشورى أو إدارة مختلف مصالح الحكومة لا تفوض إلى النساء)^{٩٤٩}.

وتأثر الكثير بهذا الرأي (المودودي) الذي أصبح فكره يمثل تياراً منتشراً في باكستان وبعض دول الخليج ، وهذا رأي مردود فالحديث يحدد منع المرأة من ممارسة الحكم من قبيل الرئاسة والقضاء ، فلا تشمل النقاط الأخرى التي ذكرها المودودي .

منها : استدلو بالحديث المروي عن أحمد بن سعيد الأشقر عن يونس بن مُجَدِّ وهاشم بن القاسم قالوا : حدثنا صالح المروي عن سعيد الجريري عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

(إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم إلى نسائكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها) .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صالح المروي ، وصالح المروي في حديثه غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها ، وهو رجل صالح^{٩٥٠}.

فلو سلمنا بصحة الحديث ووثاقته في رجال سنده فهذا معناه : أن لا يكون للمرأة القيادة والزعامة في الأمور المهمة التي هي أساسية في حياة المجتمع .

وينصرف هذا المعنى عن عضويتها في مجلس الشورى ، لأن وجودها في المجلس بين أهل الشورى لا يعني أن لها سلطة قيادية على أفراد المجتمع إلاً بحدود معينة ، فالحديث المذكور فيه نهي عن تولي المرأة الحكم والسلطات العليا .

وإذا كانت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة منصرفة عن مسألة وجود المرأة في مجلس الشورى ، فإنّ هناك أحاديث توجه الأنظار إلى خطورة مشاورة المرأة استند إليها البعض ، فكان لا بدّ من بحثها بشكل دقيق .

٩٤٩ - المودودي ، نظرية الإسلام وهديه : ص ٣١٦ .

٩٥٠ - أخرجه الترمذي في سننه ٣/٣٦١ ، كتاب الفتن حديث ٢٢٦٦ ، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير ٢/٢٨ وذكره الحراني في تحف العقول ص ٢٦ .

واما مناقشة الأحاديث المانعة عن مشاركة المرأة في أمور السياسة فالحديث الأول: (شاوروهن وخالفوهن) ، قيل عن رسول الله ﷺ أنه قال : (شاوروا النساء وخالفوهن فإن خلافهن بركة)^{٩٥١}.

وهذا القول لعمر وليس لرسول الله ﷺ ، كما يقول السخاوي عن هذا الحديث : (لم أره مرفوعاً)^{٩٥٢} ، ولكن عند العسكري عن حديث حفص بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر قال : قال عمر: (خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة)^{٩٥٣}.

وقد ذكر المتقي الهندي في مصنفه (كنز العمال) عن عمر بن الخطاب أنه قال: (خالفوا النساء فإن في خلافهن بركة)^{٩٥٤}.

واما الدليل الآخر من الأحاديث المانعة عن مشاركة المرأة في أمور السياسة فالحديث الثاني : (الأخذ برأيهن مفسدة). كما روى أبو عبد الله بن محمد بن النعمان المفيد أنه قال: أخبرني أبو الحسن علي بن خالد المراغي قال : حدثنا ثوبة بن يزيد قال: حدثنا أحمد بن علي بن المثنى عن محمد بن المثنى عن ثابة بن سوار قال: حدثنا المبارك بن سعيد عن خليل الفراء عن أبي المجير قال:

قال رسول الله ﷺ : (أربع مفسدة للقلوب : الخلوة بالنساء ، والاستماع منهنّ والأخذ برأيهن ومجالسة الموتى)^{٩٥٥}.

ونأخذ رأي السيد الخوئي في مسند الحديث أو الرواية وعند تفحص رجال السند يظهر لنا أن الحسن علي بن خالد لم تثبت وثاقته كما يذكر السيد الخوئي^{٩٥٦}. وبعد استعراض هذه الأحاديث وآراء العلماء فيها ، لا بدّ من ذكر حقيقة مهمة وهي :

٩٥١- ذكره حسين البروجدي المشرف على جامع أحاديث الشيعة ٨٦/١٦ ومن مصادر أهل السنة، الزبيدي في تحاف السادة ٣٥٦/٥ وأوردها بن عراف الشافعي في تنزيه الشريعة ٢١٠/٢ وأورده ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ص ٢٢٢ - المصدر الأول ذكره في جملة الأحاديث الصحيحة، أما المصادر الثلاثة الباقية فذكره في الموضوعات، وذكر ابن عراق بأنه لعمر بن الخطاب .

٩٥٢- السخاوي ، المقاصد الحسنة: ص ٢٤٨، رقم الحديث ٥٨٥.

٩٥٣- المتقي الهندي ، كنز العمال ٤٥١/٣ .

٩٥٤- المفيد ، الأمالي: ص ٣١٥ .

٩٥٥- الخوئي: معجم رجال الحديث ١٢ / ٨ .

٩٥٦- السخاوي ، المقاصد الحسنة: ص ٢٨٥، حديث رقم ٦٩٨.

إن المرأة بطبيعتها حالها ضعيفة ، وحالتها هذه تنعكس في أكثر الأحيان على آرائها ، من هذا ضروري ملاحظة هذا الأمر عند مشاورة النساء ، ولكن إلى جانب هذا الأمر هناك نساء امتلكن الحكمة والرأي الصائب فأصبحن يفقن الرجال في الرأي السديد ، وكان رسول الله ﷺ يستشير المرأة كما سيأتي ذلك في (أدلة المؤيدين للمرأة) .

٢ - أدلة المؤيدين للمرأة :

أدلة المؤيدين لمشاركة المرأة في مجالس البرلمانات او الشورى منها أدلة الكتاب ، فقد استند المؤيدون إلى الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾^{٩٥٧} .

كما هو قول محمد عبد الله العربي : (لم يخص فئة من القوم دون سواهم بأداء مقتضيات الشورى ، وإذن الشعب كله أي كل مكلف راشد فيه من ذكر أو أنثى يجب أن يشترك على الأقل في أهم العمليات التي تقتضيها الشورى ومنها عملية الإنابة)^{٩٥٨} .

ويمكن الرد على هذا الرأي أن لفظ كلمة ﴿ بَيْنَهُمْ ﴾ مطلقة ، ولكن جاءت السنة وقيدتها . ويمكن الاجابة على هذا الرد ، وهو انه لم يثبت هذا القيد كما تبين ، وكما سيتبين لاحقاً ان شاء الله تعالى أكثر عند مناقشة أدلة السنة .

ومن أدلة المؤيدين لمشاركة المرأة ، فقد استند البعض منهم إلى الآية الكريمة قوله تعالى : ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^{٩٥٩} ، وإن المرأة لها مكانة في الإسلام كمكانة الرجل في جميع الحقوق والواجبات ، والأصل هو التساوي ، إلا بعض المستثنيات التي هي في مصلحة الرجل والمرأة كليهما^{٩٦٠} .

وأما أدلة السنة القولية والفعلية ، فمنها : مشورة النبي ﷺ لأُم المؤمنين أم سلمة ؓ في الحديبية عندما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح أمر المسلمين أن ينحروا ويحللوا فرفض المسلمون ذلك .

٩٥٧ - الشورى: ٣٨ .

٩٥٨ - العربي، محمد عبد الله ، نظام الحكم في الإسلام: ص ٨٤ .

٩٥٩ - البقرة: ٢٢٨ .

٩٦٠ - السيد محمد الشيرازي ، المرأة في ظل الإسلام: ص ١٩ .

فلما لم يقيم منهم أحد دخل عليه السلام على أم سلمة عليها السلام فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة عليها السلام : (يا نبي الله أتحب ذلك ؟ أخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك) .

فخرج عليه السلام فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأوا ذلك ، قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً^{٩٦١} .

ومنها : قبول النبي عليه السلام لأسماء بنت يزيد أن تمثل النساء : فقد سمح لها أن تمثل النساء بين يديه وطلب منها أن تنقل لمجموعة النساء اللائي تمثلن الكلمات التي قالها لها .

وروي عن (أسماء بنت يزيد) أنها أتت النبي عليه السلام ، فقالت :

إني رسول من ورائي من جماعة نساء المسلمين يقلن بقولي ، وعلى مثل رأيي ، إن الله بعثك إلى الرجال والنساء ، فأمننا بك واتبعناك ، ونحن معشر النساء مقصورات مخدرات قواعد بيوت وموضع شهوات الرجال وحاملات أولادكم ، وإن الرجال فضلوا بالجماعات وشهود الجنائز وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم ، وبيننا أولادهم ، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله ؟ .

فالتفت رسول الله عليه السلام بوجهه إلى أصحابه وقال لهم : سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه ؟ ، فقالوا : لا يا رسول الله ، فقال رسول الله عليه السلام : انصري أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته ، وإتباعها موافقته يعدل ذلك كله .

فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قال لها رسول الله عليه السلام^{٩٦٢} .

ومنها : كان رسول الله عليه السلام يستشير المرأة فيأخذ برأيها : كما جاء في (عيون الأخبار) عن الزيادي ، قال : حدثنا حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال : كان النبي عليه السلام يستشير حتى المرأة فتشير عليه بالشيء فيأخذ به^{٩٦٣} .

٩٦١ - العسقلاني فتح الباري: ٢٦٥/٥-٢٦٦ كتاب الشروط .

٩٦٢ - الهندي كنز العمال: ٤١١/١٦ حديث ٤٥١٥٧ .

٩٦٣ - عيون الأخبار: ٨٢/١ ابن قتيبة .

ومما سبق يتبين مشروعية عضوية المرأة في مجالس البرلمانات او مجلس النواب او الشورى - بجواز مشاورتها - فهي والرجل على حدٍ سواء في هذه العضوية ، ولا يحظر عليها إلا ما منع الشرع وهو الإمامة ، وعند الأغلبية القضاء .

ومن هذا الأساس ذهب البعض إلى تجويز دخول المرأة في عضوية المجالس ، منهم تقي الدين النبهاني الذي ناقش الأدلة المعارضة واستنتج قائلاً : فلأن مجلس الأمة ، ليس من قبيل الحكم ، ولا يدخل في الحديث الشريف الذي يتعلق بولاية المرأة .

فإن للمرأة الحق في أن توكل عنها في الرأي ، ويوكلها غيرها فيه ، لأن لها حق إبداء الرأي ، فلها أن توكل فيه ، ولأن الوكالة لا تشترط فيها الذكورة ، فلها أن تتوكل عن غيرها^{٩٦٤} .

وإلى ذلك قال الشيخ شمس الدين : من الناحية الفقهية المرأة ؛ باستثناءات قليلة في التشريعات التبعية ؛ هي مماثلة للرجل في كل الحقوق والواجبات وإن أهليتها كاملة في تولي مسؤوليات أخرى ، وأنها في جزء من ولاية الأمة على نفسه .

وقد ذهب الشيخ شمس الدين إلى أبعد من ذلك ، حول مشاركة المرأة في الإسلام ، حيث أجاز لها أيضاً تولي رئاسة الدولة ، بالإضافة إلى المشاركة في الحياة السياسية كناخبة أو منتخبة^{٩٦٥} .

وعلى اساس نظرية (ولاية الأمة) التي يراها المرحوم شمس الدين ، فإن رئاسة الدولة يعتبر أعلى منصب في الدولة وإن للمرأة الحق في تولي أعلى منصب في الأمة عبر الانتخاب .

أما ما ذهب إليه البعض ، كالمورد في منع المرأة من تسلم منصب الوزارة فهو قد أخذ شروط الوزارة من شروط الإمامة ، معتبراً الوزير نائباً عن الإمام يقول في ذلك : ويعتبر في تقليد هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب^{٩٦٦} .

وهنا : تبين لنا مما سبق أن أدلة المؤيدين أرجح من أدلة النقص (المانعين) ، بل إن أدلة النقص مردودة عند العلماء بينما أدلة التأييد ثابتة غير قابلة للرد .

٩٦٤ - النبهاني، تقي الدين ، نظام الحكم في الإسلام: ص ٢١٣-٢١٤ .

٩٦٥ - نفس المصدر .

٩٦٦ - الأحكام السلطانية: ص ٨ .

وقيل : إن منع المرأة من الولاية العامة والمشاركة السياسية يهضم حقها في المساواة مع الرجل ، رغم قدرتها على الإبداع ، ووصولها إلى مستوى تعليمي قد يفوق كثيراً من الرجال ؟!

ان مسألة المساواة مع الرجل هذا أمر قد ناقشناه في مبحث القوامة مسبقاً ، وخلصنا فيه إلى أن الإسلام يفرق بين العدل والمساواة ، وهو لا يقرّ المساواة على إطلاقها بين الرجل والمرأة ، بل يأمر بالعدل القائم على تكامل الأدوار بين كليهما ، وراعى في ذلك خصائص كل منهما وفطرته وإمكاناته .

ومن هذا فإن منع المرأة من تقلد الولاية العظمى أمر ينسجم مع واقع تكوينها الجسدي والنفسي والفطري ، وهذا أمر يحقق العدل ، وإن كان لا يحقق المساواة ، وقد جرت الأمم والشعوب على هذا في معظم فترات التاريخ الإنساني ، وباستقراء حال الناس في كافة العصور قديماً وحديثاً يلاحظ أن المتصدرين لتولي القيادات العامة الكبرى هم من الرجال على الأغلب الأعم .

وحتى في الديمقراطيات الحرة ، التي تشارك المرأة فيها انتخاباً وترشيحاً ، فإنه يتم غالباً اختيار الرجل لتولي منصب القيادة العليا للدولة ، بالرغم من أن أعداد الناخبات من النساء يساوي أو يفوق أعداد الناخبين الرجال الأمر الذي يشير إلى أن فطرة المرأة تدفعها إلى اختيار الرجل ، لأنه قد استقر لديهن كما استقر لدى الرجال أن هذا المنصب يحتاج إلى إمكانيات رجولية خاصة .

ولم يظهر نبوغ النساء في قيادة الشعوب إلا في حالات خاصة ومحدودة سطرها التاريخ وحفظها المؤرخون لغرابتها وندرتهما ، في ذات الوقت الذي تغافلوا فيه عن الإشادة بإدارة وقيادة كثير من القادة الرجال لشيوع ذلك وغلبته فيهم .

بل على العكس فقد سطر التاريخ لنا الحالات التي فشل فيه الرجال في توليهم قيادة شعوبهم لغرابة ذلك وشذوذه ، ومن ثم فإن الإسلام وضع التشريع الذي يناسب فطرة الإنسان وقدراته الغالبة ، ولم يعمم أحكام الحالات النادرة ، فجعل الولاية للرجل .

والمرأة قد فطرت على عدم الميل إلى الاشتغال بالأعمال السياسية ، والطموح إلى الولاية فهذا منصب يتطلب قدرة دائمة لا يعترئها ضعف ، ويناط به حفظ الدين والدنيا من إقامة أحكام الشريعة ، وتثبيت العباد على الصراط المستقيم .

ومن سياسة الأمة ، ومعرفة مقاصد الشريعة وضبط الجيوش ، وولاية الأكفاء ، وعزل الضعفاء ، ومكافحة الأشرار والأعداء ، وتصريف الأموال ، وأخذها من مكانها وصرفها على مستحقيها ، والرجال أقوم بهذا المنصب من النساء لأنهن أضعف عن تحمل أعباء الولاية العامة .

وقد يوجد في النساء من تكون أقدر وأكفاً من بعض الرجال ؛ مثل (ملكة سبأ) التي قصّ الله علينا قصتها في القرآن العظيم في سورة النمل ، وقد قادت قومها إلى خيري الدنيا والآخرة حينما أسلمت مع سليمان عليه السلام لله رب العالمين ، ولكن الأحكام لا تبني على النادر ، بل على الأعم الأغلب ولهذا قال العلماء : النادر لا حكم له .

وأما المشاركة السياسية للمرأة ، فلم يمنع الإسلام المرأة من ممارسة السياسة بالقدر الذي لا يخرجها عن فطرتها ، ودورها الأساسي في الحياة ، وفقاً لضوابط الشرع الذي جاء لصيانة المجتمع والأسرة ، وحماية الفضيلة والقيم السامية التي ترتقي بالإنسان ، وتسمو به .

والسياسة في الإسلام تختلف كل الاختلاف عنها في غيره من النظم الأخرى ، إذ تقوم على الصدق والعدل والوفاء بالعهود وصيانة المجتمع ، في ظل منظومة كاملة من التشريعات والمبادئ التي توجب على كل فرد القيام بدوره في عملية الاستخلاف في الأرض ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ ﴾ ٩٦٧ .

حيث تتصف عملية الاستخلاف والتمكين في الأرض بإقامة العبودية لله تعالى ، التي هي مقصد الوجود في هذا الكون ، كما في قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۚ ﴾ ٩٦٨ .

٩٦٧ - النور ٥٥ .

٩٦٨ - الذاريات ٥٦ .

والسياسة بهذا المعنى واجب المسلم والمسلمة ، كلٌّ على وفق قدرته واستطاعته ، بصورة يكمل فيها الرجل دور المرأة ، وتكمل فيها المرأة دور الرجل ، ولهذا فقد سجل التاريخ مواقف أشارت فيها المرأة على النبي ﷺ ووافق على مشورتها .

وعارضت المرأة قرار الخليفة وناقشته على الملأ ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر ، وتبنت مواقف معينة ، أصابت فيها أحياناً ، وأخطأت أحياناً أخرى وبايعت المرأة النبي ﷺ مع طلائع المسلمين ، في بيعتي العقبة وشاركت في اللجوء السياسي ، لما ضاقت مكة بالمسلمين ، فقدمت على مملكة الحبشة وهاجرت لتكوين الدولة في المدينة ، ووقفت لتعلن الحق في وجه الحكام المستبدين .

وقدمت أسماء بنت أبي بكر أبناءها في موقعة الحرة ، التي دارت حول الحق السياسي في تولي الامور ، وعارضت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام الخليفة أبا بكر في قضية ميراث أبيها^{٩٦٩} ، وأجارت أم هانئ بنت أبي طالب عليها السلام رجلين من المشركين يوم الفتح ، فقال لها النبي ﷺ : (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ)^{٩٧٠} .

واستأمنت أم حكيم بنت الحارث لعكرمة بن أبي جهل ، حينما أهدر النبي ﷺ دمه مع من أهدر يوم فتح مكة ، فقبل ﷺ أمانها^{٩٧١} ، ولهذا فقد كانت المرأة حاضرة في السياسة بوضوح وقوة ، كل ذلك مع الانضباط الكامل بأحكام الشرع والوقوف عند الحدود التي وضعها الإسلام لها ، وكانت المرأة رائدها من كل مواقفها السياسية هو إحقاق الحق ، والتقرب إلى الله والعمل بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

كما ان مشاركة المرأة في مجالس الشعب او الأمة او المجالس النيابية او البرلمان وغيرها فإن دور المرأة فيها يمكن تكييفه بالنظر إلى مسألة الوكالة للمرأة ، فإذا جاز توكيل المرأة نيابة عن غيرها في الرواية ، والتعاقد والتصرف ، جازت مشاركتها في نيابة عن الشعب او المجتمع او الافراد .

٩٦٩- انظر كتاب : فاطمة (ع) بلسان اهل السنة تأليف ساجد شريف عطية ، الطبعة الرابعة - بغداد .

٩٧٠- البخاري : كتاب الصلاة - باب الصلاة في الثوب الواحد متلحفا به - ٣٥٠ .

٩٧١- انظر : الحاكم النيسابوري في المستدرک : كتاب فضائل القرآن - باب ذكر مناقب عكرمة بن أبي جهل واسم أبيه مشهور - ٥٠٥٥ .

إما مسألة مشاركة المرأة في التشريع ؛ ليس للرجل وليس لها محل في الفكر الإسلامي إذ إن التشريع حق فقط لله ﷻ تعالى فليس لأحد من البشر أن يستقل بسن الأحكام والتشريعات من دون الله ﷻ كائناً من كان ، سواء رجلاً أو امرأة ، كما يقول الله تعالى :

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَفْصِلُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾^{٩٧٢}.

ويقتصر دور البشر على تنفيذ أحكام الله تعالى دون اعتراض أو تغيير ، ويمكن للبشر في مجالسهم النيابة أن يبحثوا في طرق تنفيذ هذه الأحكام وآليات تبليغها للناس بحكم كون الأمة المسلمة مكلفة بالتبليغ ، ويمكن لهذه المجالس أن تمارس الرقابة على الحكومات ، وتقديم المشورة للحاكم ، وسن الأنظمة التي ترك الشرع مجال البت فيها للبشر .

والتشريع في الإسلام لا يمنع من أن تكون المرأة ممثلة عن غيرها في نقل الهموم والحاجات خصوصاً إذا تعلق الأمر بالنساء والأطفال ، ومراقبة السلطة التنفيذية ، فإنه لا يخلو من أن يكون أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، والرجل والمرأة في ذلك سواء في نظر الإسلام ، كما في قوله تعالى :

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^{٩٧٣}.

وليس في النصوص ما يسلب المرأة أهليتها للعمل النيابي ، كتمثيل للغير ومراقبة للسلطة ، ولكن نجد المبادئ الإسلامية وقواعدها تحول بينها وبين استعمال هذا الحق لا لعدم أهليتها بل لأمر تتعلق بالمصلحة الاجتماعية ، كرعاية الأسرة واختلاط المرأة بالأجانب ، فهذه الأمور التي تؤكد نصوص الإسلام تجعل من العسير على المرأة أن تمارس النيابة في ظلها .

وإذا كان الإسلام قد ساوى بين الرجل والمرأة في الأهلية والحقوق المالية إلا أنه يرى من الخير لها ولأسرتها وللمجتمع أن تتفرغ لشؤون الأسرة وتهتم بها ، وربما تكون الموازنة بين المصالح المرجوة من مشاركة المرأة في المجالس النيابية في وقت من الأوقات ، والمفاسد المترتبة على ذلك هي الفيصل في هذه القضية ، مع الأخذ بالاعتبار مراعاة الضوابط الشرعية المتعلقة بأحكام المرأة ، وخصوصاً ما يتعلق بالسفر والخلوات وأوقات العمل وخصائص المرأة وغير ذلك .

٩٧٢ - الانعام ٥٧ .

٩٧٣ - التوبة ٧١ .

وأما حق الانتخاب والمشاركة في الاستفتاءات العامة ، فقد أعطت الشريعة الإسلامية المرأة حق الانتخاب ، وأباح لها الإدلاء بصوتها في الانتخابات سواء كانت لانتخاب رئيس الدولة ، أو أعضاء المجالس النيابية أو البلدية ، فالإسلام لا يمنع من إعطاء حق الانتخاب للمرأة لأنه اختيار الأمة لوكلاء ينوبون عنها في ممارسة أعمال النيابة .

والاهتمام بأمور المسلمين العامة من حق المرأة بل من واجبها ، كما أن لها الحق في إبداء رأيها في الأمور وإبداء النصيحة بالكيفية المستطاعة والملائمة لطبيعتها مثل الكتابة والتأليف وعقد الاجتماعات للنساء ، وتعليمهن وإشاعة الأخلاق الفاضلة بينهن وحثهن على القيام بواجبهن .

وليس ثمة ما يمنع من مشاركة المرأة في الاستفتاءات العامة ، فهذا من قبيل إبداء الرأي ، وبذلك النصيحة وهو يدخل في عموم النصوص الآمرة بإنكار المنكر والأمر بالمعروف ، والسيرة النبوية زاخرة بالأمثلة على قبول النبي ﷺ لمشورة النساء حتى في القضايا العامة .

ومن ذلك ما جاء في أعقاب صلح الحديبية حين تردد الناس في تنفيذ أمر النبي ﷺ بنحر الهدي والحلق ، لاستيائهم من شروط الصلح ، حتى خشي النبي ﷺ من هلاكهم لذلك ، فما أنقذ الناس حينئذٍ إلا مشورة أم سلمة عليها السلام ، كما روي عن المسور بن مخرمة قال :

فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه : (قوموا فانحروا ثم احلقوا) .

قال فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلما لم يقيم منهم أحد دخل النبي ﷺ على أم سلمة عليها السلام فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة عليها السلام يا نبي الله أتحب ذلك ؟، اخرج لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بُदनك وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج النبي ﷺ فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك نحر بُدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا^{٩٧٤} .

وعلى حسب تقدم جميعاً ، فإن دور المرأة في العمل السياسي لا يمكن إنكاره ، أو تجاهله ، إلا أن الشرع قد هذب ونظمه ، ولم يطلقه على غاربه ؟ .

خامساً : المرأة والاستشراق

علاقة المرأة بالاستشراق ومكانته بين المذاهب الفكرية المعاصرة ، فقد عرف المسلمين في القديم الكتابة في الأديان والفرق والمذاهب اهتماماً منهم بمعرفة هذه الفرق وبيان موقف الإسلام منها ، وحرصاً منهم على الدفاع عن الإسلام ، ومن هذه الكتب الفصل في الملل والنحل وكتاب الفرق للبغدادى ومقالات الإسلاميين للأشعري وغيرها كثير^{٩٧٥}.

وظهرت في تاريخ الأمة اتجاهات فكرية كثيرة جداً ومذاهب وطوائف كالباطنية والأشاعرة والمعتزلة والمناطقية وغيرهم ، وقد تصدى لها العلماء المسلمون بحثاً في معتقدها وأفكارها وأعلامها والرد على الانحرافات في تلك المعتقدات دفاعاً من الكتاب والسنة .

وظهرت في العصر الحاضر كتابات تحت عنوان الغزو الفكري أو الاتجاهات الفكرية المعاصرة وأصبحت هذه الاتجاهات تحتل إحدى المواد الدراسية في المراحل الجامعية العالمية ، وقد نال الاستشراق مكانة بارزة ضمن الحديث عن الغزو الفكري ، وكذلك ضمن الاتجاهات الفكرية المعاصرة أو التيارات الفكرية المعاصرة .

وتعود بداية الاهتمام بالاستشراق إلى المرحلة التي وقعت فيها معظم البلاد العربية الإسلامية تحت وطأة الاحتلال الغربي ، وكان للمستشرقين والاستعماريين اهتمام كبير بثقافة الأمة الإسلامية وعقيدتها وتاريخها ومختلف المجالات المعرفية الخاصة بها .

كما تولى المستشرقين مسؤوليات في وزارات التربية والتعليم فكان لهم اليد الطولى في وضع المناهج الدراسية حتى أصبح التعليم في العالم العربي والإسلامي ينقسم إلى نوعين من التعليم : التعليم الشرعي والتعليم المدني .

ومن ثم ظهرت في العالم الإسلامي الحركات التحريرية الحقيقية على أيدي العلماء العاملين فكان في الجزائر على سبيل المثال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس فكتب يرد على كثير من افتراءات المستشرقين في تهجمهم على الإسلام .

٩٧٥- انظر : الاستشراق ومكانته بين المذاهب الفكرية المعاصرة ، الدكتور مازن صلاح مطبقاني ص ١-١٢ .

ولكن لم يظهر تخصص أو كتابات متخصصة في الرد على المستشرقين حتى مع وجود بعض الكتابات المحدودة ، كرد الشيخ محمد عبده على الفيلسوف الفرنسي رينان وهناتو ، وما كتبه محمد كرد علي وغيرهم عن الاستشراق .

ولعل أول من تنبه إلى أهمية دراسة الاستشراق دراسة منتظمة ، هو الشيخ الدكتور مصطفى السباعي ، الذي يمكن أن نعدّه بحق رائد دراسة الاستشراق في العصر الحاضر حيث زار المستشرقين في معاكلهم وكتباتهم وجامعاتهم ، ودخل معهم في محاورات ومناظرات .

و كتب في مجلته (حضارة الإسلام) ، كما نشر كتاباً في هذا المجال يرد على جولدزيهر وهو كتابه (السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي) . الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٦٨هـ.ق - ١٩٤٩م ، هذا بالإضافة إلى كتابه القيم الصغير حجماً الكبير في أهميته وقيّمته العلمية (الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم) .

وبإمكاننا أن نضيف كذلك كتابه عن المرأة بعنوان (المرأة بين الفقه والقانون) ، ولعل ممن شارك في الريادة كذلك الدكتور محمد البهي في كتابه : (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٧٦هـ.ق - ١٩٥٧م .

فما أهمية دراسة الاستشراق ، وما موقعه بين المذاهب الفكرية المعاصرة ؟ .

صحيح أن الغرب ألغى مصطلح استشراق في المؤتمر الدولي للجمعية الدولية للمستشرقين (عام ١٩٧٣م) التي أصبحت تسمى (الجمعية الدولية للدراسات الإنسانية حول آسيا وأفريقيا) ثم تغير أسماها أصبح (الجمعية الدولية للدراسات الآسيوية والشمالية أفريقية) ، ولكننا في العالم الإسلامي ما نزال نصر على هذا المصطلح .

ويمكن ان يكون للغرب مبرر في رفض التسمية ، وللمسلمين مبرراتهم في الاحتفاظ بهذا الاسم . ومهما كان الأمر فإننا في العالم الإسلامي نعتبر الاستشراق (الدراسات العربية والإسلامية في الغرب) من المواد التي تدرس ضمن مقررات الدراسات الإسلامية بصفته أحد المذاهب الفكرية الهدّامة .

ومن ذلك فإن العديد من الكتب المتخصصة في الاتجاهات الفكرية أو المذاهب الفكرية المعاصرة تجعل الاستشراق أحد هذه المذاهب أو الاتجاهات ، وتتناول الاستشراق بصورة نمطية مكررة نشأة الاستشراق ، دوافع الاستشراق ، وأهدافه ، ومدارسه الجغرافية أو الفكرية .

ولكن الحقيقة أن مصطلح استشراق ما زال قائماً في الغرب حتى وإن تخلوا عنه رسمياً فهذه شبكة المعلومات العالمية أو الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) تقدم آلاف المواقع المتخصصة في الاستشراق قديماً وحديثاً ، فهم وإن تخلوا عنه في العلن فإنه ما زال قائماً في أدبياتهم وفي نشاطاتهم الفكرية المعاصرة .

فهل الاستشراق حقاً أحد المذاهب الفكرية أو الاتجاهات الفكرية ؟ .

وهل ينطبق على الاستشراق ما ينطبق على الوجودية أو الماركسية أو العولمة أو الماسونية ؟ .

وهل يمكن البحث في الاستشراق بعيداً عن مثل هذا التصنيف ؟ .

وهل يمكن البحث فيه دون الأفكار المسبقة بأن الاستشراق شر كله ؟ .

في هذا البحث محاولة التوصل إلى أسباب تصنيف الاستشراق ضمن الأفكار الهدامة بهدف الخروج من الأفكار المسبقة محاولاً التوصل إلى جعل الاستشراق ضمن دراسة الغرب دراسة شاملة بحيث لا تأخذ دراستنا لهم في مجال الدراسات العربية الإسلامية أكثر مما يجب .

ويمكن أن نسأل هل يشغل الغرب نفسه بما نقوله عنه ، وهل جعل لهذا الأمر أقساماً علمية ؟ .

وينبغي أن ندرك أنّ الدراسات العربية الإسلامية في الغرب تستمد قوتها وانتشارها من خلال الإمكانات الضخمة المتوفرة لها التي تكفل لها الانتشار في أنحاء العالم ، فرابطة دراسات الشرق الأوسط الأمريكية تضم آلاف الباحثين من شتى أقطار الأرض .

فهل نسعى نحن في العالم الإسلامي إلى دراسة أنفسنا وتكوين الرابطة المتخصصة في ذلك ويكون لنا يد في توجيهها الوجهة التي توضح الصورة الحقيقية للإسلام والمسلمين مع اعتبار أن دراسة الإسلام والمسلمين حق من حقوق أي شعب يريد أن يقوم بهذه الدراسة .

ويمكن ان نقسم البحث إلى مبحثين أحدهما موقف العلماء المسلمين في كتاباتهم حول الغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة من الاستشراق. أما المبحث الآخر فهو أين يجب أن تقع دراسة الاستشراق في العصر الحاضر .

١ - المرأة والغزو الفكري :

تلاحظ ان الاستشراق والغزو الفكري والاتجاهات الفكرية المعاصرة التي تخص المرأة أو بشكل عام، انه يمكننا أن نبدأ بتعريف التيارات الفكرية المعاصرة من أنها المذاهب التي يتخذها مجموعة من الناس ويعتقونها ويسعون إلى نشرها وترويجها بكل الوسائل المتاحة لهم . ولهذه المذاهب أديباتها وأعلامها ومصادرها ومناهجها .

وقد تكون هذه التيارات فلسفية أو اجتماعية أو دينية ، ولعل من المذاهب الفكرية المعاصرة التي اتفقت معظم الكتب في دراستها البهائية والقاديانية والشيوعية والاشتراكية والرأسمالية . ولهذه المذاهب أعلامها الذين لا يمكن فهمها إلا من خلال سيرهم (كما فعل العقاد بالشيوعية) وكتاباتهم ونشاطاته .

وقبل أن نحدد فيما إذا كان الاستشراق أحد المذاهب الفكرية المعاصرة نتناول في البداية بعض ما كتبه عدد من الباحثين المسلمين حول الاستشراق ، وقد وجدت محوراً من محاوره الغزو الفكري ونشرت هذه البحوث في كتب ، وقد جاء الحديث عن الاستشراق في أكثر من بحث حيث جاء في أحدها قول الباحث عن الدراسات الاستشراقية بأنها :

دراسات في كثير من نواحيها تتميز بالصبر والجلد ومحاولة الاستيعاب والتحليل ، ولكنها في نفس الوقت تحتوي على أخطاء جسيمة : عمداً أو جهلاً ثم هي في غالبها لم يقصد بها خدمة العلم والفكر، ولإشباع رغبة خاصة أو عامة في البحث والاطلاع ، وإنما كانت في جملتها خدمة مباشرة للدول الاستعمارية أو للكنائس الأوروبية ، بغرض تطويق الإسلام وضربه على وعي به وبصر به واقتلاع جوهره الحي النابض الذي يشكل أكبر الأخطار بالنسبة لهم^{٩٧٦} .

ومن ثم حفلت هذه الدراسات بضروب التشكيك ، والنقد الجائر ، وانطلقت منها الشبهات المدروسة واحدة تلو الأخرى ، طعناً في كل نواحي الإسلام بدءاً بالقرآن العظيم ذاته ، وانتهاءً بسنة النبي ﷺ ورواها وما بين ذلك من اتهام النبي ﷺ وأصحابه ، وطمس لكل معالم المجد والخير في التاريخ الإسلامي المشرق ، حتى لنستطيع القول أنه لم تسلم ناحية واحدة من نواحي الإسلام : عقيدة ومنهجاً ونظاماً وتطبيقاً وتاريخاً وأمة بل أرسلت عليها سهام حاكمة من هذه الدراسات المنظمة^{٩٧٧} .

٩٧٦- عبد الستار فتح الله سعيد ، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، الصفحات ١٧٥-٢٨٠ ، الرياض ،

عام ١٤٠٤ هـ . ق - ١٩٨٤ م .

٩٧٧- نفس المرجع ، ص ٢٢٩ .

كما أن الاستشراق حركة ولدت في هذا العصر الحديث ، وهي في ظاهرها حركة علمية يراد بها دراسة التراث الشرقي في معتقداته وآدابه ، ولكنها تبغي من وراء هذا التعرف على منابع هذا التراث ، محاولة صرف أهله عنه ليولوا وجوههم شطر الغرب ويتعلقوا بركاب حضارته^{٩٧٨}.

ومعظم المستشرقين قد غلبتهم العصبية على أن يقولوا كلمة الحق وأن ينطقوا بما في أيديهم من شواهد ، فقد كابروا ، ولجّوا في الضلال ، ورموا الإسلام بكل ما تحمل صدورهم من غل ، وما تنفث أقدامهم من سم .

حتى فضح ذلك عند من لا يعرفون الإسلام من قومهم حين رأوا سباباً وشتائم لا تتفق مع منهج العلم ، الذي من شأنه أن يعرض الحقائق ، ويترك للناس الحكم عليها ، دون أن يمزجها بمرارة الحقد ، ونفثات عداوته^{٩٧٩}.

كما ان الغزو الفكري الاستشراقي من أهدافه تتلخص فيما في :

في : تفتيت وحدة المسلمين وإضعافها .

في : التمهيد لاستعمار العالم الإسلامي .

في : استغلال الثروات والانتقام من المسلمين الذين قاموا في القرون الوسطى في وجه المسيحية .

وتجد في دراسات المستشرقين الأدبية والإسلامية تركيزاً حول أهدافهم لإيجاد التخاذل الروحي والشعور بالنقص في نفوس المسلمين ومن ثم حملهم على الخضوع للتوجيهات الغربية^{٩٨٠}.

وعلماء الاستشراق بشر مثلنا ، يتعصبون لدينهم وقومياتهم مثلما نتعصب لديننا وقوميتنا ، وما ينبغي أن نلومهم على هذا التعصب أو نغضب لعجزهم عن التجرد من أهوائهم .

وإنما نحن هنا بصدد قضية علمية وتاريخية ، تلزمننا بأن نكون على وعي بما لابس عمل أكثر المستشرقين من انحراف لم يكن منه بد ، بحكم ما استهدف الاستشراق في نشأته الأولى من خدمة الكنيسة .

٩٧٨- عبد الكريم يونس الخطيب ، الغزو الفكري : القسم الرابع ، الصفحات ٣٩١-٤٥٩ .

٩٧٩- نفس المرجع ، ص ٤٤١ .

٩٨٠- أحمد بشير ، القسم الخامس الصفحات ٤٥٩-٤٩٧ .

وليس عليهم بأس في أن يقولوا فينا ما يقولون ، متى كانت أقوالهم معبرة عن رأي لهم أو صدى لاستهوائهم بما راج في بيئاتهم من أقاويل عَنَّا ، لكن البأس كل البأس أن يحمل (البحث العلمي) وزر هذه الأهواء فتخرج بحوث لهم مشحونة بأباطيل يزعمون أنها مما هدى إليه استقراؤهم لتراثنا ، ويفرضون له حرمة علمية حين يسوقون وشواهد من نصوص في التراث انحرف بها الهوى والتعصب ، فضلوا ضلالاً بعيداً^{٩٨١}.

ولعل هذا النموذج لا يتكرر في محاولة الفهم العميق للاستشراق والاعتذار عنهم بأنهم يخدمون أهدافهم القومية والدينية فنعود إلى كتاب آخرين فنجد باحثاً آخر يرجع نشأة الاستشراق إلى الحروب الصليبية فيذكر أن من أخطر نتائجها الحرب العلمية والفكرية التي شنها المستشرقون على المسلمين وظهر عدد من تلامذتهم والمعجبين بأفكارهم من المسلمين ممن أخذوا يرددون آراءهم ويروجون لمفترياتهم^{٩٨٢}.

والاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث ، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتجرد ، وجمهرة المستشرقين مستأجرين لإهانة الإسلام وتشويهه محاسنه والافتراء عليه.

والأمريكيون منذ دخلوا ميدان التبشير والاستشراق زادوا القوى المناوئة للإسلام شراسة وإصراراً وأمدوها بسيل موصول من المال والرجال فهي لا تني تواصل هجومها العلمي والعملية ودعايتها الماهرة ، ونحن نعرف أن من حق غيرنا التمسك بدينه والدعوة إليه واستقبال الداخلين فيه .

إلا أننا نقيد هذا الحق بشرط واحد أن يكون بوسائل شرعية وصریحة . أما اختلاس عقائد الآخرين بالرغبة ، أو الرهبة ، واستباحة الغش والكذب والمكر والرشوة فذلك ما نقف له بالمرصاد^{٩٨٣}.

٩٨١- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) .تراثنا بين ماضٍ وحاضر ص ٥٣ ، القاهرة : دار المعارف ١٣٨٧/١٣٨٩هـ.ق الموافق ١٩٦٨/١٩٦٩م .

٩٨٢- محمد رشاد سالم، المدخل إلى الثقافة الإسلامية، ص٨، طبعة: دار القلم، ١٤٠٥هـ.ق - ١٩٨٤م ، الكويت.

٩٨٣- محمد الغزالي. دفاع عن العقيدة والشریعة ضد مطاعن المستشرقين ، ص٣-٥ ، القاهرة : نخضة مصر .

ويجب أن نتذكر بأن الاستشراق لم يكن هو الاتجاه الوحيد الذي حاول أن يدمر حضارات الأمم الشرقية فهناك مجال آخر تعاون تعاوناً شديداً مع الاستشراق لخدمة الأهداف الاستعمارية ، ألا وهو علم الإنسان الذي غدا ابناً آخر للإمبريالية^{٩٨٤}.

ولم يغفل الباحثون المسلمون نظرة الغربيين لهذا المجال المعرفي فذكروا أن الاستشراق علم له أصوله ومقوماته وخطته وأهدافه ، ولا ننكر ما قام به المشتغلون به من بحوث ودراسات في الميادين العلمية المختلفة وفي العلوم الإسلامية بخاصة كانت بحق لها دورها الإيجابي وقيمتها العلمية كما كان لها أيضاً دورها السلبي.

ولكن مع ذلك أن علم الاستشراق إنما هو حرب الكلمة التي شنها الغرب على الشرق الإسلامي منذ القرن الثامن عشر ، وما زال يستخدمها ضدنا حتى الآن ، وإن لبست أثواباً مختلفة على مر العصور تحت شعار الموضوعية والمنهجية كي يحقق أهدافه.

ونظرة الغربيين الى أنفسهم وذلك لأنه عندهم مادة علمية معترف بها عالمياً ويكاد يكون ممثلاً في كل جامعة من الجامعات الغربية مع وجود أعداد كبيرة من الكوادر التخصصية في الميادين الاستشراقية^{٩٨٥}.

ويعتبر من بين أساليب الغزو الفكري (الاستشراق) مغلفاً خطورته بشكل علمي واضعاً سمّه في عسل المنهج ، والجديد فيه ، غير أن خلق المسلم يقتضي أن نقرر أن استغلال الاستعمار للاستشراق ليس معناه أن الاستشراق كله جملة وتفصيلاً دار في هذا الفلك .

إذ لم نعدم من أدى به إنصافه إلى بيان الحقيقة ، ولئن كان هؤلاء قد نقلوا من حقيقة الحضارة الإسلامية أصالتها وأفادوا بها الغرب في نخسته فإن هذا قد اعترف به منصفون منهم وإن قلّوا^{٩٨٦}.

٩٨٤- آصف حسين ، المسار الفكري للاستشراق ، ترجمة مازن مطبقاني .

٩٨٥- محمد أحمد دياب ، أضواء على الاستراق والمستشرقين ، ص ٧ ، القاهرة و طبعة دار المنارة ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

٩٨٦- محمد عبد الفتاح عليان ، أضواء على الاستشراق ص ٥ ، القاهرة ، مصر ، طبعة دار البحوث العلمية ، عام ١٤٠٠هـ.ق - ١٩٨٠م .

وهو (الاستشراق) اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام بصفة خاصة .

كما يتناول من ناحية أهداف الاستشراق حيث أنه ينطلق من فكرة واحدة إنما هي فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي بقصد التمكين للحضارة الغربية المادية من السيطرة على الحضارة الإسلامية وإلغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية والاقتصادية وتشكيك المسلمين بدينهم ومحاولة إبعادهم وغيرهم عنه .

ومن أهداف المستشرقين الوقوف في وجه الشعوب التي لا تدين بالإسلام ليمنعوهم من الدخول في دين الحق الدين الإسلامي بما يعملون جاهدين في تشويه الإسلام وتغيير الصورة الحقيقية لهذا الدين الحنيف وإن إظهار الإسلام بصورة محرفة مستكرهة أمام الشعوب غير المسلمة بقصد صدهم عن سبيل الله وما نزل من الحق .

ولأن كانت الكتابات السابقة ركزت على الجوانب السلبية في الاستشراق ، ولكنها رأت أن الدراسات الاستشراقية التقليدية التي يرى البعض أنها بدأت بمدرسة اللغات الشرقية الحية التي أسست في باريس عام ١٧٩٥ م .

وترأسها في البداية المستشرق الفرنسي المشهور سلفستر دي ساسي ولم يعرفوا من الاستشراق أكثر من كتابات جولدزيهر وشاخت ومارجليوث ولامانس وغيرهم من كبار الباحثين الغربيين في الدراسات الإسلامية فإن ردة الفعل اتسمت في كثير من الأحيان بالحدة .

ولعل ذلك حق لهم من حيث العقيدة والهوية هما أهم ما يملك الإنسان فكيف يرضى أن يسكت على الطعن فيهما .

ومن ذلك أيقنت أن ما كتب ضد هؤلاء المستشرقين إنما هو حق ، ولا أحد يلومنا إذا عزمنا على مقاومة هؤلاء المستشرقين وأخرجناهم من مكانتهم وأزحنا الأغشية التي يلفونها على وجوههم ومنازلتهم منازلة الند للند في ميدان الجدل العلمي والمناظرة الموضوعية^{٩٨٧}.

ومن خلال دراسة كتابات العرب والمسلمين الذين درسوا في الغرب أو تأثروا بالمناهج الفكرية الغربية فإن الاستشراق وإن كان لا يمكن تصنيفه ضمن المذاهب الفكرية كالماسونية أو الوجودية أو الشيوعية ولكنه اتجاه فكري معين يعتمد على الأسس الفكرية الغربية والمسلمات الغربية .

فالغربي الذي مرّ بمرحلة " التنوير " الغربية التي دعت إلى الفصل بين الدين والحياة أو العلمانية بأوسع معانيها ، الغرب الذي حارب ما يسمى بالمقدس فأخذوا يناقشون كتبهم المقدسة ويخضعونها للتحليل والنقد .

كما أن هذا الغرب الذي ظهرت فيه التيارات الفكرية التي تسمى الحداثة وما بعد الحداثة وانعكست هذه الأفكار والتيارات على الدراسات العربية الإسلامية فإنه أقرب إلى أن يكون اتجاه فكري معاصر يصلح أن يدرس ضمن الاتجاهات الفكرية المعاصرة .

ومما يؤيد هذا الأمر أنه ظهر عدد من الكتاب في العالم العربي لا يرون في التاريخ الإسلامي إلا سلسلة من الدكتاتوريات الحاكمة وأن العالم الإسلامي لم يعرف الحكم العادل إلا في بعض الموارد التي تخدم مصالحهم ومع الاسف هذا واضح جداً فيما نقل ما هو مدون في التاريخ .

فهل هم أخذوا عن المستشرقين النظرة السلبية للتاريخ الإسلامي ، او هي موجودة بالفعل وقد اخذها الغرب من التاريخ الاسلامي ، ولو أنهم نظروا بعين اخرى ، لهذا التاريخ لرأوا أن الأمة الإسلامية بشرط غرض النظر الصفحات المظلمة في تاريخها شأنها شأن أي أمة عظيمة .

وإلا فكيف ظهرت هذه الإبداعات العلمية التي ما زلنا لم نكشف كل كنوزها ؟.

كيف استطاع المسلمون أن يبنوا حضارة سامقة وهم كما تصورهم الكتابات الاستشراقية أو المتأثرة بالروح الاستشراقية مجموعة من المواطنين الذين يخضعون لحكام جبابرة كالحجاج أو غيره .

٩٨٧- عدنان مُجَدِّدُ الوِزَان ، الاستراق والمسترقون : وجهة نظر ، ص ١٩٧ ، ص ٣٧ ، ص ٨ ، مكة المكرمة ، ربيع

الأول ١٤٠٤ هـ.ق - يناير ١٩٨٤ م .

٢ - دراسة الاستشراق حول المرأة :

ان مكانة المرأة في دراسة الاستشراق في العصر الحاضر ، فقد نبه إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع حيث أكد على أهمية الدعوة إلى الله ﷻ بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، كما في قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ ﴾^{٩٨٨}.

كما أكد على أهمية الدعوة إلى الله ﷻ وأوضح القرآن الكريم عقائد الأمم الأخرى ، وبخاصة أهل الكتاب فبين ما هم عليه من اعتقادات وسلوك ، كما بين معتقدات المشركين وسلوكهم وأخلاقهم ، وفي هذا إشارة قوية إلى أهمية معرفة الآخر حتى يستطيع أن يدعو المسلم إلى ربه على بصيرة ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾^{٩٨٩}.

وأدرك علماء المسلمين منذ القرون الأولى أهمية معرفة الأمم والشعوب الأخرى ليس فقط من النواحي العقدية ، ولكن أيضاً من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية وتعرفوا إلى الحضارات الأخرى وأخذوا منها ما ناسبهم وتركوا ما خالفهم^{٩٩٠}.

وأصبح من اللافت للانتباه أن دارسة الاستشراق لم تعد مقتصرة على علماء الشريعة والدراسات الإسلامية المختلفة كالفقه والحديث والتفسير واللغة العربية فقد انضم إلى هؤلاء في السنوات الماضية أساتذة في مجال اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع والاتصالات والعلوم السياسية .

ولعل أبرز من كتب حول الاستشراق من خارج التخصص في الدراسات الإسلامية إدوارد سعيد المتخصص في الأدب الإنجليزي المقارن ، وكتاب عدنان الوزان كذلك ، وهو متخصص في اللغة الإنجليزية ، كما كتب عن الاستشراق الدكتور أبو بكر باقادر وهو متخصص في علم الاجتماع ، أما في العلوم السياسية والإعلام فقد كتب الدكتور جمال الشليبي عدة بحوث تناول فيها الاستشراق المعاصر^{٩٩١}.

٩٨٨- النحل ١٢٥ .

٩٨٩- يوسف ١٠٨ .

٩٩٠- ظهر كتاب إدوارد سعيد المتخصص في الأدب الإنجليزي المقارن، حول الاستشراق فكان هذا إيذاناً بأن ثمة آخرون من خارج العلوم الشرعية يمكن أن يكتبوا في نقد الاستشراق والتعرف إليه عن قرب .

٩٩١- أنظر: جمال الشليبي، العرب وأوروبا: رؤية سياسية معاصرة، بيروت، طبعة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

وقد وجه النقد إلى الكتابات الإسلامية بأنها تنطلق من العداء للاستشراق ، كما في كتابات أنور الجندي أو بعض الكتابات الأزهرية أو غيرها ، كتلك التي أشرنا إليها في البداية .

وأفاض الكاتب فؤاد زكريا في نقد ما أسماه الاتجاه الديني في نقد الاستشراق ، حتى إنه أخذ على بعض الباحثين (الإسلاميين) أنهم لا يعرفون التوثيق العلمي في كتاباتهم أو أن أمانتهم العلمية ليست كما ينبغي . وقد يكون محقاً في بعض هذا النقد .

ولكن الحقيقة أن علماء الشريعة المسلمين من المفترض أنهم ينطلقون في نقدهم للاستشراق أو للغرب عموماً من قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ وَلَا يُجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾^{٩٩٢} .

وتلاحظ السيد محمد الشاهد تناول هذه القضية في بحث له حول نقد الاستشراق في الكتابات الإسلامية المعاصرة ، ولعله أضاف إن كثيراً من الكتابات التي تتناول الاستشراق لا تعرف من الاستشراق إلا بعض الكتابات القليلة للمستشرقين التي تمت ترجمتها إلى اللغات الإسلامية فتأتي كتاباتهم نقلاً عن بعضهم البعض .

تجد ما أكثر الكتابات التي انتقدت جولدزهر ومعظمها إن لم يكن كلها تنتقد ما ترجم لهذا المستشرق للغة العربية أما ما ترجم له إلى اللغة الإنجليزية أم ما كتبه في لغته الأصلية فإن هذه الكتابات لا تكاد تكون موجودة .

كما انتقد هؤلاء في عدم معرفتهم بجهود المستشرقين المعاصرين في التعريف بالإسلام ونقد النصرانية وضرب كثيراً من الأمثلة على ذلك من الاستشراق الألماني المعاصر ، وتلاحظ للدكتور قاسم السامرائي ملاحظات شبيهة بحكم احتكاكه بالاستشراق الهولندي ومعرفته بهم معرفة وثيقة .

ولعل الكتابات في العصر الحاضر تناولت العلاقة بين الإسلام والغرب أو العالم العربي والغرب وبخاصة في ضوء ازدياد قوة وسائل الإعلام وانتشار نفوذها حتى أصبحت كما ذكر الرئيس البوسني علي عزت بيجوفيتش في كتابه (الإسلام بين الشرق والغرب) أكثر خطورة من الدكتاتوريات السابقة لقدرته الطاغية على التأثير في الجماهير .

ولعل هذا ما يفسر لنا دخول علماء السياسية والاتصال لهذا المجال الحيوي ، ومثلاً غسان سلامة (المتخصص في العلوم السياسية) يرى أن انتشار مراكز البحث والمعاهد وأقسام الدراسات الشرق أوسطية والمكتبات إنما هي نوع من الامتداد الطبيعي والمنطقي لظاهرة الاستشراق وأطلق عليها مرحلة الاستشراق الجديدة^{٩٩٣}.

ولكن التساؤل الذي يطرح نفسه في أي مجال من مجالات المعرفة ينبغي أن ندرس الاستشراق؟.

وهل الاستشراق شيء واحد أو إنه متعدد ؟.

والحقيقة إن الاستشراق لم يعد شيئاً واحداً من ناحية الدراسة والتخصص فقد توزعت اهتمامات المستشرقين القدماء إلى عشرات التخصصات حيث أصبحت دراسة الإسلام والعالم الإسلامي تتم من خلال أقسام الاجتماع والجغرافيا والتاريخ وعلم الإنسان والأديان ومن خلال أقسام دراسات المناطق والدراسات الإقليمية وغيرها من الأقسام .

وبالرغم من تعدد الأقسام التي تدرس العالم الإسلامي وقضاياه لكن كثيراً من الجامعات تحافظ على وجود قسم دراسات الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط للتنسيق فيما بينها وكأنه الرابط الأخير بالدراسات الاستشراقية القديمة والتي يتم فيها دراسة كتابات المستشرقين التقليديين مثل بروكلمان وجولدزيهر وشاخت وبوزوورث وبرنارد لويس وغيرهم .

وفي هذه الأقسام يتم تسجيل رسائل الدراسات العليا كما يحدث في كل من جامعة برنستون وجامعة كولومبيا وجامعة كاليفورنيا في بيركلي وفي جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجلوس .

وشارك الاهتمام بالدراسات العربية والإسلامية مراكز البحوث والمعاهد المتخصصة في دراسة الشرق الأوسط ، وهذه وإن لم تكن أكاديمية في مناهجها ولكنها تستعين بالأكاديميين أو إن الأكاديميين هم الذين يقومون بالعمل فيها وإدارتها .

وإن كانت بعض المعاهد تستعين بالسياسيين أو الدبلوماسيين القدامى مثل معهد الشرق الأوسط بواشنطن العاصمة أو معهد دراسات الشرق الأدنى في واشنطن أيضاً .

٩٩٣ - غسان سلامة ، العرب والمسلمون في كتابين جديدين ، صفحة ٢٢٣ ، في مجلة الفكر العربي ، س ٢ العدد ١٤٤ ،

عام ١٩٨٠ م.

والسؤال هنا : كيف ندرس الاستشراق هل هو اتجاه فكري يتم دراسته من خلال أقسام كليات الشريعة واللغة العربية والعلوم الاجتماعية ؟ .

أو يمكن أن نفرّد دراسة الاستشراق من خلال كليات يمكن أن نطلق عليها كليات الدراسات الأوروبية والأمريكية ؟ .

ما دام الاستشراق قد انتقل من الوضع القديم إلى وضع أصبح فيه يتناول العالم الإسلامي من جميع الجوانب ويستخدم مناهج البحث الخاصة بالعلوم المختلفة كالعلوم الاجتماعية وعلوم الاتصال وعلوم اللغة وغيرها .

وما دام الباحث الغربي الذي ينطلق لدراسة العالم الإسلامي إنما هو ابن بيئته ولا يختلف تكوينه الفكري والمنهجي عن أي أكاديمي غربي في أي مجال من المجالات المختلفة .

ومن ذلك فإن المطلوب في مواجهة الهجمة الاستشراقية أن نعرف الغرب معرفة دقيقة في جميع جوانب الحياة فلا بد أن يتم دراسة الغرب في أقسام علم الاجتماع ، والتاريخ ، واللغة ، وعلم النفس والاتصال.

وفي حرب الخليج الثانية أصرت على أن تكون أخبار هذه الحرب صادرة عن غرفة عمليات تابعة للقوات الأمريكية أو قوات الحلفاء ، ولم تشر أي من الأوراق المقدمة لارتباط الحكومة الأمريكية بعقود تسليح مع عدد من كبريات الشركات الأمريكية التي تمتلك بعض كبريات وسائل الإعلام الأمريكية ، كما أشار مؤلفا كتاب (مصادر غير موثوقة)^{٩٩٤} .

ولتكن البداية في دراسة الاستشراق في العصر الحاضر أن ينطلق الباحث المسلم بمعرفة الإسلام معرفة حقيقية من مصادره الأصلية ، فيعرف كيف دَوّن القرآن الكريم ، وكيف دَوّن الحديث الشريف ، وما مصطلح الحديث كما عليه أن يعرف أساسيات الإسلام وثوابته الكبرى كما لا يمنع أن يعرف بعض التفاصيل في الفقه والحديث والتفسير واللغة فكيف يمكن لنا أن ننتقد الكتابات الغربية حول الإسلام والمسلمين ونحن لا نعرف إسلامنا معرفة أصيلة .

Martin A. Lee & Norman Solomon . Unreliable Sources: a Guide to Detecting Bias in News - ٩٩٤ Media. (New York: Carol Publishing Group, 1992).

أما الأمر الآخر فعلى أن نعرف اللغات الأوروبية معرفة تمكننا من قراءة ما كتبه الغربيون بلغاته الأصلية ، وذلك حتى نستطيع أن نفهم فهماً دقيقاً ما قالوه ، فلا نقع في التأويل والتفسير من دون أساس علمي صحيح .

وعلى أن نفهم المجتمعات الغربية ذلك أن الباحثين الغربيين في قضايا العالم الإسلامي إنما هم نتاج بيئتهم وإن كثيراً من القضايا التي ينتقدون فيها الإسلام إنما هم أولى بنقد أنفسهم فيها .

ولعل الدراسة الصحيحة للاستشراق أن لا تتوقف معرفتنا بما يدور في الأوساط العلمية في الغرب عن طريق قراءة بعض الإنتاج العلمي فلا بد أن يكون لنا وجود فاعل في المؤتمرات والندوات وأن نشارك في الإصدارات العلمية باللغات الأوروبية المختلفة .

فكم مادة تدرس في الجامعات الغربية باسم مدخل إلى الدين الإسلامي ، ويكون الكتاب المنهجي في هذه المادة كتبه مسلم باللغات الأوروبية ؟ .

من الصعب جداً تصنيف الاستشراق ضمن المذاهب الفكرية المعاصرة مثل الماسونية أو البهائية أو غيرها و بالرغم أن الموسوعات التي تصدر في العالم الإسلامي تصنفه ضمن هذا التصنيف ، كما أنها تصنفه ضمن وسائل الغزو الفكري .

ولا بد أن لهذا الرأي بعض الوجاهة ولكن الحقيقة أن الاستشراق يمكن أن يشكل تيار فكري في جميع مجالات الحياة في العقيدة واللغة والتاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد . حتى إن كثيراً من الذين يكتبون في العالم العربي لا يختلفون في منطلقاتهم عن الكتابات الغربية .

ولعل من هذه التأثيرات وسائل الإعلام العربية تطلق باستمرار على الحركات الإسلامية أو الإسلاميين مصطلح الأصوليين أو الأصولية الإسلامية أو المتشددون وكأن ، وسائل الإعلام العربية الإسلامية إنما هي مرآة تعكس ما تكتبه الصحف ووسائل الإعلام الغربية .

ويمكن أن نضيف إن ما قدمته السينما العربية لمحاربة الثوابت الإسلامية في الأسرة والأخلاق يتفوق بعشرات المرات ما قدمته وسائل الإعلام الغربية ، فإن الأفلام الأمريكية مثلاً وبخاصة التي لا تترجم ، قبل أن تظهر الشو تايم^{٩٥} ، التي تعتر بأنها تستطيع أن تنقل إلينا الفكرة والصورة معاً واستطاعت أن تتغلب على موضوع صعوبة قراءة الترجمة .

التي لا تعتبر شيئاً مذكوراً مقابل ما قدمته السينما العربية أو وسائل الإعلام العربية الإسلامية من تشويه حقيقة الإسلام ومسلماته ، ومن الموضوعات الأثيرة في وسائل الإعلام هذه موقف الإسلام من المرأة أو حقوقها ، وكذلك قضية الإسلام والسياسة والعلمنة .

فإننا بحاجة إلى أن نعرف الاستشراق القديم ، وكذلك الدراسات العربية والإسلامية والدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق الموجودة في الغرب في الوقت الحاضر ، ونحن بحاجة أكثر إلى أن نعرف الغرب معرفة وثيقة حتى نستطيع أن نحافظ على هويتنا في وجه التيارات الفكرية التي تستطيع وسائل الإعلام الغربية نشرها بما لديها من أجهزة قوية وإمكانات ضخمة .

لعلنا في المستقبل لا نتوقف جهودنا على حضور المؤتمرات والندوات التي تعقد للحديث عن العالم العربي والإسلامي وقضاياها ، بل نشارك معهم في مؤتمراتهم وندواتهم التي تخص المجتمعات الغربية فنقدم لهم الاقتراحات والحلول من خلال القرآن الكريم .

فنكون بذلك قد انتقلنا إلى مرحلة جديدة في نقل الإسلام من الوضع الدفاعي إلى الوضع الذي جاء من أجله الإسلام ، وهناك مقدمات يجب على القارئ أن يعيها في ولوجه للقرآن الكريم ، منها :

منها : يجب أن يحدد القارئ موقعه من الخطاب ، ما موقعي أنا ؟ ، هل جئت إلى القرآن الكريم طالب هداية ، أم طالب تعبد أم طالب معرفة حكم أم طالب معرفة سنن إلهية أم سنن اجتماعية أم تاريخ أقوام أم استنباط هداية أم ماذا ؟ .

هذا التحديد مهم جداً ، ولابد للقارئ أن يُحدّد موقعه من القرآن الكريم ، وهو يلج إلى رحابه ، ولا بد من أن يُحدّد موقع الخطاب منه ؛ ما علاقة القرآن به ؟ .

وهنا يُبين إيمانه واحترامه للقرآن ورؤيته له ، وألفته معه ، وعلاقته به ، وتصوّره له ، مع إيمان تام ويقين كامل بقدرة القرآن المجيد على تزويد القارئ - بكرمه- بما هو بحاجة إليه . فلا بد أن يحدّد القارئ هدفه من القراءة بدقة تامة ، وهو ما نسمّيه بالنية (إنّما الأعمال بالنيّات) ، والقراءة عمل ، فلا بد من بناء النية والتعرّض للتطهير الإلهي .

منها : تنزيل قراءتنا للقرآن على قلوبنا أمر في غاية الأهمية ؛ لكي نحصل على ثمره القراءة ، ولنجنّي فوائدها ، فالقراءة بالعينين وتحريك اللسان دون إشراك فعلي للقلب لا تؤدي ما تؤدّيه القراءة عندما ينزل القارئ قراءته على قلبه مباشرة ، وهذا النوع من القراءة يقتضي تيقّظ قوى الوعي الإنساني - كلّها- عند القراءة ، وتحتاج إلى تدريب على ذلك ، بحيث تفيض القراءة من القلب إلى الجوارح ، فيكون القلب هو المستقبل الأول لآيات الكتاب الكريم .

فالقرآن الكريم ليس كتاباً عادياً ينزل على السمع أو يوضع أمام العين لكي يقرأ الإنسان الطرف في كلماته ، أو يتصفح تصفحاً ، أو يستمع بقلب لاهٍ أو ساهٍ له ، بل لا بد أن ينزل على القلب قبل أن ينزل على اللسان أو ينزل على الأذن في حالة الاستماع ، كما في قوله تعالى :

﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾^{٩٩٦} .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾^{٩٩٧} .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾^{٩٩٨} .

٩٩٦- النحل ١٠٢ .

٩٩٧- البقرة ٩٧ .

٩٩٨- الشعراء ١٩٢-١٩٤ .

فالتنزيل على القلب ليس بالأمر السهل ؛ لأنه يحتاج إلى تدرب وتطهر، فليس كل كلام يمكن للإنسان أن ينزله على قلبه .

ومن ذلك هُي رسول الله ﷺ أن يحرك به لسانه : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾^{٩٩٩} ، وأمر - في الوقت نفسه - وبَّه إلى أن التنزيل إنما يتم على القلب .

فالقارئ للقرآن الكريم محتاج أن يُنزل القرآن على قلبه ، والتنزيل على القلب يستلزم أولاً تطهير القلب وتنقيته من كل ما قد يحول بين القرآن وبين النزول على قلب مُمهدٍ لِيَن ، إذا نزل عليه زاده إيماناً وزاده إخباراً وخشوعاً ، قلباً محبباً لا تعرف القسوة إليه سبيلاً ، والقرآن يزيد ذلك القلب ليئناً ، كما يلين له الجلد : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾^{١٠٠٠} .

وفي الوقت نفسه لا بد من تركية القلب وتطهيره وإعداده وتهيئته ، فكما تُمهد الأرض لإنزال طائفةٍ عليها مثلاً لا بد لك من تمهيد القلب لكي تنزل عليه آيات القرآن الكريم وتوجد بين القلب وبين الكتاب الكريم رابطةً وثيقة لتذكر مُنزله والمتكلم به ﷻ ، وتذكر متلقيه الأول ﷺ الذي تلقاه وحمله إلى البشرية .

منها : أن هذا القرآن كلمات الله ﷻ ، فيحتاج القارئ أن يدرك أن القرآن كلام الله ﷻ ، يقوم على الكلمة ، وأن الحضارة التي أقامها القرآن الكريم هي حضارة كلمة ، وهي مقابل حضارة الصورة والتمثال ، والكلمة يستحيل توثيقها ، وإن وثَّنها بعض الناس .

ولكن لا يعني هذا كذلك ، أن يتعامل معها تعاملًا عاديًا كأية كلمةٍ أخرى . فهذه الكلمة الموجودة في القرآن الكريم كلمة إلهية تقابل الكلمات الإلهية الموجودة في الكون التي بها تشيُّ الكون حينما قال الله تعالى :

﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾^{١٠٠١} .

٩٩٩ - القيامة ١٦- ١٧ .

١٠٠٠ - الزمر ٢٣ .

١٠٠١ - النحل ٤٠ .

وحضارة الكلمة غير حضارة الصورة أو المثال ؛ ولها (حضارة الكلمة) خصائصها ، وللعقل المنتمي لها سماتٌ وصفات لا بد للقارئ أن يكون على وعيٍ بها ليحسن التعامل مع تلك الكلمات، وكلمات القرآن الكريم ليست كأَيَّة كلمات عريضة ، وإنما هي كلمات على مستوى عالٍ يرتقي إلى مستوى المفاهيم ، وذلك للفرق الكبير بين الاستعمال الإلهي للغة والاستعمال البشري لها .

فالاستعمال البشري للغة قد لا يحمل من ثراء المعاني ما يحمله الاستعمال الإلهي الذي أحاط بكل شيء علمًا ، والذي فصل هذا الكتاب على علمه وعقله ، فالكلمة القرآنية إذاً كلمة ترتقي لمستوى المفهوم ، وعلى القارئ أن يدرك الفرق بين الاستعمال الإلهي للكلمة والاستعمال البشري لها .

وبالتالي فالقرآن الكريم هو أَوَّلُ المصادر بتعريف كلمات القرآن الكريم نفسه ، فالقرآن يجعل من الكلمة الواحدة غرفةً في بناء أو لبنةً في بناء تعطي فائدتها منفردة ومستقلة، وفي الوقت نفسه تعطي جملةً من الفوائد وهي في داخل البناء .

فَوَعِيَّ القارئ بهذا الأمر وعيً له أهميته ، وتظهر أهميته في عملية الفهم وفي التعامل مع مفردات القرآن الكريم بوصفها « مفاهيم » ، ومع القرآن الكريم في « وحدته البنائية » وفي « كليّاته » و«مقاصده» ، و«غاياته»، أمّا الصورة فلها تناولٌ آخر ، ولها طرائق مختلفة في النظر إليها ، والتكوين العقلي للمنتمي لحضارة الصورة والتوجُّه النفسي مختلفٌ تمامًا عن توجُّه المنتمي لحضارة الكلمة.

منها : اختلاف « لسان القرآن » جملةً عن أيّ لسان آخر بما فيه اللسان العربي ، وتمتّع هذا اللسان - لسان القرآن - بمزايا مختلفة ، فلسان القرآن الكريم من الصعب جدًّا إخضاعه لأحكام الألسنيّات ، خاصةً المعاصرة التي تنطلق من عمليّات دراسة النصوص وتفكيكها وإعادةّها إلى كلمات مفكّكة لتيسير تحليلها ؟! .

وعدم ملاحظة سائر الجوانب التي أشرنا إليها من مزايا كلمات القرآن الكريم ونظمه وأسلوبه وتحديده وإعجازه ، وأثر الاستعمال الإلهي للغة ، والفرق بينه وبين الاستعمال البشري لهذه الألسنيّات ، يصعب أن ترتقي إلى هذا المستوى ، ويصعب أن تتعامل مع النص القرآني التعامل اللائق به ، والقادر على العروج إلى علياء الألسنيّات القديمة .

وقد قام البلاغيون المسلمون ؛ مثل عبد القاهر الجرجاني في « دلائل الإعجاز » ، والزمخشري في « أساس البلاغة » ، وابن جني في « الخصائص » ، وسيبويه في « الكتاب » والخليل في « العين » بدراسات لغوية ، وجدت وولدت في البيئة المسلمة ، وتأثير قرآني .

فقد كان من الممكن لو أنَّ المسلمين جاوزوا تحلُّفهم الذي هم فيه ، أن يبنوا على تلك الدراسات ليكون لديهم علم ألسنيَّات ملائم للتعامل مع القرآن الكريم بمزاياه وبخصائصه كلها ، وأن يضيفوا على هذه الألسنيَّات وعلومها ومناهجها معارف ومناهج أخرى يمكن أن تجعل اللسانيَّات الإسلاميَّة والعربيَّة لسانيَّات متميِّزة صالحة لخدمة الخطاب القرآنيِّ ولحمايته من تطفل الذين لا يعرفون عنه الكثير ، ولا يستطيعون أن يتدوَّقوه ، ولا يستطيعون أن يلموا بكثير من الأبعاد الأساسيَّة لقراءته .

القرآن الكريم نفسه قد هدى الناس إلى مناهج قراءته ، فكأنَّه قد أخذ بأيديهم ، وقال لهم إنَّ شئتم أن تقرؤوني فاقرووني بهذه المناهج أو بهذه الطرق ، فهو قد أوضح الفروق بين تدبُّره في حالة الاستماع وتدبُّره في حالة القراءة كما في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^{١٠٢}.

فالقارئ نفسه مطلوب منه أن يقرأ بكل الشروط والمواصفات التي تقدَّمت الإشارة إليها، والمستمع بحاجة إلى أن يُنصت إلى هذا القرآن بجوارحه كلّها .

وفي الجانب السليبي نجد أنَّ المشركين لمعرفتهم بذلك التأثير سارعوا إلى أن قالوا : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾^{١٠٣}.

فقد دعوا إلى عدم السماع أصلاً منذ البداية ؛ لأنَّهم يعرفون من قوة الخطاب وصدق تأثيره وتنوُّع مصادر قوته الشيء الكثير عن تأثيره فيمن يقرؤه أو يسمعه .

١٠٠٢ - الاعراف ٢٠٤ .

١٠٠٣ - فصلت ٢٦ .

ومن ذلك فلم يكونوا يستطيعون أن يعطوا أحدًا فرصةً للاستماع إليه ، وفي الوقت نفسه يقول الباري : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾^{١٠٠٤}.

إنَّ القرآن الكريم بدأ أول ما بدأ بأمر بالقراءة نزلت به : ﴿ اقْرَأْ ﴾ ، لكي يرشد الناس إلى ضرورة قراءته ويبيِّن أنه قد يسره الله ﷻ للقارئ فقال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴾^{١٠٠٥}.

وبيَّن لنا أنَّ هناك آثارًا سلبيةً وأخرى إيجابيةً لهذا الخطاب : ﴿ وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾^{١٠٠٦} ، ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^{١٠٠٧} ، وهذا يجعلك تؤمن بهذا القرآن ويدرك عظمة وجلالة قدره .

منها : معرفة أسماء القرآن الكريم بمعانيها ، ومعرفة صفاته بدلالاتها ، وللقرآن الكريم ما يزيد عن أربعة وثلاثين اسمًا ، وله مجموعة من الصفات ، أحصاها أو أحصى الاعلام . ومن شأنها أن تزيد في فهم القارئ وفي وعيه بأهمية القرآن وإدراك عظمته . وبالتالي تهيئة النفس والعقل والقلب والوجدان لاستقبال مُحْكَم آياته قراءةً أو استماعًا .

والله ﷻ ما أنزل القرآن منجِّمًا وما فرَّقه وقراه على الناس على مكث إلا من أجل تثبيت القلوب والعقول به ، فقال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾^{١٠٠٨} ، وقال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾^{١٠٠٩} .

١٠٠٤ - التوبة ٦ .

١٠٠٥ - القمر ١٧ .

١٠٠٦ - الانفال ٢ .

١٠٠٧ - الرعد ٢٨ .

١٠٠٨ - الاسراء ١٠٦ .

١٠٠٩ - الفرقان ٣٢ .

وسمى رسول الله ﷺ بعض القراءات بقراءة «الهدرمة» ، وسمى القرآن الكريم بعض القراءات بقراءة «العضين» :

﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾^{١١٠} ، أي قرؤوه باعتباره أعضاء مجزأة مقطعة مفرقة عن بعضها ، فكل هذه الأمور حينما نضمها إلى بعضها سوف نخرج بمنهج دقيق لقراءة القرآن رسمه القرآن نفسه ليهدينا به إلى المنهج الذي علينا أن نتبعه في قراءته وتلاوته وفي الاستماع إليه .

ولا بد من العودة إلى القرآن الكريم ، فهو كتاب الاستخلاف وكتاب التوحيد والعمران والتزكية والأمة والدعوة ، وهو الذي يعطي كل ذي حق حقه فيما يتعلق بالله ﷻ من توحيد وسواه وقآه حقه وزاد، وهو منبع لأصح ألوان الاعتقاد وأنواعه ومراتبه .

وهو أصح المصادر فيما يتعلق ببيان الحقوق والواجبات وما إلى ذلك ، وهو - قبل وبعد- الكتاب الذي :

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^{١١١} .

وهو الكتاب الذي فصله الله تعالى على علم، الذي لا يضيق بشيء، بل أحاط بكل شيء علماً.

١٠١٠- الحجر ٩١ .

١٠١١- فصلت ٤٢ .

وَمَنْ رُزِقَ مداخل التدبُّر^{١٠١٢} ومداخل الولوج إلى رحاب القرآن المجيد يجد نفسه قادرًا على الوصول إلى ما لا يمكن أن توصَّله إليه المعارف الأخرى ، ومنها المعارف التي سُمِّيت المعارف أو العلوم الشرعيَّة ، كما أنَّهم مكلفون بمعالجة اختلافاتهم ، وردَّ خصوماتهم إليه ، والرضا بحكمه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^{١٠١٣}.

ولم يعلِّل إعراضهم بعدم فهم الخطاب ، بل علَّل بعلة أخرى خاصَّة بهم قوله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾^{١٠١٤} ، فالإعراض وعدم الفقه يأتي من انعدام استعدادات المخاطبين .

١٠١٢- وتجد من مداخل القرآن الكريم كما يلي :

١. مدخل تفسير القرآن بالقرآن .
٢. مدخل تفسير القرآن بالسنة النبويَّة المطهرة وبالسيرة والهدي النبوي .
٣. مدخل الغيب والشهادة .
٤. مدخل عمود السورة .
٥. مدخل الجمع بين القراءتين .
٦. مدخل العقيدة والشرعية، والحلال والحرام .
٧. مدخل الوحدة البنائيَّة .
٨. مدخل القراءة بالقلم وبالخلق .
٩. مدخل الأزمان وطلب الحلول .
١٠. مدخل النبؤات وقصص الأنبياء وبناء الأمم .
١١. مدخل السنن الكونيَّة والاجتماعيَّة .
١٢. مدخل الأخلاق والسلوك، وآثارها في حياة الأفراد والأمم .
١٣. مدخل الاستخلاف .
١٤. مدخل القيم والمقاصد؛ التوحيد والتزكيَّة والعمران والأُمَّة والدعوة .
١٥. مدخل البحث في الأمثال والقصص .
١٦. مدخل الإصلاح والصالح والفساد .
١٧. مدخل تصنيف البشر وفقًا لمواقفهم من قضیَّة الإيمان والكفر .
١٨. مدخل العلاقات بين الإنسان والطبيعة والحياة .

١٠١٣- آل عمران ٢٣ .

١٠١٤- آل عمران ٢٤ .

سادساً : نظرة المرأة للسلام العالمي

إن قضية السلام العالمي أصبحت اليوم في عالمنا المعاصر من أهم القضايا التي تهم البشرية كلها ، وتلاحظ انه من خلال السلام العالمي ، وتوازن القوى ، وتحقيق العدل ، والالتزام بمبادئ العدالة يتوقف مستقبل البشرية ، فإن أسلحة الدمار الشامل التي أعدتها القوى العالمية الكبرى تكفي لتدمير الكرة الأرضية عدة مرات .

ويزداد الوضع خطورة عندما نرى بعض المسؤولين وكبار رجال الثقافة والمعرفة في الدول الكبرى يهددون الأمم والحضارات ، ويتنبؤون بصدام عالمي بين الحضارات ، صدام إذا حدث - لا قدر الله - فسوف يؤدي إلى القضاء على كثير مما حازت عليه البشرية من تقدم ورخاء وعلوم ومعارف .

ويبدو كأن مصدر هذه الأفكار المبنية على أسوأ نوع من التشاؤم ومنشأها هو التخوف من الإسلام ، الذي رفع لواءه بعض المغرضين في العالم الغربي الذين يريدون أن تكون سياسات البلاد الكبرى في الغرب على حسب شهواتهم وأغراضهم .

وتحاول هذه الأقلية المغرضة أن تلقي العالم كله في الذل والهوان ، والهلاك والدمار . ولا يمكن إنقاذ البشرية من هذا المصير إلا عن طريق الحوار السلمي المستمر بين الحضارات وأتباع الديانات ، كما لا يمكن معالجة كثير من المشكلات والقضايا التي تواجهها الإنسانية بأسرها إلا عن طريق حوار يتمتع بالحرية والمساواة بين المتحاورين .

فيعتبر الحوار هو السبيل الوحيد للتعاون بين الحضارات ، والتعايش الاجتماعي والاقتصادي ، والمساهمة في السلام العالمي والاسهام في حل الإشكاليات العالمية^{١١٥}.

ومن أهم هذه الإشكالات تحديد قيم إنسانية مشتركة ؛ في عالم تسود فيه روح رفض القيم ، وقامت فيه دعوات تنادي إلى اللاقيمية وإلى نسبية المثل الأخلاقي التي لا تؤدي إلا إلى التخلي عن كل القيم والمثل في نهاية المطاف .

١٠١٥ - أنظر : أهمية الحوار بين الحضارات في تحقيق السلام العالمي ، الدكتور محمود أحمد غازي ، ط: رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرمة عام ١٤٢٩ هـ.ق - ٢٠٠٨ م .

والحقيقة أن العوامل التي تفكك أواصر الأسرة من خلال المرأة ، وظاهرة الإرهاب العالمي ، وانتشار المخدرات كلها من عواقب التنازل عن مبادئ الأخلاق والإصرار على نسبية الأخلاق .

وها تتجلى أهمية الحوار فيما بين الحضارات الكبرى التي تمثل الحصيلة المشتركة للبشرية في مجالات المعرفة والثقافة وإنجازات العلوم والتقنية . وقبل الكلام ينبغي أن نشير إلى أن كلمة الحضارة تطلق على معانٍ متعددة مختلفة في سياقات مختلفة .

ونقصد بالحضارة في سياق هذا الحديث الحصيلة الشاملة للمدنية والثقافة والفكر ومظاهر الحياة في جميع أنماطها المادية والمعنوية .

فيدخل فيها الرقي العلمي والتقدم الفني والتطور الأدبي والنهضة الاقتصادية والسلوك الاجتماعي والرفاهية المادية التي تحققها وتحصل عليها أمة من الأمم ، وينطبق هذا التعريف العام على جميع الحضارات القديمة والمعاصرة بما فيها الحضارات المبنية على الديانات السماوية والحضارات المبنية على النظريات المادية .

ولكن لا تتأتى هذه المظاهر المادية لحضارة من الحضارات وثقافة من الثقافات ومدنية من المدنيات إلا إذا كانت وراءها مجموعة من العقائد والنظريات التي تحدد وجهة الحضارة المنبثقة منها ، وتوفر لها حيويتها ، وتضمن لمظاهرها وأجزائها وحدة متكاملة .

ولا يمكن لأية حضارة أو مدنية أن تتخلى عن هذه العقائد والنظريات التي تسري في جسدها المادي كالروح والدم في جسد الكائن الحي ، ولا تتخلى أمة ذات حضارة وثقافة من روح حضارتها وحياة ثقافتها المتمثلة في عقيدتها المتجسدة في نظريتها نحو الكون .

فالعالم الرئيسية لكل حضارة هي التي تمثل الصلة بين العقائد والنظريات وبين المظاهر الحضارية لأمة من الأمم ، فكأن هذه المعالم هي الأعمدة للبناء الحضاري .

والتي تقف على قواعد الدين والعقيدة، ومنها تستمد قوتها ، ومنها تستلم حيويتها ، ومنها تستوحي ديمومتها وبقائها ، والمعالم الحضارية هي التي تميز الحضارات بعضها من بعض وهي التي تتمثل فيها هويتها وشخصيتها .

فالعقيدة الإسلامية وتعاليم الدين الحنيف وقواعد الشريعة الإسلامية كما وردت في القرآن الكريم الذي تواطأت عليه الأمة الإسلامية بجميع مذاهبها وطوائفها والتي تعاقبت عليها الأجيال المسلمة والتي تعامل بها المسلمون في كل العصور والدهور هي قواعد الحضارة الإسلامية وأسسها .

التي تبني عليها حضارة الإسلام ، وهي المعالم الرئيسية لهذه الحضارة التي لا تتخلى عنها الأمة المسلمة في حال من الأحوال ومزايا هذه النظرية والمعلم الحضارية هي العالمية والروحانية والأخلاقية والإنسانية والشمول .

وكذلك الحضارة الغربية المعاصرة لها قواعد وأسس تستند إلى الخلفية الإغريقية التي تستمد منها مجموعة من نظرياتها وعقائدها ، وإلى خلفيتها الرومانية التي تستلهم منها عددا من آرائها القانونية واتجاهاتها الفكرية ، ومن ثم إلى عقائدها المسيحية وميولها المادية .

كل أولئك تمثل قواعد الحضارة الغربية وأسسها التي تقوم عليها معالمها ، وهذه المعالم تختلف عن معالم الحضارة الإسلامية في عدة أمور ، وتجتمع معها في أمور أخرى فمن أهم معالمها نظرية العلمانية التي يعتبرها الغرب من أحب قواعد حضارته وأهم معالمها وأثمن ثرواتها .

وكذلك نجد في الحضارات الأخرى قواعد ومعالم لا تتنازل عنها الأمم ، بل تدافع عنها بكل ما لديها من الوسائل والطاقت ، وبالدفاع عنها تبقى الحضارات ، وبالإصرار عليها تزدهر ، وفي بقائها بقاء الحضارات ، وباضمحلالها تضمحل الحضارات .

فالحضارات لا تتصارع بطبيعتها ، بل تتحاور وتبادل الآراء ، والأفكار ، ويتعلم بعضها من بعض ، فما من حضارة إلا وقد تعلمت من الحضارات الأخرى التي سبقتها أو التي عاصرتها ، كما يدل على ذلك تاريخ الحضارات والأمم .

وكانت الحضارة الإسلامية في مقدمة الحضارات التي لم تتعصب في الإفادة من غيرها ، وأخذ كل ما يفيد البشرية في حياتها الفردية والاجتماعية ، من دون أن يمس ذلك العنصر المستفاد عقيدتها وأسس دينها ومعالم حضارتها ومظاهر ثقافتها .

فلم يتردد علماء الإسلام في تعلم المنطق وقواعد الفكر المنطقي من أئمة اليونان ولم يستنكفوا أن يتعلموا علوم الرياضة من الهنود وعلم الطب وغيرها من العلوم المفيدة ، ولم ييخل علماء الإسلام في تعليم ما لديهم من العلوم والمعارف لأبناء الأمم شرقا وغربا .

ولم تزدهر حضارة في تاريخ البشر إلا من خلال الأخذ من غيرها من الحضارات والتفتح والانفتاح على كل معرفة حقيقية واكتشاف علمي ولم تمت حضارة ولم تدبل ثقافة إلا عندما أغلقت أبوابها على الآراء الجديدة والأفكار البناءة .

ولم تزدهر الحضارة الغربية المعاصرة إلا بعد أن تعلمت الكثير والكثير من الحضارة الإسلامية، وذلك من روافد كثيرة ومتنوعة ، منها التواجد الإسلامي الطويل في جنوب أوروبا وشرقها والاستفادة الطويلة من المعارف الإسلامية في مراكز الغرب العلمية في مجالات الطب والعلوم التجريبية والفلسفة وحتى في مجال الفكر الديني فقد أثبت عديد من الباحثين المنصفين تأثير الحضارة الإسلامية العميقة في عديد من المجالات الفكرية والثقافية والحضارية للغرب .

كانت العلاقات بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى في الماضي علاقات حوار والأخذ والعطاء وعلى الرغم من كثير من الحروب التي بدأ بها الصليبيون كانت صلات المسلمين مع اليهود والنصارى في بلاد الإسلام صلات المواطنة بالأمن والسلام .

وكان طلبة العلم يردون مراكز المعرفة في العواصم الإسلامية من كل بلاد الغرب والشرق ، وكان هذا الحوار الحضاري الطويل حواراً مثمراً للغاية فتمكن من الحفاظ على رصيد كبير من المعارف القديمة كما يعترف به المؤرخون في الشرق والغرب .

كما أدى إلى تأثير الحضارة الإسلامية في الحضارات الشرقية والغربية ، فتأثرت الحضارة الهندوسية - على الرغم من عدائها - بتعاليم الإسلام ومظاهر الحضارة الإسلامية .

ولم ينحصر هذا الأخذ والعطاء بين الحضارة الإسلامية وبين هذه الحضارات الكبيرة بل لم يتردد المسلمون في أخذ كل عادة سليمة وأسلوب مفيد ومعرفة مبنية على الحكمة من جميع الحضارات والثقافات التي تم احتكاكهم بها .

فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ، ولم يتردد علماء المسلمين في تعليم أبناء البشر كل ما كان لديهم من العلوم والمعارف والفنون والآداب والصنائع والخبرات والتجارب بدون أي تعصب عرقي أو جغرافي .

كل ذلك يدل على أن الحوار العلمي والثقافي والأخذ والعطاء في باب الحكمة والمعرفة من مزايا الحضارة الإسلامية ويبدو كأن عصر الاستعمار الطويل والهيمنة الغربية ، كانت سببا لوضع العوائق في استمرار هذا الحوار الحضاري الذي لا بد من إحياء روحه والرجوع إليه من جديد .

١ - الحوارات الداخلية :

قبل أن ندخل في الحوار الحضاري مع الحضارات الأخرى ينبغي أن نبدأ سلسلة من الحوارات الداخلية بين الاتجاهات المختلفة في العالم الإسلامي سواء مثلت هذه الاتجاهات وجهة نظر الطوائف والمذاهب الإسلامية المعتدلة أو آراء المذاهب المنحرفة والاتجاهات الهامشية .

وذلك لأن إغلاق الشبايك وسد الأبواب والنوافذ في وجوه هذه الاتجاهات لم تعد مجدية كما كانت مجدية في السابق ، كما أن معالجة هذه الاتجاهات التي تمثل الآراء الهامشية والطوائف الأقلية معالجة كافية مفيدة مثمرة لا يمكن بالأساليب التقليدية فكانت فتاوى العلماء في السابق أسلوبا من الأساليب المؤثرة في معالجة الاتجاهات المنحرفة .

ولكن العصر الحاضر فتح أبواب الإعلام وتناقل الآراء بطريقة تمكن بها كل من أراد أن ينشر آراءه من نشرها من أقصى الأرض إلى أقصاها بين عشية وضحاها ولا تصل فتاوى العلماء إلى معشار ما تصل إليه هذه الآراء الشاذة والمشوهة ، ثم إن لغة الفتوى وأسلوبها لا يؤثران في كثير من الأحوال في إقناع الأجيال المثقفة بالثقافة العصرية ، ويبدو كأن دور الفتوى في توجيه الناس وترشيد الشعوب وتثقيف الشباب يتقلص يوماً فيوماً .

وهذه الدعوات والنداءات التي ظهرت من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية المختلفة لإعادة النظر في النصوص الدينية بما فيها النص القرآني وإعادة تعبيرها وتفسيرها كنص تاريخي إنساني ليست ببعيدة فعلى الرغم من ضعفها علمياً وضآلتها محتوى وتفاهتها دليلاً انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي وترددها الصحافة والإعلام ويناقشها الشباب والسيدات من النساء ، وتتناقلها الأقلام ولم يعبأ كثير من الناس بالفتاوى التي صدرت بشأنها من المرجعيات الدينية المعنية .

وهذا كله يدعو إلى أن ندرس إمكانية اتخاذ تدابير أخرى لكي نضيفها إلى التدابير والوسائل الموجودة ويبدو كأن الحوار من هذه الوسائل الممكنة التي يمكن أن يستخدمها أصحاب الخطاب الإسلامي المتزن الذين يمثلون جماهير الأمة الإسلامية من المذاهب الفقهية المعروفة مع أصحاب الخطاب الليبرالي الذي يعتني به الغرب اعتناء بالغاً ويحاول أصحاب القرار والنفوذ في العواصم الغربية أن يتضامنوا مع ممثلي الخطاب الليبرالي في العالم الإسلامي ويوفروا لهم كل دعمهم وتأييدهم كما تدل عليه التقارير الصادرة من بعض الجهات الهامة .

ولابد كذلك من أن تبدأ القيادات الإسلامية حكومات وجماعات ومرجعيات إسلامية ومؤسسات علمية حواراً مع أصحاب الخطاب اليساري والخطاب (الأصولي) والخطاب الطائفي الذي يستغله أعداء الإسلام لتكثيف الخلافات فيما بين أبناء الأمة ، ولتوسيع فجوة النزاعات بين الاتجاهات الموجودة داخل دار الإسلام .

ولا ريب في أن وجود هذه الاتجاهات في كثير من البلاد الإسلامية حقيقة واقعية لا يمكن تجاهلها والتغافل عنها ولاشك أيضاً أن وجود هذه الاتجاهات المتنازعة فيما بينها يمثل ثغرة يمكن استغلالها من قبل أعداء الإسلام خاصة إذا تجاهلت القيادات الإسلامية وجودها وإمكانية استغلالها وكانت لازالت النزاعات العقائدية والطائفية والعنصرية القائمة بين هذه الاتجاهات والطوائف من أهم أسباب الإخلال بالاستقرار الداخلي في كثير من البلاد الإسلامية .

والواضح أن الاختلال في الاستقرار الداخلي يؤدي إلى عدم الاستقرار في المجتمع والمنطقة وعدم الاستقرار في مجتمع أو أي دولة أو منطقة يؤدي إلى اختلال أنظمة الأمن والقضاء في البلاد .

والاختلال في أنظمة الأمن والقضاء يؤدي إلى حالة الفوضى التي تزداد فيها محاولات المغرضين وأصحاب الشهوات للنيل من أعراض الناس وأموالهم ودمائهم ، وهذا كله يؤدي إلى إخلال بالأمن داخلياً والسلام عالمياً .

فالحوار المتواصل الدائم داخل العالم الإسلامي وبين الأمة الإسلامية من أهم ما تحتاج إليه الأمة الإسلامية ثم هذا الحوار الداخلي والبيني بالإضافة إلى تقليل أسباب النزاع وتخفيف التوتر بين طوائف الأمة يكون نوعاً من النقد الذاتي الذي لا بد منه في هذه الآونة الأخيرة .

٢ - صراع الحضارة :

إن الحديث عن الصراعات الحضارية أصبح الشغل الشاغل ، وحديث النوادي والمحافل بعد ظهور المقالات التي كتبها المفكر الأمريكي صمويل هنتنجتون ، وكان قد نشر مقالة في المجلة الأمريكية المعروفة وهي الشؤون الخارجية^{١٠١٦}.

ثم أتبعها بكتاب مفصل شرح فيه نظريته عن صراع الحضارات ، وأندر العالم الغربي من ما يتوقعه (أو يريده) من صراع كبير يؤدي إلى حرب كبرى بين الحضارة الغربية التي يمثلها العالم الغربي وتترعهما الولايات المتحدة من جهة .

ومن جهة أخرى بين مجموعة من الحضارات الشرقية التي يظن المؤلف اليهودي الأمريكي أنها سوف تتحالف ضد سيطرة الحضارة الغربية ، وسوف تكون عليها يدا واحدة ، وهذا التحالف المزعوم في ظنه سوف يضم الحضارة الإسلامية التي تمثلها الدول الإسلامية التي تمتلك وسائل النفط أو التي تمتلك قوى عسكرية كبيرة ، كما يضم الحضارة البوذية التي تمتاز بكثرة عدد أتباعها .

ويرى المؤلف الأمريكي أن الحضارة البوذية تمثلها الصين الشعبية بكل وسائلها الهائلة ، ويدعو العالم الغربي الى الاستعداد لهذا الصراع المخلق على رؤوسهم والمحقق بهم قبل إن يفوتهم الأوان ليضمن العالم الغربي بقاء سيطرته على العالم كله سياسيا وعسكريا والحفاظ على هيمنته على الكرة الأرضية اقتصاديا وماديا ويقترح للعالم الغربي خطوات متعددة يجب الأخذ بها لتحقيق هذا الهدف .

على الرغم من أن الهدف الحقيقي الذي يحاول المؤلف تحقيقه هو إعداد العالم الغربي لهذه المحاربة المتوقعة إعدادا نفسيا ، ولكنه يحاول أن يبرر هذه المحاولة بفكرة جديدة في تاريخ الحضارات والتطور الحضاري للبشرية في المرحلة المعاصرة ، ومع انه يدعو إلى تشكيل نظام عالمي يبتني على تعدد الحضارات وتعدد الثقافات .

ولكن يبدو كأنه لا يريد أن يسمح للحضارة الإسلامية أن تلعب دور قيادي ريادي في العطاء الحضاري للبشرية والمستقبل الذي يراه ، وهو في ظنه مستقبل تسود فيه الثقافة الغربية ، وتسيطر فيه الحضارة الغربية ، وتكون الهيمنة فيه للأنظمة الاقتصادية الغربية ، وتكون الكلمة المسموعة فيه للولايات المتحدة والغرب .

هذه هي الفكرة الخطيرة التي دعت أصحاب العلم والفكر في العالم أن يدرسوها دراسة علمية نقدية ويبدوا آراءهم فيما تحتوي عليها من مضامين خطيرة وما يترتب عليه من نتائج بعيدة المدى لمستقبل العالم بصفة عامة ومستقبل العالم الإسلامي بصفة خاصة .

لان الغرض كما يبدو من وراء ترويج هذه الفكرة هو سد الطريق في وجه الدعوة الإسلامية التي تنتشر بسرعة فائقة في العالم الغربي والشرقي ، وبدأت الجاليات الإسلامية ذوات العدد والنفوذ في بلاد الشرق والغرب تظهر وتثبت وجودها في مجالات الحياة المختلفة .

وقد ثبت عند كثير من أهل الفكر والخبرة في العالم الغربي أن سد الطريق في وجه المد الإسلامي المتزايد لم يعد بإمكان الغرب بالطرق السلمية البحتة ، ولابد لذلك من سياسة عنيفة ، ومن اتخاذ خطوات غير تقليدية .

ويدل على هذه الفكرة ما جاء في كتابات الزعماء الذين صرحوا بضرورة اتخاذ خطوات غير تقليدية لسد الطريق في وجه المد الإسلامي وضمان الهيمنة الحضارية والاقتصادية للعالم الغربي وكل هذه الكتابات المطبوعة والمقالات المنشورة والآراء المعبرة في مناسبات مختلفة إن دلت على شيء ؛ فإنما يدل على أن هناك اتجاهاً قوياً في العالم الغربي للدخول في مرحلة خطيرة من مراحل الصدام العسكري بين القوى الغربية التي تنزعها الولايات المتحدة وبين غيرها من القوى .

ويبدو أن مصطلح صراع الحضارات ستار وضع على الوجه الحقيقي لهذا الصدام العنيف الذي يهدف إلى السيطرة الكاملة على الوسائل العالمية والقضاء على كل قوة صغيرة وكبيرة تستطيع أن تناهض وتحدي الهيمنة الغربية وليست محاولات السيطرة على البلدان والمشاكل القائمة فيها ، إلا مظاهر لهذه السياسة الجديدة وخطوات في سبيل تطبيقها وتنفيذها ، وليست فكرة العولمة ومؤسستها وآلياتها إلا ساحة من ساحات هذا الصدام الاقتصادي والصراع الحضاري .

٣ - دور العولمة في الصراع :

ولا يسعنا هنا إلا أن نذكر أن العولمة طبعة جديدة لفلسفة الحكومة العالمية التي حاولوا من أجلها منذ أمد بعيد ، وذلك لان مقاليد الأمور في النظام العولمي الذي يحاولون إقامته وتشكيله تكون بأيدي الرأسماليين القلائل الذين يديرون السوق العالمية .

ويهدفون بذلك إجحاف مؤسسة الدولة بأسرها في وجه سلطته المطلقة وفي نهاية المطاف تسيطر هذه المجموعة من أصحاب الشركات العالمية على الدول الوطنية والتي لن تجد بدا من أن تخضع لحركة السوق ومصالحها فحكومة العولمة لا تكون إلا عبارة عن حكومة رجال الأعمال والمال . ودستور العولمة لن يختلف عن قانون الأقوى الذي تعاني منه البشرية منذ بدايتها .

يقول أحد الكتاب الغربيين : أن العولمة عندما تصل غايتها المنشودة وتحقق هدفها المطلوب يكون في العالم مجتمع موحد له قواعد ومثل موحدة ثم تكون هناك ثقافة موحدة في هذه الكرة الأرضية ولا تكون هناك حكومة مركزية لتنظيم هذه الأمور فتتعدى الحدود الجغرافية وتتلاشى الفوارق الحضارية والاجتماعية والدينية بين البشر .

ولا تبقى قواعد ثابتة لتنظيم الثقافة ويظهر مجتمع عولمي بدون ثغور سياسية وحدود اجتماعية وقواعد دينية ثابتة ، وهذا لا يعني في نظرنا نحن المسلمين إلا فوضى حضارية تتلاشى فيها الديانات السماوية والثقافات العريقة والحضارات القائمة على مثل إنسانية وقيم أخلاقية .

ويقول كاتب غربي آخر وهو (روبرتسون) أن العولمة ليست ظاهرة جديدة إنما هي فكرة قديمة قدم الاستعمار الغربي ومرت بخمس مراحل قبل أن تصل إلى المرحلة الراهنة .

وإذا نظرنا إلى العولمة من هذه الناحية رأينا أنها تحتوي على جذور استعمارية قوية أكثر خطورة من الاستعمار السابق وذلك لان القوى الاستعمارية الغربية في السابق كانت تحاول أن تحقق مصالحها السياسية في العالم الإسلامي لتحقيق مصالحها الاقتصادية .

فالشركة الهندية الشرقية مثلاً كانت مؤسسة تجارية في حقيقة أمرها وبداية نشاطها وقد خرجت من بلدها ومركزها أصلاً وبداية لتحقيق المصالح الاقتصادية ولم تتدخل في سياسات البلاد الشرقية إلا عندما اضطرت إلى ذلك لخدمة اقتصادها وتجارتها .

أما الآن فجاءت القوة الاستعمارية الغربية بمشروع استعماري جديد يضم مصالح ثقافية واجتماعية وعسكرية وحضارية جديدة بالإضافة إلى المصالح السياسية والاقتصادية القديمة ، فالعولمة القديمة كانت عبارة عن صورة قديمة من الاستعمار الغربي ، أما العولمة الحديثة فهي عبارة عن الهيمنة الكاملة والمطلقة في كل مجالات الحياة ويمكن أن نقول بأن العولمة الجديدة عبارة عن الكون كله .

إن المؤسسات الغربية بما فيها المؤسسات الأمريكية والكتاب الغربيون والصحافة الغربية كلهم يؤكدون على التنوع والتعددية عندما تكون القضية متعلقة بالأقليات غير المسلمة داخل العالم الإسلامي، ولكنها تنسى كل دعاويها للعولمة والتعددية إذا كانت القضية متعلقة بوضع سياسة وطنية عامة في وطن إسلامي يريد أن يؤكد انتماءه إلى الشريعة الإسلامية ، ويحاول أن يضمن استمرارية في سياسة الاحتكام إلى الشريعة .

فعندئذ يتناسى الغرب كل دعاوى التنوع ومطالب التعددية عندما تأتي قضية العالم الإسلامي وحقوقه الثقافية ومكانته الحضارية ، وهذه الثنائية في السياسة ، وازدواجية المعايير تسبب كثيراً من المشكلات والتوترات فيما يتعلق بصله العالم الإسلامي بالعالم الغربي .

بشكل مجمل العولمة اسم جديد لمصطلح "النظام العالمي الجديد" الذي نادى به زعماء الغرب وأمريكا ، ومن المعلوم أن الحروب كانت بداية لتنفيذ خطط مدروسة لتغيير النسيج الاجتماعي والثقافي والحضاري للأمة الإسلامية .

ومن ذلك لا يشك المفكرين المطلعين في أن العولمة ليست إلا هي امتدادا لهذه السياسة المدروسة فترى المفكرون يعرفون العولمة من أنها الاجتياح الغربي بزعامة أمريكية لصب العالم كله في قالب الحضارة المهيمنة .

فالعولمة عملية جبارة يقوم بها زعماء العالم الغربي لأحداث تغييرات جذرية أساسية في أنظمة البلاد والشعوب خاصة ما يسمى بالدولة الوطنية وذلك بتغيير القواعد والمبادئ التي تنظم علاقات الناس والتنظيم الاجتماعي والأساس الفكري والثقافي والحضاري للمجتمع ، ومن ذلك لم يتردد بعض المنصفين من الكتاب الغربيين في تسمية العولمة نوعا جديدا من الاستعمار .

والاغرب منه ، وبالرغم من هذا كله يرى بعض الناس من أصحاب القلم والقرار في العالم الإسلامي أن العولمة سوف تأتي بنظام عالمي جديد يسوده العدل وتحكمه قواعد المساواة والعدالة وتوفر فيه لكل بلد وشعب فرص المنافسة الحرة .

لكن الواقع أن العولمة لم تأتي بإحلال أي عدل أو مساواة أو تحقيق أي هدف أخلاقي أو لإنقاذ البشرية أو الشعوب الفقيرة من فقرها الاقتصادي وتحلفها المادي والعلمي أو للقضاء على الظلم والاستغلال وعدم المساواة أو لتمهيد الطريق للدول المتخلفة لتحقيق آمالها في الرقي الاقتصادي أو لتذليل الصعوبات أمام الدول المسلمة الفقيرة لتسير في مجال التطور المادي والنهضة الاقتصادية .

إن العولمة جاءت لتحقيق أهداف أخرى تختلف عن هذه التوقعات والآمال تماماً . والحقيقة أن دأب الغرب وديدن المستعمر أنه يستخدم شعارات جذابة ويضع عبارات خلاصة لاستجلاب الرأي العام في العالم الشرقي بصفة عامة وفي العالم الإسلامي بصفة خاصة .

وذلك لتخفيف المعارضة في سبيل تحقيق أهدافه ، ولكن هذه العبارات الخلاصة والشعارات الجذابة في أغلبية الأحوال كلمات حق يراد بها الباطل فدعاوى الحرية والتنافس الحر والمساواة وسيادة القانون والاحترام لحقوق البشر وصيانة سيادة الدول والحفاظ على ثقافات الشعوب وغيرها من الشعارات التي ترفع على المنابر العالمية لم تعد (على الأقل بالنسبة للعالم الإسلامي) بأي ثمرة فعلية وأي عائد حقيقي .

ومن ذا الذي لا يعرف حقيقة هذه الشعارات التي نسمعها من أفواه الكتاب الغربيين ونقرأها في كتاباتهم منذ أكثر من قرنين أكثر منا نحن الذين عانينا من الليل اللئيل للاستعمار الطويل وما نعاني منه الآن في فلسطين وليبيا والعراق وسوريا وأفغانستان والبوسنة والهرسك وقبرص وكشمير وجنوب الفلبين والصومال وجنوب السودان وغيرها من بلاد العالم .

والجدير بالذكر أن بعض الكتاب الغربيين الذين تنبؤوا بنهاية التاريخ في نهاية القرن الماضي يعتبرون العولمة المرحلة الأخيرة قبل أن ينتهي التاريخ بوصول الحضارة البشرية مرحلتها الأخيرة والنهائية الكاملة نضجا وتطورا ورقيا وذلك لأن العولمة عندهم عبارة عن انتصار النظام الرأسمالي انتصاراً كاملاً .

وهذان هما الهدفان الرئيسيان للعولمة ، وهذا ليس رأي بعض علماء الاجتماع الغربيين الذين ينظرون إلى الأمور من الناحية النظرانية البحتة فحسب ، ولكنه تفكير عام يشترك فيه أهل الغرب كلهم من الزعماء السياسيين وأصحاب القلم والقرار وأساتذة الجامعات وأعضاء المجالس الانتخابية .

فهذا أحد الشعارات صرح بأن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري (وإننا نستشعر أن علينا التزاماً مقدساً لتحويل العالم إلى صورتنا) .

وهذا الالتزام المقدس يذكرنا بالتزام مقدس آخر قام به الغربيون لتثقيف الإنسان الشرقي وتحضيره ، وهو الالتزام الذي كان يسمى بمسؤولية الإنسان الأبيض .

والمعلوم أن مسؤولية الإنسان الأبيض تجلت وتحققت في عالم الواقع في صورة استعمارية بشعة سفكت دماء الملايين من الأبرياء من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه وقضت على آلاف المراكز العلمية وطمست على كثير من المعالم الحضارية والثقافية وأدت إلى سرقة ملايين الكتب والمخطوطات والتحف الأثرية التي نجدها اليوم في مكتبات الغرب ومتاحف أوروبا .

وهذا كل ما جاء به الالتزام المقدس القديم ، ولا نعرف ماذا يأتي به هذا الالتزام المقدس الجديد في جرائه للعالم الإسلامي .

وينبغي أن لا ننسى أن العديد من الكتاب الغربيين الذين كتبوا عن العولمة يحاولون تقدمتها في صورة إيجابية رشيقة ولكنهم أيضا يشيرون إلى هذه الجوانب السلبية بإشارات صريحة وواضحة ، فهذا المفكر الاسترالي مالكوم واترز مؤلف أحد الكتب الواسعة الانتشار عن العولمة يقول : إن ظاهرة العولمة تتصل بصلة جوهرية فعلية بالأساليب وأنماط النهضة الاقتصادية كما تشبعت في مجالات السياسة والثقافة .

ويقول مفكر غربي آخر : إن العولمة لا تعني أن يتغرب العالم كله ، وفي جميع أموره ، بل هي تعني على الأقل تفضيل الإمكانيات الرأسمالية والمثل الغربية .

ويوضح مالكوم واترز في كتابه هذا أن فكرة التحديث والحداثة كانت سلفا لفكرة العولمة وكانت فكرة ذات صلة بها فكلاهما تهدفان إلى بث الثقافة الغربية ونشر المثل الغربية وتأسيس مجتمع رأسمالي ويقول :

إن العولمة نتيجة منطقية مباشرة لتوسعة الثقافة الأوروبية في أنحاء الكرة الأرضية ، وذلك عن طريق إقامة مستعمرات غربية في بلاد العالم والاستعمار المباشر للبلاد الشرقية ثم عن طريق فرض تقليد المثل الغربية ومحاكاة العادات الأوروبية على المجتمعات الشرقية .

بالرغم من اهتمام اهل العولمة بالجانب الثقافي والحضاري للحياة البشرية فالحقيقة أن مشروع العولمة أصلا وحقيقة مشروع اقتصادي ، وتحتل المصالح الاقتصادية والتجارية للغرب بصفة عامة ، والولايات المتحدة بصفة خاصة ، مكانة الصدارة والصميم في كل ما يتعلق بالعولمة .

فقد كان نظام بريتون ودس الذي قامت به القوى الغربية الاقتصادية الكبرى بتأسيسه في وسط القرن العشرين للحفاظ على مصالحهم التجارية والحفاظ على مكانتهم القيادية الرئيسية في النظام الاقتصادي العالمي واستمر هذا النظام لعدة عقود يحقق لمؤسسيه مصالحهم وأهدافهم .

ولكنه عاد ضعيفا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وظهور الصين واليابان على ساحة الملعب الاقتصادي العالمي ، وهذه الظاهرة هي التي أدت سقوط نظام بريتون ودس .

وهذا السقوط هو الذي دعا إلى ظهور العولمة التي تضمن هيمنة مطلقة وكاملة لنمط الإنتاج الرأسمالي وانتشاره في الصميم مضافا إلى انتشاره في الظاهر .

ومما يدل على كون هذه الهيمنة واسعة وشاملة أن علماء الغرب وخبراء العلوم الاجتماعية والإنسانية قاموا بمحاولة علمية جبارة لإعادة النظر في الدراسات الاجتماعية والإنسانية التي بدأت تدخل مرحلة جديدة في تدوينها وإعادة بناء أسسها على ضوء فكر العولمة الشمولي ، كما قال أحد المفكرين الغربيين من أن العولمة أصبحت إطار مرجعي الى جميع الدراسات الاجتماعية والإنسانية منذ عقد التسعينات .

لاشك أن سقوط النظام الشيوعي وانهيار الاتحاد السوفيتي ، وظهور القطب الواحد وانتهاء الثنائية القطبية وسقوط النظام المالي العالمي الذي كان يمثل نظام بريتون ودس من أهم أسباب استقرار العولمة.

ولكن بالإضافة إلى هذه الأسباب هناك أسباب أخرى ساعدت في تمكين هذه النظرية وتكوين نظام عولمة جديد ، وهذه الأسباب من أهم الآليات التي توفر الأجهزة العملية لنظام العولمة .

وتتجلى هذه الأساليب في التطورات السريعة سرعة بالغة في مجال تقنية الاتصالات وتوسعة نطاق المعلوماتية وسرعة المواصلات ، وهذه المعلوماتية الالكترونية السريعة من أهم آليات ما يمكن أن نسميه بالإمبرالية الثقافية ، والتي سماها بعض الكتاب الغربيين باليونبرتية الالكترونية ، وهذه (اليونبرتية) جعلت الإنسان مخلوق مستهلك يتهافت على كل جديد ولذيذ .

٤ - الحوار مع الحضارات الأخرى :

تجد انه من الضروري الحوار مع الحضارات الأخرى ، وبلا شك أن هذا الوضع الذي يدعو في ظاهره إلى التشاؤم يقتضي القيام بهذا الحوار المطلوب .

ليس فقط مع الحضارات والثقافات الأخرى ، بل أيضاً مع المجموعات الإسلامية المختلفة والطوائف المذهبية والدينية داخل العالم الإسلامي .

علماً أن هذا المستوى الثاني من الحوار أصبح أمراً متحتماً على قادة العالم الإسلامي الفكريين نظراً إلى توتر العلاقات بين الطوائف الإسلامية والمذاهب الكلامية الموجودة في بعض بلاد العالم الإسلامي ، وهذا الحوار كان من أهم خصائص الثقافة الإسلامية وأكبر مزايا الحضارة الإسلامية منذ البداية .

إن الإسلام يختلف عن التيارات الفكرية الأخرى التي تظهر من حين إلى آخر ، ولا يمكن أن تذوب هويته في بوتقة الثقافات الأخرى إذا كان المسلمون على علم وبصيرة من دينهم .

فالعالمية والإنسانية من خصائص الإسلام ، ولا يمكن للإسلام أن يخشى على هويته واستقلالته من أي شيء علمي أو إنساني .

فالإسلام لم يتأثر بالتيارات الوافدة التي ظهرت في الماضي والتي يكثر ظهورها في هذه الأيام ، ولكن نخشى على المرأة وغير المثقفين من جماهير المسلمين أن يتأثروا بها .

إن الحوار ينبغي أن يكون من أهم السمات الحضارية للعملة ، ولا خلاف فيه من حيث المبدأ. ولكن لا بد أن نضع قواعد علمية للحوار البناء المثمر فلا يجدي أي حوار بين ضعيف وقوي إلا أن يكون على أساس العدل والمبادئ المشتركة .

وينبغي أن لا ننسى أن هدفنا هو الحوار مع الشعوب والحضارات وأتباع الديانات ، وليس بين الديانات ؟! . فالحوار بين الحق والباطل لا معنى له ونرفض أي حوار يتعامل مع الحق والباطل تعاملًا متساويًا ، فلا نقبل حواراً يسوي بين الكفر والإيمان والوحي والطغيان ، والحق والباطل .

ولنا المثل الأعلى وهو رسول الله ﷺ طيلة حياته القرآن المجيد ، فقد كان خلقه القرآن ، وسلوكه ونهجه وشرعته ومنهجه وأحكامه ، كلها تمثل تطبيقاً للقرآن المجيد ؛ لأنه ﷺ كان يتلو على الناس آيات الله ﷻ ويعلمهم الكتاب وما فيه ، ويستنبط لهم حكمه ، ويبين لهم أحكامه ، ويذكرهم به ، ويتابعهم والقرآن المجيد يتحرك فيهم ، تلاوة ، وأحكاماً ، وحكمة ، وسلوكاً ، وتصرفات ، وتوحيداً خالصاً ، ودينًا واصبًا ، وحكمة تامة كاملة ، عامة شاملة .

ويلاحظ ﷺ فاعلية القرآن في تركيتهم ، التي استحقوا بها ﷻ فقال : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ١١٧ .

وحينما غاب رسول الله ﷺ وفقدناه حينما التحق بالرفيق الأعلى شعر الجميع وكأن كل شيء من حولهم قد تغير ، أحسوا ذلك في قلوبهم ومشاعرهم ، وشعروا بتلك التغيرات في بيئتهم ، وبدأوا يحاولون أن يعيشوا على وصية رسول الله ﷺ لهم بالتمسك بهذا القرآن ، والتشبث به ، وتلاوته حق التلاوة ، وأنهم إن فعلوا ذلك ومسكوا بالكتاب وتمسكوا به فسيكونون كمن لم يفقد رسول الله ﷺ ، ولكن لا يعوض عنه ﷺ .

فإن الله ﷻ قد نبه إلى ذلك التلاحم بين الكتاب ذي الذكر وبين رسول الله ﷺ وذلك في قوله تعالى :

﴿.. فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾^{١٠١٨}.

وأودع الله تعالى كتابه الشرعة والمنهاج فأنقذنا به من الضلالة ، وفتح للعالمين به أبواب رحمته وسبل هدايته ، فحمدًا له سبحانه على هدايته ، والشكر له على نعمائه وعنايته ، أغنانا ﷻ بكتابه عمًا سواه ، وكفانا به عمًا عداه كما في قوله :

﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^{١٠١٩}.

وكلام سيّد البلغاء المتقين رسول الله ﷺ وهو « أفصح مَنْ نطق بالضاد » ثم أهل البلاغة من أصحابه وآل بيته نحو الإمام علي عليه السلام قد يصل إلى المستوى القريب من بلاغة بعض الجمل والعبارات القرآنية وفصاحتها .

لكنّه لا يمكن أن يصل إلى مستوى بلاغة سورة القرآن مهما قصرت ، ولا إلى المستويات العليا من بلاغة القرآن المجيد المعجز ، ولو على مستوى الجملة ، كما في «الدلالات المكنونة» أو المطوية ، فالقرآن الكريم وصفه المتكلم به ومنزله سبحانه بأنّه :

﴿ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾^{١٠٢٠} ، وهو الذي : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^{١٠٢١}.

١٠١٨- الطلاق ١٠-١١ .

١٠١٩- العنكبوت ٥١ .

١٠٢٠- الواقعة ٧٨ .

١٠٢١- فصلت ٤٢ .

ولأنَّ القرآن الكريم بدأ اتّصاله برسول الله ﷺ وبالأرض بالأمر بالقراءة ، فكانت أوّل كلماته أمراً بالقراءة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^{١٠٢٢}.

ففي هذه الآيات الخمس -الأولى نزولاً من الكتاب الكريم- أمرٌ بقراءتين ، وفي هذا تنبيهٌ إلى أنّ تنزيله سوف يتكامل ليصبح كتاباً كاملاً تاماً ، مصدّقاً لما بين يديه ، ومهيماً عليه ، ومشمّلاً على تراث النبؤات كلها ، وحاملاً لهدايات الأنبياء والمرسلين جميعاً .

وإنَّ كل قراءةٍ من القراءتين لها خصائصها التي تستمدّها من صلة الموصول، فالقراءة الأولى في قول الله تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾، قراءةٌ يستعين الإنسان في ممارستها باسم الله «الخالق»، والخلق بالنسبة لهذا الإنسان المتلقّي لهذا القول الثقيل يبدأ من علق : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، والعلق قطعة من الدم ثم جعلها الله بعد مراحل عديدة إنساناً يمشي على الأرض .

أمّا القراءة الثانية فهي قراءة بالقلم :

﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾^{١٠٢٣}، وذكر «القلم» هنا في صلة الموصول ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾^{١٠٢٤}، تربط بين القراءة - قراءة القرآن الكريم والقلم- وجميع القراءات التي تراكمت بواسطته منذ بداية الخلق حتى بداية عصر التنزيل .

فهي قراءة بالخلق وقراءة بمتراكم المعرفة ، وقراءة بالوحي النازل ، ممّا يُشير إلى أنّ القرآن يُعلّم منذ البداية الجمع بين قراءتين أو أكثر من قراءتين ؛ لكي يحقق أهدافه أهداف التنزيل .

١٠٢٢ - العلق ١- ٥ .

١٠٢٣ - العلق ٣- ٤ .

١٠٢٤ - العلق ٤- ٥ .

٥ - أزمة الحداثة الغربية :

ينبغي أن لا ننسى أن الحداثة الغربية التي اكتسحت العالم من أقصاه إلى أقصاه من أهم ما تواجه المرأة في الأمة الإسلامية من مسائل وقضايا .

ولا بد أن تكون هذه القضايا من أهم موضوعات الحوار الداخلي بين الاتجاهات الموجودة في الأمة وبين العالم الإسلامي وأصحاب الحضارات الأخرى .

إن هذه الحداثة تظهر في بادئ أمرها وصورتها وفي مظاهرها كأنها من أكبر معطيات الحضارة الغربية ، ومن ذلك يدعو كثير من أبناء الأمم الإسلامية إلى الأخذ بها بكل حذافيرها ويرون أنها لا تأتي إلا بخير مادي غزير، ولا تؤدي إلا إلى رفع المستوى المعيشي للأمم والشعوب التي تحتضنها. فنراهم يتهافون عليها تحافت العطشان على الماء.

ولكنك عندما تمنع النظر فيها تدرك أنها من أهم أسباب عدم الاستقرار في البلاد الإسلامية والاختلال الذي يؤدي أحياناً إلى الإخلال بالأمن والسلام للمرأة المسلمة ، كما إن أسس الحداثة تتلخص فيما يلي :

١- الفردانية .

٢- العقلانية .

٣- الاهتمام المتزايد بالعلوم المادية .

٤- التركيز المتزايد والعناية البالغة بالتقنية والفنون التجريبية .

٥- الاهتمام بالواقع الموجود .

٦- الأخذ بنظرية تقدم التاريخ من مرحلة إلى مرحلة .

إن كل واحد من هذه العناصر والمكونات يحتوي على عناصر غير متناغمة مع قواعد الشريعة الإسلامية وروح العقيدة ورسالة الإسلام .

وتلاحظ مثلاً الفردانية : عبارة عن الاهتمام بمصالح الفرد المادية وتحقيق حاجاته ومنافعه بغض النظر عن واجباته ومسؤولياته نحو خالقه ونحو الأمة التي ينتمي إليها ونحو حياته بعد مماته.

وهذه الفردانية تخلق في عقل المرأة وعقول الناس جميعاً روحاً من الحرص والشح بحيث تؤثر ذلك على سلوك الفرد الاجتماعي والأخلاقي الذي تريده منه رسالة الإسلام. وهذا الوضع يؤدي إلى صدام عاطفي متواصل بين هذه النزعة المادية وبين مقتضيات رسالة الإسلام .

وليس دور العقلانية : في تقوية التوتر بين المصالح المادية والمقتضيات الشرعية بأقل من دور النزعة الفردانية ، ثم إن هذه العقلانية البحتة التي تدعو وتنادي المرأة وتصر على التخلص من كل متطلبات الدين ومقتضيات الروح ومطالب الأخلاق ، قد تسربت إلى العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية وإلى مقررات التعليم ومناهج الدراسة في مؤسسات التعليم .

والجيل الذي يتخرج من هذه المؤسسات يبتعد في كثير من الحالات عن المعايير المطلوبة في مجتمع إسلامي ، فكل جيل يتخرج من المؤسسات التعليمية الغربية والمتغربة يؤدي إلى توسيع الفجوة الموجودة بين طوائف الأمة المختلفة كما يؤدي إلى تكثيف التوتر القائم بين أصحاب الاتجاهات المختلفة في العالم الإسلامي.

وكذلك الحال مع العناصر الأخرى للحدثة الغربية ، وروح كل هذه العناصر هي الاحتكام إلى العقل البشري الذي ينظر إلى العالم كله وإلى الكون بأسره بنظرة مادية نفعية بحتة في كل ما يتعلق بمصير الإنسان ودوره في هذا الكون ، مع الإصرار على إبعاد الدين والمصادر الإلهية .

إن العالم الإسلامي ليس الوحيد الذي يعاني من هذه الأزمة الحضارية التي جاءت بها الحداثة والتي وسعت كل جوانب الحياة الأخلاقية والأدبية والثقافية والاجتماعية ز

ولكن هذه الأزمة الحضارية التي تولدت من بطن الحداثة الغربية وما يسمى بنظريات ما بعد الحداثة تعاني منها الحضارات كلها ، وهي من أكبر أسباب تهديد المرأة وخصوصاً الأمن والحرية الإنسانية بما فيها الحضارة الغربية نفسها.

ويرى بعض المفكرين المسلمين المعاصرين أن أزمة الحضارة الغربية الراهنة لا يمكن القضاء عليها وحل القضايا والمشاكل التي سببتها من داخلها فقط ، وخاصة بعد أن وصلت إلى مرحلة متطرفة من الاستعلاء وإنكار الحضارات الأخرى وثقافتها ، حتى وصل الأمر ببعض المفكرين إلى النحو الذي يعبرون عنه بنظريات النهاية ونذكر أهمها :

منهم : أعلن نهاية الدين .

منهم : أعلن نهاية الأيديولوجية .

منهم : أعلن موت الخالق (اعوذ بالله) .

منهم : أعلن نهاية التاريخ .

وهذه النظريات التي يتبناها كبار مفكري الغرب وفلاسفته وغيرهم إن دلت على شيء ؛ فإنما تدل على روح الكبر والاستعلاء والإعجاب بالنفس التي يعاني منها علماء الغرب .

إن هذه الروح التي تعبر عما يعاني منه فلاسفة الغرب من الإعجاب بالنفس والاستعلاء والاستكبار والغرور بما وصل إليه الأوروبيون من مظاهر جذابة من الرقي المادي والتقدم التقني هي التي تدعوهم من حين لآخر إلى التنبؤ بنهاية التاريخ ونهاية الحضارة ونهاية الرقي البشري .

وفي هذه الدعاوى دليل على عدم قدرة هؤلاء المفكرين على إدراك الإمكانيات الهائلة التي أودعها ربنا ﷻ في خليفته في الكون ، الخليفة الذي سجدت له أقوى القوى الموجودة في الكون المتمثلة في الملائكة ، وكان في ذلك إشارة إلى أن الإنسان منح مكانة من الكرامة عالية من ربه ، وأنه كلف بحمل الرسالة الإلهية ونشرها بين أبناء جنسه حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﷻ .

وليست هذه الدعاوى هي الأولى والأخيرة من نوعها فقد ادعى المؤرخ المعروف والمفكر البريطاني الشهير أرنولد توين بي قبل حوالي خمسين سنة من كتابة هذا الكتاب في بداية القرن العشرين أن الحضارة الإسلامية هي من بين الحضارات التي تعاني من سكرات الموت تحت وطأة الإبادة والاحتواء من قبل الحضارة الغربية .

وكان هذا التنبؤ صدر عنه في وقت كانت الإمبراطورية البريطانية في إبان ازدهارها ، ولم تكن تغرب عليها الشمس وكانت أغلبية بلاد العالم الإسلامي في تلك الحقبة من الزمن تحت سيطرة الاستعمار الغربي فظن المؤرخ البريطاني - متناسيا كل ما قرأه من التاريخ ومتجاهلا كل ما درسه من أسباب سعادة الأمم وشقائها وعن قيام الحضارات وسقوطها- أن هذا الوضع سوف يستمر كما كان عليه في بداية القرن العشرين .

فادعى ما ادعى وبسط على دعاويه وآماله ستاراً من العلم والبحث والتحقيق ، ولكن سرعان ما انكشف الغطاء وتقلص الاستعمار البريطاني وتوقعته مرة أخرى في جزيرتها التي لا تكاد تشرق فيها الشمس ، وشاءت مشيئة الله ﷻ أن يعيش توين بي ويشاهد تكذيب تنبؤاتها بأمر عينيه .

إن هذه الأزمة بين العالم الإسلامي وبين الغرب اشتدت بسرعة فائقة منذ نهاية السنوات التي تبين فيها للعالم الغربي أن الاتحاد السوفيتي لم يستطع أن يقوم في وجه المجاهدين الذين قاوموا الهجوم السوفيتي على بلادهم بكل ما لديهم من الوسائل الضئيلة والعزيمة الأفغانية المعروفة والطاقة الإيمانية .

ويبدو كأن الغرب بدأ يدرك طاقات العالم الإسلامي الكامنة والحيوية الموجودة في نظرية الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى ، فبدأ يستعد لمواجهة المد الإسلامي الذي كان من المتوقع أن يكتسح العالم جميعاً.

ومن جانب آخر لم يشأ الاستكبار الغربي أن ينسب انهيار النظام الشيوعي وسقوط الاتحاد السوفيتي إلى عزيمة شعب الأفغان وانتصار القوى الإسلامية المتمثلة في المجاهدين والحق يقال إن القيادات الجهادية الأفغانية ظلمت المرأة .

ولم توفر فرصة حسن الظن بهم خلال السنوات التي تلت جلاء القوى السوفياتية ، فالحروب الدامية الطويلة التي جرت بينهم خلال عشر سنوات من سقوط النظام الشيوعي أساءت إلى سمعة القيادات الجهادية خاصة، وإلى صلاحية القيادات الإسلامية بشكل عام وخصوصاً التعدي والظلم على المرأة الأفغانية وعلى الأقليات الأخرى سواء كانت مسلمة أو غيرها .

ونسى وتجاهل الكثير من الغربيين أن انهيار النظام الشيوعي ليس إلا هو انهياراً لنظام من الأنظمة الغربية ، وليس سقوطه إلا سقوطاً لدولة استعمارية غربية ، فالشيوعية بأسرها كانت نظاماً غريباً وإنتاجاً فكرياً أوروبياً ولم يكن للشرق أي دخل في وضع فلسفتها ، ولم يكن للفكر الشرقي أي دور في تحديد أسس الشيوعية وقواعدها .

وتشترك الشيوعية في العديد من خصائصها وتصوراتها مع الفلسفة الديمقراطية المتحررة ، فكل من النظامين الديمقراطي الغربي والشيوعي الأوروبي هما علماني ، يؤمن إيماناً كاملاً بفصل الدين عن الدولة ، وعزل تعاليم الدين والأخلاق من المجتمع .

وكل منهما لا يقبل أي دور للمثل الأخلاقية والقيم الروحية في النشاط الاقتصادي فكل من النظامين مركز على المصالح المادية ، ويعني بمقاصد اقتصادية فقط ، وكل واحد من النظامين أوروبي الأصل ألماني البذرة .

وأعلن رئيس المجلس الوزاري الأوروبي الذي كان يتحدث باسم الحلف الأطلسي أن الإسلام حل محل العدو الشيوعي ، وأصبح يعتبر عدواً للغرب بالرقم الأول . والجدير بالذكر أن هذا الحلف الأطلسي الذي تقودها الولايات المتحدة هو من أكبر الآليات العسكرية الغربية التي تم تأسيسها لمحاربة الشيوعية.

يبدو كأن هذا الإعلان جاء بمثابة إعلان للحرب على العالم الإسلامي ، فبدأت الصحافة الغربية والإعلام الغربي - حتى المجالات العلمية الجامعية - تشن الحرب على العالم الإسلامي ، فظهرت أعداد خاصة لعديد من المجالات الغربية المعروفة عن العالم الإسلامي ، تمهيداً للأرضية وإعداداً للعقول والنفسيات.

ويبدو كأن الوقائع التي ظهرت على مسرح السياسة والاقتصاد في التسعينات وبداية القرن الواحد والعشرين لم تكن إلا مسلسلات متتالية لهذه الرواية الطويلة .

فهذا الرئيس الأمريكي السابق نيكسون الذي يعتبر من كبار المفكرين العالميين ، وتعتبر كتاباته من الكتب الاستراتيجية المهمة جداً ، يقول بصراحة ووضوح ، ولكن بأسلوب دبلوماسي لطيف كل ما صرح به المفكر اليهودي صمويل هنتنجون في عبارة صريحة .

فيقول الرئيس نكسون في كتابه "الفرصة السانحة " أن العدو الأول هو الإسلام الذي يسميه بالأصولية الإسلامية .

ثم يشرح الأصولية الإسلامية ويعرفها بالنظرية التي تدعو إلى استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة ، وتطبيق الشريعة الإسلامية ، والتي تنادي بأن الإسلام دين ودولة ، والتي تعتبر ماضي المسلمين مصدر هداية لمستقبلهم .

وتحقيقاً لهدف محاربة الأصولية الإسلامية دعا الرئيس نيكسون إلى تحالف جديد يضم الولايات المتحدة ، وأوروبا ، وروسيا ، لكي يتمكن هذا التحالف الجديد لمواجهة الإسلام ، والعمل على فرض نمط علماني على العالم الإسلامي ، نمط يقلد أتاتورك الذي وضع نموذجاً علمانياً منحازاً نحو الغرب وساعياً إلى ربط المسلمين بالغرب سياسياً واقتصادياً .

وهذه النوايا التي لا يخفيها أهل الغرب وهذه هي مقاصدهم وأهدافهم فيما يتعلق بمستقبل العالم الإسلامي ، وليست البحوث العلمية والمقالات البحثية التي نشرها أمثال فوكوياما وهنتنجون إلا هي أصداء ظهرت في لغة علمية لما باح به السياسيون في لغة دبلوماسية والصحفيون في لغة صحافية.

وعليك ان تنتبه ؟! في هذه الخلفية ظهر المقال المعروف الذي نشره هنتنجون في المجلة الأمريكية في عددها الصيفي لعام ١٩٩٣ م ، وأثارت هذه المجلة جدلاً كبيراً ونقاشاً واسعاً ليس له نظير في تاريخ المجلة منذ عام ١٩٤٠ م على حد قول رؤساء تحرير المجلة . وقام أهل العلم والخبرة من جميع القارات ومن مختلف بلاد العالم بالرد والتفنيد لما جاء في هذا المقال .

وعلى حد قول المؤلف كان المقال سؤالاً وجه إلى الأوساط العلمية العالمية ، وادعى المؤلف أن الكتاب الذي ظهر في نفس الموضوع بعد ثلاث سنوات من نشر المقالة كان جواباً مفصلاً علمياً موثقاً مدروساً على هذا التساؤل .

ومن أهم القضايا التي أثارها المؤلف في هذا الكتاب وقبله في المقالة تشمل القضايا التالية وهي:

- فكرة الحضارة والحضارات ، هل يمكن ظهور حضارة عالمية ؟ .
 - الصلة بين القوة والثقافة .
 - التغيير في توازن القوة بين الحضارات .
 - ظاهرة التركيز على إعادة بناء الثقافات في بيئات تشريعية على أسس محلية .
 - أهمية الصراعات التي أثارها الاتجاهات العولمية في الحضارة الغربية .
 - قضية التعسك الإسلامي والإصرار الإسلامي على هوية المسلمين وشخصيتهم .
 - قضية الإصرار الصيني على هوية الصينيين .
 - ما هي الإجابات الغربية وردود فعل الغرب على النهضة الصينية .
 - مستقبل الغرب وعالم الحضارات .
 - وقد أثار المؤلف قضية أخرى مهمة ، تم مستقبل العالم الإسلامي ، وهي قضية يتجاهلها الكثير من المسلمين ، وهي قضية ازدياد عدد السكان في بعض المناطق من العالم ، وتأثير هذا الازدياد على توازن القوة في العالم .
 - وأثار المؤلف معالجة زيادة نسبة المسلمين بالدول الغربية .
- والجدير بالذكر أن المقال لم يشير إلى أخطار هذا الصراع ولم يتطرق إلى نتائجه وعواقبه فإن صراع الحضارات وصدامها لا يأتي إلا بعواقب وخيمة ونتائج سلبية بعيدة المدى على الإنسانية كلها .
- ولكن أشار المؤلف إلى هذه الناحية إشارة خفيفة في تمهيد كتابه وفي الجملة الأخيرة من الكتاب، حيث يقول المؤلف : إن هذا الصراع من أشد العوامل خطورة على السلام العالمي ، وإن أحسن الضمانات وأكبرها في وجه حرب عالمية هو (تأسيس) نظام عالمي جديد مبني على الحضارات.

هذا هو الوضع الفكري ، وهذه هي الأرضية النفسية التي ندرس فيها الحوار بين الحضارات وانقسم العالم الإسلامي في قضية الحوار مع الحضارة الغربية خاصة إلى فئتين وهما :

أحدهما : فئة تتسم بالتشاؤم واليأس الكامل عن جدوى الحوار .

وذلك لأسباب واضحة ظاهرة فترى هذه الفئة أن الضغوط السياسية المتزايدة على العالم الإسلامي من قبل القوى الغربية والتدهور الاقتصادي الذي يعاني منه عدد كبير من دول العالم الإسلامي ومحاولات فرض العوامة من قبل العالم الغربي لتحقيق مصالح الغرب الاقتصادية والسياسية ، كل ذلك لا يترك مجالا لظهور نتائج إيجابية من هذا الحوار .

ثم تفوق الغرب التقني والعلمي بالإضافة إلى تقدمه الكبير في القوة العسكرية لا يوفر أرضية متساوية للفريقين للدخول في الحوار ثم استسلام عدد كبير من القيادات الفكرية في العالم الإسلامي استسلاما فكريا أمام الغرب وخضوع عدد كبير من زعماء المسلمين خضوعا سياسيا أمام الغرب لم يترك مجالا لتحقيق أي هدف إيجابي وكل ذلك في وقت اتفقت فيه كلمة الغرب بأهمية فرض القيم الغربية على العالم الإسلامي بكل الوسائل المتاحة .

ولا شك أن فوكوياما يمثل العقلية الغربية عندما يقول : إن الحداثة التي تمثلها الولايات المتحدة الأمريكية والديمقراطيات المتطورة ستبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية ، وإن المؤسسات التي تجسد مبادئ الغرب الأساسية ستستمر في الانتشار عبر العالم ، ويشير إلى إن الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي لديها مشاكل أساسية مع الحداثة .

وييدي فوكوياما استياءه عن رفض العالم الإسلامي مبدأ العلمانية قائلاً : إن الحركات الأصولية الإسلامية لا ترفض السياسات الغربية فحسب ، بل ترفض المبدأ الأكثر أساسية للحداثة وهو العلمانية نفسها ، فالمسألة ليست ببساطة حربا على الإرهاب وليست المسألة الحقيقية هي السياسات الخارجية الأمريكية في فلسطين أو العراق .

ثم يلخص (فوكوياما) رأيه قائلاً : إنه صراع ضد العقيدة الإسلامية الأصولية التي تقف ضد الحداثة الغربية وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي ، ألا وهو علمانية الدولة ، وهذا يمثل تحديا أكبر بكثير من التحدي الشيوعي .

الأخرى : فئة تتحمس للحوار وهي متفائلة تفاؤلاً كبيراً ، وترى في الحوار الخير للعالم الإسلامي والأمن والسلام للجميع ، وذلك لأن العالم الغربي والشرقي على الرغم من هذه السلبيات يتعطش إلى دعوة الإسلام وإلى الرسالة المحمدية .

فترى انتشار الإسلام بسرعة فائقة في مشارق الأرض ومغاربها بما فيها العالم الغربي ، وبدأ الإسلام ينتشر بسرعة فائقة في بلاد أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية حتى أصبح من الأديان المعترف بها في بعض البلاد الأوروبية ، ثم هناك عدد كبير من المسلمين الذين إما ولدوا في البلاد الغربية وأصبحوا مثل أبناء هذه البلاد لغة وتجنسا ومعيشة وتكيفوا من عادات البلاد وأصبحوا مثل السكان الأصليين .

أو هم من السكان الأصليين للبلاد من المسلمين الجدد الذين يزداد عددهم وتزايد نسبتهم بمضي الوقت وهؤلاء الأعداد الهائلة التي تمثل قوة لا يمكن التجاهل عنها للحكومات وأصحاب القرار وأصحاب النفوذ .

فهذا الوضع المتوتر القائم والذي يدعو إلى تكثيفه واستمراره يجعل بعض المتحمسين في الغرب والشرق يتوصلون إلى نتائج سيئة جدا للجنس البشري كله يتوقف الأمن والسلام على حسب خوفهم في كل هذه المناطق إلا بالحوار المكثف البناء ذوي الأبعاد بين الحضارات التي تمثلها هذه البلاد .

ثم الدول الإسلامية تمثل ثلث أعضاء الأمم المتحدة والقرارات العالمية التي تؤثر في مستقبل البشرية تصدر أغليبتها من الجمعية العمومية للأمم المتحدة التي تمثل ثلثها دول العالم الإسلامي .

إن إصرار المسلمين على التزامهم بمبادئ الإسلام وتعاليم القرآن وطموحهم لإحياء دولة الإسلام تطبق فيها شريعة الإسلام وتعاليم القرآن يعتبر عند بعض المفكرين الغربيين عقبة في سبيل علاقات المسلمين بين الحضارات كما أشرنا إليها مسبقاً .

ولكن ينبغي أن لا تكون هذه الطموحات الإسلامية والأمني والآمال الإسلامية موضع اعتراض وتردد وتحفظ عند هؤلاء المفكرين فإن عددا منها لا تختلف في حقيقتها ومغزاها عن الفكرة التي جاءت في إعلان الاستقلال الأمريكي الذي يعترف بأن القانون الطبيعي مصدره خالق الكون والحقوق الأساسية للإنسان جاءت من خالق الكون ولا يجوز العدول عنها .

وليس الطموح الإسلامي الذي يسمى بالأصولية عند الغرب والعلمانيين إلا رجوعاً إلى هذا المبدأ بالذات وإصراراً على نفس الفكر وما يسمى بالأصولية ليست إلا محاولة جماهيرية ديمقراطية سلمية للرجوع إلى قانون قرآني مصدره خالق الكون والذي يتضمن حقوقاً وأحكاماً وفرائض وواجبات أصدرها خالق الكون .

وأما استياء بعض الكتاب الغربيين بطموح المسلمين بتحقيق قيمهم وإعادة مثلهم فينبغي ألا يكون أيضاً مانعاً من حوار حضاري شامل ، لأن هناك استياءات يعبر عنها بعض الكتاب الغربيين عن استعلاء القيم الأمريكية وفرض السياسة الأمريكية والإرادة الأمريكية على دول أوروبا .

حتى قال بعض الكتاب الفرنسيين أن الحضارة الأمريكية تشكل خطراً على الحضارة الفرنسية والتحفظات الألمانية والفرنسية حول السياسة الأمريكية المهيمنة أمر معروف فإذا كان العالم الغربي تمكن من وضع سياسة مشتركة فيما يتعلق بمصالحه المشتركة على الرغم من هذه الخلافات والتحفظات فلا مانع لنا من الدخول في حوار مكثف مع الغرب خاصة ومع الحضارات الأخرى عامة .

إن العالم الإسلامي لا يريد أن يستبد بالقرارات في مصير الأمم ومستقبل العالم إن العالم الإسلامي لم يتخذ هذه السياسة في ماضيه ولن يتخذها في المستقبل لأن المبادئ والأسس التي تبتني عليها هذه السياسة - سياسة التدخل والاستبداد - متعارضة مع أحكام الشريعة الإسلامية التي تعلن بصراحة:

قول الله ﷻ : ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُضَيِّطٍ﴾^{١٢٥} ، فأمرنا أن نترك الناس خارج الأمة الإسلامية وما يدينون ، فلا يريد العالم الإسلامي انطلاقاً من تعاليم دينه أن يبعد الناس عن موكب الحياة حسب ثقافتهم ونظرياتهم ، ولكن العالم الإسلامي لن يسمح أيضاً أن يبعده أحد عن موكب الحياة .

وأن حاول ذلك أحد وأصر على هذه المحاولة تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، وبسط ما تساهم فيه الأمة الإسلامية أن تساهم في بناء مستقبل حضاري للبشرية ، مستقبل مبني على مبادئ الأخلاق والعدالة مستقبل يسوده جو الإيمان وتغشاه سحابة من العواطف الروحانية وتريد أن تكون مشاركتها مشاركة فعالة ريادية مع الحفاظ ليس على هويتها فحسب بل على هوية الآخرين ، علماً بأن الشريعة الإسلامية تهتم بالحفاظ على الهويات والشخصيات التي جعلت وسيلة للتعاون بين البشر .

وهذا يتطلب حوارا متوصلا بين الحضارات والثقافات ، ولا بد لذلك من الخروج عن إطار الحوارات التقليدية التي تتركز على العقائد وعلى تعاليم الدين التي لا يمكن أي تساهل أو مداينة فيها فالمناقشات المستمرة في باب العقائد وأسس الدين لا تأتي بشيء يذكر ولم تأت بكبير فائدة ، فيجب التركيز على الحوار الحضاري لتشكيل مستقبل حضاري أفضل للبشرية .

٦ - تحقيق أسس الحوار :

إن العدل جماع كل ما وردت به الشريعة من مقاصد وأهداف بل الشرائع الإلهية والرسالات السماوية كلها جاءت لتحقيق العدل الحقيقي الكامل بين أتباعها فقال ﷺ من قائل : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ١٠٢٦ .

ولا شك أن هدف تحقيق العدل من أهم ما يمكن أن تجتمع عليه الأمم والشعوب في العالم المعاصر الذي كثر فيه الظلم وتنوعت فيه أنواع الاستغلال من القوي للضعيف ، فلا تعاني الأمم الضعيفة والبلاد الفقيرة من آفة ومصيبة أخرى ، كما تعاني من الظلم والاستغلال والاضطهاد ومن المصائب والويلات التي تأتي من جرائه من الفقر والبطالة والأمراض والأوبئة والتخلف .

والحقيقة أن ما نراه اليوم من تأثيره على المرأة بشكل عام من تكاتف المشكلات السياسية والاقتصادية والبيئية وترادف كثير من القضايا التي تواجه الدول المتخلفة يرجع سببها الى اختلال توازن العدل في توزيع الوسائل والثروات وعدم الأخذ بمعايير العدالة في المعاملات الاقتصادية والعلاقات الدولية.

وينبغي لذلك أن يتم أولا الحوار مع القوى الشرقية والجنوبية التي تعاني من نفس المعاملة وتعبر عن نفس الشكاوي التي تشكو منها دول العالم الإسلامي ، وذلك ليكون موقف المظلومين والمضطهدين من النساء متقاربا إن لم يكن موحدًا في حوارهم مع العالم الغربي ، ومن ثم ان هناك مجموعة من المثقفين النقيدين في العالم الغربي.

الذين يرفعون أصواتهم من حين لآخر ضد الهيمنة الغربية التي تمثلها كتلة مغرضة مكونة من مجموعة من زعماء بعض الدول الغربية ومجموعة من أصحاب الشركات العالمية ذات الجنسيات المتعددة والقيادة الصهيونية . فالتحالف والتضامن مع هذه العناصر المعتدلة التي لا يندر وجودها في الشرق والغرب يتوقع أن يكون من مبشرات الخير في تحقيق أهداف الحوار .

والجدير بالذكر أن الأغلبية الغالبة من الشعوب الغربية لا تشعر بالعداء ضد الإسلام ومكانة المرأة فيه ، فلا ينبغي بل لايجوز لنا أن نعتبر كافة أهل الغرب من صفوف الأعداء والمعارضين ، كيف ؟، وهم أمة الدعوة ويتوقع من كل منهم أن يصبحوا إخواناً وأعضاء في أمة الاجابة .

أما العداء والحق الذي يظهر أحيانا في سياسة مجموعة من زعماء الغرب فلا تمثله إلا أقلية ضئيلة لأصحاب الأغراض والأهواء وبينهما مجموعة تأثرت بالدعاية وأنواع المكر والكيد التي اتخذتها هذه الأقلية المغرضة .

ثم الحفاظ على البيئة قضية لها أهميتها لمستقبل البشرية وحضارتها ويمكن أن تكون هذه القضية من الموضوعات المشتركة المعنية عند جميع الحضارات الكبيرة ويمكن أن يتم اتفاق عالمي على مبادئ مشتركة للحفاظ على البيئة علما .

وهو أن الشريعة الإسلامية ورد في أحكامها وقواعدها العامة ما يعالج مشكلات البيئة وقضية التلوث البيئي ويمكن إزالة عديد من الإشاعات الفاسدة والأغاليط المغرضة والأباطيل الواهية التي نشرها أعداء الإسلام عن الشريعة الإسلامية بتقديم حلول إسلامية عملية متزنة لقضايا البيئة والتلوث البيئي الذي قد يؤدي إلى التلوث الحضاري .

ويبدو كأن الظاهرة الحضارية التي شاهدها القرون المتوسطة في صقلية والأندلس وجنوب إيطاليا وشرق أوروبا قد تتجلى مرة أخرى في مجالات جديدة. وقد كانت ظاهرة التعاون الحضاري والأخذ والعطاء فيما يتعلق بالعلوم والمعرفة والثقافة في مجال علوم الطب والفلسفة والفكر والعلوم التجريبية كما يعترف به عدد من الكتاب المنصفين في الشرق والغرب .

وقد يكون المجال لتجلي هذه الظاهرة ولتحقق نتائج هذا الحوار الحضاري في مجال الأخلاق والمثل الاجتماعية والقيم الروحانية وتصحيح العقائد والجدير بالذكر هنا أن الإقبال في العالم الغربي على التراث الإسلامي في المجال التربوي وكتب التزكية أكبر بكثير مما كان عليه في القرون السابقة .

وهذه الظاهرة بدأت باستغلالها بعض الطوائف المنحرفة والجماعات المغرضة وأتباع الفكر الباطني بنشر الأدب الباطني والدعوة الى الفكر الباطني الشهبواني المنحرف. فيجب علينا نحن المسلمين ألا نترك هذا الفراغ خاليا من الأدب التربوي الإسلامي المتزن .

ثم ما يزعمه بعض الناس في الشرق والغرب أن الحوار بين الحضارة الإسلامية المبنية على أسس دينية وقواعد شرعية وبين الحضارة العلمانية لا يؤدي إلى نتائج وثمرات ليس على إطلاقه ولا ينطبق في جميع الأحوال لأن الحضارات الكبيرة كلها قامت على أسس من الدين.

وتشكل العقائد الدينية ركنا هاما من البناء الحضاري في كل أمة فالدين كان ولا يزال من أهم مكونات الحضارات بما فيها الحضارة الغربية المعاصرة.

فعلى الرغم من المظاهر العلمانية للحضارة الغربية فإن المسيحية والعقائد الدينية للأمم الأوروبية من أهم مكونات الحضارة الغربية ، ولذلك يسمى كثير من الكتاب الغربيين حضارتهم بالحضارة المسيحية ، وتأثير العقائد المسيحية وتعاليمها لا ينحصر في المظاهر الحضارية بل يتعداها إلى أمور كثيرة .

فالفلسفة الغربية تأثرت وأخذت الكثير مما كتبه الآباء المسيحيون ورجال القانون في الغرب أخذوا كثيرا من بقايا تعاليم الدين المسيحي والقانون الدولي الغربي الذي يعتز به العالم الغربي يعترف بكونه مستمدا من التعاليم المسيحية وكانت الآداب والتعاليم المسيحية .

ومن أهم عناصر هذا القانون وأحكامه لقرون طويلة حتى إن كثيرا من الكتاب الغربيين الذين كتبوا عن القانون الدولي الغربي خلال العقود الأولى من القرن العشرين ذكروا الديانة المسيحية والأخلاق المسيحية من بين مصادر القانون الدولي .

وكل ذلك يدعو إلى التفاؤل في جدوى الحوار بين الحضارة الإسلامية التي لم تتنازل ولن تتنازل - بإذن الله ﷻ - عن قواعدها الدينية وتعاليمها الشرعية وبين الحضارة التي انبثقت من تعاليم الدين المسيحي والتي بدأت تتضايق بذكر الديانات والتعاليم الدينية في المعاملات الدنيوية، على الرغم من أن التعصب الديني الشديد يملئ كثيرا من سياسات الدول والحكومات المنتمية إلى هذه الحضارات .

٧ - التوازن يضمن السلام العالمي :

هذه الوضعية الفكرية والحضارية التي نعيش فيها الآن ، تجد هناك أسبابا كثيرة تهدد السلام العالمي والأمن الداخلي وخصوصاً مشاركة المرأة فيه بكثير من البلاد الإسلامية ، ويرى الكتاب الغربيون ويحاولون أن يقنعوا الجهات المعنية في العالم الإسلامي بأن التوازن بين القوى العسكرية والاقتصادية العالمية هو الذي يضمن السلام العالمي.

وإذا اختل هذا النظام العالمي يختل التوازن العالمي ، وعندما يذكر الكتاب الغربيون القوى العسكرية أو القوى العالمية فيعنون بذلك الدول الغربية الكبيرة التي سيطرت على وسائل العالم وثرواته بتفوقها الفني والتقني وتقدمها المادي وقوتها العسكرية .

ويهتم كثير من الكتاب الغربيين وأتباعهم الشرقيين بالخلل الاقتصادي كأهم أسباب اختلال السلام العالمي ، فيهتمون بالتطور الاقتصادي على النمط الغربي ، وينادون بالأخذ بالأنماط الغربية للأنشطة الاقتصادية والانتاج والتصنيع وبناء البنية التحتية وما إلى ذلك .

على الرغم من أهمية النشاط الاقتصادي ودور المرأة فيه ، وعلى الرغم من ضرورة تكثيف النشاط الاقتصادي فإن التركيز على الجانب الاقتصادي على النمط الغربي يؤدي إلى غرض النظر عن الأسباب والعوامل الأخرى الأكبر أهمية والأكثر تأثيراً في الإخلال بالسلام العالمي وفرض العبودية والاستسلام على العالم الإسلامي. ومن أهم الأسباب التي أدت إلى الاختلال بالسلام العالمي هي تلخص فيما يلي :

١ - الحكر العلمي الذي اتخذته الدول الراقية من أهم قواعد سياستها التعليمية والتربوية ، واحتكار العلم والمعرفة ومنع البشر من الورد على مناهل العلم والمعرفة من أكبر الجرائم الحضارية فكانت الحضارات حتى بداية القرن العشرين تفيد بعضها من بعض وكان الأخذ والعطاء الحضاري من أهم مزايا التعامل البشري الذي يميز الإنسان من أبناء جنسه من الحيوانات الأخرى .

ولم تمنع الحضارة الإسلامية من ان يستفيد من علومها ومعارفها المشاركة والمغاربة ، ولكن الحضارة الغربية المعاصرة جعلت العلم والفن وسيلة للاستيلاء والسيطرة على العالم وأغلقت كثيرا من أبواب المعرفة على أبناء الشرق الإسلامي لأن العلم والمعرفة أصبحت عند الغرب بضاعة تجارية ووسيلة لاستغلال الأمم ، فيقال إن تسعين بالمئة من الخبراء في العلوم التجريبية يهتمون بمجالات تمكن البلاد الغربية من الحفاظ على سيطرتها وتكثيف هيمنتها على العالم وإعداد أسلحة الدمار الجماعي والهلاك الشامل .

٢ - ارتكاز وسائل العالم وثروات الكوكبة الأرضية عند أقلية من البشر وحرمان أغلبية البشر من هذه الثروات والوسائل أيضا من أهم الأسباب التي أدخلت بالسلام العالمي فيقال أن أكثر من أربع وثمانين بالمائة من الوسائل الكونية والثروة الكوكبية تحت تصرف وسيطرة مجموعة قليلة من البشر لا تتجاوز نسبتها عن ١٩ بالمائة .

وأما باقي الثروة والوسائل المتبقية ، وهي ١٦ بالمائة ، فهي في تصرف ٨١ بالمائة من البشرية ، وهذا النصيب الضئيل الذي بقي في أيدي الأغلبية الغالبة من الأجناس البشرية ، فينتقل أيضاً بسرعة هائلة إلى البلاد الغربية ، وذلك عن طريق النظام المصرفي العالمي وعن طريق الشركات العالمية ذات الجنسيات المتعددة .

وعن طريق قواعد العملة الجديدة وكل هذا يؤدي الى تقليل الوسائل والثروات في العالم المتخلف وتكثيفها وازديادها في العالم الغربي وليست قلة الموارد الغذائية في كثير من بلاد العالم الإسلامي من الأمور التي حدثت صدفة ، وليست هي نتائج لمجرد سوء الإدارة .

٣ - استغلال الوسائل العالمية والمحلية والوطنية لتحقيق مصالح القوى العالمية سبب كبير من أسباب اختلال السلام ، وهذا ما نرى مظاهره في كل بلاد العالم بما فيها بلاد العالم الإسلامي .

٤ - ظهور النزعات القومية في العالم الإسلامي على أيدي كتاب مسيحيين وعلى أيدي المستشرقين وأتباعهم ثم استغلالها من قبل الاستعمار لتفتيت البلاد الإسلامية الكبيرة من الأسباب القديمة للإخلال بالسلام والحروب المتواصلة في كثير من البلاد .

وكانت هذه النزعات بتأثير مباشر من الثقافة الغربية والتعليم الغربي وأدت إلى انقسام البلاد الإسلامية الى دويلات صغيرة ، وذلك بتأييد كامل وتمويل ودعم أدبي ومادي من الدول الغربية .

٥ - استغلال المنظمات العالمية من قبل الدول القوية لغرض تحقيق مصالح الاستعمار كان حافزا كبيرا في شن الحروب خلال العقود الأخيرة خاصة .

ويبدو كأن الهدف الحقيقي من وراء تأسيس عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى وتأسيس منظمة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية على أيدي الفاتحين في كل واحدة منها كان الغرض الرئيسي منه هو الحفاظ على مصالح الفاتحين والضمان على توزيع الغنائم فيما بينها واستمرارية نفوذهم في قضايا مصيرية للعالم ، كما يدل عليه نظام الأمم المتحدة .

والجدير بالذكر أنه علقوا على عصبة الأمم عند تأسيسها قال احدهم: (أنا لا أعلم أكثر من أن مجموعة من النباشين أسسوا جمعية لتوزيع القبور فيما بينهم). ويدل على صدق هذا التعليق أداء الأمم المتحدة وقبلها عصبة الأمم في القضايا التي تتعلق بالعالم الإسلامي فكان دور هاتين المنظميتين دور المراقب المحايد.

وكان دورهما في قضايا أخرى دور مشارك فعال فكانت محاولات التطهير العرقي في قلب أوروبا على مرأى ومسمع من القوى الأوروبية والأمم المتحدة التي تنادي كل منها بمبادئ رفيعة ونعرات خلافة ودعوات جذابة كانت مستمرة لمدة تجاوزت سنوات طويلة .

وتدل هذه المحاولات التي سببت ضحايا بشرية لا مثيل لها في أراضي أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية على ارتياح القيادات الأوروبية على هذا التطهير وتدل على أن هناك أناسا في الغرب لا يهمهم السلام العالمي الذي يعتبر المرأة جزء منه ، ولا حقوق الإنسان ، ولا كرامة البشر ، ولا الحوار الحضاري .

٦ - فرض النموذج الحضاري الغربي على العالم الإسلامي وخصوصاً على المرأة بالذات ، وهو من أهم أسباب الاختلال في السلام العالمي .

٧ - التسلح المتزايد من قبل بعض الدول المجاورة للبلاد الإسلامية الكبيرة من أكبر اسباب الخلل في السلام العالمي فالتسلح النووي عند كل من إسرائيل والهند منذ أكثر من أربعين سنة بدون أدنى اعتراض وتحفظ من العالم الغربي وبدون أي تدخل من المؤسسات العالمية المعنية واتخاذ سياسة مغايرة تماما فيما يتعلق بباكستان والعراق وإيران وغيرها يؤدي إلى خلل دائم في السلام العالمي .

٩ - محاولات الهيمنة على بلاد العالم من الدول الغربية هو من أهم هذه الاسباب .

٩ - استخدام وسائل الضغط استخداما جليا وخفيا لمواصلة هذه الهيمنة .

١٠ - وأخيراً لا آخراً التعاون بين الكيان الصهيوني وبين الاستعمار العالمي .

وبلا شك أن هذه الأسباب كلها تؤدي إلى الإخلال بالأمن والسلام وخصوصاً المرأة لأنها تعتبر جزء منه ، ولابد من معالجتها للسلام العالمي ، ويمكن لمعالجتها اختيار استراتيجيتين مختلفتين للقضاء على أسباب الحروب وبواعث انتفاض السلام العالمي وهما :

أحدهما : استراتيجية البناء من فوق ، وهي من اختصاصات الدول والحكومات .

وتتلخص هذه الاستراتيجية في وضع سياسات الدول وقرارات الحكومات على المستوى الوطني وتنفيذها على نطاق الدولة وهذه الاستراتيجية تعنى بإزالة أسباب الخلاف والقضاء على حالات الظلم والإستقلال وعدم المساواة في الدولة وخارجها وكل ذلك بإعادة توزيع الثروة وضمان الأمن الداخلي واستقلال القضاء وسياسة القانون ودستور البلاد والعمل للسلام العالمي .

والثاني : استراتيجية البناء من تحت ، وهي تشتمل على خطوات تبدأ من المجتمع ومن الأفراد والجماعات العاملة في المجتمع .

وهذه الاستراتيجية هي التي تخصصنا لمعالجة القضايا التي نحن فيها وقضية الحوارات بين الحضارات وبين أتباع الديانات يشكل جزءا هاما من هذه الاستراتيجية .

والخطوة الأولى في تحقيق هذا الحوار فيما يتعلق بالحوار العالمي الحضاري أن يتم الاعتراف بتعدد الحضارات وحقيقة التنوع الثقافي والتعدد الحضاري. وهذا يتطلب أن يجتنب أتباع حضارة عن فرض قيمهم على أتباع حضارات أخرى .

والجدير بالذكر أن منظمة الأمم المتحدة بمؤسساتها المختلفة أصبحت لعبة ووسيلة في أيدي مجموعة من أتباع الحضارة الغربية فيريدون فرض قيمهم وعاداتهم ومظاهر ثقافتهم على العالم كله مستغلين في ذلك منابر الأمم المتحدة ومؤسساتها كما تبين بجلاء ووضوح من مؤتمرات القاهرة وبكين .

ونحن نشعر من أن هذه المحاولات للتلاعب بعقل المرأة نوع جديد من الاستعمار والتنصير ،
فالعالم الإسلامي لا يمانع من الاستفادة من تجارب الغرب في مجالات العلوم والتقنية والاكتشافات
الكونية ورفع المستوى المعيشي .

ولكن هذه الاستفادة لا تعنى الأخذ بالحدثة الغربية بحذافيرها فالحدثة تشتمل على إيجابيات
وسلبات ومن الصعب جداً التمييز بين إيجابياتها وسلباتها .

وذلك لأن الحدثة ذات صلة قوية بالتغريب التي هي عبارة عن تصبغ بيئة المرأة في المجتمع
والثقافة والحضارة والتعليم بصبغة غربية كاملة بكل قضاها وقضيضها فالتغريب متداخلة مع الحدثة ولازم
لها والتغريب جذورها عميقة في التنصير والتبشير المسيحي والتنصير هو الخطوة الأولى للاستعمار الغربي .

فالاستعمار الغربي دخل في كثير من البلاد الشرقية والجنوبية باسم التبشير المسيحي ، والتبشير
المسيحي مهد الطريق لدخول الاستعمار باسم التجارة والصناعة ، ثم كلما استقرت تجارته وصناعته في
بلد من البلاد امتدت جذوره وتمكن من جره إلى البلاد .

فلا بد لذلك أن نثبت على الاعتراف بالتنوع الحضاري وحرية الرأي والفكر للجميع ومنها المرأة ،
وتنوع الآراء واختلاف الكلمة حقيقة كبرى في تاريخ الأفكار والحضارات ، وهو أمر لا بد منه في حوار
الحضارات والتبادل الحضاري.

والتبادل الحضاري يجب أن يتم بعد قرار حكيم حر من الطرف المستفيد ، ففرض التجارب
الخاصة بأي مجتمع أو قوم دون قوم آخر على جميع البشرية وإصدار النماذج والأنماط المختصة بحضارة
دون حضارة لا يسمى تبادلاً حضارياً ، بل يسمى نوعاً من الاستعمار العقلي والاستعباد الفكري.

ومن ثم لا بد لهذا الحوار من إعداد قيادات حكيمة واعية متعمقة الجذور في حضارتنا وثقافتنا من
بين علماء الدين وبين الجامعيين ومن بين أصحاب الثقافة والإعلام أما أصحاب العقلية المنهزمة وذوو
اللهجات الاعتذارية الذين وصلوا إلى مناصب عالية في بعض البلاد الإسلامية .

لا يستطيعون الدفاع عن الإسلام في حوار حضاري حر لأنهم هم الذين وفروا هذه الفرص
الساخرة للاستعمار الفكري والحضاري ليتسرب إلى بلاد الإسلام وكذلك لا يمكن لأصحاب المعرفة
الضعيفة المحدودة عن الإسلام ان يشاركوا في أي حوار جاد عميق مع الحضارة الغربية .

سابعاً : مكانة التربية والتعليم

كيف يستطيع الرجل أن يفهم اي امرأة ؟ ، في البداية عليك ان تفهم على المرأة أن تُحب لا أن تُفهم ، هذه هي الخطوة الأولى في طريق الفهم والإدراك ، كما إن جمال الحياة هو في سرّها الخفي حيث لا نستطيع أن نغوص في عمقها أو في أوجها أو علوّها .

ولكن علم اليوم يعبر نوعاً ما علمياً عن وظائف هذه الأسرار الطبيعيّة والعلم محدود وأكثر العلماء توقّفوا عند الحدّ واتجهوا إلى المدد ، إلى هذا السرّ العلمي ، ومن ذلك قيل بأنّ العلماء ورثة الأنبياء ، ابتداءً العلم بالدخول إلى سرّ الذرة وتخلّى عن الفكر المقيّد والعنيد والمستبد وتخطى حدود الأرقام والأعداد وأدرك بأنه لا يعرف إلا القليل من سرّ الوجود .

المشهور ان مع العالم أينشتاين ، تحوّل تاريخ العلم من الفكر إلى الفهم لأنه كلما تعمّق في سرّ الذرة كلما وقع في ارتباك وحيرة ، بالتالي ترك المنطق والعقلانية لأنه لم يستطيع أن يأمر أو يملي شروطه على الوجود ، لأنه سرّ غير محدود ولا يتبع الفكر والمنطق المحدود ، وقد صرّح أينشتاين بأنه متردّد في أبحاثه وإصراره على أهميّة العلم العقلاني المنطقي ، وبأنّه علم فكري إنساني ولكنه غير نبيه وغير ذكي .

كما تأكّد بأنه لو أصرّ على أهميّة المعقوليّة والمنطقيّة فالوجود لا يتبع المنطق ولا يتبع الإنسان وعلى المنطق أن يتغيّر من الفكر إلى التفكّر ومن العقل إلى التعقّل والتوكّل حسب سرّ الوجود ، وكلما تعمّقت في سرّ الدّنيا ترى الغموض يزداد غموضاً حتّى تصل إلى نقطة العودة إلى الدّكر لا إلى الفكر وإلى التأمل والإصغاء إلى الطبيعة ، هذا هو الفهم والإدراك وقمّة الوعي والتمييز ، وهذا هو الفهم الأبعد من حواس الجسم ، تختبر وتعلم ولكن من الصعب أن تعبر وتعلّم .

إن الرّجل سرّ والمرأة لغز والطبيعة حجة غامضة وكل جهدنا لمعرفة هذا الوجود سيصاب بالفشل وخيبة الأمل ، والعين ترى والأذن تسمع والكائن يختبر ويعتبر ، ولكن الكلمة محدودة لا تستطيع أن تُظهر الباطن الالامحدود ، لان الاختبار يسبق التعبير .

وأحد علماء الرياضيات ذهب لشراء لعبة لولده بمناسبة عيد ميلاده وطبعاً اختار لعبة علميّة معقدة ، وبعد محاولات عديدة وفاشلة حلّها سأل العالم صاحب المحل عن الحل وتفاجأ بالجواب حينما قال له :

أيها العالم الكبير!! إنَّها لا تُحلّ لا بالعقل ولا بالفكر بل هذه لعبة للصغار حتّى نقول لهم بأنّ الحياة سرّ ولغز بدون حل بل بالعيش والاختبار ، لقد حاولت وجاهدت كثيراً ولم تصل إلى حل ، هذا هو هدف هذه اللعبة ، وهي حزورة بدون جواب ، هذا هو الهدف منها ، وبنوع خاص للأولاد حتّى لا يجاهدوا في سبيل الدنيا بل يشاهدوا في سبيل الإنسان .

بإمكاننا أن نعيش ونحيا ونفرح ونُتحد في هذا السرّ الغامض ، ولكن لا نستطيع أن نراقب أو أن نفهم ما نرى ، فهل تعرفي نفسك ؟ لأن نفسك هي أكبر لغز لنفسك مع العلم بأن النفس حسّية وراقية على هذا السرّ ، ولن تعرفي شيئاً ، ولكن عندك بعض الإشارات أو المفاتيح .

المفتاح إلى السعادة ليس بالكلام عن الرّقة والحنان والحبّ والشوق ، بل بعيش النشوة الحقيقية التي هي المفتاح الذي لا يزال مفقوداً في يد حامله ، والمرأة تبدأ بمقاومة تطوّر وتقدّم الرّجل وتنتهي بعرقلة سير عمله ومنعه من الرّاحة والاعتزال .

إن أردت أن تغيّر فكر المرأة اتفق معها ، وإذا أحببت أن تعرف حقيقة فكرها وقصدها ونيتها ، انظر إليها ولا تسمع ولا تنصت ، أتت المرأة إلى الشرطي وقالت له : أيّها الضابط ، ذلك الرّجل الواقف على تلك الزاوية يزعجني جداً ؟. قال ضابط البوليس : إنني أحرس هنا منذ وقت طويل وذاك الرّجل لم ينظر إليك أبداً !. قالت المرأة : إنك على حق ، ولكن ألا ترى أنّ هذه المعاملة هي الإزعاج والمضايقة؟.

إذاً : المرأة تفكّر في إحساسها ، والرّجل يفكّر في فكره وأين هو التجانس والتواصل ؟.

وفي يوم ما ، التفت الشاب الرومانسي والعاطفي إلى الفتاة وسألها : هل أنا أول رجل يشاركك سرير الحب ؟، فكّرت قليلاً ثم قالت: ممكن أن تكون ، ولكنني أملك ذاكرة ضعيفة ومرعبة ورهيبة من حيث الوجوه .

لاحظ ان كلّ شيء غامض وخفيّ وملغز ، ومن الأفضل والأصح أن نفرح بأي شيء نراه بدلاً من أن يفكر سلباً ، فكان للشباب الأفضل له ان يفهمها أو يدركها ، كما إنّ طبيعة الإنسان وبنوع خاص الرّجل ، الذي يحاول أن يفهم الحياة ، يبرهن بأنّه غبي ، ولكن الذي يتمتّع بالحياة يزداد حكمة وفرحاً ويحيا الأسرار التي تحيط به وتغمره بالغموض وبالفيض السري الساكن في سرّ الإنسان .

وإنّ أقصى الفهم والإدراك والتمييز هو أن نفهم تماماً بأننا لا نستطيع أن نفهم شيئاً ، ليس بالفهم وحده يحيا الإنسان ، فإن كل الوجود معجزة خارقة وعجائبية إلهية مكتنفة بالأسرار المقدسة لا تدركها الحواس بل تحياها النفوس المتحررة من جميع الطقوس والنصوص ، فهذه المعرفة هي بداية الدّين الساكن في قلب المحب .

مفهوم التربية : وهي عملية تشكيل الأفراد في الصورة التي يريدها المجتمع التي تتفق مع ثقافته .
ومثلاً ، نحن نربي أبنائنا ونعلمهم على أساس شكل أو تصور معين نريده منهم .

ومثلاً ، في قديم الزمان كانت أثينا مهددة من بلدة بجوارها تدعى أسبرطة ، وكانت بينهما حروب دائمة ، من ذلك كان الهدف من التربية في أثينا إعداد الفرد للدفاع عن مكتسباتها ، ولذلك كان لا بد أن يشمل التعليم قدراً من التدريب العسكري ، فهم كانوا لا يريدون إلا محاربا ، لدرجة أنهم تصوروا أشياء غريبة الشكل فقد اعتقدوا بأن الوليد (الطفل) لو كان ضعيفا فإنهم سيخسروا الكثير من الأموال في تدريبه وإعدادهِ .

كما كانوا يقومون بعمل اختبار للطفل منذ ساعة ميلاده فيأخذوه من أمه ويضعوه على أعلى جبل في أثينا ولو بقي الطفل على قيد الحياة يستنتجون أن عنده مناعة قوية وأنه سيكون جنديا عنيدا .

ومثلاً ، كانت روسيا تحت سيطرة أسرة (رومان كوف) ، وعندما تأخرت وتخلفت جاء البلشفيون بقيادة (لينين) ومساعدته وقاموا بثورة ونادوا بالنظام الشيوعي وهو: لا يمكن لأحد أن يمتلك شيئاً فالأرض والمصانع ملك الدولة وكلنا موظفون بالدولة ، نرتدى ملابس واحدة ، نأكل طعاما واحداً، نعيش في بيوت واحدة ، وكلنا من أول الخفير إلى الوزير نركب دراجة واحدة . فتمتعوا بعدالة اجتماعية وفي عام ١٩٤١م أصبح اقتصادهم مرتفع جدا وصنعوا صواريخاً عابرة للقارات .

وأما في عام ١٩٥٧م فكانت روسيا أول دولة تغزو الفضاء ، وجن جنون الدول الاخرى ، ماذا حدث لكي يصل فلاحون روسيا إلى الفضاء قبلنا ؟! ، فنقلت الدول ومنهم الأمريكيون المقررات الدراسية الروسية بداية من المرحلة الابتدائية وحتى الجامعة وقاموا بترجمتها للإنجليزية ثم درسوها ، ومن ثم استطاعت أمريكا أن تغزو الفضاء عام ١٩٦٩م أي بعد ١٢ عام .

ولكن بقي الخطأ في الشيوعية أنها نظرت إلى الدين على أنه أفيون الشعوب ، ووجد أن الدين في الجوامع والكنائس يقوم على فكرة (إن لم آخذ نصيبي في الدنيا فسوف آخذه في الآخرة) ، وعلى فرض أنني ذكي والآخر غبي فلماذا تعاملني مثله؟! ، من كل ذلك عام ١٩٩١ أعلنوا (لا نجد طعاما نأكله) ، وهذا دمار سببه عدم الاعتراف بوجود الله .

فلماذا لا تعمل يا فلان ؟ ، فيجيب : رزقي على الله إنه مقسم الأرزاق ، ومن أكثر الأشياء التي جعلت الشيوعيون يخافون المسلمين المقولة الآتية (من كان رزقه على الله فلا يحزن)، وهذه المقولة بها نوع من التواكل، فلا بد للمرء أن يجتهد ويسعى للحصول على الرزق، والله قد أعطاه القدرات العقلية والجسمية وغيرها .

تراهم من الصف الأول يعلمون الطفل (العدالة الاجتماعية) ، ولكن حذفوا الدين ، وبدأ التسبب والانفلات ، وكانت المشكلة أن الذي يؤدي عمله بإخلاص كالذي لا يؤديه ، بينما يقول رسول الله ﷺ : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه .

سمات التربية : فهي عملية إنسانية تنتزع الفرد والجماعة من الحالة الوحشية (الحيوانية) إلى الحالة الإنسانية . فمثلاً : الإنسان الأول (البدائي) نجده كان يأكل الورق الأخضر ويتسلق الأشجار (طبيعة حيوانية) .

فمثلاً ، ذات يوم غرقت سفينة بينما تعلقت الطفلة (كاميليا) بقطعة خشب كانت هي السبب في نجاتها من الغرق ، ونزلت في جزيرة ما وجدت بها أحد . فأصبحت تمشي على يديها ورجليها وكانت تأكل كالحيوانات ، وبعدما بلغت سن الحادية عشرة أخذتها سفينة متجهة إلى أكسفورد وتعلمت (كاميليا) الأكل بطريقة معينة فأصبحت (الآنسة كاميليا) .

وتلاحظ ان الأسرة لها دورا كبيرا في تربية الأطفال فالطفل الذي يبلغ عمره ٤ سنوات لديه قدرات عقلية لا بد من تنميتها من خلال إعطائه أشياء تستدعي التفكير كأن أعطيه كتاب به مجموعة من النقاط واطلب منه توصيلها للوصول إلى شكل معين .

وفي العامين الثالث والرابع من عمر الطفل إذا تم إهمالهما سينشأ الطفل قادرا على الحفظ فقط ، وبالتالي عندما يصل الطفل إلى مرحلة الثانوية العامة فإنه يختار القسم الأدبي لأن القسم العلمي يحتاج إلى فهم ، ونحن أهملنا مرحلة ما قبل التعليم الابتدائي .

وعلى الام في عملية مستمرة ، تبدأ في أسرته تواصل تعديل سلوكه وترقية حياته حتى آخر لحظة في وجوده ، لأنه يرى الإنسان حتى الموت ، ومهما كبر فهو يحتاج إلى النصيحة ممن هم أكبر منه ، كما قال رسول الله ﷺ : لا يزال الرجل يطلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل .

ذلك من خلال عملية اجتماعية تتشكل من ظروف المجتمع وتراثه وأهدافه ، مثل (عيش عيشة أهلك) ، فنحن نربي ابنائنا على حسب الوضع المعيشي لنا ، وبالتالي يجب عدم تركهم دون إرشاد . أو أن يعيش الفرد بالحالة (المعيشة) التي يريدتها ويعكسها على ابنه ، ولكن بدرجة لا تصل الى تمنيه الخروج من الشرنقة .

ومفهوم تاريخ التربية ، هو دراسة الممارسات التربوية التي يمارسها الناس في تربية الإنسان وكذلك الأفكار والنظريات والمؤسسات التربوية وتطورها عبر التاريخ ، وعلى هذا يمكن تقديم عدة تعريفات لمفهوم تاريخ التربية من أهمها :

هو ذلك العلم الذى يعرض علينا جميع ما اهتدى إليه الناس في مختلف العصور من الآراء والأفكار والأعمال الخاصة بتربية النشأ وتقويمه . وتعريف آخر ، هو ذلك العلم الذى يبين لنا اساليب التربية ومناهجها عن كل أمة من الأمم وفي كل عصر .

وآخر ، هو ذلك العلم الذى يصف الرقي الذى تدرجت فيه التربية من مبدأ نشأتها في الأيام الحالية إلى المدى الذى وصلت إليه في الأزمنة الحاضرة . وتعريف آخر ، هو ذلك العلم الذى يترجم لنا أعمال العظماء الذين أفادوا الإنسانية وأثاروا حياتنا بالعلم .

وآخر ، هو ذلك العلم الذى يصف لنا ما تجشمه رجال التربية وأقطابها من الصعاب في اختبار الأوضاع والأساليب والأفكار وابتكار الطرق والأنظمة التي عبروا بها سبل التهذيب والتعليم حتى اهتدى إليها المربون الآن . آخر . هو ذلك العلم الذى وصف الشئون الاجتماعية والسياسية والدينية وما إلى ذلك مما يؤثر في عمل التربية ومقاصدها .

١- عوامل دراسة تاريخ التربية :

فمن العوامل التي يجب مراعاتها عند دراسة تاريخ التربية فمنها :

١- عوامل سياسية : ويقصد بها الأوضاع السياسية للمجتمع وما تتضمنه من نظم الحكم وما تتسم به من ديمقراطية أو استبداد وما يتعرض له من استقرار أو انهيار وما يعانيه من هجوم أو ما يقوم به من دفاع . وعندما كان الواقع في اي دولة تسلط ، يهاجر الأفذاذ إلى الخارج ، ليجدوا الديمقراطية ويصلوا إلى الآفاق التي يرغبون الوصول إليها .

فهل النظم الديكتاتورية دائما ما تكون طاردة للعلم ، وهل المجتمعات الغربية المتشعبة بالديمقراطية تشجع العلم وتؤمن به ، اي انه كلما كان المجتمع ديمقراطيا ومؤمنا بالعلم ، كلما ازداد تقدما .

٢- عوامل اقتصادية : يقصد بها حياة المجتمع وتحدث عن الطبقات المختلفة والمتصارعة فيه ، كالطبقة العليا والطبقة الدنيا . ووجود الفروق في الطبقات يؤدي إلى صراعات وحروب وحقد لا ينتهي ، ولكن هذه المشاكل والصراعات لها أثرها في النهاية على التعليم . فالناس تنظر إلى التعليم على أنه مصدر الرقي الاقتصادي ، كما قال ألفريد مرشال لا يوجد متعلم فقير أو متعلم مريض .

فالمتعلم يبحث عن الفرص التي تفيد المجتمع والبحث عن النواقص ميزة يفيد بها المتعلم المجتمع ، كما قال أرسطو : الرجل الذي يتعلم لكي يأكل فهو في مرتبة العبيد ، فالعلم أسمى من ذلك ، ولا بد أن يرتفع عن الرأسمالية والاشتراكية في الطبقات الاجتماعية .

لأن الاشتراكية تعني أن جميع الأموال والممتلكات ملك للدولة كما في روسيا والصين وكوريا الشمالية وكوبا ، فمثلاً ، لقد أفادت الاشتراكية روسيا في الاتجاه إلى أشياء أخرى مثل القنبلة الذرية والهيدروجينية وسفن الفضاء وصاروخ عابر القارات ، وسبب ذلك لتوافر الأموال فاستطاعت أن تصل إلى هذا القدر من التعليم .

والاشتراكية لها قومية من حيث يصب الكل في خزانة الدولة ، ولكن مشكلة الروس وغلطتهم الوحيدة تكمن في استبعادهم للدين ، وهذا مما جعلهم البحث عن إله ، لأن الناس دائما تبحث عن إله ومعبود لها ، وأبسط مثال جماعة من الهنود عندما قالوا لهم أنه لا يوجد إله ، بالتالي قالوا أن القطار هو الإله.

وأما الرأسمالية تعنى أن جميع الأموال ملك الأفراد كما في أمريكا ، وتأتى الرأسمالية بالأموال وتربى الأبناء على الفلسفة البراجماتية أو النفعية ، فمثلاً ، لا تستطيع أن تطلب من ابنك أن يحضر لك طبق من الطعام ، لأنه تربى على أن كل عمل له مقابل (الفلسفة النفعية) .

٣- عوامل جغرافية : ونعنى بها ما يتعلق بالبيئة ونوعيتها وطبيعتها وتأثير ذلك على سلوك الأفراد في المجتمع . وتلعب العوامل الجغرافية دوراً هاماً في التعليم وأبلغ مثال على ذلك ، أنه عندما كانت البحار هي وسيلة الاتصال استطاعت الدولة العباسية الاتصال باليونان وأمر المأمون بترجمة الكتب من اليونانية إلى العربية وأخذ وزنها ذهباً .

وبدأ العرب يأخذوا من علوم اليونان ونشطت حركة الترجمة والتأليف ونقلت العلوم بسهولة وذلك لسهولة الانتقال عبر البحار . أما الجبال فتعتبر عائقاً يمنع الاتصال ، فمثلاً أثينا واسبرطة ، فتلاحظ أثينا وهي بجانب البحر تجد فيها ثقافة وتعليم . ولكن أسبرطة تقع على الجبل فتجد لها دور في الحروب والهجوم على الآخرين . فكلما كانت الوسائل بسيطة والطرق ممهدة يسهل الانتقال ويتم التعلم بشكل أوسع .

عوامل دينية : ونقصد بها ما بين الأفراد من ديانات سماوية وما يعتنقونه من معتقدات وما يمارسونه من طقوس وشعائر وما يقدسونه من معبودات وآلهة ، وما يوجد في المجتمع من طوائف وجماعات دينية وأثر ذلك على أوضاع التربية ونظم التعليم .

فالدين له دور مهم جداً في الحضارات البشرية فهو يدفع إلى التعليم ، كما قال رسول الله ﷺ : طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . وكما قال ﷺ : لا يزال الرجل يطلب العلم فإذا ظن أنه علم فقد جهل .

وقال ﷺ أيضاً : اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد . وهذا يدل على الاستمرارية في طلب العلم في أي وقت وفي أي سن ، فجميع الحضارات القديمة كلها نشأت على أساس ديني .

٤- عوامل أنثروبولوجية : ويقصد بها العوامل التي تتعلق بالسلالات البشرية وثقافة الإنسان وتطورها عبر العصور .

ولأهمية دراسة تاريخ التربية بالنسبة للمعلم لغرض معرفة النظريات العلمية والفلسفات التي لها علاقة بتاريخ التربية ، وكذلك معرفة الأصول التاريخية للمدارس ، ودراسة الماضي تفيدنا في فهم الحاضر وتمنع تكرار الأخطاء في المستقبل حيث التعلم من السابقين والاستفادة منهم .

٢- التربية والتعليم في القدم :

آنذاك تجدهم يقوم الكاهن بتعليم أبناء الطبقة الراقية عن طريق التقليد والكتابة ويحتفظ بأسرار الحكم التي ائتمنه عليها الذين قبلهم ، ومن ذلك لم نعرف عن الكثير من الأسرار القديمة مثل الزخرفة^{١٠٢٧} والتحنيط^{١٠٢٨} ، او كيفية بناء المعابد والأهرامات^{١٠٢٩} الشاهقة .

يرى بعض المؤرخين أن العصور الوسطى تتضمن القرون الثمانية التي تقع بين قمتين تمثل العصور القديمة إحداهما وتمثل العصور الحديثة الأخرى ، وهى تمتد من عام ٥٠٠م إلى عام ١٣٠٠م ويطلق على هذه الفترة (العصور المظلمة) أما الفترة ما بين عام ١٠٠٠م ، وعام ١٣٠٠م ، فتسمى بـ(العصور الوسطى الحقيقية) ، حيث يعد القرن الثالث فترة ازدها الثقافة في هذه العصور .

وعاشت أوروبا في غياهب الجهل والسلب والنهب لفترة امتدت أكثر من ٣٠٠ سنة تقريباً ، ولم تتغير الحال إلا من بعد الحروب الصليبية ، حيث خرج الأوروبيون إلى الشرق فنقلوا عنه الفنون والآداب والمؤلفات الإسلامية التي درسوها في جامعاتهم وبدأت أوروبا في الرقى والتقدم ، بل بدأت أيضاً تسبق الشرق بعشرات بل بمئات السنين ، وممن استفاد منهم الأوروبيون من معارفهم وعلمهم وترجمت كتبهم وموجودة لحد الآن في الجامعات والمعاهد والمكتبات والمتاحف فمثلاً منهم:

الحسن بن الهيثم في علم البصريات ، وابن رشد في الفلسفة والمنطق ، وأبو بكر الرازي في علم الطب وقد صنعوا له تمثال أمام كلية الطب سموه "رازييس" ، والبيروني في الرياضيات وحساب المثلثات ، وتعتبر بعض مؤلفات هؤلاء العلماء التي تدرس حتى الآن شاهداً على تقدم الحضارة العربية .

فقد كان الأوروبيون في ذلك الوقت مستسلمين للكهنة ، فكانوا يذهبون لهم ويدفعون إليهم مبالغ من المال مقابل تطهيرهم وغفران ذنوبهم ، واشتروا الأراضي والعقارات ، فأصبح لديهم قدراً كبيراً من المال لكنهم عجزوا عن حماية ممتلكاتهم فأتجهوا إلى قوة الفتوات لحمايتها في مقابل المال أو مقابل جزء من الأرض فظهر ما يسمى بـ(الإقطاع) ، ولكن الإقطاع (الإقطاعي) في أوروبا يختلف عن الإقطاع (إقطاعي) في إفريقيا أو الشرق .

١٠٢٧- الألوان لدينا غير ثابتة لأننا نستخدم مادة الشب البوتاسي التي تثبت الألوان مؤقتاً فتزول مع مرور الزمن .

١٠٢٨- لان نخاع العظام يفرز كل دقيقة ٢ مليار خلية بيضاء وكل خلية تدافع عن ٢٥ ميكروب وذلك للحفاظ على الجسم من الأمراض فإذا مات الجسم بدأت المواد تتوقف ويبدأ التحلل .

١٠٢٩- حتى الآن لا أحد يعرف كيف يرفع حجر وزنه ٦٠ طن لارتفاع ٣٤ متر .

من حيث كانت الأراضي كلها ملك ، فمثلاً مصر كانت للوالي مُجَّد علي ، وكان ينعم ببعض منها على الناس على شكل (إعانات) ، وجاء الوالي سعيد خديوي من بعد إسماعيل ، وكان أحمد عرابي أمباشي وقتها كلما كان يحصل على ترقية في الجيش يأخذ أو يقطع منهم ٢٠٠ فدان من الأرض وهكذا كان نظام مُجَّد علي ، كلما يحصل أحد المصريين على رتبة يعطيه سعيد ٢٠٠ فدان .

وعندما بدأت الأمور تضطرب في أوروبا وتحولت إلى فوضى نظرت أوروبا إلى الشرق خاصة مصر والشام والمغرب وقام الأوروبيون بعمل ٢٤ حملة صليبية على الشرق العربي ، واحتلوا البلاد العربية ونقلوا إلى بلادهم الكتب والعلماء والأموال وكانت تسمى الشرق (سلة روما) أو سلة الغذاء والقمح حيث يصدر القمح كله إلى أوروبا .

وأما من الناحية الاجتماعية فقد انقسم المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى إلى ثلاث طبقات وهي كما يلي :

الأولى طبقة الأحرار : وتشمل الأعيان ورجال الدين والجنود النظاميين وأصحاب المهن ومعظم التجار والصناع والفلاحون الذين يملكون أرضهم ولا يلتزمون إلا بالقليل أو لا يلتزمون بشيء على الإطلاق لأى سيد إقطاعي .

الثانية طبقة رقيق الأرض : وتشمل الفلاحون الذين يؤجرون قطعاً من أراضي البارونات طوال حياتهم ويتمتعون بحمايتهم نظير دفع جزء من عائد الأرض من الغلات أو المال .

الثالثة طبقة العبيد : وهم الذين يقومون بالأعمال المنزلية .

وأما موقف الكنيسة آنذاك ، فقد اقتصر نشاط الكنيسة في بداية الأمر على الرهبنة حتى جاء (بندكت) فراجع مصادر تحركات رجال الدين من اليهودية والبوذية والاسلام ، ووجد الجامع المشترك بينهم ، هو الخروج والاندماج مع المجتمعات بعيداً عن الجلوس والقوقعة والانكماش على النفس .

وأمر الناس (بندكت) بالخروج للحياة والعمل ، فخرج الرهبان من الأديرة ، وبدأوا العمل في زراعة الأراضي حولها ، وهذا عندنا في الإسلام فعندما جلس الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بالدار بعد وفاة الرسول ﷺ ، ودخل مسجد فحفر آبار للناس ، والى يومنا هذا تسمى آبار علي في السعودية ؟ .

واما اتجاهات التربية المسيحية في العصور الوسطى ، فقد حاولت المسيحية أن تحل نفس المشكلة التي واجهت الحضارات الوثنية المختلفة ، وهى مشكلة التوفيق بين الحرية والفردية التي تتمثل في تحقيق الرغبات والنزاعات الشخصية ، وبين الاستقرار الاجتماعي لحفظ الجنس أو الأمة ، ونجد أن المسيحية تقدم حلاً تلتقى فيه مصالح الفرد والمجتمع عن طريق نظام خلقي يتمثل في جانبيين هما :

جانب مثالية للأخلاق الشخصية : تتضمن صفات الأخلاق والأمانة والطهارة .

جانب مثالية للمسئولية الاجتماعية "للفرد كعضو بالمجتمع" : وهى مبنية على دوافع الحب الأخوي والوفاء والكرم والبذل والإيثار .

وتحددت أهداف التربية المسيحية في هذه الفترة التي عاصرت حياة السيد المسيح ﷺ بالدعوة إلى تنفيذ تعاليمه ، وهى تحقيق العدالة والإنصاف والرحمة والمحبة ، وإقامة علاقات طيبة بين الأصدقاء وبين الناس وبين الأسرة في الأمة الواحدة ، كما هو المنسوب من أقوال المسيح ﷺ: (أحبوا أعدائكم ومن ضربك على خدك الأيمن أدر له خدك الأيسر) .

وقد تميز أسلوب السيد المسيح ﷺ في التعليم أو التدرس بما يلي فمنها :

منها : استخدام الأساليب التي تتسم بالفاعلية .

منها : استخدام أسلوب التشبيه والاستعارة للتشويق وتوضيح الحقيقة .

منها : استخدام طريقة الوعظ للأعداد الكبيرة والحوار للأعداد الصغيرة .

وكانت الكنيسة هي أول مؤسسة تعليمية بعد البيت ، وكانت تقدم المواد الدينية والأخلاقية فقط ولا تعترف بباقي المواد كالأدب والفنون والعلوم والبلاغة والبيان والفلسفة .

وتلاحظ التربية المسيحية في القرون الثلاثة الأولى ، فقد اهتمت في هذه الفترة بالإصلاح الخلقي للفرد والإعداد للحياة الآخرة ومحاربة العادات الوثنية المعارضة لها ، والعمل على شرح العقيدة المسيحية وتحقيق المثل العليا التي رسمتها الكنيسة ، ولكن هذه التربية المسيحية كانت تربية مضادة للتربية الفردية الحرة عند اليونان وللتربية الاجتماعية العملية عند الرومان .

ومن ثم جاءت الفلسفة لتتصارع مع المسيحية وأصبح السؤال هل الفلسفة مع أو ضد الدين؟!، وهنا انقسم زعماء الكنيسة إلى فريقين إزاء الفلسفة ، فالفريق الأول : رأى أنها ضد الدين وتمثل خطورة عليه قد تؤدي إلى الكفر .

وأما الفريق الثاني : رأى أنها تدعم الدين وتكون سنداً للعقائد الدينية خاصة في النواحي الخلقية ، وذلك لأن الدين الذي يقوم على أساس منطقي يكون أقوى من الدين الذي يقوم على أساس غيبي .

وقد سادت الفكرة المناصرة للفلسفة اليونانية في الشرق بين أفراد الشعب اليوناني ، ومن هذا نشأ ما يسمى بـ(العصور المظلمة) ، فظهر من أنصار الفلسفة اليونانية (كلمنت) الذي نادى بأن تكون الفلسفة وسيلة لنشر المسيحية أما أهم المعارضين لها فكان القديس (أوغسطين) الذي وصف الأدبيات القديمة بأنها مفسدة للمسيحية .

وشهدت هذه الفترة نوعين من المدارس هما : النوع الأول المدارس الدينية الإعدادية ، وكان الغرض منها انقاذ الروح ونجاتها عن طريق دراسة التعاليم الخلقية والدينية وقراءة الكتب المقدسة واستظهارها .

النوع الثاني المدارس اللاهوتية ، وكان الغرض منها إعداد المعلمين وقادة الكنيسة (الشماسة) وأشهر هذه المدارس مدرسة الإسكندرية وهي من أشهر مدارس الوعظ في ذلك الوقت .

وما يخلصنا فهو التربية المسيحية المتأخرة ، فقد تطورت التربية المسيحية في هذه الفترة ضمن صورة أربعة نظم أساسية وهي (الرهبنة ، الحركة المدرسية ، الجامعات ، الفروسية) وهي كما يلي :

الرهبنة : عندما يكون أي مجتمع ملتزم ، وعلى درجة عالية من الأخلاق تجدد البلد كلها تقريباً في حالة انسجام ولكن مع ظهور الفساد يبدأ ظهور الدجل وغيره ، وهذا رد فعل طبيعي لتفكك المجتمع .

فمثلاً ، عندما ظهرت الفضائيات والقنوات الشاذة والمواقع التي لا تتقيد بأي اتجاه خلقي كان لابد أن تظهر القنوات الدينية في نفس الوقت كرد فعل للقنوات المنحلة حتى يتم التوازن .

فلو تبادر لك سؤال : لماذا ظهرت الرهبنة عند الكنيسة ؟ .

في وقت انحلال أوروبا كان لابد من ظهور الرهبنة كرد فعل للظلم والفساد الذى دب في المجتمعات فقد قتل الكثير من الناس في الحروب وعاش الناس في المجتمع الأوروبي نحو الإباحية فشاعت الفحشاء .

فمن هنا ظهر الرهبانيون وهم أناس اتخذوا توههم سلم درجات الخلق للتعبير عن اليأس ، ودعوا المجتمع الفاسد ، وبدأوا يأخذوا من الأديرة مساكنهم فانشغلوا بعبادات وطقوسهم الخاصة وانصرفوا عن العمل .

وفي سنة ٥٢٩م أصدر القديس (بندكت) قانون حث فيه الراهبون على العمل في الحقل لمدة سبعة ساعات في اليوم والقراءة لمدة ساعتين ، ومن ذلك اليوم ، وبهذا القانون تحولت حياة الرهبان من الكسل والعزلة إلى العمل والنشاط والاندماج أو الاتصال بالمجتمع .

وانتشر التعليم وانتشرت الثقافة ، لأن هذا القانون فرض على الرهبان قراءة الإنجيل ، وقراءته تحتاج الى تعلم القراءة والكتابة ، ومن ثم ظهرت الحاجة والإطلاع إلى تعليم أكثر ، لدخول البلدان في اعتناق المسيحية ، وأصبحت الأديرة مدارس لنشر الكتب وتعليم التلاميذ .

ثم أدخلت دراسة الآداب القديمة في أسلوب الفنون السبعة وهي (النحو والمنطق والبلاغة والحساب والموسيقى والهندسة والفلك) التي أخذت من التربية اليونانية الرومانية ، كما أدخلت الدراسات السوفسطائية ، وخاصة قواعد النحو والبلاغة والمنطق .

وقد تضاعف عدد الأديرة أثناء العصور المظلمة حتى بلغت ذروتها في القرن العاشر المضطرب الذى ساءت فيه الأحوال إلى أقصى حد ثم أخذ عددها في النقصان حين أخذ النظام يسود الشئون الزمنية وأخذ الرخاء في الازدياد آنذاك .

الحركة المدرسية : وهي واحدة من صورة الأنظمة الأربعة ، فقد ظهرت الحركة المدرسية في أوروبا وبدأ الاهتمام بها ، ولكن على استحياء حتى جاء شارلمان (٧٧١-٨٤١ م) ذلك الرجل الذى وحد أوروبا واهتم بالتربية والتعليم وإحياء الثقافة الرومانية وإحياء العلوم والأدب .

وبعد وفاة شارلمان كان لابد من حدوث نوع من الانحلال والجهل والانصراف عن التعليم فتجمد ميدان العلم والثقافة وعاشت أوروبا في عصورها المظلمة في وقت تمتع فيه الاسلام بالحركة والنهضة الفكرية والثقافية بشكل عام .

والمعروف بدأت الحركة المدرسية كحركة للترشيد أو للتعليل المنطقي لمبادئ الكنيسة وانتهت إلى نظام معين من الحضارة والثقافة ، وقد أدت هذه الحركة المدرسية إلى تنشيط الفكر وحرية البحث ، وبلغت أوج مجدها باتحادها مع الفلسفة الأرسطية .

ومع اللاهوت النصراني على يد أشهر رجالها توماس الأكويني (ت ١٢٢٥ - ١٣٧٤ م) الذى بقي مؤلفه (بدائع اللاهوت) حتى اليوم عندهم الشرح الموثوق به لللاهوت الروم الكاثوليك ، وقد أعلن ذلك البابا ليو الثالث عشر سنة ١٨٧٩ م .

وقد اهتمت الحركة المدرسية بتدريس المواد التي تتنوع فيها المهارات كاللغة والنحو والموسيقى والتربية الرياضية لتخرج في النهاية بمتعلم ملما بمهارات الحياة . ومع ازدياد عدد الطلاب بدأ ظهور الجامعات التي اهتمت ببعض الدراسات الحياة اليومية .

كما هو حال القانون المدني والطب ، وذلك نتيجة للاحتكاك بالثقافات والحاجة اليها بعد الحروب الصليبية ، وتكاثر المدارس الخاصة (رهبانية وأسقفية) خلال القرن الثالث عشر ، وكان أشهرها السوربون التي أقامها روبردي سوربون سنة ١٢٥٣ م ، وكان كاهنا للملك لويس التاسع .

ولكن أخذت الحركة المدرسية في التدهور عندما تحول الجدل المنطقي إلى شكلية وتعريفات مبهمه أدت إلى جمودها ووقوفها عقبة في سبيل أي تقدم ، ولكنها بالرغم من ذلك بقيت علامة مميزة في ثورة التفكير البشرى في العصور الوسطى .

الجامعات : وهي واحدة من صورة الأنظمة الأربعة ، فقد مهدت الحركة المدرسية السابقة الى نشأة الجامعات ، والجامعة في العصر الوسيط يقصد بها مجموع الأشخاص من الأستاذة والطلاب المعنيين بالعلم في أي مدينة ما .

وتمتعت الجامعات سواء أساتذة أو طلاب بامتيازات شبيهة بامتيازات رجال الدين ، حيث كان طلابها يعفون من الضرائب ، ومن الخدمة العسكرية إلا في حالات الحرب .

كما كان من حق الجامعة منح خريجها درجة البكلوريوس (الليسانس) التي تعطيهم الحق في التدريس في أي مكان بالعالم النصراني، والمثل أمام محاكم خاصة بهم والحصانة من الاعتقال بواسطة السلطات المدنية .

ويلتحق الطالب بالجامعة في نحو سن الرابعة عشرة بعد حصوله على شهادة الدراسة الثانوية وعليه أن يختار مشرفا من الأساتذة يشرف عليه لمدة تتراوح بين ثلاث وسبع سنوات يدرس خلالها النحو وعلم البيان والمنطق وعلم الهندسة والفلك .

ثم يواصل دراساته في نفس الوقت الذي يتدرب فيه على التدريس تحت إشراف أستاذ التربية العملية وفي نهاية دراساته يقدم رسالة أو بحثا أو تقريرا يناقش فيه علنا أمام الأساتذة المختصين وعندما ينجح يمنح هذه الدرجة التي تخول له الالتحاق بنقابة المدرسين .

أما عن طرق أو طرائق التدريس في الجامعة فكانت ذات جدوى في إثارة الجهد العقلي أثناء البحث والتحليل ، إلا أنها أهملت المعنى والمضمون ، واهتمت بالجدل والمناقشة أكثر من اهتمامها بتحصيل المعرفة أو الوصول إلى الحقيقة .

ولكن مناهج الجامعات في العصور الوسطى كانت ضئيلة محدودة شكلية أهملت دراسة الآداب القديمة إلى حد كبير .

وقد مهدت الجامعة السبيل للديمقراطية وقدمت الكثير للنظم الجامعية الحديثة خاصة ما يتعلق بالنظم الإدارية والأكاديمية وتقسيم الجامعة إلى كليات ونظام الدرجات العلمية ومؤهلات الأساتذة وتدريب الطلاب للمهن الرئيسية وبرامج الدراسة .

الفروسية : وهي واحدة من صورة الأنظمة الأربعة ، فقد استخدمت الفروسية كنظام اجتماعي وجهت لتربية الأشراف أو النبلاء وارتبطت الفروسية منذ نشأتها في القرن التاسع بنظام الإقطاع الذى ساد مجتمعات العصور الوسطى في أوروبا ، حيث لجأ الملك أو الشريف أو السيد الإقطاعي إلى فئة من المحاربين للدفاع عن أملاكه فكان يقطعهم أجزاء من ممتلكاته في نظير بذل المساعدة العسكرية له ومن هؤلاء المحاربين تكونت طبقة الفرسان .

وكان هدف الفروسية كنظام تعليمي للأشراف تنمية فضائل جماعتهم واحترام الذات وخدمة الكنيسة واحترام النساء ، وقد أكدت الفروسية قيمة العمل والشهادة والكرم والسلوك المهذب ، وكلها صفات تأكدت من خلال التربية الاجتماعية التي كان يمر بها الفارس لديهم . وكانت تربية الفارس تنقسم إلى مرحلتين هما :

مرحلة الطفولة : وهي من عمر سبعة الى اربعة عشر سنة ، ويعمل فيها عند أحد السادة وقيم عند السيدات . ومرحلة الشباب وهي من عمر أربعة عشر الى احدى وعشرون سنة ، ويتولى فيها مائدة الطعام مع الكبار ، وكيفية التصرف بالحاجات في القصر ، وفي ميدان القتال وساحة المبارزة .

فكان تعليم الفارس يشمل التربية البدنية والتربية الاجتماعية والتدريب العسكري والانشطة الدينية، كما يشمل المنهج في المستويات العليا ، لغرض إعداد الفارس للفنون السبعة الحرة وهي (المبارزة والصيد والسباحة وركوب الخيل والملاكمة وكتابة الشعر وغنائه والشطرنج) .

كما اهتمت الفروسية كنظام تعليمي بتربية البنات على فن الإتيكيت والشئون المنزلية كالحياكة والنسيج والتطريز ، ولم تحظى القراءة والكتابة إلا بقدر ضئيل جداً من الاهتمام ، بينما حظى الإنشاء والشعر الغنائي بأهمية كبيرة لتسلية نساء القصر .

وجدير بالذكر هنا انه ، قد أدت الفروسية خدمة للحياة الدنيوية حين علمت الخضوع للقانون وللرئيس غير أنها يؤخذ عليها احتقار الطبقات الفقيرة وحب سفك الدماء ، لأن الفرسان كان لهم أن يقتلوا أي شخص بدعوى حماية أملاك السيد فكانوا مشهورين بالقتل والدمار وكانت معهم رخصة لذلك من دون محاسبة من أحد .

وأما تربية المرأة في العصور الوسطى النصرانية ، تشير الدلائل أن تعليم البنت لم يهمل تماماً في العصور الوسطى في أوروبا ، ولكن يبدو أنه كان قاصراً على بنات الطبقات العليا أو الأرستقراطية وكانت معظم الأديرة تنشيء مدارس للبنات ولكن أغلب الظن أن هذه المدارس لم يلتحق بها إلا نسبة صغيرة منهن ، ومن أشهر هذه المدارس مدرسة نوتردام في باريس سنة ١١١٤ م .

٣- التربية في الشرق :

جميعنا نعلم أن رسولنا محمد ﷺ ولد في مكة المكرمة في عام الفيل ومن ثم هاجر إلى المدينة عام ٦٢٢ م ، ومنذ ذلك التاريخ بدأت قوة الدين الإسلامي في الظهور ، وانتشر الإسلام في جزيرة العرب وظهرت الحكومة الإسلامية في المدينة .

ومن ثم بدأت الفتوحات الإسلامية ، وأخذت الدولة الإسلامية في الاتساع وبلغت هذه قمته بعد استشهاد الامام على بن أبي طالب عليه السلام سنة ٦٦١ م ، حيث امتدت الإمبراطورية العربية من المحيط الأطلسي غرباً إلى الهند شرقاً ، ومن بحر قزوين شمالاً إلى شلالات النيل جنوباً .

والرأي الراجح ، هو أنه فسر المؤرخون انتشار الإسلام بعدة عوامل يمكن إجمالها على النحو التالي فمنها عوامل اقتصادية : حيث كان الغزو وسيلة من وسائل الحياة وكسب العيش عند القبائل العربية في الجاهلية ، ومن ثم كان التوسع تعويضاً عن الخسائر التي لحقت بالإسلام من جراء الحروب التي وقعت زمن النبوة وحركة الردة .

والمقاتل المجاهد عندما يحارب وينتصر يكون له نصيب من الغنائم وإذا انتصر في مصر أو شمال أفريقيا أو الشام أو الأندلس فإنه يعيش عيشة مرفهة جداً ، إذاً : العامل الاقتصادي كان هاماً جداً للرجل لكي يحارب وينتصر ويكسب الغنيمة .

ومن هنا عوامل سياسية : حيث يرى أصحاب هذا الرأي أن الفتوحات الإسلامية كان الهدف منها شغل العرب بمشروعات قومية عظيمة في وقت كانت عوامل الخلاف فيما بين القبائل داخل الجزيرة العربية ما زالت قائمة . وانتشار الإسلام كعامل سياسي ونقله من الجزيرة العربية إلى آفاق العالم وانتشاره حتى في البوسنة والهرسك وغيرها ، يعنى الخروج بالإسلام من العرب إلى الإسلام العالمي .

ومنها عوامل اجتماعية وشخصية : وهي قدرة العرب على الاحتمال والصبر وخاصة في ظروف الحرب وما تتطلبه من قدرة على تحمل الجوع والعطش ومهارة في ركوب الخيل ورمى النبال .

بالنسبة للعوامل الاجتماعية : تلاحظ بدو الجزيرة العربية كانوا يعانون من المشكلات على الكأ (العشب) أو الماء أو الحصاد ثم جاءت حرب البسوس ، وكان هناك مشروع وطني أو قومي ، لغرض توحيد القبائل والإصرار على وجود يد واحدة للانتصار على أعداء الإسلام .

وأما العوامل الشخصية : تلاحظ بدو العرب هم محاربون بطبعهم ، ولديهم القدرة الواسعة على تحمل الجوع والعطش وغيرها .

ومنها عوامل ضعف دولتي الفرس والروم : حيث كانت الدولة الرومانية تعاني من الفتن والثورات في أواخر عهد جستنيان إلى وفاة هيرقل (ت ٥٦٥-٦٤١ م)، كما ضعف نفوذ البيزنطيين في الغرب أكثر منه في الشرق واستطاع الغربيون الاستيلاء على شبه جزيرة إيبيريا ، كما تصدعت أركان السلطة آنذاك في الدولة الفارسية على أثر انتصار هيرقل عليهم .

ومنها عوامل رغبة الشعوب : وهي التي عانت من الظلم تحت حكم الروم والفرس في الخلاص من الذل والاستعباد ، ومن ذلك رحبوا بالدين الجديد وما فيه من تسامح .

فقد كانت أحوال العرب قبل الإسلام تتسم بالبساطة من جهة ، وبالصراع بين القبائل المختلفة في شبه جزيرة العرب من جهة أخرى .

فمن الناحية الدينية تجدها شاعت عبادة الأصنام ، ومن الناحية الخلقية تلاحظ انتشار بعض العادات السيئة ، مثل شرب الخمر ولعب الميسر والاتجار بالعبيد والعصبية والأخذ بالثأر ووأد البنات .

ومن الناحية الفكرية لم يوجد بين سكان الجزيرة العربية إلا اللغة والشعر ، كما انتشرت بينهم الأمية ، وكانت معرفة القراءة والكتابة قاصرة على قلة قليلة جداً من العرب قبل الإسلام .

وأما من الناحية الاقتصادية كان اعتمادهم على الرعي والتجارة ، وهي وسيلة الارتباط فيما بين العرب والمجتمع الخارجي . وأما من الناحية السياسية لم تكن لدى العرب قبل ظهور الإسلام وحدة سياسية تضم شملهم. ومن الناحية الاجتماعية كانت أقوى الطبقات هي طبقة التجار التي أثرت من التجارة مع بلاد الفرس والشام واليمن .

ولم يكن التعليم منتشرا بين العرب في جاهليتهم ، وكانت التربية المتاحة للأجيال الجديدة تربية بدائية في صورتها ومحتواها ، تقوم على التقليد والمحاكاة ، ويتولاها كبار السن في القبيلة ، ولم يعرف من العلوم في الجاهلية كما يقول "الشهرستاني " غير علم الأنساب والتواريخ والأديان ، وعلم الرؤيا ، وعلم الأنواء ، بالإضافة إلى الشعر الذي يتغنى فيه العرب بمآثرهم .

وأما التربية في صدر الإسلام ، فهي الفترة التي بدأ التعليم الإسلامي فيها يتبلور حوالى عام ٦٥٠ م ، بعد وفاة الرسول ﷺ بثمانية عشر عاما ، والتي تمتد لتغطي فترة حكم الخلفاء الأربعة الأوائل الذين عاصروا الرسول ﷺ وتأثروا به حتى العصر الأموي (٤٠-١٣٢هـ.ق-٦٦١-٧٥٠ م).

اعتمدت التربية الإسلامية في هذه الفترة على العلوم النقلية وتشمل علوم الدين المختلفة قراءات وتفسير وحديث وفقه ، كما تشمل العلوم اللسانية ، وهى النحو واللغة والأدب ، وانتشر الشعر حيث أنه من المعروف أن البلاغة سمة من سمات العرب ، وكان هناك أسواقا تقال فيها الأشعار مثل (سوق عكاظ) ، وظهرت في هذه الفترة أيضا أهمية تعلم القراءة والكتابة لتدوين القرآن الكريم وقراءته وقد أدى انتشار الإسلام خارج حدود الجزيرة العربية إلى ضرورة تعلم اللغة الأجنبية .

ومن المؤسسات التربوية التي شاعت في هذه الفترة هي الكتّاب والمسجد كمراكز للتعليم ، وكان الهدف الأساسي من عمل المعلمين الكتّاب هو تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الكتابة ، وقواعد الإعراب لحسن قراءة القرآن قراءة سليمة ، كما كان يدرس أحيانا الحساب وتاريخ العرب ويقوم بالتدريس في الكتّاب معلم حافظ للقرآن عالم بأمور الدين ، ملم بالقراءة والكتابة والنحو والحساب والأدب كما يشترط في المعلم أن يكون قدوة في خلقه وسلوكه وأن يكون رحيما .

ومن ثم التربية في الدولة العباسية ويسمى العصر الذهبي ٧٥٠-١٢٥٠ م ، وهو عصر الدولة العباسية من أول أبو جعفر المنصور وحتى دخول المغول ، فقد امتازت هذه الفترة بنمو النشاط الثقافي التربوي ، حيث لم يقتصر المسلمون على الدراسات الدينية .

وامتد اهتمامهم إلى دراسة اللهجات والتاريخ والقانون والاجتماع والأدب والفلسفة والطب والرياضيات والمنطق والتشريع والفن والعمارة ، وحظى العلماء في هذه الفترة بالتكريم في القصور واشتد التنافس بين المدارس الإسلامية التي أنشئت في بغداد والبصرة وبخارى والقاهرة ودلهي وغيرها من مدن الشرق .

وبفضل هذه النزعة العلمية حقق المسلمون الإنجازات الحضارية في فروع العلم المختلفة وتمتع المسلمون بالرخاء ، وهذا لا يعنى إغفال الهدف الديني وتربية الإنسان على الفضائل فقد ظل الاهتمام بالتربية الدينية وبحفظ القرآن الكريم وعلوم الدين أحد الأهداف التربوية الأساسية .

٤ - الفكر التربوي عند المسلمين :

حينما نراجع التاريخ نأخذ بعض الآراء فمثلاً رأي ابن سينا^{١٠٣٠} في التربية ، ومنهج التربية عنده ، فقد رأى أن حفظ الطفل للقرآن الكريم ينبغي أن يكون منذ السنين الأولى ، وهذا الرأي صائب ، وذلك لأن الطفل حتى سن الثامنة يكون مهيم ومؤهل للحفظ ، وبعد أن يفرغ الصبي من حفظ القرآن وأصول اللغة يوجه إلى ما يلائم طبيعته واستعداداته .

ويساعده في ذلك المربي الذي يوجه الشباب إلى المكان الذي يصلح له على وفق ميوله ورغباته ، فإن كانت ميوله متجهه نحو الناحية العملية وجهه إلى الصناعة التي يريدتها وإن كانت ميوله أدبية وجهه إلى دراسة الآداب وإن كان يفضل العلوم وجهه إلى الطب والصيدلة والكيمياء والرياضة .

واما صفات المدرس أن يكون عاقلاً ، متديناً ، حسن التصرف ، رزيناً قادراً على توجيه الأطفال خلقياً وعلمياً ، أي أن يكون قدوة لتلاميذه ، ويرى ابن سينا أن مهنة التدريس تحتاج إلى إعداد وإلى معرفة بعلوم التربية وحب الأطفال وميل لمهنة التعليم ودراسة طبائع المتعلمين ، كما تحتاج إلى خبرة وكفاية وقدرة من جانب المربي على توجيه وإرشاد من يتلقون العلم على يده .

١٠٣٠ - ابن سينا ٣٧٠ - ٤٢٨ هـ.ق ، ولد في بخارى

واما التربية الخلقية فقد عنى ابن سينا بالتربية الخلقية للأطفال عناية كبيرة ، ويرى أن التربية الدينية كفيلة بتحقيق النمو الخلقى للطفل ، ومن ثم وجب على المربين أن يهتموا بتكوين العادات الصالحة في التلاميذ ، كما قال رسول الله ﷺ : (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) .

كما ويؤكد ابن سينا على أهمية القدوة الحسنة في بيئة الطفل والمحيطين به ، وخاصة رفاقه واقارانه في الدراسة ويرى أن اجتماع الأطفال في الدراسة يثير حماسهم وينمي فيهم الرغبة وروح المنافسة والمحاكاة وفي ذلك تهذيب لأخلاقهم وتحريك لهم .

واما العقاب عند ابن سينا ، فقد نصح في حالة استخدام العقاب عند الضرورة أن يراعى المربي منتهى الحيلة وأن يكون حكيماً في عقوبته لا يعامل من يستحقون العقاب من الأطفال معاملة واحدة وإنما يستخدم العقاب المناسب للخطأ ، وألا يلجأ إلى العنف عند أول خطأ من المتعلم بل يستعمل الرفق واللطف .

ومثلاً ، آراء ابن خلدون^{١٠٣١} في التربية فمن أهدافها عنده : يرى أن التربية الإسلامية لها هدفان هما ، الهدف الديني ، والهدف العلمي الدنيوي . ورأى ابن خلدون أن مناهج التربية تختلف باختلاف البيئات الإسلامية ولكنها تتفق في اعتبار القرآن الكريم أصل الدين ، ومصدر العلوم الإسلامية ، ثم يرتب العلوم حسب أهميتها للمتعلم كما يلي :

العلوم الشرعية بأنواعها ، ثم العلوم الفلسفية كالتطبيقات والإلهيات ، ثم العلوم الآلية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها ، وأخيرا العلوم المساعدة للعلوم الفلسفية كالمنطق .

ويرى ابن خلدون أن يبدأ التعليم الابتدائي بتعليم الطفل القراءة والكتابة والحساب واللغة والمعاني ومن ثم ينتقل إلى قراءة القرآن الكريم وتفهم معانيه وحفظه ، وينصح بالألا يبدأ بتدريس القرآن الكريم إلا عندما يصل الطفل إلى درجة معينة من التفكير ، حيث يرى أن حفظ القرآن في الصغر عادة سيئة شائعة في زمانه بغرض تقوية لغة الطفل وحمائته من شر الرذائل ، ولكنه يرى أن كلام الله المنزل لن يكون له تأثيره في اللغة قبل أن يفهم الطفل معانيه ويتذوق أساليبه .

١٠٣١- ابن خلدون ٧٣٢-٨٠٨هـ.ق ، ولد في تونس .

ونجد بعض المبادئ التربوية التي نادى بها ابن خلدون ، كأهمية الإعداد التربوي للمدرس ، وعدم تكليف المتعلمين بمعلومات دراسية فوق طاقاتهم قبل أن يتهيأ المتعلم عقليا لتلقى المادة الدراسية حيث يؤدي ذلك إلى انصراف المتعلم عن العلم أو الإهمال والتكاسل .

وأن يراعي في التدريس التدرج والتكرار ، وأن يبدأ التعليم بالمعلومات العامة أو بالإجمال ثم يتبع ذلك التفصيل ، واستخدام الأمثلة الحسية ، ووسائل الإيضاح والرحلات لتبسيط الدرس ، وينصح ابن خلدون ألا تطول الفترات بين الدروس ، حتى لا ينسى المتعلم ما درسه لطول الفترة بين الدرس والآخر، وتجنب المختصرات في التعليم فهذه الطريقة تفسد التعليم وتضيع وقت المتعلم في تتبع ألفاظ الاختصار الصعبة الفهم ، ثم أن هذه المعلومات لا تثبت في الذهن إلا مدة قصيرة .

ومثلاً ، آراء ابن رشد^{١٠٣٢} في فقه التنوير التربوي في الفكر الرشدي ، وبالرغم من الموسوعية التي تميزت بها كتابات ابن رشد ، إلا أننا لا نستطيع الزعم بأنه كان صاحب فكري تربوي أو فلسفة للتربية تدخله في عداد المفكرين التربويين الإسلاميين ، ولكنه استغل مهاراته في الدراسات الدينية والفلسفية والطبية والفلكية والأدبية فبث خلالها العديد من آراء وأفكار ومبادئ تربوية ولا سيما تلك التي تتصل بالإنسان وعقليته وتكوين المجتمع ودولته .

٥ - نظرة الى العلوم العقلية عند العرب :

لو نظرنا الى تاريخ العلوم العقلية عند المسلمين ، فالتراث ببساطة هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة ، ومن المهم أن يخرج قاريء التراث ودارسه بروح يستمد منها مما قرأ أو درس حتى يخرج بنظرة تقوي الروابط بينه وبين السابقين .

ويجب على الباحث الذي يتصدى للتراث أن يتسم برؤية علمية موضوعية قوامها الفهم العميق لنصوص التراث . ويهتم الباحثون بالتراث في وقتنا الحاضر بدراسة الفكر التربوي في المدارس الفلسفية أو الفقهية أو الكلامية للأسباب التالية :

١٠٣٢- ابن رشد ولد في مدينة قرطبة عام ٥٢٠ هـ.ق - ١١٢٦ م ، وعرف عند اللاتين ، الغربيين -الأوروبيين، باسم أفروس Averroes . كان يحفظ شعر أبي تمام والمتنبي وكان يعتبرهما من أعظم شعراء العرب .وقد تأثر وكتب عن المتنبي كثيراً .

- التعرف على فلسفة التربية وأهدافها .

- الكشف عن نظم وطرق ومؤسسات التعليم في العصور الإسلامية المختلفة .

بينما لا يحظى التراث العلمي الذي خلفه علماء الإسلام بنفس القدر من الاهتمام ، رغم غنى هذا التراث بالمضامين التربوية التي يمكن أن تفيد طلاب العلم من دارسين وباحثين . فالمسلمون كانوا سباقين إلى الأخذ بالمنهج العلمي التجريبي في أبحاثهم المعلمية .

وهو ما يتضح من تعريفهم للعلم من أنه : معرفة بالاستدلال الذي هو انتقال للذهن من معلوم إلى مجهول ، أي باستخدام المعلوم يمكن التوصل إلى المجهول .

ومن هنا نرى كيف بدأنا تراثنا العلمي في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية (من القرن الثاني إلى القرن السابع للهجرة) ، قوي وناضج ، سابقا به النهضة الأوروبية بقرون عديدة ، فمن أبرز إنجازات علماء القرنين الرابع والخامس الهجريين هم ابن الهيثم^{١٠٣٣} ، وابن سينا والبيروني ، هو إيمانهم بالنقد العلمي لكل ما وصل إلى أيديهم من فكر السابقين عليهم من علماء الشرق والغرب .

فمثلاً ، ابن سينا يتحدث عن الشك وأهميته في البحث العلمي ويتخذ من الموضوعية العلمية سبيلاً للوصول إلى الحقيقة . وابن الهيثم يشير إلى الشك المنهجي الذي يخدم الأغراض العلمية ، وغايته الوصول إلى الحقيقة بعيداً عن التعصب والمغالاة .

ولاحظ رينيه ديكارت الفرنسي ، الذي جاء بعد ابن الهيثم بستة قرون ، لكي يؤكد على ما سبق قاله ابن الهيثم من أهمية الشك في البحث العلمي قائلاً :

(إن علينا جميعاً أن نشك مؤقتاً في جميع الأفكار التي سبق أن تلقيناها بالتسليم ، وأن تكون لدينا قدرة على تمحيصها ونقدها مستخدمين ما أتاحه العلم الحديث من إمكانيات كالملاحظة والتجربة).

١٠٣٣- الحسن بن الهيثم : هو أبو علي الحسن ابن الهيثم ، ويعرف عند الغربيين في العصور الوسطى باسم الهازن "Al-Hazen" وكان مولده في العراق بالبصرة ، سافر إلى مصر في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي دعاه ليقوم سداً عالياً على النيل جنوب مصر . أشهر مؤلفاته : كتاب المناظر ، كتاب كيفيات الظلال ، كتاب الجامع في أصول الحساب ، كتاب شرح أصول إقليدس ، برع ابن الهيثم في مجال الرياضيات.

والعلماء المسلمين الشك عندهم يساعد الباحث على التريث في إطلاق الأحكام إلا بظهور دليل وبرهان كافي ، فابن الهيثم يعلن موقفه النقدي لآراء من سبقوه ويقول :

(كنت متشككا في جميعه ، موقنا بأن الحق واحدا وأن الاختلاف فيه إنما من جهة السلوك إليه) ، ونقد نظرية كل من أرسطو وبطليموس القائلة بمركزية الأرض ودوران الأفلاك حولها ، وبهذا يكون ابن الهيثم ، سبق إسحاق نيوتن بألف عام تقريبا في نقده لهذه النظرية .

وإذا كان الشك المنهجي هو أساس النقد عند رجل العلم فإن الموضوعية هي روح ذلك النقد ولا غنى لأحدهما عن الآخر .

وفي الوقت الحاضر بالرغم من إنجازات علماء الإسلام في مجال الفكر الإنساني بشكل عام والفكر العلمي بشكل خاص ، نجد بعض المستشرقين المتعصبين ينكرون العلم الإسلامي في العصر الوسيط بل ويتهمون العقلية العربية والإسلامية بضيق الأفق والعجز عن الخلق والابتكار .

ولكن اتهم العرب من أنهم لا يعرفون إلا الشعر فقط ، حتى نزل القرآن الكريم فأصبح المستشرقون يقولون عنه ديوان العرب ، كما قالو عن الشعر مسبقا (إنما لشعر ديوان العرب) ، وكما اتهموا أيضا بأنهم لا يمكنهم استيعاب العلوم العقلية كالرياضيات والفيزياء والكيمياء فهل العقل العربي هكذا فعلاً؟! .

ولكن يقول حافظ إبراهيم :

لا تحسبن العلم ينفع وحده * ما لم يتوج ربه بخلاق

وكذلك يقول :

وأقيموا دولة العلم والأخلاق * فالعلم وحده لا يجدي

ولكن الإيمان بأن العلم لا يتعارض مع الدين ، فعلينا كمربين أن نؤكد أن الدين والعلم يتكاملان ولا يتعارضان ، وعند شرح النظريات التي تظهر بعض هذا التعارض .

نؤكد لهم أنها مجرد فروض لحقائق لم يقم عليها دليل يقيني كامل مثل نظريه التطور وغيرها ، وأن العلم في المستقبل كفيلا بدحض هذه النظريات والعودة بالحقائق العلمية إلى الإتفاق مع صحيح الدين .

٦- المرأة تلد العالم وتعلمه وتحتّمه :

المرأة رَحمة ، لأنّها الزوجة أو الحرمة أو أم العيال ، وهذه الكلمات قد اختارت جسد المرأة وجسد الرجل مرّات عديدة في الحيات الماضية وما لحظات الجسد ، إلا هي قَمّة المعرفة في بداية رحلة الطويلة ، وما هذه المعرفة إلا لأصحاب العطش المريد للروح من خلال الجسد ، بالتالي تجد نتيجة الملامسة الجسدية بينهما ، ليس للمرأة وليس للرجل ، بل هي نطفة في رحم الرّحمة الساكنة في لبّ الإنسان .

فأصبحت معاً ، كأنهم قالوا (المرأة والرجل) : سنكتب معاً ، سنقرأ معاً ، سنتذكر معاً ، سنولد ونموت ونحيا الآن وليس غداً ، وهذه اللحظة هي كلّ ما يملكون ، وهي تعتبر بذرة السر الذي نحمله من الله وبالله ، وبها تستمر مسيرة الحياة ، ما علينا إلا أن نزرع هذه الأمانة ، وبعد الولادة موتوا قبل أن تموتوا وسنولد من جديد الإنسان الجديد من روح الله ﷻ ، وليس من فكر عبد الله .

إذاً : إن المرأة هي صاحبة القدرة على إنتاج الحياة ، هي التي تلد وتتوالد ، وأي رجل لا يستطيع أن يواجه هذا السر ، لذلك يشعر بالوضاعة أو الدونية مما يجعله يتحكّم وسيطر على المرأة ، إنّ عقدة التخلف هذه جعلته يدّعي ويزعم بأنّه هو الأقوى ، وهو الأعظم ، وبذلك يخدع نفسه لكي يضلّل العالم، ومن هنا ترى بأنّ الرجل على مدار الزمن يدّر عبقرية المرأة ومواهبها وقدراتها لكي يبرهن لنفسه بأنّه الأعلى والأرفع وبذلك يحق له أن يتحكّم بالعالم .

كما إنّ الرجل ضعيف جداً من حيث النشاط الجنسي ، لأنه لا يملك إلا نشوة جنسية واحدة ، بينما المرأة تتفوّق عليه بالطاقة التعدّدية للنشوة الجنسيّة ، وهذا الفرق قد سبّب حرجاً مزعجاً بالنسبة للرجل ، لأن الرجل نشوته موضعيّة محصورة في الطاقة التناسلية بينما المرأة نشوتها كاملة وشاملة غير محدودة في جسدها ، بل بجميع أطرافها وحواسها وأقوى من الرجل بألف ضعف من حيث العمق والسموّ والغنى ، ولكن المطلوب هو المغزى الجسديّ والروحي .

ولكنّ المأساة عدم إدراك الرجل لهذا السرّ الأنثوي وعدم معرفته لمفاتيح وأسرار هذه الرغبة في جسدها ، فالإثارة الجسدية هي الدّعوة إلى المداعبة بين الطرفين للتعرف على أسرار هذا الجسد ، لذلك لا يستخدمها إلا كآلة جنسيّة لكي يريح توتره الجنسي فقط ، أي بمعنى شهوة محدودة وموقوتة .

إنّ العلاقة الجنسيّة بين الطرفين ليست مجرد ضغطة زر ، بل محبة ومودة مدى العمر، ولكن ما نراه اليوم هي جرعة منوم بالنسبة للرجل نكح وارتياح ، ولكن على العكس بالنسبة للمرأة عندها لا تزال في بداية الطريق ، فأين هو الرفيق ؟ ، وهذه نكسة بالنسبة لها .

والحُب اليوم : هو شهوة جسدية فكرية انفعالية ، والإنفعال هو نزوة عاطفية ؟! .

وهذا مرض ، وخصوصاً في أمتنا ، حيث لا رحمة بل هو انفعال ناتج عن الأعمال الموجهة من الفكر إلى الربح المادي السريع لبناء الأبراج الدنيوية ، هذا ما نراه حول العالم ، وهذه هي بداية الدمار الشامل الناتج عن الأفعال والانفعال ، ولذلك يقول الله ﷻ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ١٠٣٤ ، وأين هي الرحمة في عالم اليوم ؟. فهي الترجمة بالأسلحة وبكل الوسائل .

فاستفتي قلبك ، وكوني جاهلة بما يجري في الدنيا ، وكوني عالمة في الآخرة ولا يعرفك إلا الله ﷻ ، وكل ما نراه سواء ما مضى أو اليوم ، هو أسطورة وهم مضى ، وأحلام من صنع أهل الكفر والجهل والسلطة ، وبنوع خاص من الذين يتحكمون حتى في الحُب بين الزوجين .

ففي الهند مثلاً ، فُرض على الرجل أن ينام فوق المرأة ، وهذا الوضع يسمى بالحُب التبشيري ، تصوّري هذه البشاعة ، الوزن الثقيل يتحكّم بالوجه النحيل للمرأة ، ليسحقها ويحرمها حقها من الحُب والجنس ومن أي شعور جسدي وحسي وروحي .

ولكن المرأة تقاوم المرض أكثر من الرجل ، لديها قدرات خاصة في التحمل ، وهذه النعمة موجودة في سرّ الرحم ، هنا سكنُ الصفاء واللفظ والرضى ، لذلك نرى بأنّها تُرضي نفسها وطفلها وزوجها بالأمومة التي لا تعرف الحدود ، هي التي تغمر وتطوّق الأعناق بالعناق الدافئ والمريح .

ولكن الرجل يخاف ويهرب من هذا الشوق والتوق لأنه لا يحب التوكّل عليها ، وإلاّ سيصبح الزوج التابع والخاضع والعلة على نفسه وعلى المرأة ، لذلك يضع المسافة والمساحة ويعرف تماماً بأنّها أقوى منه من حيث الإحساس والحدس والفطرة ولا يعرف السبب أبداً .

فالرجل والمرأة ؟ هما عرش الله على الأرض ، خلّقنا لنعرف ، ولقاء آدم وحواء هو لقاء الأرض مع السماء ، وهل يتساوى الماء مع الهواء ؟ . فقلت المرأة : لا زلتُ أحمل في قلبي الحقد والغضب والانتقام من كلّ رجل قال عني بأني ساحرة وشريرة منذ زمان إلى اليوم ، فما هو الحل ؟ . فمن الذي وصف المرأة بأنّها ساحرة وشريرة ؟، هم رجال الكنيسة (النصارى) .

فعلى المرأة أن تناشد المرأة وتطلب لها الانعزال والاستقلال عن حكم الرجال والمشاركة بالمناصفة والعدل ، فتدخل معه إلى عالم السياسة بصوت النساء بنوع خاص وأيضاً من الرجال الذين يحبون السلام للعالم أجمع .

كما إن حكم المرأة غير حكم الأنثى أو الأنوثة المدعومة والمفعمة بالسياسة الجنسية التي تُزعج الناس حتى لو بالهمس أو باللمس والإزعاج ، بل بالأمومة والحنان واللفظ والحكمة ، كإنها حياة الحكماء هي نشوة من الفرح على مدار النور ، هذا هو محور الحياة التي تخطت حاجات الجسد وشبعت من الدنيا ، واتصلت بالأصول الكونية الساكنة في لب القلب^{١٠٣٥} .

وما هو الفرق بين الذكر والأنثى من الناحية الجوهرية ؟ ، بما إن الأنثى والذكر حالة نفسية أكثر مما هي حالة جسدية ، ممكن أن تكون ذكراً جسدياً ولكن ليس نفسياً ، والعكس أيضاً ممكن ، ولكن توجد نساء بنفسية عدائية استفزازية .

وللأسف هذه الحالة في ازدياد وبنوع خاص في عالم المنطق والتكنولوجيا ، عندما تكون المرأة هجومية لم تعد أنثى وتطالب بتحرير المرأة وتقلد الرجل وتعيش في حالة ضياع (جاندارك) لم تكن امرأة نفسياً لأنها كانت عدائية جوهرياً وأُتُهمت بأنها ساحرة وشيطان .

المرأة أحبت العالم والإنسانية ولم تكن عدائية ، بل من ضربك على خدك الأيمن أدر له الأيسر ولا تقاوم عدوك ، بل أحبوا أعدائكم وباركوا لآعينكم ، وهذه هي نعمة الأنوثة والأمومة ، وقاوموا الجهل في المعبد ، وحرّموا الحرام والتجارة في المعابد .

ولكن كل أعمالها وأفعالها كانت نابعة من المحبة الإلهية ، وكانت تعيش الرجولة والأنوثة والأبوة والأمومة ، لكي نفهم النفسية الأنثوية علينا أن نفهم النفسية الدينية ، ولا وجود لأي مسعى أو اجتهاد حول هذا الموضوع ، وكل ما نقرأه هو عن النفسية الذكورية .

وهذا هو سبب الدراسات على الحيوانات الذكور كالجرذ مثلاً ، ومن خلال النتائج ننهي كلامنا عن الرجل ، إن أفضل مثال للبحث عن النفسية الأنثوية هم أهل الأسرار الباطنية لأن من خلال إدراكهم نفهم معنى قمة التعبير الأنثوي .

إن طاقة البدر والشمس ، أنثى وذكر ، وأهل الوعى والإدراك يتناغمون مع القمر والشمس وسر الأرض والسماء ، والعلم الحديث أكد علمياً بأن الإنسان يملك نصف العالم في يمين الدماغ والنصف الثاني في جهة اليسار ، الجهة اليمنى تتوجه من خلال اليد اليسرى والطاقة اليسرى متصلة باليد اليمنى ، طاقة اليمين للحدث واللاعقلانية واللامنطقية .

بل هي في كتابة الأشعار والحب العذري والتخيلى والإبداع العاطفي والقصص الخرافية والدينية التقية ، والجهة اليسرى للمنطق والحسابات والرياضيات والعلوم والأبحاث الفكرية ، إن هاذان العالمان في صراع ونزاع دائم ، أساس السياسة العالمية موجوداً في داخلنا ، وفيها انطوى العالم الأكبر ، وعندما نعرف هذه الحقيقة نتألف في توحيد الفكر والطريقة سهلة جداً .

اليد اليسرى تهتم بالجهة اليمنى أي بالحس والشعور والحب والخيال والشعر والدين ، وهذه اليد محكوم عليها ، والذي يستخدمها نقول عنه (يسراوي او عسراوي أو فشلاوي) أي عسر وفشل ، وهذه إهانة ، والسبب لأن المجتمع اجتمع وقرر من أن اليد اليمنى أفضل .

أي العقل العلمي المادي الديني ، وعشرة بالمئة من الأطفال بالعالم يولدون من فئة الأعسر أو الأيسر ويفرض عليهم بالقوة استخدام اليد اليمنى ، وهذه الفئة من الناس تشكل خطراً على المجتمع لأن سياستهم الداخلية لا تتوافق مع السياسة الخارجية .

وبما ان الطاقة اليمينية غير الطاقة اليسارية ، كالصعود غير النزول ، وقديماً كانت الولادات متساوية من حيث الأعسر والأيمن ، ولكن الأيمن حكم فترة أطول من الأيسر وانخفضت النسبة في المساواة إلى عشرة في المئة مقابل ٩٠% في المئة .

الفكر اليساري للرشد وللصواب ، ولكن الفكر اليميني للذكر وللدين والأبعد من أي حد أو أي بعد ، لأنه للمدد يتحرك بلمعة نورانية حيث الحدس والبديهة والنعمة السماوية ، ولكنها غير مطبقة وغير عقلانية ، كما إن أهل الأيسر هم المظلومين والمضطهدين أكثر من العبيد الزوج وأكثر من أفقر الفقراء ، فلماذا هذا التقسيم وهذا الخلاف ؟!

في البداية ، علينا أن نفهم الحسابان الشمسي والقمري ، فهذا هو يوم الحساب وهو في القلب لا في الحسب ولا في النسب ، إذا فهمنا التقسيم والخلاف في هذا التقويم سنفهم أشياء كثيرة .

إن النظام الرأسمال أي الطبقة البورجوازية والطبقة المعروفة بالعمال والكادحين يمثلون هذا الدماغ ، الطبقة الفقيرة الكادحة تشتغل وتعمل وتتحرك من خلال الجهة اليمينية ، أي يمين المخ من حيث التجارة والربح والمال والسلطة والفصاحة اللغوية والمنطق والحساب وكأنه أبله أو مجنون .

أكثر الأولياء والحكماء والأنبياء والقديسين هم من هذه الفئة ، من عالم البقاء والفناء في الله ، لا تهمهم الدنيا ومال الدنيا بل الميل إلى الآخرة لأنها أغنى وأبقى ، ولكن الإنسان الغني مادياً وسياسياً هو الذي يتحرك من خلال العقل اليساري حيث الحساب والذكاء والدهاء والمكر والمنطق ، لذلك الأنبياء ترى الحق الحي وتحترق الدنيا الفانية .

وأمة الوسط هي التي تستخدم الدماغ من جميع طبقاته واتجاهاته ، ونعلم علم اليقين بأن كل ما نملكه هو وسيلة وسلعة لخدمة الدنيا ، وبمعنى آخر إذا انتهيت اشتريت!! ، وعلينا أن ندرك بأنها لعبة للتسلية واللّهو والفرح الدنيوي ، ولكن لا تكبت مشاعرنا ولا نتمسك بها ولا تحرّم نفسك من أي شهوة، وأعرف بأن المعرفة هي الوسيلة التي تصلنا بالأصول الإلهية والمعرفة هي الفضيلة التي تحررنا من الجهل ومن العبودية .

زوجي يحبني ويحب امرأة ثانية والغيرة تقتلني ولا أعرف الحل ؟!

إنها دائماً متعبة وصعبة من ناحية المرأة إلا إذا تعلمت محبة الناس ، يحبها ويحبك وأنت بدورك ، ارحمها لأنها هي أيضاً تغار منك ، ولا أحد يستطيع أن يمنعه من الحب لأنه من حقه ، وإلا ستدمرين سعادته وردة الفعل ستكون بالانتقام منك .

وذلك لأن الحرمان يسبب الأسر والاختناق والأفضل أن نقبل الوضع بكل رضى ، وإذا كنت صادقةً مع نفسك وتعلّقتِ برجلٍ آخر حباً بالحب ، وليس حباً بالثأر فكوني صريحة وشارك زوجك بشعورك ولكل حادث حديث ، الأهم أن نكون صادقين مع أنفسنا.

والمشكلة الأساسية ليست في زوجك بل في التربية العائلية والاجتماعية ، الرجل حرّ بحياته والمرأة أسيرة البيت والولادة والحمل المتواصل ، وإذا حاولت أن تلبي نداء قلبها فالخوف من الحمل ، وهذا عار على الأهل وعليها ومن الذي سيهتم بها من الناحية المادية ؟ .

الرجل هو رب الأسرة وهو الذي يُنفق على العائلة ، والمشكلة الثانية هي شرف المرأة وعُذريتها في إخلاصها إلى رجلٍ واحد مدى الدهر ، الرجل يستخدم مستوى خاص بالزوجة ومقياس ثانٍ لنفسه ، والمرأة هي رمز الوفاء والإخلاص والرضى لزوجها وأولادها وبيتها .

ولكن الرجل ؟ هو ابن عز ومدلل وذنبه مغفور ، له كل النساء والحمل يقع على مسؤولية الخلية وليس الزوجة ، الحرية الكاملة احتفظ بها لنفسه ، وبما أنه هو المورد المادي استطاع التحكم بالزوجة ومنعها من العلم ومن العمل .

حياتها في بيتها وهذا هو عالمها وحرّم عليها الخروج والاتصال بأي إنسان ، أي اتصال إلا إذا استطاعت أن تقفز خارج السور والجدار ، أكثر البيوت مُسلّكة بسور الصين وعليها حارس خاص على المرأة ، ولكن الكبت والشّد والحصر هو سبب هذا الفتّ والفلق في الخلق .

ولكن الآن ؟ تغيير الزمان والمرأة دخلت ميدان العلم والعمل والحبّ والحياة ولا خوف من الحمل لأن منع الانجاب وحبة الدوار أزلت الخوف من هذا البلاء ، ولكن الخوف لا يزال مستمراً في قلب المرأة لأنه وراثه أجيال من الخوف ومن الجهل .

إن الفكر القديم يدوم ويدوم لأنه تاريخ القرون الذي تحكّم بالأمهات ولا يزال يجري في عروقنا حتى الغدّ على أن ندرك هذه العلّة ونرميها في سلّة الشكر والنسيان ، وما هو الحل للتخلص من هذه الغيرة وهذه الضرة ؟ إنها تنافسني في السراء وفي الضراء ؟ .

والحل السليم في العقل السليم ، فواجهي الامتحان وتفوقي عليه ، وإلا سيُهان المرء عند الفشل في الامتحان ، ودعيه وحرّيته وتصرفني أنت من قلبك وضميرك وإحساسك الجسدي والروحي فالجنس غير الحب لحد الآن عند الشرق ، ولكن عند الغرب الحب يعني الجنس .

وإلا تصرفي كما هو المعروف اجتماعياً ، استمرّي بالتزمر والنقّ والطقّ والاعتراض والمراوغة مع زوجك فيما يخصّ الضرة ، والنتيجة معروفة سلفاً ، أي بالتالي سيرد ويصدّ ويتعدّ عنك ويتقرّب منها ومن غيرها ، ويبدأ معك بالكلام وبالحناق ومعها بالعناق ، وبمعانقة غيرها من النساء لأنه ملّ منكما، والوصول والحصول على غير محصول متوفر بوفرة في جميع الفصول والسهول .

وهذه هي درب الفرج والتجدة ، ومن مرجّ إلى مرج سيموت الفرج ويتقرّل أحدكما ، وأين الندم وأين الهم ؟ وهناك حلّ آخر ، كوني شجاعة وواجهي المشكلة بحكمة وبإخلاص ، وقولي له بأنك أنت أيضاً بحاجة إلى تغيير وإلى اتجاه يرضي الجسد والضمير ، ولا يجوز أن تعيش أيها الزوج في معيار مميز بل العار عليّ وعليك ، فقد أحبك وأحبّ صديقك أيضاً .

فكوني واضحة وسيرى الفرق ويتوقف عن هذه التفرقة ، وإلاّ الباب مفتوح وللقلب حريته في الاختيار، ولك الحق أن تكوني السيّدة على جسدك وحياتك ، أنا لا أقول لك بأنه هو على خطأ ، ولكن علينا أن نحيا بمعيار واحد موحد بدون أي تفرقة أو أي عار .

لأن المساواة هي الحرية في العلاقات ، والالتزام واضح وصريح ، العلاقة الزوجية إما أحادية أو متشعبة ومتعددة ، والتعاسة هي من صنع الفكر المحدود بالجهل والكفر والألم ، وهو نتيجة الحسد والغيرة ، فهو (الرجل) سعيد ويعيش المرح واللهو والترفيه وأنتِ (المرأة) تفكرين به ، حرري فكرك من هذه القيود وابحثي عن المعبود الجديد .

أيتها المرأة تشجعي بالشجاعة لا بالجشع ولا بالطمع ، وواجهي الحق بالحق والعين بالعين وهذه هي حلاوة الحرية وابتعدي عن مرارة الأسر وبشاعة العبودية ، وكوني صريحة وواضحة مع نفسك ، وأنتِ المرأة لغيرك ، وتحاوري مع زوجك عن إحساسك وشعورك وحبك الأبعد من أي مشاعر انفعالية بل مع التجارب القلبية .

هو يحبّ والحبّ لكل صاحب قلب ينبض بالحبّ في البداية وفي أي علاقة لها أصولها ومسلكتها وتتفق على الوفاق الصريح لا على النفاق والبكاء على الضريح ، والمساواة هي الحرية وهي الفضيلة والحق حق لكل صاحب أخلاق ، وطبعاً الرجل هو صاحب الأنا والاستكبار ولا يرضى بأن زوجته تخونه علناً ، وإذا كان الوفاق قبل عقد النفاق وقع الاتفاق .

فلكل شيء شروطه والزواج منه بين الرجل والمرأة أو بين فريقين من الأحباب ، ومن الشروط الصدق والصراحة وعدم رفع جدار من الكذب بل حوار من حبّ ، لأن وجود الأحباب على جميع الأبواب ، فأهلاً وسهلاً بالتجارب .

والتجربة مدرسة والألم يعلم ويغني القلب بأنواع من الحبّ ، ولماذا الحبس والحجز مع إنسان واحد؟ ، ملاحظتي الخاصة بأنّ المحبة أوسع من الجسد (الفراش)، وإذا حقيقة تحبين زوجك فسوف لن يزعجك إذا أحبّ نساء العالم أجمع ، سيعود إليك باختبارات أكثر ، وبحب أكبر وقصص وحكايات أفضل وأجمل من الغم والهلم ، والصبر مفتاح الفرج .

ولكن سيتعلم المهارة من أهل الدعارة حيث أوجه الحب والجنس في تحدّد مستمر ، وستكون العلاقة الجنسية والجسدية والفكرية والروحية أغنى وأكثر رونقاً ومعتّقة كالخمرة ويانة وناضجة ، ولماذا الغيرة والضجّة والبلبلّة حول علاقة فجّة ؟ .

لماذا التمسك والتقيّد بالخوف وبالتقاليد ؟ الحبّ جميلٌ ومقدس ولماذا التحكم بنمط معين أو شكل مميز ؟ ، إلّا إذا كان حبكما أبعد وأرقى من العلاقة الجسدية الفكرية الشهوانية ، وهذه لم تعد علاقة بل صداقة واتصال مع الأصول الرحمانية .

لقد أثبت العلم بأن هنالك نظرية جنسية خاطئة حيث تقول بأن الرجل الذي يجانس ويجالس غير زوجته فسيكون أضعف جنسياً وفكرياً وقلبياً مع زوجته ، ويسبب لها الألم والتعاسة والغيرة ، وهذا غير صحيح بل العكس هو الأصح .

سيختبر وسيتعلم وسيفهم أكثر وأكثر بأن زوجتي ترويني جنسياً وفكرياً وروحياً ، وهي أُمي وأم عيالي وابنتي وسبب نموي في أبوتي ، فلماذا أذهب إلى الغريبة التي لا تعرف عني إلا حساب الجيب والانفعال الكاذب ؟ .

إن زوجتي هي الحميمة والمخلصة والمتفانية ولماذا أستجدي الشهوة من الغانية ؟ ، وفي لحظة من اليقظة سيعود إلى الدار حاملاً في قلبه أفضل قرار وأصدق شوق وتوق على رفيقة الدرب مدى الحب في الواقع ، علماء النفس اقترحوا بأنّ الزواج يدوم أكثر وبجالة أفضل إذا الزوج كان على علاقة جانبية .

والمعروف انه بحاجة إلى هذه النزوة أو هذه الزاوية لأنه لا يملك طاقة الصبر كالمراة ، لذلك يشعر بالملل والضجر ويذهب إلى مطعم آخر غير طعام البيت ، الملامة الكثيرة مملة ، ولكن الحوار الصريح بين الأحباب يخفف من حدة الصراع والنزاع ، ولكِ الخيار في أي علاقة تزيدك جمالاً وليونة ورقة .

والعلاقة الصريحة مع الرجل تزيل التملل والتذمّر من البيت وأهله ، ولكن المرأة لا تستطيع أن تعيش من دون كثرة الكلام والثرثرة والنقّ والطقّ وحياتها لا معنى لها وتافهة إذا لم تكن مبنية على قصص شهزاد طوال الليل والنهار ، وحتى أثناء النوم لا ينام لا اللوم ولا إصبع الاتهام .

كما ان قوّة الأنثى في لسانها السليط على الأرض وعلى المحيط ، حتى إذا خرجت مع رجل غير زوجها فالحق واللوم على زوجها ، وعذرها لا ذنب ولا عيب ولا عتب وحده الحب الذي يقرر ويحرر ، وعندما يتحرر الحبّ يتحرّر الإنسان وهذه هي الحرية المقدسة للجسد المقدس للساجد أيضاً .

عندئذ لا خلاف ولا نزاع ولا صراع ولا غيرة ولا أي مشاعر سلبية بل السكينة والهدوء والصمت وهذا هو شهر العسل مدى الدهر ، وقليلاً من الشجاعة يزيل البشاعة ويعيد الحق إلى أهل الحق ، وهذا هو الحب النابع من القلب .

كما إن كلمة هَرَمَ تعني الشيخوخة ، وكذلك السر الذي يفوق العمر من حيث العدد السنوي ،
لإن العمر الطويل يمدُّنا بالسمو وبالارتفاع وبالترفع عن متاهات الدنيا التي اختبرناها ووصلنا إلى صلة
التأمل بالعجب وبالدهشة التي تغمر العالم ، ولماذا لم نعرفها عندما كنا أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً؟
لماذا الأهل دمّروا الطفولة ؟ لماذا لم نتعلم التأمل من بداية العمر ؟ ولماذا لا نختبر هذه النعمة الان ؟ حتى
في لحظات ما قبل الموت إذا تعرّفنا على سر وجودنا لم تكن حياتنا ضياع أو فقدان أو تدمير .

نستطيع أن نحول التبديد إلى تجديد في لحظة وعي وإدراك بواسطة تأمل ساعة خير من عبادة
سبعين عام وتأمل لحظة هي اليقظة التي ترافقنا إلى البيت العتيق أي بيت الحق لأهل الحق ، فالطفولة
جميلة والصبا يزهر العمر ، والشيخوخة تنشر الحكمة وترفع مستوى الضمير، ولكن الطفولة تأتي من الله
وعليها أن نسعى لإنماء الشيخوخة الإلهية لمشاركة أهل الله نعمة الله .

في مكان ما ضيّعت الطريق لأنك ضيعت نفسك ، والسبب هو في بداية الرحلة حيث التربية التي
بُنيت على أسس جاهلة ومعاهداتٍ فاشلة ، ووافق الإنسان مع هذا الوفاق واتفق مع هذا الضياع
والنفاق ووصلنا إلى هذه الحالة حيث الاستحالة التي تتحكم بالفكر ، وأصبحنا في حالة لا حياة لمن
تنادي ، فمن الذي وضعني على المسار الباطل ؟ أين هو مسلك السالكين إلى الحق؟ من هم الضالين؟
لماذا ضيّعتُ الطريق؟ من الذي حطّم الاتفاقية بيني وبين الله ؟ من الذي حرق العقد والميثاق مع الحق؟.

السائل هو المسؤول وإذا صدّق السائل هلك المسؤول ، أنا المسؤول عن نفسي ، أبدأ من
جسدي حتى الساجد ، والمسؤول هو أساس الوجود ، وكما تكونوا يولى عليكم ، والآن هو زمن تغيير
الحال من الضالّ إلى الحال ، ولكل حال مقال .

هذا هو الإنسان الحر الذي يعرف السبب ويبدأ بالعلاج من الجذور لا من العطور ، فقد
ساومتُ وشوّهت حقيقة وجودي وإذا عرفتُ السبب زال العجب ، ودخلت الطريق الأزلية مع أهل
الأزل وهذا هو السراط المستقيم ، لقد بعثُ نفسي لأشتري ما لا أحتاجُ إليه ، أي بعثُ ما أحتاجُ إليه ،
والآن لا أفكر في المفقود حتى لا أفقدَ الموجود ، بل أنعرّف على هذا الوجود الحي قبل أن أصل السد
المسدود ، الآن سأكون من أنا لا كما يردني المجتمع أو الأهل أو الفكر المادي أو الخوف .

قال الله ﷻ لسيدنا موسى ﷺ اخلع نعليك لتراني ، وأنا سأخلع الآن نعليّ وأعمالي وقناعي
علني أرى جهلي وأرحم نفسي وأسير نحو النور الذي فيه وبه ومعه أسير ، ساعدي يا الله لأعرف نفسي،
لأنه من عرف نفسه عرف ربّه ، ودرب المعرفة أسهل من أي درب لأنها سالكة وآمنة إلى بيت القلب.
ولأن مصيبة الإنسان هي عدم معرفة الذات .

وبما ان الانسان كالوردة التي تحلم بأنها فيل ، والفيل يؤد أن يكون جمل والنسر ذهب الى الطبيب النفسي يستشير عن كيفية التطور إلى عصفور ، والعصفور مريض في المستشفى لأنه يتمنى أن يصبح نسرًا ، فهذه هي حال البشرية نرغب ونحاول أن نكون شخصاً آخر ، إنسان ذو شأن مرموق ومرزوق ، ولكن النضج لا ينمو إلا في البذرة الحقيقة غير المصنعة والمقنعة ، فعلينا أن نعود إلى أنفسنا وإلى احترام هذه النعمة وإلى رضى النفس أولاً ، ومن النفس الراضية والمرضية نتصل بالحياة الأبدية .

من السهل جداً أن يحترمك الناس ، ولكن من الصعب أن تحترم نفسك ، إلا إذا تعرّيت من رضى المجتمع وتعرفت على نفسك ، فأنت تحاول أن ترضي أهلك وأهلك يحاولون كذلك ، وهذه الغاية هي سبب هلاك الأمة منذ آدم وحواء عليهما السلام حتى الساعة .

إرضي نفسك أولاً ، وهذا هو المسلك الوحيد للتوحيد مع الوجود ، وحاول أن تفهم وكن جريء ولا تخف العالم والمجتمع والأهل ، وقرر بقرارٍ من نفسك سأكون من أنا وسأتعرف على نفسي مهما كان الثمن ، فهذه هي رحلة الحياة من الموت إلى الحياة خطوة أهل الجلوة ، واللحظة التي تقرر فيها قرارك ستشعر بالطاقة الحيوية تجري في جسدك ونفسك ويبدأ النبض يخفق بالحق وبالحياة وتسير باتجاه الولاء الإلهي ، وأينما توليتم فثم وجه الله ، علينا بالسعي وعين الله ترعانا .

واحذر ما لم نتحرر من خوف الشيخوخة سنبقى أموات في قفص الحياة ، لا أستطيع أن أتجنب الواقع الذي أراه أمامي ، وهو شبح الموت الذي يقترب كل لحظة ، ولكن إذا اختبرت الحياة اختبرت هذا الوهم وتعرّفت على الأبدية الساكنة في هذه اللحظة الأبدية .

عليّ أن أذهب إلى النبع وأروي عطشي ، عندئذ أعرف المعرفة التي لا تحدها الكلمات ولا الإحساس ولا أي علم محدود ، كلما اقتربت من النور كلما ابتعدت عن الظلمة حيث الجهل والخوف من المجهول ، ونسأل عن كيفية الوصول إلى النور وإلى العطش ؟ .

وهل المرأة بحاجة إلى تأمل خاص بها ؟ ، كلاً ، التأمل معني بالوعي والوعي لا هو رجل ولا هو امرأة ، وهذه هي إحدى الأسس الأصلية والجوهرية التي على العالم أن يعرفها .

إن جميع الديانات حجّمت المرأة عن جميع الإمكانيات للنمو الروحاني ، لاعتقادها بأنّ جسد الأنثى يختلف عن جسد الذكر من الناحية الحيوية ، حيث لا تستطيع المرأة أن تصل إلى قمة الازدهار والنمو الإلهي ، والغريب في الأمر لم يعترض أحد ولم يستعلم أو يبحث أو يدقق عن هذه الفكرة ، ولم يسأل أي عالم أو أي حكيم هل الاستنارة هي نتيجة الجسد أم الفكر أم الوعي .

الفكر أيضاً له منزلة خاصة ، الرجل يفكر بالمنطق وباللغة ، والمرأة تتأثر بالعواطف والمشاعر الالافلية أي ليست بالأقوال الشفهية ، بل مجرد حضور حسّي ، من ذلك نرى بأن المرأة لا تميل إلى الحوار والمناقشة بل إلى الصرخ والبكاء والمناداة ، وترجع المعركة لأن الرجل يشعر بالإحراج ، منطقياً وعقلياً معه حق ، ولكن المرأة لا تعمل من العقل ، لا تفكر بعقلها بل بإحساسها لذلك نعود ونؤكد بأن التأمل إذا كان نتيجة الفكر من الحق أن يكون هنالك طرق خاصة بالمرأة .

وهل التأمل له علاقة بالفكر ؟. التأمل معني بلبّ القلب أي بالكائن الذي لا يفرّق بين الأجساد يا أولي الألباب ، واللبّ هو عرش الربّ في الرجل والمرأة على السواء ، كما إن الوعي هو وعي ، كالمرأة التي تعكس ما ترى ولذلك يقول الحق ، بأن المؤمن مرآة المؤمن ، أي تظهر الحقيقة من لبّ صاحبها .

والتأمل هو الذي يسمح للمرأة أن تعكس نشاط الفكر والجسد دون الاهتمام بنوعية الجسم ، ولا تتأثر بكيفية العمل الفكري إذا كان عاطفياً أو منطقياً مهما كان الوضع ، الوعي يكون متيقظاً وحذراً ، فهذا الإدراك واليقين هو التأمل ، إذاً ليس هنالك أي إمكانية للفرقة بين الرجل والمرأة من حيث طرق التأمل ، والإمام علي عليه السلام يقول : خلق الخالق طرقتين بعدد ما خلق من خلق . وهذه المقولة أبعد من حدود الشرح العلمي الخاص بالفكر والجسد .

الفكر هو الذي يسأل عن التفرقة بين الصح والغلط والأفضل أن نبدأ بتنظيف الفكر من الأفكار وكل الأفكار دون أي خيار ، فإن المتأمل يرمي فكرة بما فيه دون الاحتفاظ بأي شيء ، فأفكارنا احتلت مساحتنا الداخلية ، وبسبب هذا الاحتلال وقع الاختلال العقلي وأصبح الإنسان محتل ومختل ، وهذا هو الجهل ، الأفكار هي الماء الوسخة الملوثة حيث نساكن فيها ، وما علينا إلا أن نتخلص من هذا الوضع وننشل هذا الطفل من هذا المعطس قبل أن ينشَل .

الإنسان طفل بريء وجاهل وقع في هذه الغطسة ، وما علينا إلا أن ندرك هذه المحنة وهذه المنحة، والتأمل هو الوسيلة التي تعيدنا إلى الشاطئ الأمين ، لإننا بحاجة إلى الصمت والسكينة والهدوء لنفهم قدسية التأمل ، وهذه هي فطرة الإنسان ولا نستطيع أن نحصل على الفكر والذكر معاً ، فعلياً أن نختار إما الفكر والكفر أو النور والذكر .

ويمكن ان يكون الفكر هو الشيطان وهو الجنون الطبيعي وعندما نشاهده ونواجهه نتجه من الفكر إلى التفكر حيث نحيا نعمة العقل والتوكل ، فعلينا أن نرحل إلى ما وراء الفكر حيث المدى الصافي من أي رأي أو تخيل أو أحلام ، بل الوجود الإلهي من دون أي صفة فكرية أو عقلية ، بل الشعور بالغبطة وعيش المشاهدة .

هذا هو الإدراك من دون أي مجهود ، لأنه هو الفطرة الطبيعية الكونية في قلب الكائن ، وهذه هي حقيقة التأمل ، تصوّر الخدم في البيت وحدهم من دون أي رقيب ، وطبعاً الخلاف والخصام والنزاع، وإذا بالسيّد يدخل فجأة وماذا حدث ؟ بدأ الصمت والعودة إلى العمل بهدوء وأين الخلاف؟ ذهب المشاجرة بين الخدم؟ من هو هذا السيّد ؟ انه الصفاء والنقاء الذي أوقف فعل العقل .

وما هذا الإنسان إلّا نور ساطع ومضيء يشهد على هذا الوجود ويشاهد الحق بالحق حيث لا فكر ولا عقل بل الروح الشفافة التي تشهد ، وهذه الومضة أبعد من حدود أي شعور أو أي تعبير ، إنها لحظة إلهية يهبها الله إلى عبده المؤمن ، فهذا العابد المتأمل الذي يرى بنور الله .

فأنتِ كاملة كما أنتِ الآن كاملة بنقصك وعالمة بجهلك وصادقة بكذبك وقوية بضعفك وسليمة بمرضك وحية بموتك وهذه هي التناقضات ، كالبدر والهلل والنقص والكمال ، وليس هنالك أي خط أو أسلوب من العقل أو من القلب ، كل الطرق تبعنا عن الحق وأنتِ من الحق .

إن سعي الإنسان هو في خدمة الأنانية التي تحب التحدي والمنافسة ، هذا هو جهادنا اليوم وبنوع خاص في عالم الغرب حيث المنطق والعقل يبحث عن الوسائل العملية والعلمية للتحكم بالأرض وبشعبها ، لماذا القليل من البشر عندهم لمحة خاطفة عن الحقيقة ؟ .

لأنّ الحق لأهل الحق ، ولأنه ساكن في السكن ، وليس في قمم الجبال وقعر المحيطات ، لا يوجد أية طرق للحقيقة لأنها في المرأة وهي فيها ، إنّ الله وإليه ومعه للأبد ، وأين الغرور والاستكبار وحب الذات ؟ تجد الجاهل يهوى التحدي وصديقه يرافقه ويساعده على الضلال والجهل .

فهل المرأة أرفع مكانة من الرجل ؟ ، كلاً ، لا أرفع ولا أدنى ، لا رئيس ولا مرؤوس ، كل مخلوق هو فريد ومميّز ووحيد ، المرأة امرأة والرجل رجل ، ولا مقارنة أو تشبيه أو أي مساواة ، كل نفس يختلف عن نفس وعن كيفية التنفس في كل نفس ، إنه سر الخالق في خلقه ، وفي خلقه شؤون ، وهذا هو ميراثك من الله ، لا تصدقي ما قيل لك ويقال ، هذا كلّ من خوف الرجل ومن جهله ، ولا تتساوي معه أو تساومي على حقك لتقومي بأعمال سخيفة لا تليق لا بك ولا بالحق .

هل الرجل يملك مواصفات الأمومة ؟ ، المرأة تملكها بالفطرة ولكن الرجل يكتسبها بالإثارة وبالاستفزاز للعزة وللكرامة ، إن نفسيته المحاربة تساعد على عيش التوازن مع الميزان الإنساني ، هو الرجل وهو المعني بالدفاع وهو الفارس الشامخ والشيخ ، ومن هذه المشاعر يتقرب إلى الطاقة الأمومية التي اكتسبها من رحم أمه وتبقى معه إلى الأبد ، وإذا تعرّف كل من الرجل والمرأة على هذه الطبيعة في طبيعة آدم وحواء سنجعل من هذه الدنيا الجنة والفردوس .

إن الجنة تحت أقدام الأمهات أي من السهل جداً أن نحول الحرب إلى حبّ والدمار إلى عمار والرجمة إلى رحمة ، إذا تعرّفنا على أنفسنا وعلى الطاقة الأنثوية المنسية عند المرأة والرجل وعلى العالم أن يعمّ بطاقة المرأة ، أي طاقة الأرض والنخلة ، عندئذٍ لا حرب ولا زواج ولا أمم بل عالم واحد يجمعه الحب والسلام والسكينة والعبادة ، وهذا هو الزواج حيث لا طلاق ولا نفاق .

أيتها المرأة ، ارمي كل التسلّط والتحكّم والتكيف الذي كلّفك حياتك وعودي إلى نفسك وتعرّفي عليها ومنها البداية حيث لا نهاية ، لا تقلّدي الرجل ولا الرجل يقلّدك ، التقليد تقييد وتحميد .

كل إنسان ، أكان رجل أو امرأة ولد من أب وأم ، نصفه من أبيه والنصف الآخر من أمه ، هذه هي هبة الأهل إلى الأولاد والأحفاد والأجيال ، والظاهر امرأة والداخل رجل والرجل ظاهرياً ذكر وداخلياً أنثى ، هذه هي مساهمة الأهل للأولاد ، الأم ساكنة في داخل الرجل والأب ساكن في داخل المرأة .

فعندما ترى بنور الله نور النقاء والصفاء حيث البصيرة التي لا تزول ، عندئذٍ يزول عنك الجهل حيث النزاع والصراع وتحيا القداسة الخاصة بالإنسان وهذا السر أبعد من أي علوم أو أي حدود ، ولا ترضى بأي حلّ أو تحليل بل بالشكر والتهليل والاستقبال والتكبير ، لأن الله أعلم من كل عليم وأكبر من كل كبير .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين ، خادمكم ساجد شريف عطية من جوار أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في النجف الاشرف .

فهرس الكتاب

مقدمة الكتاب : تأريخ المرأة

الفصل الاول : المرأة في التأريخ

ألف : المرأة في التأريخ القديم

باء : المرأة في المجتمع العربي الجاهلي

جيم : المرأة في الحضارة الغربية

- المرأة في الحضارة اليونانية

- المرأة في الحضارة الرومانية

- المرأة في المجتمعات الأوروبية قديماً

- واقع المرأة في المجتمعات الغربية اليوم

دال : تحرير المرأة في الاسلام

هاء : التمايز بين الجنسين

١ - القوامة

٢ - ايثار الرجل على المرأة في الارث

٣ - الشهادة

٤ - تعدد الزوجات

- المبررات

واو : الطلاق في الإسلام

زاي : جهاد المرأة بالإسلام

حاء : مسايرة دعاة العصرية

طاء : المرأة في كتب الصحاح والمسانيد عند أهل السنة

- آراء علماء أهل السنة في عقل المرأة

الفصل الثاني : حجاب النساء

- لباس المرأة المسلمة

- مفاهيم حول لباس المرأة المسلمة

- مفاهيم حول صلاة المرأة

الف : البعد الزمني لتاريخ الحجاب

باء : الحجاب بين الشرع والموضة

جيم : العيرة على نساء المسلمين

دال : لباس السيدة الزهراء

هاء : اللباس حاكمي عن إيمانك

واو : لا حرية في قضية الحجاب

زاي : تأثير لوازم الحجاب

١ . الاتجاه الرهباني والرياضة الروحية

٢ . فقدان الأمن

- متابعات وتحاليل

٣ . استغلال المرأة

- أمثلة للمتابعة

٤ . الحسد : (الجذر الأخلاقيّ)

تحاليل ومتابعات

٥ . العادة الشهريّة : (الجذر النفسيّ)

الفصل الثالث : المرأة في كلام نهج البلاغة

- الفرق بين المرأة والزوجة في القرآن

(أ) :- التباين بين نفسيه المرأة والرجل

١ - الجنس والأمومه

- الحضانه

- مفاهيم حول الحضانه

٢ - الثقافة الجنسية

٣ - المرأة والتحرر الجنسي

حقائق النتائج الحتمية للثورة الجنسية

(ب) :- بعض مظاهر نفسيه المرأة

- الاهتمام بالمظهر والسمعه

(ج) :- الحب والكراهه

- الكيد والمكر

- تعدد الزوجات

- مفاهيم حول تعدد الزوجات
- (د) :- غيرة المرأة على الرجل
- (هـ) :- خيار خصال النساء
- معاملته النساء والحفاظ عليهن
- المهر
- مفاهيم حول المهر
- النفقة
- مفاهيم حول النفقة
- الرضاع
- مفاهيم حول الرضاع
- (و) :- المرأة وعدم الاختلاط
- مزاحمة الرجال
- مفاهيم حول الاختلاط
- (ز) :- المرأة ريحانه
- (ح) :- خطر تمادي الرجل في الغيرة
- اسماء بنت يزيد الأنصارية
- (ط) :- مظاهر الكمال والنقص
- الطهارة (الايمان)
- الحظوظ (الموارث)

- (شهادة امرأتين برجل)

- القوامة

- مفاهيم حول القوامة

- ام البنين مع الحجاج

(ي) :- التحفظ في اطاعه النساء

(ك) :- موقف الإسلام رجعي من المرأة

- (وقرن في بيوتكن)

- القضاء على نظام رق المرأة بالاسلام

الفصل الرابع : التربية على ضوء القرآن والسنة

- عمل المرأة

- توافق العمل والبيت

- المرأة نصف المجتمع

- العمل خارج البيت

- مجارة الحضارة الغربية

الف : معاني وجوانب التربية في اللغة والاصطلاح

١ - تعريف التربية في اللغة

٢ - التربية في الاصطلاح

٣ - تعريف التربية باعتبار النمو

٤ - تعريف التربية لدى علماء التربية الحديثة

٥ - تعريف التربية من خلال ربطها بالفلسفة

٦ - تعريفها بربطها بالمفهوم الإسلامي

٧ - تعريف جامع شامل

باء : الفطرة التربوية في تكوين الفرد

١ - فطرة التربية في تكوين المجتمع

٢ - ملازمة الفطرة للفرد والمجتمع

جيم : التربية القرآنية العقلية والإيمانية والنفسية

١ - التربية العقلية

(أ) - أهمية التربية العقلية بالقرآن

(ب) - أهمية العقل بالقرآن

(ج) - أهمية القرآن بالعقل

(د) : منهاج القرآن وتربية العقل

منها : التربية القرآنية للعقل بالتحريير

منها : تربية القرآن تحفظ وتحمي العقل

منها : التربية العقلية بالدلالات وبالبرهان والحجة

٢ - التربية الإيمانية

(أ) - منهاج القرآن في التربية الإيمانية

مرحلة : تفكير المسلم والتربية الإيمانية

مرحلة : أمر العبادات والتربية الإيمانية

مرحلة : الاخلاق والتربية الإيمانية

مرحلة : بناء الدولة والتربية الإيمانية

مرحلة : الجهاد والتربية الإيمانية

(ب) - الفوائد الإيمانية للتربية

٣ - التربية النفسية

دال : اسلوب تربية القرآن

١ - خطاب الوجدان أو النفس للتربية

٢ - الترغيب والترهيب في التربية

٣ - ضرب المثل في التربية القرآنية

٤ - تأثير القصة القرآنية في التربية

الفصل الخامس : الإسلام دين الرجال وليس للمرأة نصيب

أولاً : من وجهة نظر عقائدية

الف : احترام المرأة الأم

باء : نهج طرق الحياة

ثانياً : من صور تكريم الإسلام للمرأة

ثالثاً : مساواة الذكر والأنثى

الف : المساواة بين الأنثى والذكر

باء : ليس الذكر كالأنثى

رابعاً : مشاركة المرأة سياسياً

١ - أدلة المعارضين للمرأة

٢ - أدلة المؤيدين للمرأة

خامساً : المرأة والاستشراق

- ١ - المرأة والغزو الفكري
- ٢ - دراسة الاستشراق حول المرأة
- سادساً : نظرة المرأة للسلام العالمي
- ١ - الحوارات الداخلية
- ٢ - صراع الحضارة
- ٣ - دور العمولة في الصراع
- ٤ - الحوار مع الحضارات الأخرى
- ٥ - أزمة الحداثة الغربية
- ٦ - تحقيق أسس الحوار
- ٧ - التوازن يضمن السلام العالمي
- سابعاً : مكانة التربية والتعليم
- ١ - عوامل دراسة تاريخ التربية
- ٢ - التربية والتعليم في القدم
- ٣ - التربية في الشرق
- ٤ - الفكر التربوي عند المسلمين
- ٥ - نظرة الى العلوم العقلية عند العرب
- ٦ - المرأة تلد العالم وتعلمه وتحنّمه

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- خالد عبد الكريم فياض - الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في الوقت الحاضر الطبعة الأولى دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٢١ هـ ١٩٩١ م.
- الراغب الاصفهاني المفردات في غريب القرآن تحقيق مُجَّد الكيلاني ، ٠ دار المعرفة، بيروت لبنان.
- القطان - مناع ، مباحث في علوم القرآن طبعة مؤسسة الرسالة بيروت ط ٣٠ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- قطب - سيد ، التصوير الفني للقرآن طبعة دار الشروق ط ٣٠ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- البرهان في علوم القرآن : بدر الدين الزركشي تحقيق مُجَّد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر - الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠ هـ .
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي : ابن قيم الجوزية : تصحيح محمود عبد الوهاب فايد ١٣٨٨ هـ - مكتبة مُجَّد علي صبيح - القاهرة .
- الحاجة للإيمان وأثرها على الأمن النفسي : سميرة حسن أبكر رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية البنات في جدة عام ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- آل المبارك، عبد العزيز بن حمد . تدريب السالك إلى اقرب المسالك على مذهب الإمام مالك ، ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة المدني ، (١٩٧٢) .
- الإبراشي ، مُجَّد عطية . التربية الإسلامية و فلاسفتها ، ط ٣ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، (١٩٧٦) .

- الأصبحي ، مالك بن أنس . الموطأ . (تحقيق : مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي) . بغداد . مكتبة المثنى.(١٩٧٠) .
- الأصبحي ، مالك بن أنس . المدونة الكبرى ، ط ١ ، عمان ، دار الفكر. (١٩٨٩) .
- الأفغاني ، سعيد . الإسلام و المرأة نقلاً عن المستشرق الروسي أحمد أجاييف بكتابه حقوق المرأة في الإسلام ، ط ٣ . ترجمة سليم قبعين ، دمشق ، دار الفكر.(١٩٩٧) .
- الألباني ، مُجَدَّ ناصر الدين ،(١٤١٣هـ) . جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة ، (ط ١) ، عمان : المكتبة الإسلامية.
- البخاري ، مُجَدَّ بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري . الجامع الصحيح المختصر ، (تحقيق : د. مصطفى ديب البغا) . ط ٣ ، بيروت ، دار ابن كثير - اليمامة.(١٩٨٧).
- البصري ، عارف . نفقات الزوجة في التشريع الإسلامي . ط ١ ، بيروت ، المطبعة الإسلامية الحديثة.(١٩٨١).
- السعدي - الشيخ عبد الرحمن ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان طبعة مكتبة الخانجي ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- عمر باحاذق أسلوب القرآن بين الهداية والأعجاز دار الأمون للتراث ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
- الإيمان و الحياة : يوسف القرضاوي ط ٦ مكتبة وهبة - القاهرة - مصر ١٩٧٨م.
- موسوعة من اشعة الايمان تاليف : اية الله العظمى الشيخ مُجَدَّ طاهر ال شبير الخاقاني الجزء الثامن طبعة ايران.
- خصائص القرآن الكريم : الدكتور فهد عبد الرحمن الرومي الطبعة العاشرة.
- دع القلق وابدأ الحياة : ديل كارنيجي ترجمة عبد المنعم الزيايدي ط ٥ القاهرة مكتبة الخانجي - ١٩٥٦م.
- صحيح البخاري : المكتبة الإسلامية - استانبول تركيا ١٩٧٩م وطبعة السلام الطبعة الثانية محرم ١٤٢١هـ.

- صفة الصفوة : لابن الجوزي دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية ١٤١٧ هـ.
- القرآن وعلم النفس : د. مُحمَّد عثمان نجاتي . دار الشروق القاهرة — بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٨ هـ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامي دار صادر — بيروت مصورة عن الطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ .
- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام: أنور الجندي ، دار الاعتصام القاهرة ١٩٧٧ م .
- البناء، جمال ، (١٩٩٨) . المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء . القاهرة : دار الفكر .
- البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سنن البيهقي الكبرى . (تحقيق : مُحمَّد عبد القادر عطا) . مكة المكرمة ، مكتبة دار ألباز. (١٩٩٤) .
- الترمذي ، مُحمَّد بن عيسى أبو عيسى الترمذي . سنن الترمذي ، (تحقيق : أحمد مُحمَّد شاكر و آخرون) . ط ١ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي. (١٩٣٧) .
- الجصاص ، أحمد بن علي الرازي . أحكام القرآن ، ط ٣ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي . (١٩٨٠) .
- الجمري ، عبد الأمير منصور . المرأة في ظل الإسلام ، (ط ٤) ، بيروت : مكتبة الهلال. (١٩٨٦) .
- الجواهري ، محمود مُحمَّد و خيال ، عبد الحكيم . الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، الإسكندرية : دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. (١٩٧٩) .
- الحسيني ، أبو بكر مُحمَّد تقي الدين . كفاية الخيار في حل غاية الاختصار . ط ٣ ، القاهرة ، دار الكتب العلمية . (١٩٩٥) .
- الحسيني ، مبشر الطرازي . المرأة و حقوقها في الإسلام . الإسكندرية ، مكتبة حميدو. (١٩٨٤)

- الحصين ، أحمد عبد العزيز . المرأة و مكانتها في الإسلام . ط ٣ ، القاهرة ، مكتبة الإيمان.(١٩٨٣) .
- الدار قطني ، علي بن عمر أبو الحسن البغدادي . سنن الدار قطني . (تحقيق : السيد عبد الله هاشم يماني المدني بيروت) ، دار المعرفة.(١٩٦٦) .
- السباعي ، بدر الدين ،(١٩٨٥) . مشكلة المرأة ، العامل التاريخي ، (ط ١) ، دمشق : دار الجماهير الشعبية.
- السباعي ، مُحمَّد أحمد ،(١٩٨١) . المرأة بين التبرج و التحجب ، مجمع البحوث الإسلامية ، السنة الثانية عشرة ، الكتاب التاسع .
- السبع ، توفيق مُحمَّد ،(١٩٧١) . نفوس و دروس في إطار التصوير القرآني . العدد ٣٤ . سلسلة البحوث الإسلامية : مجمع البحوث الإسلامية.
- السجستاني ، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني . سنن أبي داود . (تحقيق : كمال يوسف الحوت) . بيروت ، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع.(١٩٩١) .
- السرطاوي ، محمود (١٩٩٨). فقه أحوال شخصية . (ط ١) . عمان : جامعة القدس المفتوحة.
- الشعراوي ، مُحمَّد متولي ،(١٩٨٧) . مكانة المرأة في الإسلام . (تحقيق احمد يحيى) . (ط ١) . بيروت : دار القلم.
- الصنعاني ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام . مصنف عبد الرزاق . (تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي) . ط ٢ ، بيروت ، المكتب الإسلامي.(١٩٨٣).
- الصوفي ، ماهر أحمد ،(٢٠٠٣) . المرأة المسلمة في ميزان العصر الحديث . (ط ١) . القاهرة : دار الرضوان.
- مقدمة في الصحة النفسية : د عبد السلام عبد الغفار — دار النهضة — القاهرة .

- الموت والحياة على ضوء القرآن الكريم : إيمان بنت عبد الرحمن مغربي رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من كلية التربية للبنات مكة المكرمة.
- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . المعجم الأوسط . ط ٢ ، (تحقيق : طارق بن عوض الله بن مُجَد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني) . القاهرة ، دار الحرمين . (١٤١٥هـ) .
- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، (١٩٨٥) . الروض الداني - المعجم الصغير . (تحقيق : مُجَد شكور محمود الحاج أمير) . ط ١ ، بيروت-عمان ، دار عمار . (١٩٨٥) .
- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، (١٩٨٣) . المعجم الكبير . (تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي) . ط ٢ ، الموصل ، مكتبة العلوم والحكم . (١٩٨٣) .
- الطبري ، أبو جعفر مُجَد بن جرير . جامع البيان عن تأويل القرآن . ط ٢ ، (تحقيق احمد مُجَد شاكر) . القاهرة ، دار المعارف . (١٩٩٦) .
- ابن العربي ، أبو بكر مُجَد بن عبد الله المالكي . أحكام القرآن . (تحقيق : مُجَد علي البجاوي) . ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركاه . (١٩٦٧) .
- العسقلاني ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن حجر . فتح الباري في شرح صحيح البخاري . القاهرة ، المطبعة الخيرية . (١٩٨١) .
- العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل علي بن حجر . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي و أولاده . (١٩٥٩) .
- العقاد ، عباس محمود ، (١٩٦٩) . المرأة في القرآن . (ط ٣) ، بيروت : دار الكتاب العربي .
- الغزالي ، مُجَد ، (١٩٩٠) . قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة و الوافدة . (ط ٤) ، القاهرة : دار الشروق .
- الفيومي ، أحمد بن مُجَد علي ، (١٩٩١) . المصباح المنير في غريب شرح الكبير . (تحقيق مصطفى السقا) ، دمشق : مطبعة عيسى البابي الحلبي .

- ضياء العدد الأول مجلة تصدرها الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في الزلفي المملكة العربية السعودية .

- أبولاوي ، أمين ، أصول التربية الإسلامية دار ابن الجوزي الدمام ١٩٩٩ م.

- الدكتور أحمد سعد مرسى تطور الفكر التربوي عالم الكتاب الطبعة الثانية عشر .

- القرضاوي ، يوسف ، (١٩٩٦) . مركز المرأة في الحياة الإسلامية . (ط ١) ، القاهرة : مكتبة وهبة.

- القرطبي ، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد . بداية المجتهد و نهاية المقتصد . القاهرة ، مكتبة الكليات الأزهرية.(١٩٦٠).

- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري . الجامع لأحكام القرآن . بيروت ، دار إحياء التراث العربي.(١٩٦٦).

-القزويني ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني . سنن ابن ماجه . (تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي) . بيروت : دار الفكر.(١٩٧٥).

- القشيري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري . صحيح مسلم . (تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي) ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي.(١٩٩٢).

- الكاساني ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود الحنفي . بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، ط ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية.(١٩٨٤).

- أ.د. سعيد اسماعيل التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات مكتبة الرشد الطبعة الثالثة.

- قطب - سيد كتاب معالم في الطريق طبعة دار القرآن الكريم للاتحاد الإسلامي العالمي ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.

- الدكتور البوطي - كتاب : ردود على أوهام حول حقوق المرأة في الإسلام.

- الكزبري ، سلمى الحفار ، (١٩٦١) . نساء متفوقات . بيروت : دار العلم للملايين.

- الكوفي ، أبو بكر عبد الله بن مُجَدَّ أبي شيبه . المصنف في الأحاديث والآثار . (تحقيق : كمال يوسف الحوت) ، ط ١ ، الرياض ، مكتبة الرشد.(١٩٨٩).
- الملاح ، نديم بن محمود ،(١٩٦٩) . حقوق المرأة المسلمة . (ط)٢ ، عمان : المطبعة الحديثة.
- النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ،(١٩٩١) . سنن النسائي الكبرى . (تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن) . ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية.(١٩٩١).
- رجال عرفتهم - عباس محمود العقاد طبعة الهلال ١٩٦٣ .
- النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي . المجتبى من السنن . (تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة) ، ط ٢ ، حلب ، مكتب المطبوعات الإسلامية.(١٩٨٦).
- النسيمي ، محمود ناظم ،(١٩٩٦) . الطب النبوي و العلم الحديث . ط ٤ . بيروت : مؤسسة الرسالة
- النووي ، محي الدين أبي زكريا ،(١٩٩١) . روضة الطالبين . ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية .(١٩٩١).
- النيسابوري ، مُجَدَّ بن إسحاق بن خزيمه أبو بكر السلمي النيسابوري . صحيح ابن خزيمة . (تحقيق : د. مُجَدَّ مصطفى الأعظمي) ، ط ٣ ، بيروت ، المكتب الإسلامي.(١٩٧٠).
- النيسابوري ، مُجَدَّ بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم . المستدرک على الصحيحين . (تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا) . ط ١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية.(١٩٩٠).
- جاسم ، عزيز السيد ،(١٩٨٧) . المفهوم التاريخي لقضية المرأة . (ط)١ ، القاهرة : دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع.
- حبان ، مُجَدَّ بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . (تحقيق : شعيب الأرنؤوط) ، ط ٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، (١٩٩٣) .

- ابن حزم ، أبو مُجَدِّد علي بن أحمد بن سعيد . المحلى . ط ٢ ، (تحقيق : حسن زيدان طلبه) ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية . (١٩٧٠).
- ابن حزم ، علي بن أحمد . الإحكام في أصول الأحكام . ط ١ ، القاهرة ، دار الحديث . (١٩٨٢).
- حسن ، عبد الباسط مُجَدِّد ، (١٩٧٩) . مكانة المرأة في التشريع الإسلامي . مركز دراسات المرأة والتنمية . الكتاب الأول.
- حنبل ، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني . مسند الإمام أحمد بن حنبل . (ط ٢) . القاهرة : مؤسسة قرطبة . (١٩٧٨).
- رضا ، مُجَدِّد رشيد ، (١٩٣٢) . نداء للجنس اللطيف في حقوق النساء في الإسلام وحظهن من الإصلاح الحمدي العام . (ط ١) . القاهرة : دار الحديث.
- شلتوت ، محمود ، (١٩٩٥) . الإسلام عقيدة و شريعة . القاهرة : دار الإدارة العامة للثقافة الإسلامية في الأزهر.
- ابن عابدين . حاشية رد المختار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه الإمام أبي حنيفة النعمان . ط ٢ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي . (١٩٦٦).
- عبد الباقي ، زيدان ، (١٩٨١) . المرأة بين الدين و المجتمع . (ط ٢) ، القاهرة : سلسلة الثقافة الاجتماعية الدينية للشباب (الكتاب الثاني) .
- عتر ، نور الدين ، (١٩٧٩) . ماذا عن المرأة . (ط ٣) ، دمشق : دار الفكر للنشر.
- عرفة ، مُجَدِّد عبد الله ، (١٩٨٣) . حقوق المرأة في الإسلام . (ط ٣) ، دمشق : المكتب الإسلامي.
- عقله ، مُجَدِّد ، (١٩٨٣) . نظام الأسرة في الإسلام . (ط ١) ، عمان : مكتبة الرسالة الحديثة.
- أبو فارس ، مُجَدِّد عبد القادر ، (١٩٩١) . القضاء في الإسلام . (ط ٢) ، عمان : دار الفرقان.
- فضل الله ، مريم نور الدين ، (١٩٨٣) . المرأة في ظل الإسلام ، (ط ٣) ، دار الزهراء بيروت .

- أثر القرآن الكريم في الأمن النفسي : ناهد عبد العال الخراشي الطبعة الأولى وكالة الأهرام للتوزيع - القاهرة .

- الدكتور موسى الخطيب من دلائل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة طبعة المكتبة المصرية - ط ١.

- ابراهيم الديب البرنامج العلمي لبناء المسلم القرآني المعاصر، المجموعة العربية للبحوث والدراسات والتطوير الدوحة - القاهرة.

- الزرقاني - عبد العظيم - مناهل العرفان في علوم القرآن ، تحقيق: فوز أحمد زمري طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ.

- الزعبلوي - مُجّد السيد ، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ط ١٤١٤، ١٤١٥هـ/ ١٩٨٨م.

- زياد - مصطفى - الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره طبعة مكتبة الرشد - الرياض.

- السيوطي - جلال الدين - الإتقان في علوم القرآن مطبعة المشهد الحسني - ط ٢ - ١٩٥١م.

- شحات - مُجّد ، أصول التربية الإسلامية الطبعة الثالثة دار الخريجي للنشر والتوزيع.

- عاقل - فاخر قاموس التربية طبعة دار القلم بيروت ١٩٨٣.

- عبد الله ، عبد الرحمن داود جميل ، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق ، ، إشراف د. حسين عبد الحميد نقيب.

- عبد الرحيم ، صالح إيشان منهج التربية الإسلامية في تربية النفس مجلة الجامعة الإسلامية العدد ١٣٤.

- العدوي - مُجّد أحمد ، دعوة الرسل إلى عبادة الله طبعة دار المعرفة بيروت لبنان ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

- عماد مُجّد عطية تطور الفكر التربوي عبر القرون ، الطبعة الثانية دار الرشد.

- فهمي مُحمَّد سيف الدين سليمان نسيم، مبادئ التربية الصناعية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٩٧م.
- فياض ،خالد عبد الكريم ، الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في الوقت الحاضر الطبعة الأولى دار المجتمع للنشر والتوزيع ١٤٢١هـ ١٩٩١م.
- الفياض - مُحمَّد جابر ، الأمثال في القرآن الكريم طبعة الدار العلمية للكتاب الاسلامي ط ٣ - ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- القحطاني - سعيد بن علي ، الحكمة في الدعوة إلى الله، ط ١ - ١٩٩٢م.
- ابن كثير - إسماعيل القرشي تفسير القرآن العظيم الحافظ ابن كثير طبعة مؤسسة الكتاب الثقافية ط ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- اللجنة الثقافية في مؤسسة الكلمة ، رسائل فتیان الدعوة طبعة سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- علي سعيد ومُحمَّد الحامد وعبد الراضي مُحمَّد التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات طبعة مكتبة الرشد الرياض.
- منصور - مُحمَّد أمين ، المقال الفلسفي في قراءة جديدة لعلم النفس طبعة دار العصماء سوريا دمشق ط ١.
- النجيجي - مُحمَّد - مقدمة في فلسفة التربية طبعة مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٦٧م.
- الدكتور توفيق الوافي كتاب الدعوة إلى الله الرسالة والوسيلة والهدف طبعة دار اليقين ط ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
- كورنثوس ١٤ : ٣٤ - ٣٥
- لاويين ١٥ : ١٩ - ٢٣
- منهاج المؤتمر الإقليمي الرابع للمرأة في الخليج والجزيرة العربية في ١٥ / ٢ / ١٩٨٦م.
- مجلة الجامعة الإسلامية عام ١٣٩٥ - ١٣٩٦هـ.

- جريدة الأهرام العدد ٢٠ / ١٢ / ١٩٧٥ م.
- كتاب المنهاج القومي لحزب البعث العربي الاشتراكي (العراق).
- مجلة الطليعة عدد نوفمبر ١٩٦٨ د / إجلال خليفة.
- مجلة المستقبل العربي عدد يناير ١٩٨١ د / نوال السعداوي - د: عباس مكّي . د : هدى بدران د : إيليا حريق.
- كتاب الجامع: آثار ذوات السوار الجامعه مُجَد على حامد حشيشو - طبعة صيدا.
- أ.د.سعيد إسماعيل - أ.د.مُحَمَّد بن محجب - أ.د.عبد الراضي إبراهيم - التربية الإسلامية المفهومات والتطبيقات طبعة مكتبة الرشد الطبعة الثالثة.
- فاخر عاقل، قاموس التربية طبعة دار القلم ، بيروت ١٩٨٠.
- مُحَمَّد النجيجي، مقدمة في فلسفة التربية - مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ١٩٦٧ م.
- مصطفى زياد، الفكر التربوي مدارسه واتجاهات تطوره ، مكتبة الرشد ،الرياض.
- أمين أبولواي، أصول التربية الإسلامية طبعة دار ابن الجوزي الدمام.
- تطور الفكر التربوي، الدكتور سعد مرسى أحمد طبعة عالم الكتاب، الطبعة الثانية عشر.
- موسوعة الجياش، لينتون رالف العالم الأمريكي.
- د.إبراهيم الديب، البرنامج العلمي لبناء المسلم القرآني المعاصر.
- أثر التربية القرآنية في أمن المجتمع - عبد الله قادري الأهمل.
- د.مُحَمَّد شحات، د.مصطفى متولي، د.نور الدين عبد الجواد، د.محروس إبراهيم ، د.فتحية مُحَمَّد، أصول التربية الإسلامية، الطبعة الثالثة دار الخريجي للنشر والتوزيع.
- عارف جمعة - مذكرة في علم النفس.

- القرآن وعلم النفس تأليف : عثمان نجاتي.
- مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق في ضوء الإسلام: أنور الجندي.
- كتاب : دع القلق وأبدأ الحياة تأليف: ديل كارينجي ترجمة : عبد المنعم الزيايدي.
- الاصحاح ١٤ الفقرة ١٧ .
- كتاب الأدب الإغريقي أحمد عثمان عالم المعرفة - الكويت.
- كتاب الأصنام لابن الكلبي تحقيق أحمد زكي طبعة الدار القومية للطباعة والنشر.
- كتاب دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه طبعة دار القاهرة.
- الاسلام والعلم الحديث، عن مجلة المختار عدد فبراير سنة ١٩٥٨.
- كتاب : تحرير المرأة تأليف قاسم أمين، نشر ١٨٩٩م.
- كتاب : مجلة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة . تأليف : تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة.
- القانون المدني الفرنسي (قانون نابليون) الفصل (٢٧١).
- موسوعة وسائل الشيعة طبعة آل البيت.
- الحركات النسائية في الشرق - مُجَّد فهمي عبد الوهاب طبعة دار الاعتصام.
- جمال الدين الأفغاني - ميزان الإسلام مصطفى فوزي بن عبد اللطيف غزال نشر (دار طيبة)
- الرياض - دراسة.
- د/ خالد سعد النجار - همسة في أذن الطالبات - دار ابن خزيمة مجمع الفقه الاسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي بجدة تصدر عن منظمة المؤتمر الاسلامي بجدة.

- كتاب المتابعة علم وفن تأليف : مُحمَّد منير لكود تقديم : المربية غازية لكود تدقيق لغوي : ريم لكود - حسام لكود تنسيق : م. حنان لكود الطبعة الأولى نشر : معهد المحيط للغات والمتابعة سورية - دمشق - داريا الجمهورية العربية السورية.
- النوع الاجتماعي - الجندر : سيما عدنان أبو رموز - إشراف: الدكتور مصطفى أبو صوي - القدس - فلسطين
- د. مُحمَّد وصفي كتاب الرجل والمرأة في الإسلام، تقديم مُحمَّد عبد الله السمان، خرّج أحاديثة مُحمَّد صديق المنشاوي الوهاجي القاهرة، دار الفضيلة.
- قانون الأحوال الشخصية الأردني رقم (٨٢) المعدل للقانون رقم ٦١ لعام ١٩٧٦. عمان : نقابة المحامين الأردنيين .
- ابن قدامة ، أبو مُحمَّد عبد الله بن أحمد بن مُحمَّد المقدسي . المغني على مختصر الخرقي . ط ١ ، القاهرة ، دار الكتاب العربي.(١٩٨١).
- قطب ، مُحمَّد ، (١٩٧٨) . شبهات حول الإسلام . (ط ١١) ، القاهرة : دار الشروق.
- قطب ، مُحمَّد ، (١٩٨٨) . مذاهب فكرية معاصرة . (ط ٤) ، القاهرة : دار الشروق.
- كحالة ، عمر رضا ، (١٩٩٥) . أعلام النساء في عالم العرب و الإسلام . (ط ٥)، دمشق : مؤسسة الرسالة المطبعة الهاشمية.
- كركر ، عصمة الدين ، (١٩٩٣) . المرأة في العهد النبوي . (ط ١)، بيروت : دار العرب الإسلامية.
- كيال ، باسمه ، (١٩٨١) . تطور المرأة عبر التاريخ . (ط ١)، بيروت : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- مسيكة بر ، فتنة ، (١٩٩٢) . حقوق المرأة بين الشرع الإسلامي و الشريعة العالمية لحقوق الإنسان . (ط ١) ، بيروت : مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.

- ابن منظور، جمال الدين مُحَمَّد بن مكرم . لسان العرب . ط ١ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية.(١٩٨٩).
- نواب الدين ، عبد الرب ،(١٩٨٦) . عمل المرأة و موقف الإسلام منه . (ط١)، المنصورة : دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع.
- وافي ، علي عبد الواحد ،(١٩٦٥) . المساواة في الإسلام . (ط٢) ، القاهرة : دار المعارف .
- وجدي ، مُحَمَّد فريد ،(١٩١٢) . المرأة المسلمة: رد على كتاب "المرأة الجديدة" . (ط١) ، القاهرة : مطبعة هندية بالموسكي.
- يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي .مسند أبي يعلى . (تحقيق : حسين سليم أسد) ، ط ١ ، دمشق ، دار المأمون للتراث.(١٩٨٤).
- يكن ، فتحي ،(١٩٧٢) . الإسلام و الجنس . (ط١) ، بيروت : دار النور.
- مُحَمَّد السيد الزعبلأوي، تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس طبعة : مؤسسة الكتب الثقافية ط١ - ١٤١٤ هـ ١٩٨٨ م.
- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع للشيخ حسن الصفار
- الفيلسوف الألماني شبنغلر Oswald Spingler كتاب : سقوط الغرب.
- ح مجلة تايم الأمريكية - د. الكاتبة آن لاندز (ANN LANDERS).
- أبراهام ماسلو - الثورة الجنسية Sexual Revolution.
- Ameer Ali, The Spirit of Islam, Chatto and Windus, London, 1978, P.134 .
- كتاب : Blachere, Le Coran, PP. 318- 319.

الاهداء

قال هو سبحانه تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾^{١٠٣٦}. وكان يقود أولئك البقية الصالحة نبي مرسل ، أو وصي نبي ، أو عالم رباني ، يتوارثون الدعوة له تعالى ، والقيام بامرهِ سبحانه. فورثت السيدة (**سكينة**) عليها السلام. فالإمامة الربانية ورثها المصطفون من عباد الله ، وان نَحج الحق توارثه العلماء الربانيون ، وأهل الزهد والصلاح من شيعة الحق واتباع نَحج الأنبياء . فهي السيدة التي ظلمها الناس وظلمتها أقلام العلماء ، فأمرها الرباب بنت امرئ القيس الكندية توفيت في ٥ ربيع أول ١١٧ هـ أبوها الامام الشهيد الحسين عليه السلام ، شبيهة جدتها فاطمة الزهراء عليها السلام. كانت منقطعة الى العبادة ودائمة الاتصال مع الله تعالى لا تغادر بيتها ولا تلتفت عن مسجدِها.

فلما خطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الامام الحسن عليه السلام قال له ابوها الحسين عليه السلام : (اعطيك فاطمه بنتي فهي كأمي الزهراء في العبادة، اما سكينة فلا تصلح لرجل، لانها غالب عليها الاستغراق مع الله).

هي سيدة النساء بعد الزهراء عليها السلام

السيدة (**سكينة**) عليها السلام

بنت الامام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام



كتاب : مبطلين المرأة في القرآن ساجد شريف عطية

تم الحمد لله رب العالمين